البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد العاشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد العاشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد العاشر .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي .- الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٥٢٤ ؛ ١٥،٥ X ٢٣،٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٧-٩٨-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٧-٩٨-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٨٠١٢١٦٧ بتاريخ ١٨/٠٢/٢٠٢٥م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد العاشر	٧
• أحداث عام ١٥٥٢م	٩
• أحداث عام ١٥٥٣م	١٥١
• أحداث عام ١٥٥٤م	٢٢٥
• أحداث عام ١٥٥٥م	٣١٣
• أحداث عام ١٥٥٦م	٣٢١
• أحداث عام ١٥٥٧م	٣٢٥
• أحداث عام ١٥٥٨م	٣٢٧
• أحداث عام ١٥٥٩م	٣٣١
• أحداث عام ١٥٦٠م	٣٣٥
• أحداث عام ١٥٦١م	٤٢٥
دليل الباحثين	٤٩٩
هوامش المجلد العاشر	٥١٧

مقدمة المجلد العاشر

يضم هذا المجلد بين دفتيه ، أحداث عشرة أعوام ، من العام ١٥٥٢م إلى العام ١٥٦١م . في بداية المجلد تأتي أحداث الجزائر في العراق والبصرة والقطيف ، وتلي الأحداث تواجد الأسطول التركي في السويس واحتلال عدن .

بعد تلك الأحداث يأتي ذكر الأسطول التركي في مسقط وخورفكان ومن ثمّ حصار هرمز ، وتحطم الأسطول التركي عند رأس الحد .

عند القيام بمساعدة شيخ البصرة من قبل البرتغاليين ضد المحتل التركي ، حدثت عاصفة للأسطول البرتغالي ، أبعدته عن منطقة البصرة . لكن البرتغاليين بعد ذلك قاموا باحتلال البحرين بعد طرد الأتراك منها .

ينتهي المجلد ، بقصة إلقاء القبض من قبل الأتراك على الشيخ علي بن عليان شيخ الجزائر في العراق ، وينقل للقسطنطينية مكبلاً بالأغلال .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥٥٢م

بعث "دوم أفونسو دي نورونها" "D . Afonso de Noronha" رسالة إلى الملك ، "كوتشين" "Cochin" ، في السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، يخبره فيها عن الأوضاع في المنطقة : [١]

تقترح هذه الرسالة من طرف "دوم أفونسو دي نورونها" تفاؤلا ربّما لا أساس له قبل فقرة تشير إلى ثلاثة ملوك[أ] يذكر "دوم أفونسو" الحقائق التالية :

١- هاجم "دوم أفونسو دي نورونها" قلعة الأتراك في القطيف ودمرها .

٢- هناك قلعة أخرى في البصرة يمكن الاستيلاء عليها أيضا

(أ) ملحوظة المترجم : هؤلاء هم ملوك "سيلان" (ابن الملك العجوز من طرف أخت الملكة ، والذي تربّى في كنف نائب الملك ، "لورد تريكومانلي" وملك جزر "المالديف" والذي قال جماعة المسيح أنّهم تحوّلوا إلى المسيحيّة .

(١) رقم الوثيقة والهامش.

وتدميرها ... ، أو أنّ الفضل سوف يعود بالتأكيد لأولئك الذين في القيادة ويمكن قبوله في حالة أنّه سوف لن يصيب تجارة هرمز بأيّ ضرر .

٣- الأخبار من السويس طيّبة إذ إنّ الأتراك لم يظهروا أيّة علامة انتظار للمغادرة إلى الهند في هذا الوقت ، فلا رجال لديهم ولا سفن لمثل هذه العمليّة .

٤- بحسب المعلومات الواردة من هرمز فإنّه يعرف أنّ كلا شاه فارس والتركي العظيم كانا سوف يرسلا سفراء إلى "غوا" "Goa" لبحث اتّفاق السلام .

لديه أرضية للتفاؤل .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

جاء خطاب مرسل من "دي أفونسو" إلى الملك ، في السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر معركة القطيف والأتراك في شط العرب : [٢]

سيدي ، يجب أن يكون للأخبار الجيّدة الأسبقيّة ، وأن تسرد أوّلا ثم يليها عرض لكيفيّة حدوث تلك الأحداث ، واعتبر أنّ خبر الاستيلاء على "قطيفة" يندرج تحت تلك الأخبار ، وهو إنجاز عظيم يدرج ذلك الخبر بلا شكّ ضمن تلك الأخبار .

استولى "دوم انتاو دي نورونها" "D . Antao de Noronha" الذي أرسلته مع أسطول عيّنته القائد الأول له إلى "القطيف" على المكان بعد قتال دام ثمانية أيّام ، للدّفاع عنها ضدّ الأتراك الذين كانوا فيها ، وقاموا بتحصينها بقوّة تكفي لحمايتها من قوة الهند بأكملها ، وبعد أن سوّى الحصن بالأرض .

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

حيث أمرته أن يقوم بذلك ، دخل مع بعض السفن ذات المجاديف إلى نهر الفرات الذي يقع في منتصفه جزيرة "محرزي" وهي مشهورة للغاية لذلك يسيطر عليها الأتراك ، وقام كذلك بتسويّة الحصن الذي أقاموه هناك بالأرض ، ومن هناك اتّجه شمالا في النهر إلى "باكورا" "Bakora" وقام بالاستيلاء على سفينتين بالقرب منها ، وقام باستكشاف جميع أنحاء النهر والأرض برويّة ، وكذلك جميع الأشياء المتعلّقة بهما ، والتي يجب أن يتمّ فحصها كضرورة .

بذلك تلقّى الأتراك صفعة قويّة ، وامتلكهم الرعب على الرغم من أنّه اصطحب معه أسطولا صغيرا ، لأنّه قام بإرسال السفن الكبيرة إلى هرمز ، وبها بعض الرجال والجرحى والمرضى الذين أبقاهم معه فقط لتجديف السفن ، ولكن على الرغم من أن "باكورا" مستولى عليها ، فقد شعر الأتراك بالخزي الشّديد حينما رأوا الأسطول على مقربة شديدة منهم .

وقام العرب بشجاعة وبمفردهم من غير "البرتغاليّين" بالإجهاز على حصن أقامه الأتراك على الجانب القريب من فارس واستولوا عليه ودمروه ، وقد أبلى "دوم انتاو" في هذا الأمر بلاء حسنا وشرّف عظمتك ، وكذلك فعل كلّ من ذهب معه ، وهو حقّا شخص يحسد على العمل البطولي الذي قام به ، ولذلك السبب ستغدق عليه عظمتك الامتيازات .

كتبت إلى عظمتك العام الفائت أنه عندما وصلنا إلى ذلك ، جاءتنا أنباء تفيد بأن الأتراك قد استولوا على "قطيفة" حيث سلّمها لهم العرب عن طيب خاطر ، فهم من كان يقوم بالدفاع عنها ، كما

يبدو أنّهم سيقومون بتسليمهم "بارام" ويجب تعيين ابن شقيق "ريكس هارافا" كنقيب هناك "ليكون" Parsee .

وأن يأتوا بنيّة غزو ساحل شبه الجزيرة العربيّة ، والاستيلاء على مسقط ، كما عقدت مجلسا بخصوص هذا الأمر ، ورأى من ناقش الأمر معي أنّ أمر إعادة "قطيفة" ضروريّ للغاية وأنّ نعمل جاهدين للإطاحة بالأتراك خارج الساحل ، ثم رحلت متّجها إلى "غوا" لإصدار الأوامر بذلك .

بمجرّد وصولي إلى "غوا" ، بدأت بإعداد الأسطول الذي يبدو أنّه سيحمل ألف رجل برتغاليّ ، وثلاثة آلاف من البرابرة ورعايا الملك من هرمز ، ويعدّ هذا عددا كافيا لمهمّة مثل تلك ، وحيث إنّ هذا أمر شديد الأهمّية ويصبّ في مصلحة عظمتك .

أمرت أن يتمّ تعيين "دوم انتاو دي نورونها" كقائد أعلى للأسطول استنادا إلى خبرتي معه ، ولأنّ مهمة مثل تلك تحتاج إلى شخص يسعد الرجال بالذهاب معه وأن يقوموا بالخدمة بصحبته ، لأن الناس في الهند يصعب التأقلم معهم ومتقلّبي المزاج إلى حد بعيد ، ولا يمكن لهم أن يخرجوا في مغامرة صعبة طواعية إلا مع الحاكم أو ابنه أو ابن شقيقه .

في "غوا" قمت بتجنيد سبعمائة رجل قمت بانتقائهم ، ثم قمت بالترتيب مع هرمز أن يجعلوا ثلاثمائة جندي على أهبة الاستعداد ، والذين ينتظر أن يكتمل العدد بهم ، حيث يوجد الكثير من الرجال في ذلك المكان ، وكتبت إلى الملك في هرمز وإلى ضابط الأمن لجعل السكان الأصليّين على أهبة الاستعداد ، وأرسلت "جيرونيمو رويز"

"Jeronimo Ruis" قبل ذلك بتلك الرسالة وبسلطات من مراقب نفقات خزانة الدولة لجعل السفن والرجال والإمدادات الغذائية في وضع الاستعداد ، حتى يتسنّى "لدوم انتاو" الرحيل بمجرد وصوله .

أصبح الأسطول مستعدّا مع كلّ هذا العمل الجادّ ، وإن كان قد وصل إلى "غوا" في نهاية شهر فبراير ، ووجد هناك تلك الأخبار العظيمة وفي جميع أنحاء الهند ، كما كتبت لعظمتك ، رحل "دوم انتاو" في يوم عيد الفصح ، وكان الأسطول الذي معه يتألّف من السفينة الشراعية الضخمة التي ذهب بها ، وسفينة محمّلة بالمؤن والمدفعيّة لمهاجمة "قطيفة" .

وإقامة المعسكر ، وأربعة قوافل كان النقباء عليها ، هم "مانويل دي فاسكونسيلوس" "Manuel de Vasconcilos" و"جواو فيرناندز دي فاسكونسيلوس" "Joao Fernandes de Vasconcilos" و"مارتينهو دي ميلو" "Martinho de Milo" و"بيدرو أفونسو دو افيلار" "Pedro Afonso de Avilar" ، وثماني سفن foists وعليهم النقباء التاليون ، "جارسيا دي سا" "Garcia de Ca" و"دوم جيرونيمو دي كاستيلو برانكو" "D . Jeronimo de Castelo Branco" و"جيرونيمو دي موريس" "Jeronimo de Moris" و"بلشيور بوتيلهو" "Belchiore Botelho" نجل "سيماو بوتيلهو" "Simao Botelho " .

بالإضافة إلى كلّ ذلك ، كانت لديّ بعض السفن المأخوذة والتابعة للتجّار الذين يأتون بالبضائع إلى هرمز قلت لبعض الرجال الذين لم يتمكّنوا من الذهاب في سفن الأسطول أن يستقلوها ، علاوة على

الإمدادات الغذائيّة ، وقد كان الطقس جيّدا جدّا من "غوا" إلى هرمز ، ووصلنا إلى هناك في غضون بضعة أيّام ، ووجدنا الجميع تقريبا مستعدّين لما يحتاجه الأسطول القادم من "غوا" وتبعه الآخر المعدّ في هرمز ليصحبه .

حيث إنّه ينبغي عليه أن يتأخّر في هرمز لبضعة أيّام ، فقد أرسل مسبقا "مانويل دي فاسكونسيلوس" مع بعض السفن للدفاع عن أيّ إغاثة يمكن أن تأتي من البحر إلى "قطيفة" ومن أجل مشاهدة الأرض واكتشاف المكان الأنسب لحطّ الرحال .

غادر في اليوم نفسه الذي وصل فيه إلى هرمز في اليوم الثامن عشر ومعه ألف رجل برتغالي من الذين أثبتوا أنفسهم بالطريقة التي أدّوا بها المهمّة ، وذهب معه إلى هناك "ريكس هارافو" "Rex Haravo" الذي ، رغم كبر سنه ، لم يدع ابنه يذهب من دونه ، و"ميرماماها" "Miramaha" وهو رجل بربريّ محترم وفارس وهو ابن عم ملك هرمز ومعه بعض السكّان الأصليّين .

ووصلوا إلى "قطيفة" في النصف الثاني من يونيه ، وما فعله عندما استولى على الأرض وفي القتال في الحصن ، وكذلك الدّمار الذي لحق به ، واتّجهوا من ذلك المكان إلى جزيرة مارزي .

في أثناء الرحلة إلى "باكورا" ، قد كتب بشكل شامل إلى عظمتك وبكلّ صدق عن ما حدث ، الأمور التي لم أتطرّق إليها هنا في هذا الخطاب :

أريد أن أقبّل يدي عظمتك لأذكّرك بأنّ تقدم له العطايا بسبب الجهد الذي بذله والأخطار التي تعرض لها ، وقضى وقتا طويلا في

رحلته إلى درجة أنّني لا أعلم المبلغ الذي يكفي لمكافأته ، ولذلك ستكون قد أسديت معروفا عظيما إن قمت بإرسال شكر إلى من ذهب معه ، وإظهار المساندة لأولئك الذين يطلبونها .

كلّ بما يتّفق مع ما قدّمه من خدمات وعطايا ، حيث إنّهم مضوا في ذلك الأمر لخدمة عظمتك ، وجعلت الهند بأوضاعها الحالية والناس فيها أمر إرسال "الفيدالجو" أمرا ضروريا بالنسبة لي معتقلين إلى "كوتشين" من "غوا" ، لأنهم لا يريدون الذهاب معه عند الذهاب لمقاتلة الأتراك .

كما ذكرت ، سيكتب لعظمتك بالتفصيل وبشكل شامل كل ما مرّ به ، ومع ذلك فإنّي سأقدّم رأيي فيما يخصّ "باكورا" ، لأنّها تتمتّع بأهمّية شديدة وأنّه يجب الذهاب إليها لخدمة مصالح عظمتك ، وعليه يجب إعارة الأمر اهتماما بالغا .

في رأيي المتواضع فيما يخص "باكورا" ، أرى أنّ هناك إجرائين يجب اتّخاذهما ، أوّلهما هو أن نأمر بالاستيلاء عليها على الفور ، حيث يمكن الاستيلاء عليها وفقا لما قاله "دوم انتاو" ومن كان معه ، حيث قمت بتوجيه السؤال لهم ، وكذلك الشابين اللذين جاءوا إليه وحذروه من الخيانة التي يبيتها الـ Vigiers ، والتي لم أعرها اهتماما حتى أتفرغ لأمر "باكورا" ، لأنهم سيكونون ضد الأتراك في حال رؤية القوة الآتية لتستولي عليها ، لأنهم سيكونون مضطرين طبقا للظروف أن يحافظوا على أصدقاء رغما عنهم .

يكمن السبب الثاني في أنه في حال لم تأخذ عظمتك الأمر بعين

الاعتبار بحيث تأمر بتنفيذه ، يجب عليك أن تقبل بالسلام وتوافق عليه ، فإن طلبه ، حيث إنّه لن يكون مسموحا لهم أن يستولوا على أي مكان آخر على ساحل شبه الجزيرة العربية ، ولا حتى شنّ حرب ضدّنا ، وأن تستمرّ التجارة في البضائع كما كانت عليه سابقا ، وألا يخرجوا من المضيق في سفن ولا حتّى تحت أي غطاء للحرب من أيّ نوع .

وسيكون هناك أعمال تجاريّة والتي ستعود عليهم بالمنافع ، وسيدركون كيف أنه بإمكانهم الحصول على بضائع الهند دون حروب ومشاكل ، والأشياء الأخرى القادمة من هذا المكان إلى هنا ، وتعدّ ضرورية بالنسبة لهم ، سيقومون بتجاهل أدوات الحرب وكلّ ما يعدّ غير ضروريّ ، وستكون هرمز قويّة كما نريدها وستكون كذلك حتّى لا يكون هناك خوف عليها .

ستحقّق مصلحة الضرائب أرباحا أكبر بكثير من ذي قبل ، ولن يكون هناك وجود للنّفقات الثقيلة والاحتياجات التي تنشأ بسبب الأدوات الحربيّة ، كما أنّ البرابرة والفارسين والعرب لن يقوموا بالاستسلام له بأيّ طريقة عند التعرض لأيّ مظلمة ، لن يحاولوا فعل ذلك حين يرون السلام والأعمال التجارية القائمة وازدهار التجارة .

ثم تقدم النصائح بعد ذلك لـ"باكورا" ، وكلّ ما يعبر هناك ، ولا يمكنهم المجيء أو أن يأمروني بأيّ شيء يجب ألا يكون معلوما ، لأنّه وعلى الرغم من أنّ التجارة ممنوعة في الوقت الراهن عليهم من خلال الطريق المباشر ، وفتح واحد لـ"باكورا" ، بدأوا على إثره بفتح طرق أخرى .

ومع ذلك فإنّهم لم يتوقّفوا عن أخذ كلّ ما يرغبون فيه من الهند لأنّ كافّة البضائع الآتية إلى هرمز تكون متّجهة إلى "باكورا" ، ومن هناك تذهب إلى "ريكسل" "Rixel" وهو ميناء "بيثاماس" ، الأمر الذي لا يمكن منعه لأنّهم سيقولون إن تمّ ذلك ، فستأمر "بيثاماس" التي تعدّ صديقتنا في الوقت الحالي بشنّ حرب على هرمز وربّما تمنع المياه العذبة .

لذلك لا يوجد أيّ منع متاح ما لم يرض النقباء بالمال القليل الذي أتوقّع أن يؤخذ من "غوا" ، وهو أمر مستبعد الحدوث ، لأنّ لهم النصيب الأعظم من الأرباح ، وسيعلم الذين في "باكورا" أن التجارة محرّمة عليهم ، وأنّ كلّ ما يتمنّون الحصول عليه من الهند وهرمز يجب أن يذهب إليهم ، يعدّ خسارة فادحة لهم .

وبسبب الخوف الذي يعتريهم من بضائعنا حين تصل "باكورا" سيظلون يتظاهرون بالرغبة في امتلاك أماكن على ساحل شبه الجزيرة العربية ، وأن يشعلوا معنا حربا ليشغلونا عن الذهاب إليها ، وكما نعلم فالحروب تستنفذ الكثير من الأموال والأرواح ، وحيث إنّنا نحتاج كلّ عام إلى امتلاك أساطيل فمن الأفضل أن يتمّ إنهاء تلك المسألة في عام واحد بطريقة أو بأخرى بدلا من تضييع الجهد .

أرى أن في الاستيلاء على "باكورا" على الرغم من عدم القدرة على الحفاظ عليها في بعض النواحي ، وخاصة بسبب القرب من "باجودا" "Bajoda" وبسبب بعدها الشديد عن الهند ، وعليه سنتكبّد نفقات هائلة ، بالإضافة إلى بعض الأمور غير الملائمة المتمثّلة في أنّها كفيلة

بإيقاف مضايق الماء من النهر الذي يستخدمونه للشرب من أجل منعها أن تكون آهلة بالسكان .

وعلاوة على ذلك إن اعتبرت عظمتك هذا الأمر صحيحا ، وأنّه يصبّ في مصلحتك هو أن تبني حصناً في مدينة "مارزي" وحمايتها وبذلك سيفقدون الأمل في الإبحار مرّة أخرى بحرّيّة فيها ، حيث قيل إنّ الأمر سيكون ملائما جدّاً للفرد وبذلك يسهل أمر تقوية الحصن .

ستحقّق الجمارك هناك أرباحا جيّدة عندما تقام التّجارة وتبدأ حركة البضائع التي ستتحمّل كافة نفقات ذلك الحصن ، إنّني أكتب مرة أخرى إلى "دوم ألفارو دي نورونها" فيما يتعلّق بحظر تجارة "باكورا" وكذلك "ريسكل" ليكتب إلي ويخبرني إن كان يوجد أيّ حلّ لهذا الأمر ، وأنّه من الأفضل ألا نعرف أيّ أخبار عن "باكورا" بدلا من معرفتها عن طريق "ريسكل" .

حينما وصلت إلى هنا ، وجدت أخبارا تفيد بأنّ الأتراك يخطّطون لدخول مسقط كونها الميناء الرئيسي على ساحل شبه الجزيرة العربية ، ويمرّ عليها كلّ أو جلّ المراكب والسفن المتّجهة إلى هرمز وكذلك تلك الآتية منها متّجهة إلى الهند ، وتتوقّف فيه لضرورة أخذ المياه ويحتمون كذلك فيه .

وكثيرا ما يقضي الأسطول الشتاء هناك ، وخاصّة في وقت الحرب مع "كامبايا" حيث تذهب الأساطيل إلى المضيق ، ويعد أمر دخول الأتراك إليها أمرا ضارّاً للغاية لـ هرمز بسبب طبيعة الأرض والخليج ، وبذلك سيحتمون بقوّة هناك ، و لا يمكن إخراجهم بتكلفة زهيدة بسبب طبيعة الأرض والمكان التي تعدّ آمنة .

عرفت ذلك من الرسم التّخطيطي ومن المعلومات التي جمعتها من الكثير ممّن يذهبون إلى هناك كلّ عام ، وأخذت رأي بعض الأشخاص الذين قمت باستدعائهم لهذا الغرض ، وكنت أميل إلى رأي الاستيلاء ، ووافقوا جميعا أن علي أن اضطلع بهذا الأمر على الفور ، ولا بدّ أن لديهم حصنا مبنيّا على صخرة تقف عند مدخل الخليج ، وبإمكانها الدّفاع بسهولة عن الميناء ومدخله ، وحماية السفن التي يمكن أن تكون موجودة هناك وكذلك المكان .

فقمت بإرسال "دوم انتاو" لرؤيته في الطريق وأرسلت معه "فرانسيسكو بيريز" "Francisco Perez" ، وعند رؤية الأرض وطبيعتها يتعيّن عليه أن يناقش الأمر مع "دوم ألفارو" "D . Alvaro" ومع ضابط الأمن في هرمز ويرون إن كان الأمر يبدو ضرورياً بالنسبة لهم كما يبدو لنا هنا .

طلب ملك هرمز جزءاً من إيرادات "كالهات" ومسقط لتقديم العون على هذا الأمر ، كما رأى أن الإيجارات في مسقط ذاتها يمكن أن تساعدهم في تغطية نفقات الحصن المذكور حتى يتمّ اكتماله ، ووليت "جواو دي ليسبوا" "Joao de Lisboa" زمام ذلك الأمر لأنّه رجل وقور وشهم ، ويعرف الكثير عن الأرض حيث كان هناك لفترة طويلة ، ويمكن لعظمتك أن تفخر به لأنّه يمثّل تأمين الميناء والأرض وملاحة هرمز التي ستفقد لا محالة في حال دخول الأتراك ، وهذا الأمر لا يشكل خطورة بالغة على هرمز وحدها إن كانت لهم قوّة هناك ، ولكن أيضا على الهند كلها .

يكتب إلي الآن "دوم ألفارو دي نورونها" "D . Alvaro de Noronha" نقيب الهند أنّ برتغالي يهودي جاء إلى هرمز ومن الواضح أنّه أتى عن طريق "روي دا كونسيساو" "Rui da Consisao" صاحب "لشبونه" الذي أبلغه أخبارا أنّه لا توجد أي سفن حربيّة من أيّ نوع على الشواطئ التي مرّ عليها ولا يتمّ صنع أيّ منها .

لم يكن هناك سوى مراكب لتحميل البضائع يمكنها أن تسير في مستوى ليس بعميق من المياه ، حيث لا يمكنها الإبحار في أيّ اتّجاه آخر يمكن أن يكون غير جيّد للحرب ، ولم تصنع هي حتى لهذا الغرض ، ولكـن على الرغـم من ذلك قمت بإرسالٍ بصحبة "لويس كوريا" "Luis Correia" الذي ذهب للحصول على أخبار من المضيق "فرانسيسكو فيرنانديز" "Francisco Fernandes" الذي كان يهوديّاً يوما كما أخبرت عظمتك في خطاب آخر أرسلته إليك .

أمرته أن يذهب إلى الإسكندرية بطول شبه الجزيرة العربية وباتّجاه الجنوب مع نهر الفرات ، وأن يحضر لي أخبارا موثوقا بها عن جميع الأمور التي كانت هناك وما يمكن فعله .

أحضر لي "فرانسيسكو فرناندز" معلومات جلبها معه من ذلك المكان الذي رجع منه مؤخّرا ، وهو أنه لا يوجد في السويس أكثر من أربعين سفينة شراعية ، وتمّ تدمير الأخرى من أجل إصلاح تلك ، وأنّه لا يوجد أتراك سوى أولئك الذين يقومون على حراسة تلك السفن الذين يمكن أن يصل عددهم إلى مائتي رجل بين ضابط وجندي .

كما أرسلت إلي تلك المعلومات ذاتها عن طريق "كوجي كايمكاديم"

"Coje Micadem" وكذلك من خلال سفينة أخرى آتية الآن مباشرة من مكة في غضون أربعة عشر يوماً ، الأمر الذي جعلني أشعر بالأسى الشديد ، لأن الطريق من مكّة إلى "غوا" استغرق وقتا قصيرا للغاية .

كتب إلى "دوم ألفارو" من هرمز بأن "امريك دي ماسيدو" "Amerique de Macedo" الذي أرسله "جورج كابرال" "George Cabral" إلى "باثاماس" التي كتبت إلى عظمتك عنها العام الفائت ، قد جاء وهو الآن في هرمز ومعه سفير عن الرجل ذاته من "باثاماس" الذي أتى إليّ .

وأخبرني أيضا أنّ سفيرا آخر سيأتي عن الأتراك من خلال "باكورا" الذي يبدو أنه أتى بخصوص السلام ، وكنت انتظره بصفة شبه يوميّة ، لأن الأخبار من هذا النوع لا يمكن أن تسير بتلك الطريقة ، ولكن سيذهب الآخرون ، أسأل الربّ أن يتمّ ذلك ، مع أولئك الذي أتوا أولا قادمين من الهند .

لذلك يعد هذا الخطاب من الأخبار الجيّدة بلا شك ، حيث إنّني أرغب أن يكون ذلك الأمر بمساعدة مولانا أن نرسل إليك فيما يتعلق بتلك الأرض ، أتمنى أيضا أن أعطيك الأخرى التي اعتبرها تصب في مصلحة مولانا ، والتي تظهرها عظمتك من خلال حماستك لمصالحه التي توليها أهمية كبرى .

ومعي الآن ثلاثة ملوك مسيحيين الذين آمل بناء على عمرهم حينما أتوا للعماد الذي يبدو أنهم قد تشربوا منه نقاء المسيحية ، أن يثمروا النتائج التي ترنوا إليها عظمتك وهي عكس ما يريده ملك "تانا" "Tana" حيث إن نجاة عظمتك ورفع إيمانياتك أمر ضروريّ .

أحدهم هو ملك "سيلاو" "Celao" وهو نجل الملك القديم من أخت للملكة ، فسترى عظمتك كما كتبت لك في الخطاب الخاص بموضوع "سيلاو" ، الذي ذكرت فيه السبب وراء ذلك ، والحافز الذي دفعني لقبوله وأن أرسل له في الهند ، فقد تربّى في منزلي وهو تقريبا ابن أربع أعوام ، ويتمتّع بصفات يأمل منها كلّ شيء طيّب ، وبمجرّد وصولي إلى "غوا" ، سأعمل على تنشئته وتوفير السلامة على حياته ، لأنه يا سيدي أمير الجزيرة بأكملها عن استحقاق وبمنطقية .

الملك الآخر هو أمير "تريكوينا" الذي تنصّر حديثا ، وهو من نفس الجزيرة "سيلون" ، ولكن من ناحية "كوروماندِيل" "Coromandel" وهي بلاد مزدهرة جدا وآهلة بالسكان ، وعمره حوالي سبع سنوات أو ثمانٍ ، وقمت بتسليمه إلى "بادري أنطونيو جوميز" "Paderi Antonio Gomez" ليقوم بتربيته وتعليمه في كلّية "ساو باولو" "Sao Paolo" على نهج الآباء في جمعية المسيح ، لأنهم هم من قام بتعميده في المسمكة كما كتبت لعظمتك في خطاب آخر .

الملك الآخر هو ملك جزر المالديف الذي أصبح مسيحيا هنا ، اقتنع وتعلم على يد آباء الجمعية ، وعمره يتراوح بين الثامنة عشر والعشرين عاماً ، فهو شاب يتمتع بـ ... ، وسيحقّق نتائج جيّدة إن تم تعليمه ونصحه ، فقد سلّمني نفسه باسم عظمتك حتى تعتبره أمرا خاصّاً بك ، لتعتني به وتجعل حياته مثمرة ، وهو ما اعتبره كله أمرا جيدا ، وكان رأي الأسقف و"أنطونيو جوميز" وآباء سانت دومنيك أنه يجب علي أن

أزوجه من امرأة برتغالية ، لأنّه إن تم توجهيه وعاش كمسيحي يمكنه أن ينسى تقاليد البرابرة وطريقة حياتهم .

ورأيت أن أنتظر تعليمات عظمتك في هذا الخصوص ، وقد حاولوا إقناعي بأسباب كثيرة أنه يجب علي أن أزوّجه لابنة "فرانسيسكو دي ماريز" "Francisco de Marez" و"مايا بينهيرا" "Maya Benheira" ، فقد كان قريبه "امريك دي سوزا" "Amerique de Susa" يلحّ عليّ أن أسلّمه الجزر ليحكمها لأنه يتمنى ذلك ، ولكن تراءى لي أنه من غير المنطقي أن يتمّ حكمها دون إصدار قانون من قبل عظمتك وباسمك .

يجب علي أن آمر أن يتمّ اختبار الشخص الأنسب والأصلح لخدمة عظمتك ، ويتعين علي فعل ما هو منطقي وأن أتصرف بالعدل في الأرض ، ولأن عمر الفتاة هو تسع سنوات فقط ، وهو ليس سنّ زواج ، لم أوافق على ذلك ، إنّني آخذ الملك معي إلى "غوا" ، فإذا وجدت من هي مناسبة وذات نسب لأزوجها له .

سأفعل ذلك حقيقة من خلال تزويجه لامرأة مسيحيّة ، وإن عاد إلى الجزر سيكون متأكدا أنه سيقع في شرك امرأة بربرية ، وسيعود بربريّاً كما كان سابقا ، وأخذته معي لأعلّمه عاداتنا وليشاهد شعائرنا الدينية وأن يتعرّف على المعلومات الضرورية ليكون مسيحيا .

لقد كتبت إلى عظمتك سيدي لإرسال "جيل فيرناندز دي كارفالهو" "Jill Fernandes de Carvalho" إلى ساحل [بالقلم الرصاص] "كيودوا" و"بيندام" ، والأسباب التي دفعتني إلى فعل ذلك كما ستعرف عظمتك من خلال الخطاب العام ، وحينما تأتي أي رسالة من "مالاقا" للذهاب

إليها ، حيث إنّها محاصرة وفي ضرورة كبيرة ، وهل حقًّا تذكّر مولانا تلك الأرض ، بناء على الفضائل التي تتمتع بها عظمتك وحماستك لخدمته ، ولأنك تقوم عليها وتضعها في المقام الأول في كافة الأمور .

يجب ألا تصله أخطاؤنا حتى لا تدعه يستخفّ بتلك الأسباب المقدّسة كتلك الخاصّة بعظمتك ، حيث إنّ جلالته وصّى وسمح بأن أقوم بإرسال "جيل فيرناندز" في تلك الرحلة رغم كلّ الاحتمالات البالغة التباين التي يمكن أن تنتج عن ذلك ، وقد علمت من خلال خطاب من "دوم بيدرو" الوضع الذي كان فيه ، ثم تمّ تجهيزه بمركب وسفينتين وغادر بأفضل إعداد يمكن أن يحصل عليه ووصل في الموعد .

ذلك طبقا للمعلومات التي وصلتني من أولئك الذين كانوا موجودين هناك ، وحيث إن الأمور جمعيها في يد الربّ وبرحمته هو من يقدر على فعل ذلك ، فبيده نجاة "مالاقا" التي هي محاصرة بالكثير من أرواح المقاتلين ، ولا يوجد بها أي إمدادات غذائية أو أيّ من الأشياء الضرورية التي تحتاجها البلدة ، وكمية كبيرة من البضائع وكثير من القتلى ، وهذا هو حال المسيحيّين الذين يعانون من فقر شديد ومحبطون للغاية .

بعد أن وصل وحط رحاله هو ورجاله ، اتّجه بكل شجاعة نحو الخنادق التي حفرها الأعداء ، وقاتل ببسالة رغم كل الإصابات التي تلقاها ، ولكنّه فاز رغم أنه فقد عددا من رجاله ، وحقّق نصرا عظيما لنفسه لما أبلاه من بلاء حسن في هذا العمل ، وهو الأداء الذي يرغب في تحقيقه في أي عمل مشابه ، وقد قدم تلك الخدمة لعظمتك وإنّه لجدير حقّاً

بالتقدير والثناء هو ورجاله ، بالإضافة إلى ما أنجزه في "مالاقى" ، حيث تمّت الإطاحة "بالملاويين" و"الجاويين" ، وأصبحت المدينة خاوية ، وتمّ إيقاف الحصار في الحصن وتم إنقاذها ، ولكنّها بقيت حطاما وفي حالة يرثى لها .

مات الكثير من التّجار وأسر آخرون وتمّ سرقة بضائع كثيرة ، وهذا الوضع يحتاج إلى وقت طويل لإصلاحه وتحقيق حظ كبير من العدل حتى نتمكّن من إعادة تأهيلها بالسكان ، واسأل الربّ أن أنشأ أسطولا بمجرد وصولي إلي "غوا" وأرسله كمساعدة ، وأزوّده بما هو ضروري لتحقيق الأمان وتحريرها من الرعب ، وذلك على الرغم من حاجة الهند الشديدة ، ولكن لن يكون هناك عجز في الأموال لإنجاز هذا العمل الضروري :

بلغ عدد القتلى خلال حصار "مالاقا" مائة وعشرين برتغاليا ، حيث قاموا بقتل حوالي ثمانين منهم ، ومن بينهم "دوم جراتشيا دي منزيس" وهو ابن the Craveiro الذي كان ذاهبا إلى "مالكو" ، وحدث أنه خرج مع بعض الرجال للحصول على كمية بسيطة من المدفعية التي كان الأعداء يستخدمونها لإطلاق النار على الحصن ، وكان معه ثمانية عشر رجلا .

من بينهم رجل يدعى "بيرو فاز جويدز" "Pero Vaz Guedes" ، بجانب "أنطونيو فيريرا" "Antonio Feriera" و"أنطونيو دي لوجو" "Antonio de Logo" و"جاسبار دي بايفا" "Gaspar de Paiva" وغيرهم : أقبل يدي عظمتك لتضع في حسبانك هؤلاء الرجال الذي قتلوا من

أجل خدمة مصالحك ، وكذلك أخوة "دوم جارسيا" وتوليهم بعض الاهتمام لأنهم رجال يستحقون ذلك ، علاوة على أنهم يمتلكون ما يؤهّلهم حتى يتلقّوا ذلك .

كما وصلتني أخبار من "مالوقو" عن طريق "كريستوفاو دي سا" "Christofao de Ca" الذي قدم من هناك وهو النقيب هناك ، وطبقا لحكم أرسله "جورج كابرال" قام بتسليم الحصن لـ "بيرنارديم دي سوزا" "Bernardim de Susa" الذي كان هناك ، الذي قام بمحاصرة حصن "جيلدو" "Guildo" ومعه مائة وعشرون برتغاليا بعد أن أصبح نقيبا .

وأخذ معه ملك "مالاقا" بالإضافة إلى ألفي رجل من السكان الأصليين الذين قاموا بمساعدته مساعدة كبيرة ، ووضعها تحت الحصار لمدة ثلاثة أشهر ، وتسبب في خراب واسع ، وقتل أعدادا كبيرة على الرغم من أنّه لم يتكبّد إلا خسائر ضئيلة للغاية .

عندما ضيّق الحصار وعلى الرغم من قوته ، فقد استسلم الحصن لحاجتهم إلى الطعام بكلّ ما يملكون من مدفعية وبنادق وأسلحة بداخله ، وقام بتسوية الحصن بالأرض ، وألقى قادته كل الحجارة المتكسرة في البحر .

ظل ملك "جيلدو" ضمن رعايا ملك "مالوقو" ، وبسبب "سومبايا" "Sompaia" ، حيث كان سابقا أقوى ملك على وجه الأرض ، وشن غارات كثيرة على حصن عظمتك ، لذلك ظلت البلاد هادئة وتنعم بالسلام دون وجود أي شيء من جانبها يسبب أضرار أو خراب من أي نوع ، لذلك لم يعد "للقشتاليين" أي شخص هناك يقوم بإيوائهم ،

وقد أبلى ملك "تيرنات" بلاء حسنا في تلك الحرب من خلال الكثير من الرجال والسفن .

ودون المساعدة التي قدمها لما تم إنجاز هذا العمل البطولي ، وإنني لفي حيرة من أمري بشأن ما يمكن تقديمه له ، ورأيت أنه من الصواب انتظار الأوامر من عظمتك ، وعلى الرغم من ذلك سيذهب الـ Autos إلى "غوا" وسأقوم بالفصل في ذلك الأمر .

قدم السيد "فرانسيسكو" من "اليابان" وهو راضي تمام الرضا عن الأرض والبشر ، ورأى أنه يمكن تحقيق أرباح طائلة هناك ، وأحضر معه "يابانيا" ومعه رسالة من الملك لعظمتك ، وبعض الأسلحة التي سيقوم "دييجو لوبيز" "Diogo Lopez" بتسليمها :

كتب في "كوتشين" في الثاني والعشرين ، أعني السابع من شهر يناير ، عام ألف وخمسمائة واثنين وخمسين ، أقبل يدي عظمتك

"دوم أفونسو" .

عنوان الرسالة : إلى مولانا الملك

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

جاءت أحداث الأسطول صاحب الخمس وعشرين سفينة ، بتاريخ عام ١٥٥٢م ، حيث تحقق للأتراك السيطرة على العراق واحتلال القطيف والبحرين : [٣]

(...)

في ظل هذا النجاح الذي تحقق للسلطان الكبير من غزوه الناجح لبلاد ما بين الرافدين ، بدا أكثر تحمساً كي يصبح سيداً مطلقاً على كل مناطق المضيق الفارسي حتى هرمز ، التي لم تغب عن باله قط .

لذا فقد أصدر أوامره بالمضي قدماً في شن المزيد من الهجوم ضد القطيف وجزيرة البحرين ، وقد شجعه على ذلك الفساد المستشرى والأوضاع المتردية ، فالعرب في القطيف لم يساندوا الشيخ مراد الذي وجد نفسه مجبراً على رفع الحصار عن أسوارها واللجوء إلى الداخل

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

مع احتفاظه حتى الآن بمجموعة من أتباعه يبلغ قوامها ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة شخص .

كان "د .أنطونيو دى نورونها" "D . Antonio de Noronha" والذي تم نقله مترقياً من "كيوتا" إلى "غوا" قد أصبح نائباً للملك منذ عام ١٥٥٠م ، وقد تبين من خلال المخططات الخطيرة والمكائد التي يحيكها الأتراك أن الأوضاع قد وصلت إلى درجة لا يمكن القبول بها ، فأرسل ابن أخيه "د . أنتاو" إلى هرمز .

هذه الحملة تألفت من ألف ومائتي محارب أبحروا في اثنتي عشرة من السفن العاملة بالمجاديف في إبريل من عام ١٥٥١م ، وكانت هذه من العمليات الثنائية (برمائية) التي قل أن تحدث في أعالي البحار ويتناولها المؤرخون بالكتابة ويسلطوا عليها الأضواء باعتبارها من روائع العمليات البحرية في الشرق ، فمن المثير للشفقة أنه لم يعد بالإمكان أن يجد المرء الوقت الكافي للدخول في مغامرة جديدة تمثل إنجازاً ومفخرة مثل تلك العمليات البحرية الماضية .

إثر وصوله من هرمز أرسل "د .انتاو" القبطان "مانويل دى فاسكونسيلوس" في اثنتي عشرة من السفن الخفيفة لشن هجوم على القطيف على أمل أن يلحق به بعد شهرين ، أي في شهر يوليو ، وكان قد ذوده في جميع تلك السفن بحوالي ألف ومائة محارب من البرتغاليين .

وثلاثة آلاف من الفرس وأهالي هرمز تحت قيادة ريس شرف ، قاضي هرمز و"إميل ماشيت" "Emil Machette" قاضي موغستان ، وعند وصولهم أرسلوا سفنهم ، ومن ثم شنوا الهجوم على القلعة ،

وبعدما استمرت المقاومة مدة ثمانية أيام اضطر الأربعمائة تركي داخل القلعة للهروب ليلاً .

كان "د . أنتاو" يرغب بعد إعادة احتلال القلعة بهذه الطريقة في تسليمها للريس شرف ، لكن الأخير هذا رفض هذا العمل الشاق ... ، وعليه تم تدمير القلعة بالكامل ، لكن خسارتنا أن فقدنا أربعين من رجالنا ماتوا تحت الأنقاض بسبب انفجار المنطقة المحصنة (البستين) .

بعد ذلك قام "د . انتاو" بارسال جميع الممتلكات والمؤن في السفن التي تستخدم في الإبحار في أعالي البحار إلى هرمز ، وتبعتها ثماني عشرة سفينة حتى وصلت إلى مدخل ما يعرف اليوم بشط العرب ، أي في المنطقة التى يلتقي فيها نهر دجلة بنهر الفرات ، لكن في ظل استياء قباطنتنا من جراء المكائد التي أوقعهم فيها باشا البصرة فقد امتنعوا عن القيام بأية عمليات أخرى ومن ثم قفلوا عائدين إلى هرمز .

البرتغاليون لم يعرف عنهم قط أنهم كانوا في يوم ما أمراء هذه المكائد أو حتى أدوات تستخدم في تنفيذها حتى في أوقات الحروب ، بالرغم من أن ذلك يعد أمراً مشروعاً وفي القسطنطينية ، لم يشأ السلطان أن يقيل نفسه بسبب فقدانه القطيف ، وقد جانبه الصواب في تقييم الموقف ، عندما عزا ما حدث إلى هيمنة وسيطرة البرتغاليين على البحار بأساطيلهم القوية ، حتى ولو تألفت هذه الأساطيل من فئة من الزوارق السريعة .

قد قرر إعادة المحاولة وشن هجوم بحري جديد ، على أن يقتصر على مياه خلجان فارس وهرمز ، دون أن يكون هناك أي توهم لرحلات بحرية في أعالي البحار ... ، وبالتالي تم اختيار خمس وعشرين سفينة

من أفضل أنواع السفن وأقواها في البحر الأبيض المتوسط من السويس تحت قيادة الأميرال الشهير "بيرى بك" ... ، وأصدرت إليه أوامر محــددة بالإبحار سراً إذا أمكن إلى البصرة حيث سيجد الأومر تنتظره هناك .

كانت تلك الأوامر توجب على "بيري بك" أن يعمل على إخفاء جزء كبير من سفن الأسطول قوامها خمسة عشر ألف جندي تم حشدهم في البصرة ، وذلك للإبحار لغزو هرمز ، لكن تسربت هذه المعلومات السرية .

كان "د . ألفارو" وهو القائد الجديد في هرمز قد علم في مايو من عام ١٥٥١م أن الأميرال "بيري بك" سوف يهاجمه في شهر يوليو ، ولذلك أجرى أفضل الترتيبات والإجراءات الممكنة في القلعة ... ، وفي نفس الوقت أرسل "فيرناو دياس سيزار" "Fernao Dias Cisar" في سفينة خفيفة بغرض الاستطلاع وتقصي أخبار مينائي الشحر وقشن .

قد عاد القبطان سيزر كي يؤكد الشائعات ... ، وعليه أبحر "سيماو دا كوستا" "Simao da Costa" و"ميجيل كولاسو" "Miguel Colaso" مجدداً لتمشيط تلك المياه حتى رأس الحد .

عاد الأخير إلى هرمز مخبراً عن اقتراب السفن ... ، بينما واصل الأول إبحاره نحو الهند كي ينقل الأخبار إلى سعادة نائب الملك ، وقد حدث أنه في بداية شهر أغسطس شوهدت خمس سفن من سفن المقدمة تتقدم تحت قيادة ابن الأميرال التركي .

وصل هذا القائد إلى مسقط بكامل القوة البحرية ، وبعد دخوله في

الميناء عمل على إنزال محاربيه بأسلحة المدفعية الثقيلة التي جاء بها خصيصاً لمحاصرة وقصف تلك القلعة الصغيرة التى تألفت قوتها من ستين محارباً فقط ، والتي بدأ في بنائها القائد "جواو دى لسبوا" منذ ثلاثة شهور بناء على الأوامر الصادرة من البرتغال عن طريق نائب الملك "د .أفونصو دي نورونها" "D . Afonso de Noronha" .

بعد قصف استمر ثمانية عشر يوماً بدت القلعة تتهاوى شيئاً فشيئاً ، حتى انهارت ، فقد نفذت المواد الغذائية وخاصة المياه ، لأن العمل في بناء أحواض المياه لم يكن قد اكتمل ، وعمل الأميرال "بيري بك" على استخدام أحد الأسرى واسمه "جواو دا باركا" "Joao da Barca" كي يعرض على قائدنا "جواو دى ليسبوا" الاستسلام بشرف ، وقد وجد قائدنا نفسه مضطراً للقبول بهذا العرض .

لكن عندما تم التسليم سارع الأميرال "بيرى بك" بنشر جنوده في الشاطئ ، وأمرهم بالاستيلاء على كل المقدرات والممتلكات دون أن ينسى أيضاً مدفعية القلعة وأسلحتها .

بعدما أنجز هذه المهمة بكل سهولة شرع في التقدم والزحف صوب هرمز ، ونزل في المدينة التي هجرها السكان المدنيون ، الذين لجأوا إلى جزيرة قشن ، وفي الحال شرع في ضرب الحصار على القلعة ، التي كانت تضم إلى جانب الملك والبعض من رجال المملكة النافذين ، قائد القلعة وتسعمائة جندي برتغالي .

أرسل "د .ألفارو" سفينتين ، واحدة تلو الأخرى ، لأجل تحذير الهند . بعد ذلك عمل على إفراع السفن وإرسائها داخل الميناء ، ثم عمل

لربطها مع بعضها البعض على طول جانب القلعة وتوجيه رجال المدفعية لأخذ مواقعهم هناك .

كانت الأسوار قد تضررت كثيراً نتيجة القصف والهجوم الضاري بحيث إنه بعد ثلاثة أسابيع من القصف كانت الخسائر باهظة جداً .

عموماً استسلم الأتراك ، ونقلوا إلى السفن مَنْ بقي على قيد الحياه ، ثم غادروا إلى البصرة .

لوحظ أن مدينة هرمز قد لحقها الكثير من الدمار ، والحال نفسه بالنسبة لجزيرة قشن ... ، ولقد تم نهب كليهما .

أمـا فـي الهند فقـد كـانت الأخبار التي وردت من "د . نونو" "D . Nuno" مثار دهشة الجميع ، الأمر الذي جعل الكثيرين يسارعون بالذهاب إلى هرمز على نفقتهم الخاصة .

قد سافر "أنطونيو دي سا" "Antonio de Sa" (المملوك) من "باسين" في مركب صغير في غضون عشرين يوماً فقط .

أما الأحدب "د . ديوغو دي نورونها" "D . Diego de Noronha" فقد أبحر فوراً برفقة ابن عمه "د . أنطونيو" شقيق "د .ألفارو" ، ومع كل منهما خمسون رجلاً .

أما نائب الملك فقد أرسل "فيرناو فارتو" "Fernao Varto" في الحال كي يخبر عن رحيله شخصياً ، واتجه إلى مجلس المدينة في "غوا" طالباً الدعم ، وقد كان له ذلك ، حيث أعطي عشرون ألف "بارادوس" ذهب ، وبالتالي أبحر في نهاية أكتوبر في ثلاثين من السفن الثقيلة وخمسين سفينة صغيرة .

على كل حال تلقى أخباراً في "ديو" تفيد بانسحاب الأتراك ... ، لذا فقد قفل عائداً إلى "باسين" ببقية سفن الأسطول ، بعدما أرسل تعزيزات إلى هرمز ، قوامها عشرون سفينة وعشرون من السفن الخفيفة ، تحت قيادة ابن أخيه "د . أنتاو" ... ، وقد وصل الأخير هذا في نهاية شهر نوفمبر ، وخصص لكل من "جوميز دي سيجويرا" "Gomez de Segueira" و"لويس دى أجويار" "Luis de Aguiyar" زورقاً سريعاً لارتياد تلك المناطق واستكشاف أخبار البصرة[أ] .

أثناء هذا الوقت ، لم يجد "بيري بك" استقبالاً حسناً من قبل الباشا "ماركيت" الذي كان قلقاً عندما علم باشتراك "بيري بك" في عمليات النهب ... ، الأمر الذي دفعه لإبلاغ القسطنطينية أن الأميرال المذكور قد حاد عن الأوامر المحددة التي أعطيت له .

لم يكن "بيري بك" يخشى أن يُعتقل ويُرسل بوسيلة نقل برية ، فقد أبحر في ثلاث من السفن تحمل الغنائم والأسلاب التى تبلغ قيمتها أكثر من مليون بالعملة الذهبية ... ، وبالمثل مجموعة من الأسرى البرتغاليين ... ، من مسقط أملاً في تحقيق الصلح مع السلطان .

لكن لم تكن الرحلة موفقة ، لأنه حدث أن فقد إحدى السفن بالقرب من القطيف ، إذ انجرفت هذه السفينة ؛ إذ كان مطارداً في البحر بواسطة "د . أنتاو" ، الذي كان قد أُبلغ بذلك بواسطة "لويس

(أ) كان القرار السريع الذي اتخذ فيما يختص بمساعدة تلك القلاع المهددة قد تم تنفيذه بالرغم من أن السفن واجهت صعوبة بسبب هبوب رياح مونسون مضادة .

دى أجويلار" ، بينما بقي "جوميز دي سيجويرا" يرصد بحذر حركة مجموعة الاثنتين والعشرين سفينة الباقية .

عند وصوله في القسطنطينية صدر الأمر بشنقه تنفيذاً لأوامر السلطان الذي لا يتسامح مع أي أحد يخرج على أوامره ... ، وهكذا كانت نهاية ذلك الأميرال الشهير "بيري بك" .

كان "ديوغو دي كوندي" "Diogo de Conde" يسميه القرصان العظيم ، لكنه حقيقة كان رجلاً مثقفاً وشاعراً وكاتباً وجغرافياً في علم وصف المياه ، وقد ألف كتابين من أشهر الكتب أحدهما عن بحر ايجة ، أما الآخر فقد ألفه عن البحر الأبيض المتوسط .

كان السلطان الكبير قلقاً بشأن سلامة بقية سفنه التي هربت من البصرة ، وقد أمر خمسة عشر من رجاله كي ينسحبوا إلى السويس ، تحت قيادة "مراد بك" ، الذي وصل إلى البصرة في نهاية شهر يوليو من عام ١٥٥٢م ، وشرع تواً في الإبحار .

في ذلك الوقت كان "د .أنتاو" و"د . ديوغو دى نورونها" قد وُليا قبطانتي البر والبحر على التوالي .

أما "جوميز دا سيلفا" "Gomez da Silva" و"لويس دي اجويار" فقد استمر في محاصرة البصرة ، وفي نهاية شهر أغسطس لمح أحدهما اقتراب خمس عشرة سفينة شراعية ، ومن ثم أخبر "د . ديوغو" الذي بادر في مهاجمتها على مبعدة من ساحل فارس ، وعندما هدأت حركة الرياح انفصلت سفينة "غونسالو بيريرا ماراماك" "Goncalo Perriera Maramac" .

وبدأت مجموعة الخمس عشرة سفينة في إجراء مناورة مستخدمة

المجاديف ... ، وأطلقت نيراناً مكثفة على سفينة "ماراماكو" ... ، لكنه قاومها بشراسة ضارباً مثلاً رائعاً في الصمود والاستبسال ... ، كانت سفينته قد دمرت بشكل كامل ، وكان من الصعب تفسير بقائها عائمة رغم الدمار الذي حل بها ، وقد فشلت كل المحاولات التى استهدفت الاستيلاء عليها والصعود إلى متنها .

الجدير بالذكر أن كل المؤرخين الذين وصفوا تلك المعركة قد كالوا المدح والثناء لذلك القبطان ورجاله الشجعان ... ، ومن دواعي سرور المرء أن يدون جزءاً من تقرير "ديوغو دو كانتو " "Diogo de Canto" ... ، كانت جميع حبال الأشرعة والصواري قد مزقت إلى قطع صغيرة ، ولم يكن هناك من أحد على السفينة إلا وأصيب بالجراح ، بل إن الصاري المزيني (صاري مؤخرة السفينة قد دمر بالكامل) ، وتناثرت قطع الصاريين في مختلف الأنحاء ، والحال نفسه بالنسبة لأعمدة قاعدة الأشرعة التي سقطت في المياه .

تلك كانت بالفعل صورة السفينة وحالها وهي واقفة في وسط جميع السفن حيث ظهرت وكأنها حصن جميل منيع منشطٍ ، وينبعث منه الشرر في جميع الاتجاهات .

أما الجنود فبالرغم من جراحهم الخطيرة فقد كانوا متعطشين لإقدام السفن على مهاجمتهم حتى يجدوا ثغرة للتنفيس عن الغضب والحقد الشديد الذين يكنونه للأتراك .

في ذلك اليوم أظهر "غونسالو بيريرا ماراماك" عن معدنه الأصيل وعراقة نسبه وحماسه ....

في كل الأوقات وفي جميع الأماكن ... ، كان قد أصيب بثلاثة جراح في جسمه ... ، كان القائد والقبطان الذي عمل كالأفيال في ذلك اليوم قد مات إثر أصابته بطلق نارى ..." .

عند حلول الظلام هبت نسائم البحر ... ، فعمل "د .ديوغو" على جمع الكولية العسكرية ، بعدها انسحب الأتراك ، ولكن بشكل ملازم للشاطئ ، الأمر الذي يستعصى معه مطاردتهم بالسفن التي تكون حذرة بشأن المياه الضحلة .

هذه المرة الثانية التي يواجه فيها مراد بك ، الذي نال الهزيمة على أيدينا في الماضي في القطيف ، مجدداً الأسلحة ترفع ضده ... ، إذا ما أمكن وصف شجاعة البرتغاليين الأبطال .

لم يفلت أيضاً سليمان بك من ضربات خطة العائر ، وبالتالي عمل على استبدال مراد بك بالقائد "أليكولوبي" "Alecolope" ... ، وفي أغسطس من عام ١٥٥٣م ، كان الأخير قد واجه رجالنا بالقرب من مسقط ، بقيادة ابن نائب الملك "د . فرناندو دي مينسيس" "D . Fernando de Meneses" الذي كان عائداً من ظفار ، ومدخل المضيق الذي لم يحقق فيه أي نجاح يذكر .

كان الأسطول الذي أبحر على متنه "د . فرانسيسكو" قد غادر "غوا" في شهر فبراير وقد ضم ستاً من السفن وستّة من الزوارق وحوالي خمسة وعشرين مركباً خفيفاً ... ، وحتى ذلك الوقت لم تتضح الرؤية فيما إذا كان سوف يوجه في عملية وشيكة لأن قادة زوارقنا المكلفين بتمشيط المنطقة بجوار البصرة قد أفادوا في تقاريرهم عن مغادرة السفن ،

"د .انتاو" في سفينته ومعه خمسون رجلاً ، و"برنالدم دى سوسا" في سفينة أخرى تابعة إلى "جوميز دي فارينها" "Gomez de Varinha" وثلاث أو أربع من سفن التجارة كانت راسية في هرمز ، تقرر ضمها للأسطول بصفة التطوع ، وقام بتحميل أسلحة المدفعية والرجال على متنها ، وشاهدت زوارق الاستطلاع مجموعة السفن على مبعدة من رأس مسندم ، ومن ثم قامت بمهاجمتها مستخدمة جوانب سفنها البارزة فوق الماء .

كان الأميرال التركي قد انجرف بسفينته تجاه الأمواج المتكسرة على الشاطئ مركزاً هجوماً ضد سفينة "جوميز دا سيلفا" ، الذي لم يكن معه عدداً كافياً من طاقم السفينة ، غير أن "د .أنتاو" سارع بالإبحار لنجدته بعشرين بحاراً في سفينته .

تراجعت السفن نحو خليج "ليما" ، لكن لم يكن بمقدور السفن والمراكب دخول المنطقة نظراً لضحالة المياه هناك ، هنا تركهم "د . ريماو" "D . Rimao" ومعه بعض المراكب العاملة بالمجاديف التي تقوم بحمايته ، ومن ثم شق طريقه بحركة متعرجة بالسفن الثقيلة ، محاولاً كسب حركة اتجاه الرياح ، وقد وصل إلى مسقط حيث فرح برؤيتها مجدداً عند التاسعة صباحاً من يوم خمسة وعشرين أغسطس وسط جزر صحار .

أما "إليكولوبي" فقد استمر في التجديف متبعاً الخط الساحلي ، وكانت الرياح تهب على جؤجؤ سفنه ، حينها حاول "د .فيرناو" أن يفصله عن سفنه ، لكن سارع الأتراك في الإبحار مستخدمين تسعا من سفنهم الخفيفة ، وبالتالي أفلحوا في إنقاذه من ذلك الموقف .

كانت السفن الستة الأخرى قد تم الاستيلاء عليها بعد الهجوم ، وتم أسر كل من فيها ، بحيث قتل جميعهم .

انسحب "د . فيرناندو" إلى مسقط حيث قام بتطبيب جراحه وإجراء صيانة لسفنه ، التي قام بتعميرها ومنحها الألقاب التالية ، مثل القديسة "هيلينا" "Helena" ، القديسة "لوسيا" "Lucia" ، "كونسيسيا" "Concicia" و ....

"فيتوريا" "Vituria" ، "سانتياغو" "Santiago" ، والقديس "ميجيل" "Miguel" ، وكان على متنها حوالي سبعة وأربعين مدفعاً نحاسياً ومن الذخيرة عدة كريات حجرية زنة أربعين رطلاً .

انطلقت مجموعة الخمس سفن تلاحق التسع سفن الأخرى ، وبموجب مناورة ذكية تمكنت من قطع الطريق عليها للوصول إلى مضيق مكة ... ، وظلت تطاردها إلى أن وصلت مياه الهند ... ، وهناك أفلتت سبع منها إلى ميناء سورات ، بينما انجرفت اثنتان منها في ساحل دامان .

في هذا الوقت وصلت الأخبار تفيد أن سفن "فرانسيسكو دا سا" كابتن قلعة "باسين" "Bacin" و"جواو دي ميندوسا" "Joao de Mendonca" (القرش) في شول ... ، وتقترب من خط الحصار ، وترافق كل منها مراكب تجديف صغيرة .

في العاشر من أكتوبر ، أمر نائب الملك بإعداد أسطول يتكون من سفينتين و ثلاثين من مراكب التجديف بالمغادرة تحت إمرة ابن أخيه "فرناو مارتينز فرير" "Fernao Martins Friere" كقائد أعلى لقوات المحيط الهندي ، وذلك لإبدال القادة في "باسين" و"شول" في الحصار ، مع الاحتفاظ بالعشرين سفينة الخاصة بهم .

كان "كراكيم" ، صهر المدعو خواجا "صوفر" ، يعمل قائداً في سورات ، وقد بدأ "فرير" يطالبه بضرورة تسليمه مجموعة الأتراك والسفن ... ، وفي الواقع أجابه قائد سلطان كامباى مفيداً أن طاقم السفن التركي قد استسلموا بالفعل ، أما بالنسبة للسفن فهو متردد في تسليمها خشية أن يتم الاستيلاء على سفنه التجارية التي توجد في ميناء "جدا" "Gida" ثأراً منه .

في النهاية وافق على أن يتم نشر سفن الأتراك البالغ عددها سبعة ... ، وهذا العمل يماثل حرقها ، وذلك تحت إشراف "روي فرير" "Rui Friere" شخصياً ورئيس الربابنة في الهند ، ولقد تم إنجاز ذلك بموافقة من نائب الملك في المجلس .

وصل "د . فرناندو دي مينسيس" إلى "غوا" في نوفمبر عام ١٥٥٣م ، حيث دخل المدينة منتصراً ، تتبعه السفن الستة التي استولى عليها ، وقد ضم هذه السفن فيما بعد لقوته البحرية .

في إطار الدمار الذي طال الأسطول بسفنه الخمس والعشرين سفينة تخلى الأتراك عن محاولتهم في أحكام السيطرة على مناطق غرب المحيط الهندي التي تمتلك مفاتيحها على نطاق واسع ، ولقد وضح أنهم لم يقدموا على تنفيذ أية محاولة أخرى في ذلك الوقت في منطقة شرق المحيط الهندي .

لقد عاش سليمان العظيم ثلاثة عشر عاماً بعد تدمير أسطوله ، الذي شهد محاولات شجاعة للدفاع عنه حتى الموت من قبل الكونت "نيكولاو زرنجى" ، حيث إنه توفي في الثامن من شهر سبتمبر من عام ١٥٦٦م ، عندما هاجمه المرض فجأة أثناء حصار "سيزجت" ، وكان في

تلك الفترة قد حقق انتصاراً عظيماً في البحر الأبيض المتوسط ، وعانى أيضاً من كارثة عظيمة .

قد تحقق له النصر في عام ١٥٦٠م على يد الأميرال "بيالي" "Biali" ضد جيوش المسيحيين المؤتلفة عندما سيّر عليهم مائتي كيلة (سفينة مسطحة) مسلحة اشترك في تسليحها كل من البابا ، البندقية ، فلورنسا ، مالطا ، صقلية ونابولي ، وولاية موناكو .

أبحرت تلك السفن إلى جربة على طول الساحل الجنوبي التونسي ، ومن ثم إلى طرابلس تحت قيادة الأميرال "دوريا" "Doria" من البندقية والقائد الأسباني "د . ألفارو دي ساندي" "D . Alvaro de Sandi" .

غادر الأميرال "بيالي" الدردنيل ، وفي طريقه قام بجمع بعض الكتائب العسكرية من "رودس" (التى استولى عليها في عام ١٥٢٢م وأصبحت تركية) و"ميتلين" .

في يوم الرابع عشر من شهر مايو من عام ١٥٦٠م ، شن هجوماً على دورياً في مياه جربة ، وقضى عليه بالكامل ، وكانت نتيجة المعركة أن تم تدمير عشرين سفينة و سبعا وعشرين سفينة أخرى من سفن النقل ، كما تم الاستيلاء على سبعة مراكب شراعية ، أما بقية السفن فقد لاذت بالهروب .

أما القوات المسيحية التي تم إنزالها واحتلت بالفعل مباني القلعة في جربة فقد اضطرت للتسليم للأتراك ، دخل "بيالي" القسطنطينية منتصراً وفخوراً بالدمار الذي ألحقه بالعدو ، خاصة السجناء الذي كان من ضمنهم القائد الأسباني .

لكن كانت "مالطا" قد عانت العكس بمرارة ، وفي إبريل عام ١٥٦٥م أبحر "بيالي" في مائة وثمانين سفينة ونزل بقوة قوامها عشرون ألف محارب في العشرين من شهر مايو وبرفقتهم مدافع وأسلحة الحصار .

في أول يوم للمعركة خسر "بيالي" نائب القائد الأعلى للبحار الشهير "دراجوت" "Dragot" الذي أنشا لتحقيق أطماع شخصية ذات صلة بشاطئ المغرب الأطلنطى خاصة في "لاراشى" خشية على هذه الرغبة التي تدعها فئة من المسلمين في بلاط "لشبونه" وهذا ما جعل "د .سبستياو" "Sebastiao" إلى القصر الكبير طالباً للمزيد من التسليح والعتاد والجند .

كانت قلعة "إلمو" "Elmo" قد سقطت في أيدى المحاصرين ، وذلك بعدما تكبدت خسائر ضخمة في الأوراح ، ولأجل إرهاب هذه القلعة لجأ سعادة القائد العام مصطفى باشا إلى اصدار أوامره بتقسيم السجناء ... ، لكن أجاب القائد العظيم "لافاليت" "Lavalette" بتصويب مدفعه إلى رؤوس السجناء الأتراك .

أبحر "بيالي" في سبتمبر من عام ١٥٦٥م بعدما خسر حوالي عشرين ألفاً من رجاله .

هكذا كان ذلك هو الشعب المولع بالحرب الذي هزمه البرتغاليون في جميع العمليات التي دارت في مياه المحيط الهندي ، فجيوش الأمير (حسني) في عام ١٥٠٩م والخمس عشرة سفينة التي قادها "إليكولوبى" في عام ١٥٥٣م قد دمرت جميعها بحيث لم يبق منها ولو شراع واحد منتصباً للأتراك .

أبحر أسطول سليمان باشا في عام ١٥٣٧م-١٥٣٨م من عدن إلى "ديو" حيث تراوح عدد السفن ما بين ست وسبعين و خمس وثمانين ، وكان بمثابة خطر داهم ، لكن انتهى به المطاف للهروب بمجرد مشاهدة عشرين زورقاً صغيراً في الصباح الذي كان فقط يمثل فرقة الاستطلاع لأسطول نائب الملك في الهند "د .غارسيا دى نورونها" ،

فهل يا ترى كان لبرزخ السويس دوراً في جعل الملاحة صعبة أمامهم؟ لا شك ، ولكن ماذا بشأننا؟ وإننا نتخذ "لشبونه" قاعدة لنا ، فالسفن يترتب عليها أن تمضي ما بين خمسة إلى ستة شهور كي تعبر إلى "غوا" في أحسن الظروف .

لقد حوصرنا بالأعداء في الهند ، وفي العاصمة اعتمدنا على خمس عشرة مقاطعة لمواجهة أكثر من مائتين وخمسين مقاطعة "سانجاكوس" "Sangasus" من الإمبراطورية التركية ، وفوق كل هذا وذاك كان التفاوت كبيراً في تجهيزات ومعدات الجيوش ، لكن كانت معنويات جنودنا عالية ، ويبدو أن هذا هو الاستنتاج المنطقي الذي يمكن الوصول له .

ليس لنا أن نخفي شيئاً عن ماضينا وتاريخنا ، وبعد هذا النصر الهائل (تماماً كما حدث من قبل) ألمت بنا بعض الانتكاسات .

كان لدى سليمان في منطقة البحر الأحمر أحد القادة من ذوي الرتب المتدنية ولكنه يتحلى بشجاعة نادرة واسمه ظفار ، وقد كان هذا القائد موهوباً بحيث إن السلطان نفسه كان يفضله على "اليكولوبى" .

في عام ١٥٥١م داهم هذا القائد بخمس من السفن "لويس فيجويرا" "Luis Vigueira" في المضيق الذي كان يتولى قيادة خمس

من السفن الضعيفة التى يعتزم إحالتها للتقاعد عن الخدمة ، على كل حال تم الاستيلاء على سفينة العلم ... ، لكن بعدما سقط "فيجويرا" قتيلاً إثر إصابته بعيار ناري ، وبعدما دافع عنها كأسد هصور ، وبعدها تم الاستيلاء على سفينته التي كانت تضم مجموعة من جنوده ....

حزن قبطان السفينة الأخرى "غاسبار نونيس" "Gaspar Nunes" كثيراً على وفاة "فيجويرا" لأنه لم يتمكن من إنقاذه أو الموت معه ، وبالتالي اتجه إلى مصوع ، بعدما جمع قطع المدفعية الصغيرة في سفينته غير راغب في العودة إلى "غوا" ، وقد سافر في داخل البلاد الإثيوبية مع رجاله حيث بقي الجميع هناك ومات معظمهم في حروب ضد الإثيوبيين والأتراك .

غادر ظفار ميناء السويس ، وهو لم يعلم بعد بهزيمة "اليكولوبي" ، وكان ذلك في أغسطس حيث استقل سفينتين ، إحداهما كانت مركباً شراعياً والأخرى "غاليوت" الراحل "لويس فيجويرا" ، وأبحر بنية البحث عن غنائم في "ديو" ، حيث استولى على أربع من السفن التجارية بحمولاتها و مائة وخمسون ألف "كروزادوس" أمر بإرسالها إلى "مخا" في مركب ترافقه زوارق الحراسة ، وبعدها استمر في عملياته يمارس القرصنة .

في هذا الوقت برز مركب "بالتازار لوباتو" "Balthasar Lobato" في البحر وكان يشق طريقه قادماً من هرمز ... ، وعندما أبصر الأسرى البرتغاليون هذا المركب ثاروا ضد الأتراك ، وتمكنوا من قتلهم ، ومن ثم أقدموا على حرق المركب ، وهكذا شاءت الأقدار أن يواجه ظفار

مجموعة أخرى من السفن ... ، ومرة ثانية تمكن من الاستيلاء عليها وعلى غاليوت "لوباتو" أيضاً ، وتمكن من أخذها جميعاً إلى "مخا" .

كان ظفار قد سحق قواتنا لأنه كرس كل جهوده للعمل في مجال القرصنة ، فهو يتمتع بقدر كبير من المكر والدهاء بحيث في وسعه تجنب مواجهة الأساطيل الكبيرة بينما يغامر كثيراً في شن هجومه على سفننا الحربية ، إذ إنه كثيراً ما كان يفاجئها بهجوم حقير وبأسلوب دنيئ .

لقد أزعجنا مجدداً وأرهقنا في مناسبتين اثنتين من قبل أن يختفي عن أعين المؤرخين ، عموماً لقد أثبت نجاحه في طرق الحرب البحرية ... ، وتجدر الإشارة إلى أن (ميرال بك) الشهير الذي تم تدوين تاريخه في سجلات الراهب "فرير جواو دوس سانتوس" "Friere Joao dos Santos" في شرق إثيوبيا قد سبق أن تطرقنا له في فصل سابق .

لم تكن لقوة وبأس ظفار بحسب التسلسل والتدرج التاريخي أية أهمية حربية ، لكن برغم ذلك وردت الإشارة لها لأجل عدم أخفاء أي شيء سواء كان لنا أو علينا .

في عام ١٥٦٠م أمر نائب الملك "د .قسطنطينو دي براغانزا" "Constantino de Bragansa" الراهب اليسوعي "فلغنسياو بيرس" "Valenciao Peres" كي يؤخذ إلى الحبشة ، وكان معه كميات ضخمة من المواد والكتب الدينية كي يذود بها الكنيسة الجديدة التي تم بناؤها بواسطة مبشرينا هناك .

كذا فقد أبحر في أسطول "كريستوفاو بيريرا هوميم" "Christofao Perriera Homem" الذي تألف من ثلاث من السفن

الصغيرة ، أشبه بالزوارق ، عندما لاحظ "كريستوفاو" حينها أن مصوع كانت قد احتلت بواسطة الأتراك ، الذين قاموا بمحاولة ثانية لاحتلال إثيوبيا ، التي مازالت تضم بعض البرتغاليين من رفاق "كريستوفاو دا جاما" "Christofao da Gama" وآخرين انحدروا من تلك المجموعة) .

فكر في مساعدتهم بالثورة ... ، وعندما أبحر "كريستوفاو هوميم" "Christofao Homem" إلى جزيرة كامران تبين له أنها مطوقة بأمواج بحرية عاتية ورياح عكسية قوية ... ، وفجأة التقى بأربعة من مراكب ظفار كانت إحداها متخفية في هيئة تبدو كسفينة ، لكن لاشك أنه ليس هناك من جديد .

استمرت سفينتنا في القيام بمناورة غامضة لأجل الإفلات ، لكن في صبيحة اليوم يالاستيلاء على سفينة "كريستوفاو" .

هاجمت مجموعة البرتغاليين ثلاثين جندياً من الأتراك بشكل شرس ، لكن كان مصيرهم القتل ... ، أما الأحياء منهم فقد أخذوا أسرى للقاهرة ومعهم الكاهن "فلقنسياو" حيث تم افتداؤهم جميعاً في إيطاليا .

الجدير بالذكر أنه في ظل استمرار الحرب في البحر الأبيض المتوسط بين المسلمين والمسيحيين ، فإن فرسان رهبنة القديس "جون" في القدس ظلوا يرسلون ، وبصفة خاصة ، سفناً مبعثرة إلى الإسكندرية دون أية عوائق ، بداية من "رودس" وأخيراً من "مالطة" ... ، هذا إلى جانب إرسال مبعوث سياسي مطلق الصلاحية يقوم بالتفاوض فيما يختص بافتداء الأسرى المسيحيين ، وكان هذا العمل يتم بشكل مدروس في

جميع مناطق الإمبراطورية التركية وحتى ذلك الميناء وحقيقة كانت الفدية تدر أموالاً طائلة للمسلمين .

أما السفينتان المتبقيتان من أسطول القائد الجريح "كريستوفاو بيريرا هوميم" فقد تولى قيادتهما كل من الكابتن "فيكتور كارفالهو "Victor Carvalho" و"روي بينهيرو" "Rui Benhero" حيث هربا بهما حتى وصلا إلى "غوا" في أواخر شهر إبريل من نفس العام ، لكن تم القبض على الكابتنين بواسطة "د .قسطنطينو" الذي أصر على إعدامهما محبذاً ذلك عن عقوبتهما كهاربين من جيش مهيمن له القوة العليا ، وكان تلك هي الشهامة والتميز المنتظر من جميع وكل الجنود البرتغاليين .

يبدو أن آخر هجوم قام به ظفار قد حدث في عام ١٥٦١م ، إبان فترة حكم نائب الملك "الكونت ردندو" ، الذي أمر "فرانسيسكو ماسكارينهاس" "Francisco Mascarinhas" بالسفر في نوفمبر في اثنتين من السفن واثنان وثلاثون زورقاً مع مجموعة من الجنود ، يبلغ قومها مائة وخمسون محارباً ، وذلك لأجل حماية سفن هرمز من هجمات القراصنة .

أبحر الأسطول متجهاً لمناطق التذود بالمياه في جزيرة "فاكاس" "Facas" بالقرب من "جاكاد" ، وبعدها بفترة قصيرة وصلت مراكب ظفار لنفس الغرض ، لكن يبدو أن بعض الصيادين قد لفتوا انتباهه بوجود سفننا وبالتالي فر خلسة إلى المواقع التي يختبئ فيها في "مخا" ، ولم يكن بالإمكان اللحاق به ، لأنه عادة ما يهرب بأقصى سرعة .

لكن عموماً فقد واحدة من الثلاثة مراكب التي قدم فيها ، حيث

إنها انجرفت في إحدى المواقع الصخرية بسبب أنها كانت تبحر مندفعة بأقوى سرعة في استخدام الأشرعة والمجاديف .

ربما لم يكن الأمر مستحيلاً إذا ما قارنّا بداية "باروس" "Barros" مع "كاستانهيدا" "Castanheida" ومن ثم "غاسبار كوريا" "Gaspar Correia" وأخيراً "كوتو" "Couto" ، للحصول على تقرير كامل وآخر مهما كانت الطريقة التي كتب بها حسنة أم سيئة ، عن العدد الضخم للسفن الفرادى والكتائب العسكرية الصغيرة التي كانت ترسل سنوياً من "كوتشين" منذ بداية الغزو ومؤخراً من "غوا" إلى مدخل المضيق ، والبحر الأحمر وهرمز ومنطقة "ديو" ، واستمرار ذلك لأكثر من ثلاثة أرباع القرن .

تجدر الإشارة إلى أن "كوتو" وحده قد سجل قرابة اثنتين وخمسين رحلة ، هذا بالإضافة للعديد من الجوائز التي حصلوا عليها والعمليات الثانوية التى اشترك فيها الكثيرون منهم .

لكن لعمل هذا فإن الضرورة تقضي أن يفرد مجلد بضعف صفحات هذا الكتاب ، وهذا حل يأتي مناقضاً للبرنامج المشار له ، وخارج الخطة المعدة لهذا العمل المتواضع ، بغض النظر عن أن جميع هذا التفاصيل قد دونت في السجل ، وبوسع كل شخص أن يتمكن من تتبعها إذا ما رغب في ذلك .

الآن بقى فقط أن تقدم تقريراً عن السفن التي انفصلت عن مجموعة سفن الأسطول البالغ عددها خمس وعشرون سفينة والتي عهد بها سليمان إلى كل من القادة بالترتيب : "بيري بك" ، ومراد بك و"أليكو لوبي" :

لم يكن "كوتو" ظاهراً للعيان ، إذ ورد تقريراً يفيد بفقد أن إحدى السفن من المجموعة التابعة لبيري بك ، وإن ستاً أخرى استولى عليها "فرناندو دي مينسيس" ، انجرفت اثنتان منها في ساحل دامان وتصادمت سبعة منها في حادث في سورات .

يخبرنا "كوتو" أن هناك سبع سفن فقط في البصرة لأن اثنتين قد تم حرقهما لكنه لم يذكر أين ومتى ... ، بيد أن الرواية صحيحة ، إذ إن اثنتين أيضاً من السفن السبع قد تم الاستيلاء عليهما في مياه البحرين بواسطة "د .ألفارو دا سيلفيرا" "D . Alvaro da Silviera" الذي أرسل في فبراير بواسطة "د .قسطنطينو دي براغانزا" بأسطول مكون من سفينتين كبيرتين وثمانية عشر من المراكب العاملة بالمجاديف لحراسة وخفر المضيق ، ومحاولة تدمير ظفار في "مخا" .

بعد ذلك قضت فترة الشتاء في مسقط ، وعملت على الانسحاب في أكتوبر لتقوم بمهام حراسة السفن في هرمز .

محاولة أخيرة جديدة قام بها سليمان بهدف تعزيز موقفه العسكرى في الخليج الفارسي بهدف القيام بشن هجوم على هرمز غيرت مسار رحلة "د .ألفارو دا سيلفيرا" فتسببت في موته وأعطتنا اثنتين من السفن السبع .

تمكنا أيضاً من إحباط الهجوم التركي وتسببت في هزيمته ، لكننا تكبدنا خسائر كبيرة في الأرواح بسبب المرض الذي فتك بمجموعات كبيرة من رجالنا .

يمكن تلخيص تلك الأحداث والوقائع فيما يلى :

أمر الإمبراطور التركي أحد قادته أن يستولي على البحرين بغتةً ، وكان قد أعد له في البصرة سفينتين كبيرتين وسبعين مركباً وسفينة واحدة بشراعين ، وزودت بألف ومائتين من جنود الإنكشارية ، هذا بالإضافة إلى مساعدات رجال الأمير سلطان علي قائد القطيف السابق ، الذي ثار ضد الشاه ، وكقاضي في البحرين ممثلاً ملك هرمز ريس مراد صهر الريس نور الدين قاضي هرمز ...

تتكون قواته من أربعمائة محارب وأربعة أو خمسة من البرتغاليين وهؤلاء أرسلوا تحذيراً لهرمز .

قام "د . انتاو دي نورونها" بصفته قائد هذه القوات بتعيين ابن أخيه "د . جواو دى نورونها" كي يتولى مسألة المساعدات الضرورية في عشرة من المراكب العاملة بالمجاديف ، وفي نفس الوقت أمر "د .ألفارو دا سيلفيرا" كي يجمعها من مسقط .

على خط موقع جزيرة سمايم التى تبعد حوالي ميلين عن البحرين شاهد "د . جواو" مجموعة من السفن وهي تطارد سفينة أحد أخوة "ميلو" فقام بمهاجمتها فاضطرت السفن للهروب ، ومن ثم رمي مراسيها ، بسبب حلول الظلام ، لكن كان "د .جواو" قد تردد في مهاجمتها مجدداً ، أولاً لصغر سنه ، وثانياً لشدة الظلام حيث أجل عملية الاشتباك ضدها لليوم التالي ... ، وخلال الليل كانت كل واحدة من السفن قد عززت نفسها بمائة وخمسين من الإنكشارية ... ، وفي الصباح كشفت عن قواتها ، حيث ظهرت مجموعات الجنود الضخمة ....

هكذا شرعوا في التقدم ، وهم يطلقون نيران أسلحتهم ، ويستخدمون قطع المدفعية ... ، الأمر الذي جعل سفننا تشرع في الانسحاب ... ،

ولحسن الحظ وصلها حينها "د .ألفارو دا سليفيرا" حيث قام بضم الكتيبتين ، ومن ثم عاد عن طريق القطيف مستفيداً من كثافة نزول الضباب في الوصول للبحرين ... ، وبهذه الطريقة تمكن من الوصول للسفن دون أن يرصد قدومه أحد ...

وهكذا تمكن من الاستيلاء عليها عنوة بعد اشتباك عنيف ، وقام بقطرها متجها للقلعة المحاصرة ، حيث قام بقصف المواطنين المحاصرين وإغلاق الممرات المائية .

على كل حدث ذلك في شهر نوفمبر ، وهو موسم غير صحي في منطقة الخليج الفارسي ، إذ خلال هذا الموسم تبين من خلال تجارب سابقة أن معظم البرتغاليين قد هلكوا بسبب أمراض متفشية كأمراض القلاع والنزلات المعوية الحادة (الكوليرا والدوسنتاريا؟) التي فتكت بهم في غضون ساعات قليلة ، أما جنودنا البواسل الذي لم تكن لهم رغبة في الابتعاد عن ساحة القتال فقد راعهم وأرهبهم المرض ولذا فقد طالبوا بخوض معركة فورية ، بالرغم من حقيقة أن استسلام الأتراك الذين تم القبض عليهم في الداخل والخارج كانت أمراً حتمياً .

لقد توفي "د .ألفارو" بعدما أصيب للمرة الثانية بعيار ناري وقطعت جثته ورأسه فيما بعد ، أعلن رجالنا عصيانهم رافضين تنفيذ الأوامر ، ومن ثم لجأوا للقلعة بعدما سقط منهم سبعين قتيلاً وألقي القبض على ثلاثين منهم .

عندما كُشف عن التوجيهات ، أُعلن عن تنصيب "بيرو بيكسوتو" "Pero Pixoto" كقائد للأسطول خلفاً للكابتن "د .ألفارو" ... ، واستمر

الحصار ... ، وبعدها عادت مراكب هرمز إلى الحصن تحمل الجرحى وبعض الأخبار .

أعاد "د . أنتاو دى نورونها" قائد الحصن تنظيم الحملة حيث أبقى العمدة كي يحل محله ثم واصل الإبحار إلى البحرين .

في هذا الوقت علم أن قائد الأتراك توفي أيضاً متأثراً بجراحه التي تلقاها في أرض المعركة ، وخلفه في قيادة الجيش قائد آخر باسم محمد ... ، أما الأخير هذا فبعدما شعر بالمهانة من جراء الحصار أمر بإحضار الأسرى الثلاثين وقطع المدفعية التي تم الاستيلاء عليها لتسليمها كلها إلى "د .انتاو" .

انتشر المرض في صفوف البرتغاليين والأتراك ، واضطر الأخيرون لإلقاء أسلحتهم وإعلان الاستسلام مقدمين مجموعات الخيول و اثني عشر ألف "كروزادوس" لتغطية نفقات أسطولنا مقابل الإبقاء على حياتهم ونقلهم للبصرة .

لكي ينقذ رجاله من المرض قبل القائد "د .ألفارو" بهذا العرض ، وتم التنفيذ ... ، ومن ثم قفل عائداً إلى هرمز ، بعدما فقد مجموعة كبيرة من رجاله بسبب المرض .

تلك كانت أخطر المحاولات التي قام بها سليمان العظيم والأتراك ضد قواتنا في غرب المحيط الهندي أو في أي مكان آخر في مناطق شمال شرق الخليج ، وكان مصيرها الفشل الكامل .

بداية تمت إزالتهم من أعالي البحار بشكل كامل ، وثانياً من كافة مناطق الخليج أيضاً ، خاصة من داخل البحار ... ، ولم يتبق لهم غير

موطئ قدم لهم في ساحل البصرة ... ، وحتى هذا الموقع لن يجدوا الاستقرار فيه لأنهم كانوا محاصرين بالأعداء البرتغاليين والفرس ، الأمر الذي أضعف كثيراً خطوط اتصالاتهم بأقرب مراكزهم العسكرية الموجودة في بغداد .

في ظل بقاء سفنهم الخمس إذا ما كانت بالفعل موجودة لم يُسمع المزيد من الأخبار .

يبدو أن هرمز ستظل تحت سيطرتنا مدة ستين سنة أخرى إضافية ... ، إلى أن تم انتزاعها من قبضتنا في فترة العبودية بعملية مشتركة بين الفرس والإنجليز وخاصة الأخيرين بعد دفاع بطولي مستميت بحراً وبراً .

لكي يفيد صياغة ماروي عن "فرانسيسكو" الأول يمكننا أن نكتب في عام ١٦٢٣م قائلين : "لقد ضاعت هرمز لكن أنقذ شرف البرتغال" .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث "سيماو بوتلهو" "Simao Boutelho" مشرف خزانة الهند رسالة إلـى الملك ، "كوتشين" في الثلاثين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر فيها الخدمة المقدمة في البصرة : [٤]

١- شكاوى ضدّ نائب الملك لعدم السماح له "بوتلهو" بالعودة إلى البلاد

٢- الحاجة لمساعدة الهند بالمال والملابس

٣- دخل مركز الجمارك في هرمز يحتجزه قائد المدينة

٤- دخل "باسين"

٥- عقود الدواء

٦- عاج "سوفالا" و"موزمبيق"

٧- دخل "مالقا" وسرقات القباطنة

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

٨- الحاجة لمساعدة الهند بالبضائع والمال

٩- التجارة المهرّبة للفلفل تجري بعلم القباطنة والقلاع

١٠- الإجراءات الصحيحة من طرف ناظر ميناء هرمز

١١- التجارة مع "سوفالا" و"موزمبيق"

١٢- الإجراءات غير الصحيحة من طرف قائد ياسين وآخرين

١٣- المصروفات المفرطة من طرف القساوسة

١٤- انخفاض وفقدان بعض الإيجارات

١٥- بناء دير للرهبان

١٦- عدم جدوى وظيفة أمين الخزينة في "غوا"

١٧- فلفل ملبار

١٨- شحنة من الفلفل

١٩- ضرورة تزويد الهند ببضائع من البرتغال

٢٠- السجل العام للإيجارات والمصروفات في الهند

٢١- الخزانة والمسيحية في سيلان وبيع المجوهرات

٢٢- باسورا (البصرة) - الخدمة الممتازة التي وفرها "دوم انتاو"

٢٣- سلوك بعض المسؤولين

سيدي ،

١- متابعة لرسالة التي استلمتها هذا العام من فخامتكم وهي

تسمح وتأذن لي بالسفر والعودة هذه السنة ، فلقد طلبت الإذن من نائب الملك في "غوا" بمجرد وصول سفن "الناو" ولكنه لم يمنح

(نص مفقود لعديد الصفحات)

كمثل عقاب من الربّ أكثر من أمل الملك للقبض ، ولكنهم يقولون إنه أمر الناس في المدينة بتسليم القائد له ، ناعتا إياه بالوقاحة وبأنه سوف يرفع الحصار ، نائب الملك والذين سوف يغادرون ، سوف يعطون فخامتكم لمحة مفصّلة عما دار هنا ووقع .

٨- من المملكة كانت تصل بضائع كثيرة وكذلك الكثير من المال مثل الأصداف وأصناف أخرى ، ولكنها لا تصل الآن والمال في كميات محدودة لدرجة أنها لا تكفي لاستخدامها في تلك العملية والمبالغ التي تصل لا تكفي حتى للتحميل .

كما هو معروف فإنّ هذه البلاد لا تكتفي ذاتيا وأسطولها يعتمد على دخل "غوا" والذي يبرز فقط بسبب أن نائب الملك ومشرف الخزانة يقفان عليه هناك ، وفخامتكم يجب من ثمّ أن يهتم به إذا أراد منه دعماً ، بإرسال مبلغ كبير من المال وتوفير العدل ، حتى لا يمكن للقادة والقباطنة أن يفعلوا ما يشاؤوا بأملاك فخامتكم .

في الحقيقة عندما شرعت في كتابة هذه الرسالة ، لم تكن نيتي إلا كتابة مختصرة إلى حدّ أن أطلع فخامتكم باختصار ، لتجد طريقة لمعالجة وضع هذه البلاد ، ولكن واتتني أشياء كثيرة وشغلت فكري مما يستدعي مغفرة فخامتكم في تطويلي هذه الرسالة في أمور كانت المشافهة أفضل فيها عن المكتوب .

ولكن أرى مصلحة خدمة فخامتكم تتطلب إلى هذا الحد مما لا يسمح لي بإهمال الكتابة حولها ، بل وأصل إلى حد تحديد ذكر أسماء محدودة لأشخاص ، تجعلك تعتقد أنني أسيء الآخرين وأكشف الأخطاء والله وحده يعلم نواياي وسبب لجوئي إلى هذا ، وليكن هو القاضي .

٩- قباطنة وقادة الحصون والقلاع يجهرون باستغلالهم للصلاحيات ، وهم يرون أنهم قد سمح لهم بذلك بدون عقاب رادع ، ففي هذا العام عندما أرسل نائب الملك "دوم جيرونيمو رويز" وكيل فخامتكم السابق مع "دوم انتاو" إلى هرمز وإلى "القطيف" كقضاة بصلاحيات للتصرف في الخزانة والإرسال ، فإنه بمجرد وصوله إلى المدينة ولأجل إعداد الأمور بالنسبة للأسطول ، فلقد علم وهو في الطريق أن رجلا قد أخذ قارباً سريعاً محملاً بالفلفل .

وأن رجلاً آخر متزوجاً في هرمز قد ساعد الآخر لإنقاذها (البضاعة) وذلك لأن له نصيب وشراكة فيها ومعاً كانا قد أرسلا القارب إلى البصرة "باسورا" ولقد ثبتت إدانة وجرم الرجل في تحقيق أجريته ضدّه في العام الماضي هناك ، وأنّ المحكمة قد أمرت بحبسه لتكمل الإجراءات ضدّه ، بينما لاحقاً قام المدعو "جيرنيمو رويز" وعند وصوله إلى هرمز فأمر هذا الرجل أن يعتقل .

اعتبر "دوم ألفارو" هذا التصرف عملاً شائناً في حقه ، لدرجة أن استدعاه وأساء إليه ناعتا إياه بأنه يهودي وبنعوت سيئة أخرى ، وأطلق سراح الرجل وأعطى الآخر إذن مرور آمن ، من بعد ما ثبت أن كليهما يتاجران في الفلفل .

كأن ذلك لم يكن كفاية ، فبعد عدة أيّام تجوّل في المدينة رجل يلبس قناعا ويبحر عنزة في قناع آخر ، وعندما دلف إلى تجمع أناس من المدينة ، قال إن الآخر هو مشرف الخزانة وأنّه عندما وصل جعله يدفع ...

في تلك الأثناء كان "جيرنيمو روميز" في البصرة مع "دوم أنتاو" ... ، وقيل إن "جواو فيرنانديز" "Joao Fernandes" قد أمر بهذا بواسطة خادم له لأن هناك تبادل شيمته قد وقع بينهما وأنه كان آنذاك في هرمز بعد عودته مريضاً من "القطيف" .

تردد كذلك أن "دوم ألفارو" هو الذي أمر بالعملية ، ولكن يعتقد أكثر ويرجح أنّه كان "جواو فيرنانديز" لأن "دوم ألفارو" هو قال في وسط حشد من الناس أنّه لم يأمر بالإجراء ، ولكنه لا ينكر أنها كانت نكتة مضحكة ... ، وهكذا يا صاحب الفخامة يتاجر مسؤولوك وهذا هو التحقيق الذي أجرى وذلك ما تمّ في خصوصه .

إذا كان "جيرونيمو رويز" غير معروف فيما قيل ، فإنّه رغم ذلك كانت بين يديه السلطة والقوة وخدم جيداً في رحلاته البحرية ، ليس فقط كونه كان مشرفاً على الخزانة ، ولكنّه كقاض وجندي كما يوافق على هذا الجميع .

صحيح أنه لم يذهب إلى هناك بناء على نصيحتي .

إن نائب الملك يرسل الأوراق المناسبة إلى فخامتكم ، ولكن بالعودة إلى قباطنة هرمز فإنّه جدّ محايد ليس لدرجة أنّه يفعل ما يريد ، ولكن له رجل كوكيل في "راشيل" والذي تحت ستار جمع المعلومات من البصرة ، يرسل إلى هناك البضائع التي تصل إلى هنا من الهند إلى

هرمز ، وهذه هي تجارته الوحيدة ، والتي تمنعها كل السلطات وتضع عليها عقوبات شديدة .

وبينما أهل البصرة على استعداد لإيقافها عندما كنت في هرمز لأنني قد جعلت تلك البضائع محرمة ، فإنّهم تركوا بدون مصدر رزق وعيش ، وحالما ابتعدت فإنّ كثير البضائع عاد إلى هناك بهذا الطريق حتى عاد الميناء مجدداً مشهورا ، وعاد المزيد من الناس يذهبون ، ولكن إذا ذكر أحدهم أيّاً من هذه الأشياء .

لـ"دوم ألفارو" مخبراً إياه أن ينظر إلى ما يفعله فإنّه سوف يجيب أن نفس الشيء كان يفعله القباطنة السابقون ، والذين أخذوا حوالي مائة وأربعين ألف "باراداوس" أحدهم كان "لايما" والآخر بعده كان "نورونها" ، وهذا سبب أنّ بمقدوره أخذ أكثر من ذلك ، وأنّه إذا لم يقع له أيّ شيء بسبب أخذه ذلك المال ، فإن الضرر القليل يمكن أن يقع عليه وهذا هو السبب الذي يعيشون به على هذا .

١٠- ريّس نور الدين والذي يعمل الآن كناظر للميناء بسبب كبر والده ، قيل إنه يقدر أموره بشكل طيّب حتى الآن ، ولا أدري إلى أي مدى يمكن أن يستمر هذا .

غادر ريّس شرف إلى "القطيف" مع "دوم انتاو" آخذين معهم عددا كبيرا من الرجال وقدموا خدماتهم ومساعدتهم هناك .

يمكن "لجيروينمو رويز" أن يقدم لفخامتكم المزيد من التفصيلات عن الشؤون الأخرى لـهرمز لأنه سوف يغادر في سفينة "الناو" مثلما فعلت أنا في السنوات المنصرمة .

ريّس ركن الدين الناظر السابق للميناء والمسجون حالياً في "غوا" لم يحاكم بعد ... ، الشيء الأفضل عمله هو جلبه إلى "لونجا" حتى لا يعود إلى هرمز لأنه سيكون مضراً جداً هناك .

١١- وحتى يعرف فخامتكم كيف هي الأمور هادئة هنا ، فأنا أكتب هذه الرسالة

عندما كان "جورجي كابرال" حاكماً هنا تشاجر قباطنة "باسين" و"تشول" "Chaul" على من منهما يشتري احتياجات تجارة "سوفالا" و"موزمبيق" من "الخرز" ، ثم فيما بعد إرسالا العديد من "البرتغاليين" لأكثر من سبعة - ثمانية فراسخ إلى أرض الداخل مسلحين ومعهم أقاربهم كقادة وقباطنة على الرجال ، وكانوا كلهم على أهبة الاستعداد للحرب ، حتى يعرفوا من سوف يأخذ معهم إلى القلعة التجار الذين اشتروا الخرز .

أخيرا كان الذين من "تشول" أكثر عدلا فسمحوا لأهل "باسين" لأخذهم فكان الخرز الذي أرسل إلى هناك مثل حقهم الخاصّ ، وإلى أنهار ذلك الساحل وكل ما يحتاجونه ، وقاموا بتلك التجارة علانية على الرغم من كونها ممنوعة بأمر فخامتكم ... ، وعندما احتاج الوكيل لبعض الخرز لإرساله إلى "موزمبيق" فإنهم باعوه له بسعرهم هم ، لأنهم كانوا يسيطرون على كل شيء بين أيديهم ، وليس بمقدور أحد أن يوقف هذا .

١٢- ملأ الفخر قبطان "باسين" بسلطات فخامتكم التي سلمتموها له وبحقه في المنح وباسمه الشخصي ، مثلما لاحظ نائب الملك ذلك

في أمرين صادرين عنه ، لقد عين كاتباً في دار الخزانة ومنحه مرتّباً قدره مائة وخمسون ريالاً ، بدون سلطة من نائب الملك ، كما أمر من ثمّ بتقديم مرتّب عام كامل مقدّما له .

إنّه يـدفع الأجـور التـي يختارها فيما يجعل الأمور أكثر سوءاً بقوله أنها ...

نص ناقص ... غير كامل / صفحات مفقودة

... جوهرة ... ، ولا تصل إلى تسعين ألف "براداوساً" ... ، وأنا لا أشير إلى المبلغ بالضبط بسبب أن بعض الأشياء يجب أن تباع ، ولا أعرف على كم سنحصل من بيعها لأنها عديدة وفيها أحجار كريمة ...

حقيقة أن ولداً أكبر قليلا من طفل قد تحوّل إلى المسيحية ، وأعلن بالقوة ابناً للملك المتوفي ... ، وبما أن كلّ الذين ذهبوا إلى هناك سوف يكتبون لفخامتكم عن الأمر ، ولا حاجة لي أن أفعل ذلك ، وسوف يعلم فخامتكم منهم إذا ما خدمتكم جيداً أو بسوء في هذا الخصوص .

شيء واحد فقط سأقوله وهو أنّه لن يستطيع أيّ شخص أن ينزع من عقلي قناعتي بوجود كنز هناك ، ربما ليس ضخماً ، وأنّ بعضه مدفون هناك .

قرّر نائب الملك أن يرسل "ألفارو ميندیز" "Alvaro Mendes" إلى "بيسانجا" "Bisanga" ذلك الصّائغ الذي قالوا إنه على دراية بالأحجار الكريمة ، والذي جاء من هناك في العام الماضي ليبيع بعض المجوهرات التي حصل عليها في "سيلان" لأنها لم تكن تستحق أن ترسل إلى المملكة ، سيدتي ، حسبما اتفق الجميع على ذلك ... ، وبسبب أنه

يمكن أن تباع في "بيسانجا" بسعر أكبر لأن ذلك هو نوع المجوهرات التي اعتادوا عليها ويقدرونها ... ، وكذلك ليحصلوا بالنقود على بعض الدرر لفخامتكم .

لقد تعهد "ألفارو مينديز" بتقديم أفضل خدمة في هذا الخصوص ، ويطلب منكم تعيينه وكيلاً للأحجار الكريمة ، يمكن التأكيد على كونه الشخص المناسب أو لا ، وإذا ما كان على أحد شخصياً الذهاب إلى هناك ، فإنه من الأفضل أن يكون برتغالياً لا أجنبياً ، وأن يكون شخص طيّب ويعتمد عليه مرافقاً له ككاتب .

٢٢- سوف يكتب لك نائب الملك و"دوم انتاو" بالتفصيل حول شؤون البصرة باعتبارهما رجالاً كانوا هناك .

لا شكّ لديّ أن الأتراك سوف يساعدونني في حصار "القطيف" وسوف يبحثون عن انتقامهم في فقدهم لـ هرمز .

لأجل التحسب لهذا فإنّ نائب الملك أرسل رجلا (كان يهودياً) إلى المضيق لجمع معلومات وأخبار ، وسوف يكون هنا في سبتمبر بعون الربّ سيّدنا .

ربما سرّه أن يسحق قوّة الأتراك حتى لا يستطيعوا فعل شيء ... ، لقد خدم "دوم أنتاو" فخامتكم في حصار "القطيف" وفي الرّحلة التي قام بها إلى البصرة ، بكل أمانة وصدق وحسّ طيّب كرجل يعتمد عليه ، له خصال حميدة كثيرة ... ، وفخامتكم يمكنكم بالكامل الاعتماد عليه ، وإنها لخسارة أنهم تمكنوا من جرحه في بلاد ملك الفلفل ... ؛ لأنهم خشوا أن يظل عاجزاً .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

صدر أمر سعادة نائب الملك "د .أفونصو دي نورونها" ، الذي أقره ووافق عليه جلالة الملك "د .سيباستياو" "Sebastiao" ، "غوا" ، التاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٥٢م ، فيما يتعلق بدفعه معاش الريس نور الدين قاضي هرمز : (٥)

أنا الملك ، أعلن جميع من يطلعون على هذا المرسوم ، أن نسخة من المرسوم قد عرضت عليّ بالإنابة عن الريس "نور الدين" قاضي مدينة ومملكة هرمز ... ، وهي النسخة التي حررها له "د .أفونصو دي نورونها" عندما كان يعمل نائباً للملك في الهند ، وقد صدرت في شكل خطاب تقريري تم التوقيع عليه بواسطة "غاسبار بيريس دي ماتوس" "Gaspar Perez de Matos" ، الذي كان حينها يشغل منصب المسؤول الأول عن الخزينة في هرمز ، وتشير نسخة هذا الأمر إلى ما يلي :

أنا نائب الملك في الهند ... إلخ

---

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

آمرك "فرانسيسكو دي مورا" وكيل مولاي جلالة الملك في هرمز ، وآمر جميع العاملين في هذا المنصب مستقبلاً أن تدفع للسيد ريس نور الدين قاضي مملكة هرمز مستحقه من الراتب عند نهاية كل ربعية .

بناء على محتوى نسخة هذه الوثيقة المعتمدة والملحوظة التي أُدرجت في السجل يصبح راتبه في حكم المؤكد ، وقد أصدرت أمري إلى المحاسبين كي يدرجوا ما دفعته له في حسابك .

وقد تم تنفيذ هذا الأمر .

تم تحريره بواسطة "لوبو دياز" "Lopo Dias" ، في التاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٥٢م - "غوا"

أمر بكتابته "سيماو فيرناندس" "Simao Fernandes"- "د . أفونصو" .

بما أن ريّس نور الدين قد ناشدني ضرورة التوكيد على الرسوم المذكورة ، وإعطاء هذا الأمر الأهمية والاعتبار اللازم ، فقد قررت ، وكلي سعادة بذلك أن أؤكده له .

عليه فإنني أفعل ذلك ، بموجب هذه الوسيلة ، ويجب أن يصار إلى تنفيذه وأن يتم الالتزام بتنفيذ كل ما تضمنه ، وما أعلن فيه بالرغم من أن المرسوم لم يصدر عن دائرة القضاء ، بالرغم من وجود قوانين تناقض ذلك .

لقد كتب "بالتازار روبيرو" "Balthasar Robeiro" هذا في "لشبونه" في الثاني عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٧١م ، ومن الآن فصاعداً يجب أن يتم الالتزام بتطبيق ما ورد في هذا المرسوم ، وسوف يوضع في

مسالك التنفيذ كخطاب مكتوب بإسمي صادر من قبل دائرة القضاء وممهور بخاتمي على الرغم من وجود الأمر المحلي في الكتاب ٢ البند عشرين الذي ينص على النقيض .

أنا "بارتلوميو فرويز" "Partholomew Frues" أمرت بكتابته

الملك

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث الأب "غونسالو رودريغيز" "Goncalo Roderigues" رسالة إلى "الجمعية اليسوعية" في "كويمبرا" ، هرمز ، في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر الفقراء في "ميناو" : [٦]

سلام المسيح ،

الأعزاء المحبوبين الآباء والأخوة في المسيح

فليتنزل حب وعظمة المسيح عيسى دائماً على أرواحكم آمين

١ـ كتبت لكم في العام المنصرم من "غوا" ، لا أعرف إذا ما كنتم استلمتم رسائلي ، ولكن فيها عرضت لكم تفاصيل رحلتي ووصولي والأمور الأخرى التي وقعت لنا بعد مغادرتنا[أ] .

(أ) هذه الرسالة فقدت تماماً/ المرجع السابق وثيقة ٥٠ (سي) .

---

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

الآن ، يبـدو لـي من المناسب أن أقدم لكم شرحاً لما حدث بعد ذلك ... ، وسوف ترون أيها الأخوة المحبوبين في المسيح أنّه بعد عدة أيام من وصولي صدرت لي تعليمات بالمغادرة فوراً إلى هرمز حيث أنا الآن في هذه اللحظة ، ولم يسمح لي وقتئذٍ حتى بمشاهدة أبي في المسيح "مانويل دي موريا‌س" "Manuel de Moris"[أ] والذي كان قد وصل سابقاً[ب] والذي رغبت كثيراً في رؤيته .

لقد غادرت لوحدي بلا رفقة سوى عين الربّ [ت] .. ، لكم أن تتخيّلوا الذكرى العطرة التي حملتها في روحي لآبائي وأخوتي المحبوبين جداً ، والذين تركتهم وربما لن التقيهم أبداً في هذه الحياة الدنيا .

لقد صعدت في سفينة "ناو" مع "ناغواد" "Naguad"[ث] والذي حباً في الله أطعمني طوال الرحلة البحريّة وذلك لأنّني لم أحمل معي أية زوادة في سفري ورحلتي .

يومياً كنت أقدم تعليمات وتوجيهات دينيّة للعبيد في السفينة لأنهم رغبوا في سماع تعاليم الرب في أوقاتها .

(... نص مفقود)

(أ) "موريا‌س" عرف بـ : (الكبير) .

(ب) وصل الأب موريا‌س إلى "كوتشين" في أول أكتوبر / المرجع السابق وثيقة ٥٣ ، ٥ ومن هناك جاء إلى "غوا" في مطالع شهر ديسمبر / المرجع السابق ، وثيقة ٥٤ ، ١٩ ويبدو ان الأب "رودريغيز" قد غادر "غوا" في أواسط شهر أكتوبر / المرجع أدناه ، هامش ٩ .

(ت) هذا يعني ، بدون مرافق من "الجمعية اليسوعية" ، حسبما هو وارد في تعاليم الأخوية . السطر بكامله تم حذفه ويجب أن يقرأ جهراً في الجمعية في "لشبونه"/ المرجع ...

(ث) ناغودا من اللغة الفارسية : ناخوذا سيد ، سفينة : قبطان سفينة تجارية في المشرق .

خائفاً بما أن الملك كان محروساً بشكل مشدد .

أنا واثق أنه (عندما يأتي كمال الوقت) فإن الربّ سوف يرسل ابنه والذي سوف يضيء (ما خفي في الظلمات) بما أن قلب الملك في يد سادته .

لقد قرّرت بما أنني لا أستطيع التحدّث إليه أن أفاوضه بشكل سرّي عبر الرسائل لأرى لمرة أخرى أيمكنه أن يتحرّك قلبه لمحبّة الخالق ؟!

لقد كتبت رسالة وأعطيتها للمترجم ... ، وهذه لم تسلم بعد إليه ، ولكنّها تنتظر أن تنزاح هذه الحروب عن هرمز .

٩ـ أثناء كتابتي لهذا وصلت الأنباء بأن أربعين من سفن المماليك (الأتراك) قد دخلت المضيق ... ، ولا نعرف إذا ما كانت سوف تتوقف في هرمز أو تستمر حتى البصرة ، لقد وضعتنا في موقف حرج وصعب .

لقد غادر المسيحيون المحليون بالسفن إلى "موغستان" "Mogustan"(أ) التي هي ضمن الأراضي الداخلية ... ، أكثر من ثلاثمائة غادروا لعدم توفر المياه في القلعة لفترة(ب) .

الأخ "ألفارو منديز" غادر معهم ليرشدهم ويقدم لهم التعاليم الدينية ويشجعهم في إيمانهم بالمسيح وله في ذلك عمل كثير ، أخذ معه مائتي أشرفي(ت) لتوزيعها على الفقراء .

(أ) مونجان في "موغستان" ، مكان حصين في فارس يقع إلى الشمال الشرقي من هرمز حيث يوجد القائد الحربي .

(ب) الماء لابد من جلبه ونقله إلى مدينة هرمز من المناطق المجاورة .

(ت) نوع من العملات : "الاشرفي" العربي الفارسي من الذهب وله نفس القيمة التي تعادل قيمة الذهب (انظر : لغادو ٢/ ٤٢٤) وهذا يعني ٥ تانجا أو ٣٠٠ ريالٍ .

إنّهم يذهبون إلى قلعة مسلمين على بعد ستة سبعة فراسخ من هرمز وهي خاضعة لمملكة هرمز ، إنّها بلاد غير صحيّة بالمرة وتعرف باسم "ميناو"[أ] أو "موغستان" .

ليحميك الله سيدنا ، آمين

سوف أطلعك على ما يحدث في كل هذه الأنحاء .

وأرجوكم أيها الأخوة والآباء المحبوبين ألا تنسوني في صلواتكم ودعوات غفرانكم .

آخر أيام أغسطس ١٥٥٢م

"غونسالو رودريغيز"

(أ) تعرف الآن بمدينة (ميناب) .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث الأب "غاسبر بارزيو" "Gaspar Barzio" رسالة إلى "الجمعية اليسوعية" في "كويمبرا" ، "موغستان" ، بتاريخ شهر أكتوبر عام ١٥٥٢م ، ويذكر أن المسيحيين يذهبون إلى "ميناو" وقت الحرب في هرمز : (٧)

سلام المسيح ،

١ـ في ذلك الوقت الذي جاء فيه المماليك (الأتراك) لشن حربهم ضدنا (أ) قرر القباطنة(ب) أنّه يتوجّب على المسيحيين المحليين أن يقيموا خارج القلعة(ت) وذلك أولاً : بسبب عدم توفر أماكن كافية داخل

(أ) في شهر أغسطس ١٥٥٢م كان المماليك / الأتراك يقتربون من هرمز بنوايا عدائية .

(ب) "دوم الفارو دي نورونها" .

(ت) ليس كثيراً قبل (٣١) أغسطس عندما غادروا من هرمز .

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

القلعة وثانياً : بسبب نقص المياه ، وعندما جاءت أخبار وصول المماليك إلى "انتاكان" "Antacan"[(أ)]

على بعد أربعة وعشرين فرسخاً من هرمز فإنهم أبحروا إلى قلعة "ميناب" "Minab"[(ب)] وذلك ضدّ رغبة بعضهم لأنهم كانوا يخافون أن يقتلوا هناك .

أمرني الأب[(ت)] بمرافقتهم وذلك لتقديم الدروس والوعظ الديني لهم ولتعزيتهم وإرشادهم ، وكان عددهم كلهم في الإجمالي حوالي أربعمائة مسيحي .

لقد انقطع عملي بسبب هؤلاء الناس لأنه بحسب أوامر المسؤول والقبطان فأنا المسؤول عن توجيههم في الأمور الدينية والروحية ،

(أ) ربما جاءت خطأ في الكتاب / الصحيح هو (خورفكان) مكان بين صحار وهرمز .

(ب) هذا الملك في هرمز ، في رسالة مؤرخة في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٢م مكتوبة إلى "جواو الثالث" ، يوضح نصاً جيداً بهذه الكلمات :

"بما أنّه كانت هناك أخبار وبالتأكيد كان أسطول الأتراك قادماً ، فلقد تقرر أن ندخل أنا و"الجوازيل" ريّس نور الدين وقاضي القضاة "ميربيروس" القلعة (في هرمز) ، وقد قمنا بهذا في الوقت المناسب ، وكذلك قرّر القبطان فعل نفس الأمر ، وذلك بسبب عدم معرفة حجم الأسطول التركي أو عدد الرجال فيه ، وبالتالي طلب من جميع "البرتغاليين" التجمع في القلعة .

ولأن أعداد المسيحيين العاديين كان كبيراً وكذلك ريّس شرف وابنه ريّس نور الدين وبالمثل "مير بيروس" وجمع من الأهالي والزوجات والأبناء والبنات والأقارب والتابعين ، كان طبيعياً أن يتمّ وضعهم في أماكن حيث يضمن لهم الأمان أو في مكان لا يتم الإضرار بهم .

ابني الذي هو الآن في الثالثة من عمره تمّ تسليمه مع زوجتي ليتمّ حجزهم في مكان ما في قلعة ميناب (ميناو) والتي يسمونها موغستان على الجزيرة الرئيسة في بلاد فارس ، حيث مير أحمد شاه هو القبطان .

(ت) غونسالو رودريغيز .

ولأنهم أجمعون مختلفون عن بعضهم بعضاً فإنهم غالباً ما يتشاجرون ، وفيما بعد يأتون إليّ ومعهم شكاوى متعددة ضد بعضهم البعض طالبين العدل والإنصاف .

بينما يأتي آخرون بمشكلات ، من الواضح أنّه مع هكذا مشكلات متباينة لم أكن أعلم ما أفعل ، في بعض الأوقات انتهى إلى الصداقة معهم وفي أحايين أخرى وبسب عدم مقدرتي على التخلص منهم أصل إلى تهديدهم ، وفي أوقات أخرى أطلب اعتقالهم رجالاً ونساء على السواء بحسب ما يهديني إليه الربّ ... ، لقد هدأت الحبّ بالفزع .

حافظت على هذا الترتيب معهم :

(في الصباح الباكر أزورهم وأتفقّد احتياجاتهم وألبيها وفق طبيعتها وأقدم لهم المآكل للفقراء والذين كان عددهم حوالي مائة وخمسين شخصاً .

في المساء أقوم بتقديم النصح والإرشاد المسيحي مهتماً بدمج الإرشاد بالحفز على الرجولة والعزيمة .

٢ـ وما ظلت الأمور على هذه الشاكلة ، جاءت الأنباء أن المماليك قد وصلوا إلى هرمز وأحاطوا بالقلعة[أ] ، سكان القلعة من المسلمين بدأوا لعنهم وسبهم لنا قائلين : إنّه تبقى لنا من الحياة أربعة أيام ، وعندما تنقصني فإنهم سوف يقومون بقطع رؤوسنا .

(أ) عندما احتل الأتراك مدينة مسقط لمدة أحد عشر يوماً جلبوا معهم المناجنيقات لقصف هرمز والتي استمروا في رميها لمدة ستة عشر يوماً بدون جدوى .

سألوني لماذا وأنا في كل الأحوال ضائع لماذا أقوم بالوعظ والإرشاد للمسيحيين؟

قالوا لي إنّه لا يجب عليّ فعل ذلك لأنهم كجماعة سوف يقومون بقتلي .

عندما رأيت هذا ذهبت منزعجاً ويائساً إلى القبطان الذي كان يدعى (مير أماشا)[أ] لأطلب منه الإذن لوعظ وتعاليم المسيحيين الجدد للتعميد والقداس .

لقد أبلغته ما قاله أناسه لي ... ، وبهذا انسحبوا لحالهم بعد أن هدأ من روعهم وخففوا ما بأنفسهم .

ذات أربعاء عندما كنت بمنزلي ، وبعد زيارة للمسيحيين ، أتاني عدد غير قليل منهم بأخبار من هرمز مفادها أنّه تمّ احتلالها[ب] ..

لقد سبب هذا الكثير من القلق والامتعاض في أوساط المسيحيّين إلى الحدّ الذي دفع بعدد كبير منهم إلى جمع أغراضهم بقصد الهرب إلى أرض الداخل ، ولكن سرعان ما جاءت الأخبار بعكس ما أشيع مما هدّأ من روعهم إلى حدّ ما .

٣ـ الآن آمل أن أستدعي من هرمز على الرغم من اقتناعي بأنّني سوف أظلّ لبضعة أيّام أخرى في هذه البلاد ، والتي تعتبر صحيّة

(أ) مير أحمد شاه كان صديقاً للبرتغاليين .

(ب) ربما يكون هذا التقرير قد وصل إلى موغستان في ٢١ سبتمبر ١٥٥٢م لأن المسلمين كانوا ينسحبون من قلعة هرمز في "بونيتا دي كورو" .

للغاية في أشهر يونيو يوليو أغسطس وبعض من سبتمبر ، ولكن في شهر أكتوبر نوفمبر فكأن الوقت لوباء الطاعون .

الأهالي يقولون ذلك عندما يظهر النجم جهة الجنوب والذي تلاحظه الثيران والأبقار بداية ، وهذا هو نذير الطقس البشع / هذا ـ ولكي يطّلعوا على معلومة أن النجم قد ظهر أم لا ، فإنهم يلاحظون على البقر تحرّكها القلق من مكان إلى آخر بانزعاج ورعب وفزع .

هذا ما يقع ... ، وكلّ من يذكر الأمر يخرّ مريضاً ، ولكن برحمة الربّ لم يمت غير أربعة أطفال وامرأة واحدة .

من "موغستان"

"ألفارو مينديز" .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث الريس نور الدين للملك ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٢م ، رسالة فيها أخبار عن الأسطول التركي في السويس واحتلال عدن ، وكذلك عن احتلال الجزائر : (٨)

سيدي

الأخبار التي سأقدّمها عن هذه البلاد لسموّك في منتهى السّوء حتّى إنّني أودّ لو أكون من الأموات على أن أكتبها ، وذلك بسبب أنّها جميعها لا تندرج في خدمة سموّك ، بل ضدّها ، وهي بسبب أنّها تؤدّي لتدمير أرض بلادي الأمر الذي يحزنني كثيرًا ويفوق كلّ وصف ، ولا علاج له إلا ما قد يكرمنا به الربّ ، وعبر اجتهاد سموّك الذي قد تقوم به في توفير ما يمكن لحكّام الهند الذين ينتظرونه لعلّه يأتي في الوقت المناسب .

في شهر مايو من العام ١٥٥٢م ، وصلتني أنباء بواسطة سفينة من مكّة

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

جاءت إلى هنا ، إنّ تجهيزات تمّت في السويس بوجود خمس وعشرين سفينة حربيّة ، كما هناك شكوك بأنهم قادمون إلى هذه القلعة .

أخذت أولئك الأشخاص الذين جاؤوا بتلك الأخبار للقائد ، حيث وبصورة أكثر تفصيلاً ، تم التحقيق معهم وسؤالهم عن كلّ ما يتعلق بتلك الأنباء ، وقد أفادوا بكل ما قلته عن تلك السفن واستعدادها دون معرفة المكان الذي تنوي الإبحار له .

بدأ القائد ومراقب الخزينة "باستياو لوباتو" في الحال بالاستعداد ، وأخذ المياه والطعام والضروريات الأخرى ، وعندما حان الوقت الذي قد يتم فيه ذلك ، وكان بداية أغسطس ، بعث القائد بمركبين شراعيين إلى "رأس روز الجيت" وبعثت أنا معهم بزورقين وهي أخف وسيلة بحرية في هذه البلاد .

كانت التعليمات لتلك المراكب أن تبقى عند الرأس كلّ شهر سبتمبر ، وعند رؤيتهم لأي أسطول أو مركب يمرّ في ذلك الوقت يتعدّى عدده الخمس سفن أو أكثر ، فعلى أحد المراكب أن يذهب بالأخبار لنائب الملك ، ويأتي الآخر برسالة لهذه القلعة .

في صباح الخامس عشر من أغسطس وصلت ثلاث من السفن عند المراكب الشراعية ، لكن ونتيجة للضباب لم تقترب منها ، وتمكنوا من الهرب بأعجوبة ، خاصة وأن إحداها فُقدت بالقرب من إحدى السفن ، أصابهم الخوف والاضطراب حتّى إنّ كبير الملاحين ورئيس المدفعيّة والبحارة ألقوا بأنفسهم في المياه ، وأصيب بعض الرجال بجروح ...

وفي تلك الحالة تمكّنوا من الهرب وجاؤوا إلى هنا في حالة سيّئة ، وعند مشاهدة الآخر للمضيق دخلت إليه وأصابها أيضاً سوء الطالع ، واعتقدوا أن الآخر لم يتمكّن من الهرب ولم نتمكن نتيجة لذلك من الحصول على أي معلومات هنا .

استدعى القائد والدي وشخصي وآخرين من البلاد ، كان عليه أن يطلعهم بتلك الأنباء ، وسؤالنا عمّا يجب عمله في المدينة ، أجبنا أنا وأبي بأنّنا مستعدّون للدفاع عنها ، أو الموت من أجلها إن كان ذلك هو الحكم الصحيح ، وقد تمّ الاتّفاق على ذلك بسبب نقص المياه في البلاد ووجوب مغادرة المدينة ، وإنّ على والدي التقدّم نحو "موغستان" إلى قلعة تسمى "ميناو" حتى يتمكن من هناك ومع "مير ماشا" كبير وزراء بلاد "موغوستان" من الدفاع عن مواقع المياه .

إن تمكن من ذلك يوفر الأطعمة والمشروبات الخفيفة للقلعة ، وإنّ علي البقاء في القلعة مع الملك ، ويذهب جميع الناس بعد ذلك إلى حيث يرونه المكان الأفضل ، كانوا جميعاً ملتصقين وجذورهم ثابتة بمدينة هرمز ، بحيث لن يذهبوا بعيداً عنها سوى لجزيرة تسمّى قشن التي تقع على بعد ثلاثة فراسخ من هنا ، وكانت مناسبة لهم .

يبدو أنه في إحدى السفن الثلاث التي واجهت أولاً المراكب الشراعية ، كان فيها ابن القائد المسؤول عن هذا الأسطول ، ويدعى "محمد بيك" الذي يبدو أنه تلقى الأوامر أو نتيجة لعاصفة واجهوها ، مما أدّت لانفصال سفينته عن الأسطول المكوّن من ست سفن ، مما جعلها في مواجهة مع سفننا ، ومن ثم اتّجه نحو مسقط حيث بدأ البناء في

قلعة عند أعلى صخرة تنكسر عندها الأمواج ، كان نائب الملك قد أمر في السنة الماضية ببنائها بالقرب من قمة تلك الصخرة ، حيث توجد سلسلة من الصخور أعلى من القمة ، جعل من الصعوبة أن يكون الكثير من المدفعية مع الرجال .

عند وصول "محمد بيك" إلى القلعة قدّر أنه يستطيع الاستيلاء عليها دون استخدام المدفعية ، ورأى مهاجمتها حتى يدخلها ... ، وقد قتل ثلاثون من الرجال بواسطة رصاص البنادق ؛ غير بعدها تكتيكاته وجاء بالمدفعية للبر ، ووضعها على أربع بطاريات ، واستمر لستة أيام في مهاجمة القلعة ... ، وقد وصل والده في النهاية لوحده على ظهر سفينته دون أي سفن مرافقة له ، لكن في خلال نفس اليوم وصلت اثنتا عشرة سفينة أخرى مما أوصل العدد إلى تسع عشرة .

ثم أمر "بير بيك" كبير قادة الأسطول ، وهو الذي كان قد استولى على عدن من العرب عندما كان "دوم بايو" "Dom Bayo" هناك ، وطلب بقطعة من المدفعية تنصب على سلسلة الصخور في بقعة تطل على كل القلعة ، وبدأ قذفها بضراوة شديدة بالقنابل ، أيضًا واصل نفس الشيء في اليوم التالي ، لكن لم تكن تلك الهجمات بالشدة التي تسبب أضعافها .

قاموا لاحقًا بنفس الهجمات لليوم الثالث ، مما جعلهم يستسلمون ، ولم تزد الخسائر عن قتيلين وقلة من الجرحى ، تحت شرط دخولهم بأمان إلى القلعة ، لكن بعضهم كان ينوي السوء مما أدى لإخراجهم ، وجاؤوا بهم في السفن وجلدوا بالسياط مكبلين بالحديد ، كان ذلك هو

حكم الربّ ، لأنّ الكثير من الأشياء تمّت هناك ضدّ خدمة سموّك من القتل والغارات التي استخدموها ضد المواطنين المحليّين ، والكثير من الشرور الأخرى .

تأخر غضب الربّ حتى إن الرجال المتزوجين الذين كانوا في القلعة والقائد الذي يدعى "جواو دي ليسبوا" وآخرين لهم زوجات عندما علموا باجتياز دخول الروم للمضايق ، قاموا بإرسالهم على ظهر سفينة إلى القلعة ، وكان من سوء حظهم أن ثلاث سفن انحرفت عن القائد المسؤول أخذتهم ... ، ومنهم المتزوجات والعازبات اللواتي يصل عددهم بين عشر واثنتي عشرة امرأة ، بالإضافة إلى العديد من العبيد من الذكور والنساء .

احتجاز النساء هذا ، علمنا به فيما بعد بواسطة رجل عادي ذهب معهم ، كان الأتراك قد أرسلوه للحصول على فدية مقابل النساء ، وهي فدية أرسلت من هنا بحثاً عنهن ، ولم يتم إيجادهن ، لأنهن كن قد أرجعن بواسطة أسطول آخر .

لم نتأكد من الاستيلاء على مسقط حتى الليلة الماضية ، عندما أرادوا المغادرة من هناك وأحضروا حاكماً كانوا قد أخذوه من قلعة بالقرب من الأسوار ، جاء ليطلعنا بالأمر بعد الشكّ الذي كنا فيه ، وقد كنا نستجوب الهاربين من الخدمة خلال الليل ، وكانوا يأتون للتحدّث مع الرجال عند الأسوار ، ولم يكونوا يرغبون في إجابة أسئلتنا .

توسل المدفعجي نيابة عن كل من أردنا فديتهم ، ولم يكن القائد يودّ الموافقة أو التحدّث في الموضوع ، طالما أن الموضوع بدا له لا يخدم الربّ

أو يصبّ في مصلحة سموّك ، هذا الاضطراب والاستسلام جعل القائد يلوم الجنود عليه والعكس أيضاً ، لأنه حالياً لم يكن هناك أي شيء معلوم يتعلق بذلك سوى أن الجميع ملامون على مظهر الضعف هذا .

كان الأسطول يشاهد من هذه الجزيرة عند فجر يوم الإثنين ، التاسع عشر من شهر سبتمبر ، كان يتألف من خمس وعشرين سفينة وثلاث أخرى ذات سطح عال ومركب شراعي صغير ، عندما غادر هذا الأسطول السويس كان عدده خمسًا وعشرين سفينة حربية وسفينتين كبيرتين فقدت إحداها في عدن .

وكان على ظهرها مدفعان وكمية كبيرة من المدافع الأخرى ، وأيضاً ذخيرة من البارود تخصّ الأسطول ، فقدت تلك السفينة في مياه ضحلة بالرمال ، وبعد أن غادر "بير بيك" ذلك المكان لم يتم إنقاذ أي شيء ، لكن عاد كلّ الرجال إلى مكّة ، السفينة الضخمة الأخرى التي كان على ظهرها مدفع من نوع "اسبالهافاتو" .

جاءت بعض الذخيرة أيضاً إلى هنا مع السفن الصغيرة ، والسفينتان الأخريان والمركب الشراعي الصغير اتجهوا نحو مسقط ، كل الأسطول عند وصوله واصل إبحاره نحو "كوم" ورسى هناك عند الساعة الثامنة ، وواصلت السفن استعداداتها وإنزال الأشرعة لإنزال الرجال ، كان هناك سبعة أو ثمانية من الفرسان من راكبي الخيول التابعين لنا .

وعند أول اشتباك أصيبوا بجراح بواسطة طلقات البنادق ، منهم حصان "استيفاو لورنزو دو افيلار" "Stefano Lorenco do Avilar" ،

غلام أحد العاملين في دار سموك والكاتب العمومي لمكتب الجمارك ، الحصان المصاب والبقية انسحبوا إلى القلعة .

بعد ذلك جاء الأتراك إلى المدينة التي دخلوها دون أي مقاومة ، وواصلوا تقدمهم نحو القلعة التي قتلوا فيها رجلاً بطلقة بندقية ، في اليوم الثالث أنزلوا مدفعيتهم وشكّلوا ستّة أوضاع أرضية وضعوا عليها مدافعهم ، واحد على الشاطئ لحراسة حصن "سانتو اندريه" "Santo Andre" ، وآخر تجاه بوابات مبنى الجمارك ، ثالث موجه نحو ساحة العرض حيث سكن القائد ، اثنان آخران عند منطقة السوق ، والأخير مخبأ بعيداً عند وسط مجموعة من المنازل حيث يعيش الملك .

كل الذين هناك مزودون بمدافع صغيرة ، وآخر ضخم بجانب العديد من القطع الصغيرة التي أخذوها من أسطح المنازل ، ويجب على سموّك أن يأمر بتدمير تلك المنازل من المسجد وسوق الحرير حتى القلعة من ناحية البحر ، لأنهم يستطيعون من تلك المنازل أن يتسبّبوا في أضرار كثيرة للقلعة ، ومن القلعة لا شيء بعدها .

هاجموا القلعة لأحد عشر يوماً دون أن يتسببوا في أضرار مؤثرة ، بما أن هذه القلعة على جانب اليابسة قوية جداً ، فقد جاءت ليلاً خلال تلك الأيام بعض السفن لإطلاق النار على القلعة ، لكن من مسافة ليست بالقريبة ، حيث أصابها القليل جداً من الضرر ... ، قتلوا فقط عند اليابسة أربعة رجال وجرحوا عشرة أو اثني عشر وقتلوا جملاً لنا بواسطة طلقة واحدة ، من القلعة تمكنوا من تحطيم مدفعهم ، وأصابوا سواترهم بثلاث طلقات جيدة تسببت في أضرار كثيرة لهم .

من الحالة التي كانت عليها خنادقهم ومن بعض الأخبار التي أفاد بها بعض الرجال الذين كانوا في المدينة وظلوا هناك ، فمن الممكن أن نكون قد قتلنا ما بين ثلاثين إلى أربعين رجلاً ؛ في نهاية الأيام الأحد عشر جمعوا مدفعيتهم .

وفي اليوم السادس عشر من وصولهم إلى هنا ذهبوا إلى جزيرة قشن حيث كان الناس جميعهم هناك أو تقريباً الجزء الأكبر لهذه المدينة مع كل البضائع والأموال التي كانت فيها ، ولم يتمكن أي شخص من الهرب ، أخذوا كل شيء ... ، وحقيقة كما يقال كانت من أكبر الغنائم التي تمكنوا من الاستيلاء عليها في العالم .

عندئذ أخذ "بير بيك" القلعة مع ستين رجلاً برتغالياً مع مدفعية جيدة ، وتقدم بالهجوم على هذه القلعة التي كنا فيها ، وهي إحدى القلاع التي تمتاز بقوتها ، ودخل وقام بسلب ونهب هذه المدينة والتي قد يكون حصل منها ، وحملها معه أكثر من عشرين ألف "باردوس" ، وواصل تقدمه كما قلت لسلب ونهب جزيرة قشن .

كل هذا الاضطراب الذي أحدثه كان بواسطة سبعمائة رجل من المحاربين وألفين أو ألفين وخمسمائة من رجال الخدمة والبحارة ، وجمع ضخم من السفن الشراعية الصغيرة ... ، وحالياً يوجد بالقلعة سبعمائة من الرجال المقاتلين معظمهم من الرجال الأشراف المسلّحين بأفضل نوع من البنادق ، حقيقة إن كان لنا شيء نقوم به فيمكن لنا أن نأخذ المدفعية ونتسبب لهم بكل الضرر الذي نود .

بعث القائد في إحدى الليالي فقط "استيفاو لورنزو دو افيلار" مع

خمسة من الرجال ليذهبوا ويستكشفوا ويتجسسوا ، وأعتقد جازماً أن "استيفاو لورنزو" سيقوم بذلك ، لأنه فعلاً الرجل المناسب للمهمة ، ولأنه أخذ معه رفقاء سيساعدونه بصورة رائعة ، وهو الذي انتقاهم بنفسه ولم يتعد أي منهم حدوده .

وقد طلب لاحقاً من القائد أثناء وجودي ولمرات عديدة أن يمنحه الإذن بالمغادرة بحراً أو براً ، وسيأتي له بجاسوس ، إلا أن القائد لم يسمح له مطلقًا بذلك ، إنه شخص فيما يتعلق بمسؤولياته وفي كل شيء آخر يتعلق بخدمة سموّك فإنه يخدمك بصورة رائعة ، ويودّ بالنسبة له أن يرى ولو القليل من المعروف والإحسان .

في اليوم الذي غادروا فيه من هنا جاءنا اثنان من المسحيين ، أحدهما روسي الجنسية والآخر إيطالي وعرفنا منهما أنهم قليلو العدد ، وكيف أن عظيم الترك أمر "بير بيك" بعدم التقدم ومحاصرة هذه القلعة قبل القدوم إلى البصرة ، ومن هنا يأخذ رجالاً ثم يتقدم بعدها لحصارنا ، لكن يبدو أنه ونتيجة للضعف الذي وجده في مسقط اعتقد أن الكل سيكونون بمثل هذا الضعف ، ومازال موجوداً في جزيرة قشن ، لا نعلم حتى الآن ما الذي سيفعله شخصياً أو إن كان هناك رجالٌ سيأتون إليه من البصرة .

في اليوم الأخير من شهر مارس لهذه السنة جاء إلى أهل الجزر الجزائر باشا بغداد مع عشرة آلاف أو اثني عشر ألفاً من الرجال وانضم إلى باشا البصرة ودخلا معاً بطول بلاد "الجيزاريس" الذين وإن كانوا دافعوا عن أنفسهم وشنوا العديد من المعارك مع الروم واستولوا منهم

على ثلاثة قلاع منها واحده تسمى مدينة التي كانت القلعة الرئيسية التي يحتلها "الجيزاريس" .

عندما احتل "الروميس" القلعة بعد بأس شديد ، وبعد أن ظلوا لخمسة شهور بالبلاد على أثر العديد من القتلى بينهم وآخرون جرحى ، عاد إلى بغداد وترك القلاع بعد تموينها جيداً وعليها حامية من ألفي رجل .

بعث الحاكم إلى هنا سفيراً من عنده برسائل للقائد ورسائل أخرى لنائب الملك أطلعهم فيها على استعداده بالذهاب إلى أراضي الترك وإلى بغداد ، والتمس العون بسفن ومدفعية ليتقدم نحو البصرة ، وسيأتي عبر البر .

بعث له القائد في الحال بالرسائل إلى نائب الملك وأجاب بأنه سيوفر في هذا الموضوع كل ما يصب في خدمة سموّك .

جاءتنا أنباء من الحاكم أنّه دخل إلى بلاد عظيم الترك : هذا سيكون الوقت والفرصة المناسبة لنائب الملك أن يتلقى المساعدة منه ، لأنّ الآن ونتيجة للحاجة فإنّ له فضلاً ومعروفاً عند الحاكم ، وعليه أن يقدم له العون الضّروري برّاً حتى يتمكّن من الاستيلاء على البصرة ، وإن كان على السّفن أن تذهب إلى هناك فإن ذلك سيكون جيّداً جدّاً ، لأنّ هذا يدفعني بإحساس غالب أن ذلك سيكون من المفيد كثيراً في خدمة سموّك ، أن تحرق عشر سفن من أسطول الأتراك في مقابل احتلال القسطنطينية ...

وأود كثيراً أن يتقدّم نائب الملك نحو البصرة في السنة التالية ١٥٥٣م خلال شهر مايو ، حيث موسم رياح "المونسون" ويستطيع من

خلالها الحضور إلى هنا قبل أن يتمكن الأتراك من وضع أرجلهم في "الجيزاريس" ، وأن تحتل البصرة وتحرق السفن على الأقل ، وإن لم يتمّ ذلك فإن هذه البلاد ستضيع وستصبح القلعة تحت ضغط واضطهاد شديدين ، وإنّ بتأخّر تحريرها يصبحون هم أكثر قوة .

كل ما ذكرته لسموك يجري في هذه البلاد ، نتيجة لأنها نهبت وخرّبت مثلما حدث في كل مكان ، لأنّها لم توفر الحماية الكافية لتحرير الميناء التي أقامها الأتراك من قبل "البرتغاليين" لأنهم بعد إخلاء القلعة نهبوها بطريقة أكثر وحشية مما قام به الأعداء ، وهو الأمر الذي أحسسته كثيرًا وآلمني كثيراً ، كل ما شاهدته من عدم ثقة وأمانة من الذي فعل ذلك ، ومن الذي وافق على أن يتم ذلك ، لأنهم رجال جاؤوا بعد أن غادر الروم إلى منازلهم ، حيث عندهم مائة كيس من الأرز ووجدوا جنوداً يبيعونها دون أن يدروا أنهم أصحابها .

لم تكن هناك فائدة من تقديم شكوى بخصوصها ، لذلك بدا فقط السبب أن القائد بحضوره إلى هذه القلعة كان لينال الثناء والفضل من سموّك ، وليس ليصبحوا أغنياء في هذه الحالة كما كانوا يفعلون دائماً ، وهو الأمر الذي يخالف مصالح سموك ، لأنه الآن لا توجد شعرة يمكن أخذها لهذه البلاد ، وكل الأشياء أصبحت بلا قيمة .

ليغفر لي سموّك إن تحدثت وأطلت كثيراً ، لأنني قمت بذلك في أمور تخص وتتعلق بسموك ، وليس بسبب الآلام عن كونها تمت في بلادي ، ولذلك تشجعت بناء على قوانيني في الجزء الصغير الذي وقع على عاتقي لحكومة هذه البلاد ، بأنني رغبت دائماً أن أظهر الاعتراف

الكبير الذي يغمرني دائماً عن الإحسان الذي قدّم لي من قبل سموك ، بجانب أفضال أخرى أبديتها لي سموّك ، والتي لن أتمكن أبداً من الإيفاء بها ، وهذا يبدو بعيداً لأن الأمور التي قمنا بها في هذه البلاد ، حتى الآن ، تصب ضد سموك وتخالف ما أمره به الرب .

كتبت في السنة الماضية لسموك عن كيفية استيلاء "انتاو دي نورونها" على قلعة "القطيف" وما بعد استيلائه عليها ، وقدوم الأتراك من هناك الذين كانوا في "الأحساء" .

حيث عادوا إلى "القطيف" وكان هذا معلوماً لابن عمي رئيس مراد كبير وزراء البحرين ، وقد فعل ذلك مع العرب الذين ثاروا ضد الأتراك ، كان ذلك أمراً بسيطا له تأثيره عليهم على أساس الخلاف الذي بينهم والضرر الكبير الذي تلقوه منهم .

كتب ريّس مراد في الحال كل ذلك للقائد الذي يعد بأسطول مع "دوم فرانسيسكو دي الميدا" "Francisco de Almeida" كقبطان أول ، وكان قد منح تلك الرتبة في العديد من الأساطيل في احتلال "القطيف" وفي مثل هذا الحصار الذي أداه بصورة جيدة ويستحق عليه الثناء من سموك .

عند وصول الأسطول إلى "القطيف" قام العرب بمهاجمة الأتراك وقتلوهم جميعاً ، وقد وصل عددهم نحو مائة وستين رجلًا ، وأسروا قائدهم المدعو مراد بيك ، وظلت القطيف تحت سيطرة ريس مراد ، الذي يحتلها حتى الآن .

نبلاء مثل "دوم فرانسيسكو" يجب أن يكونوا في هذه القلعة لتقديم

الطعام للرجال الذين معهم ... ، وبما أن هذا يبدو لي ذا أهمية عظمى لخدمة سموك ، لذلك تجرأت بالكتابة عنه .

في ختام هذه الرسالة وصلتني رسالة من قشن حيث هناك "باربا نيجرا" "Barba Negra" مع أسطوله ، جاءت رسالة من باشا البصرة أمر فيها بعدم التحرك من مكانه ، لأنه سيبعث له برجال حتى يقوم بحصار هذه القلعة مرة أخرى ، لا أدري إن كان هذا سيتم أو إن كان "باربا نيجرا" سينتظر .

نحن مستعدون تماماً هنا لاستقبالهم والدفاع عن هذه القلعة ...

ليطيل الرب عمر سموك ودولتك .

من هرمز في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر **١٥٥٢**م

ريس نور الدين

على ظهر المغلف / العنوان : لسيدنا الملك

- من ريس نور الدين
- بواسطة الرحلة ثانية .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

وردت رسائل من "دوم ألفارو دي نورونها" ، "ريس نور الدين" و"سبستياو لوبيز" "Sebastiao Lopez" إلـى نائب ملك الهند ، في الثلاثين أو الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر عام ١٥٥٢م ، وجميعها تذكر أن الأسطول التركي احتل مسقط ، وتتضمن أخباراً عن التواجد التركي في المنطقة : [٩]

نسخة طبق الأصل من رسالة لـ"دوم ألفارو" جاءت بواسطة "فيرناو فارتو" :

سيدي ،

في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر وصل إلى هذه المدينة والقلعة "فيرناو فارتو" وسلمني رسالة سموك ، أعني فضيلتك والأخبار التي علم بها في "باسيم" عن السفينة التي جاءت إلى هناك من "موزمبيق" .

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

أخبار طيّبة من المملكة تفيد بأن سيّدنا الملك والملكة والأمير والأطفال جميعهم يتمتّعون بصحّة جيّدة والمملكة آمنة وتعيش في سلام .

كما قدّم لي أخباراً أيضاً عن صحّة فضيلتك الجيدة التي أفرحتنا نحن الموجودون هنا في هذه القلعة .

أقبل يدي قداستك للاطمئنان الذي أبلغنا به "فيرناو فارتو" عن أحوالكم ، مما جعلنا نقيم آلاف الولائم .

"بيري بك" غادر في الحال بعد الوصول وقد رأيت أنّه من الأفضل أن أنتظر حتى نعرف إلى أين يذهب هو بالضبط ، وكان ذلك بطول جزيرة "كويكسوم" (قشن) ، وقد غادر يوم أمس الأحد الثالث عشر من شهر أكتوبر هذا ، أعتقد بحسب الأخبار التي معي أنه سيغادر الجزيرة اليوم ، سيذهب إلى البصرة حسب المعلومات التي معي ، وإن لم يجدهم "فيرناو فارتو" فسيذهب من هناك إلى الرأس "الكيب" وسيسمع عنهم هناك .

اطّلعت أيضًا قبل يوم أو يومين أنّ رسالة وصلته من البصرة ، وأنّ الباشا كتب له بالمغادرة بأسرع ما يمكن لأنّه في حاجة ماسّة له هناك ، حدث ذلك بعد وصول "فيرناو فارتو" إلى هنا وحتى مغادرته .

أما ما حدث بعد مغادرة "روي لوبيز" "Rui Lopez" وحتى وصول "فيرناو فارتو" فسأذكره لقداستك ، كتبت لقداستك بواسطة "روي لوبيز" كلّ الأخبار التي حدثت لي مع الأتراك بعد مغادرة "بيرو فيرنانديز دي كارفالهو" "Pero Fernandes de Carvalho" الذي تم في يوم الأحد الخامس والعشرين من سبتمبر .

في يومي الإثنين والثلاثاء نصب الأتراك المزيد من بطاريات المدافع ، ثلاثة من نوع "الباسيليك" ، وواحد "اسبالهافاتو" التي مع ثلاثة أخرى كانوا قد نصبوها في السابق عندما غادر "روي لوبيز" فأصبحت سبعة مدافع ، وقاموا بواسطتها جميعاً بقذف نيرانهم تجاه السّور على جانب اليابسة تجاه منصة إطلاق ، والتي تداعت فيما بعد ...

كما أطلقوا نيرانهم أيضاً على حصن "سانت أندريه" كانت بطارياتهم موجّهة ناحية هذين المكانين ، وإن كانوا قد أصابوا كل الجدار والحصن ، فقد تسببوا في أضرار بالجدار وجزء كبير أصيب بثقوب دون أن يكون ذا فائدة لهم ، بما أن الجدار كان مصنوعاً من الجصّ الباريسي ، وهو المادّة الصحيحة والمناسبة لتلك الأسوار لقوتها وصلابتها ، لكن مما ظهر الآن فيبدو أن المدافع هي نفسها من القوة بمكان .

قد صبّوا تجاهنا الكثير من القذائف ، وأن الجدار بدأ في الانهيار ناحية بعض المنازل التي كان القباطنة يقيمون فيها وشخصي أيضاً ، وأصيبت أيضًا بالعديد من القذائف حتى تحطّمت وتناثرت الحجارة في كلّ مكان ، وأيضا أطلقت قذائف الحجارة التي سقطت على القلعة ، وتسببت لنا بأضرار بليغة وجرحت وقتلت بعض الرجال ، وأصابت الناس بفزع شديد .

بهذا الأسلوب قاتلونا يوم الثلاثاء ، في يوم الأربعاء رفعوا بطارياتهم وحملوها على ظهر السفن ، حالياً قاموا بالاعتداء علينا وطوقونا ، واستولوا على كلّ الجزء في البحر وأصبح من الصّعب وصول أي شيء إلينا عبره ، ومارسوا مراقبة هائلة وأصابنا التّعب في البرّ والبحر ، لم نتسبب لهم في

أضرار صغيرة لأنّنا حطّمنا كلّ الحصون الحجرية وبعثرناها وقتلنا أعدادًا كبيرة وبعضاً من المسؤولين الكبار ، ومن بينهم "الفيلد مارشال" التابع لهم ورئيس الشرطة .

كما حطمنا إحدى مدافع "الاسبالهافالتو" وهو أكبرها ، وأخيراً تسببنا لهم في مشاكل كبيرة وعرضناهم لمخاطر جمة حتى حسوا بالضياع ... ، ولهذا السبب ولنقص الذخيرة والإمدادات والبارود وأشياء أخرى تتعلّق بالحرب ، كانوا قد خسروا معظمها في السفينة التي غرقت عندما كانوا يعبرون المضيق قادمين إلى هنا .... ، كانوا قد اضطروا وأجبروا على التوقّف ورفع الحصار .

لا تمكنني سرد المشاكل الهائلة التي مرّرت بها لقداستك خلال كلّ هذا الوقت في الدفاع عن القلعة ، والدفاع عن أربعين سفينة كانت هنا في هذا الميناء ، بالإضافة لمراكب تجديف ترسو هنا تابعة لسموه ، كلّ هذا مع أملي في الله ولن أروي المزيد لقداستك عن المضيق الذي نحن فيه آملاً أن تأتي إلى هنا مع كل القوى التي في الهند لتشتيت شمل هؤلاء الأعداء والاستيلاء على البصرة ... ، وفي هذا الأمر كتبت بصورة مكثّفة لقداستك .

استولى الأتراك في حقيقة الأمر على مسقط كما كتبت لفضيلتك ، لأنّنا لم نتعلّم حقيقة ذلك حتّى حين قرّروا الذهاب ... ، عندها بعثوا إلينا برسالة في ليلة ما بواسطة برتغالي كانوا قد أخذوه إلى مسقط ... ، وتم الأمر بهذه الصورة ، حالما دخل الأسطول إلى المضيق تقدم "بيري بيك" مع كلّ الأسطول لحصار قلعة مسقط .

استمر في حصارها لسبعة أيام والتي في نهايتها ولمعاصي وآثام "جواو دي لسبوا" والذين في داخلها يتّفق الجميع على أنهم رجال يعيشون حياة الشيطان واستسلموا للأتراك ، خمسة من "البرتغاليين" مع "جواو دي ليسبوا" دون أي صكوك أو عقد من أي نوع ، وبضعف شديد ، وبدأ الأمر وكأن الرب قد أذن بذلك ، حتى يلقى هذا الرجل ومن معه العقاب على آثامهم وشرورهم ، أخذ "بيري بيك" المدفعية إلى هناك وستة براميل من البارود وكانت عوناً كبيراً لهم ضدنا .

بما أنني اعتبرت أن قداستك ستسر لمعرفة أصل "بيري بيك" ومسار حياته ، رأيت أن اكتب ذلك كما رويت لي :

هذا القائد المسؤول لهذا الأسطول التركي يدعى "بيري بيك" ، وكان يعتبر رجل بحر عظيم ومحارباً فذاً وتابعاً لـ "بارباروسا" ، والآن "روستاو باشا" يمثله ، وهو أحد أقرباء عظيم الترك ، بدأ حياته كقرصان في البحار الشرقية ، وكما يقول أصبح أسيراً للروس ، وظلّ تسع سنوات في السجن ، عندما احتلّ الأتراك "رودس" أصبح حراً ، وبعدها جعلوه قبطاناً .

استمرّ حتى أصبح قبطاناً لسفن ضخمة تبحر بين الإسكندريّة و"شبير" يقوم بحراسة البحر ، وبعدها أرسله الأتراك إلى القاهرة ليشرف على السفن الكبيرة التي يتمّ بناؤها في السويس ، لأنّه كان رجلاً يفهم في هذا الأمر جيّداً ، ومنحوه لقب بيك ، وهو اللقب عند الأتراك لا يقلّ درجة عن الباشا كثيراً ، وأخيراً جعل منه الأتراك قائداً أعلى لهذا الأسطول ، يقال إنّه يبلغ الستين من العمر ، وله ابن شاب .

هذا ما تمكّنت من معرفته عن هذا الأسطول وقائده .

يقال أيضاً إنّ عظيم الترك أمر الرجال بالذهاب إلى البصرة ، وعلى هذا الأسطول أن يذهب إلى هناك لإحضار أولئك الرجال ، والعودة بهم لقتال هذه القلعة ، نسأل الله أن يمد في عمر دولة فضيلتك لسنوات طويلة .

- أقبل يديك .

من هرمز في الواحد والثلاثين الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر للعام ١٥٥٢م .

أمرت بعض الرجال من هذه المدينة ، الذين يملكون خيولاً ينتظرون أخذها للجانب الآخر قبل قدوم الأتراك ، بعدم القيام بذلك لحاجتي لها حتى أراقب الجزيرة ، وكنت أقوم بذلك كل ليلة بواسطة أصحابها ... ، ولهذا السبب لم أجعلهم يعبرون بها كما أصدرت نفس الأمر لمن يملكون بغالاً عندما يصل الأتراك إلى هذه المدينة ، أخذت الخيول والبغال إلى داخل القلعة .

بدا لي بعد ذلك بأنها تستهلك الكثير من المياه فأمرت أصحابها بقتلها ، وبدأت بقتل أربعة مما عندي ، والتي كانت تساوي مبلغاً كبيراً من المال ، فقام الرجال بعمل نفس الشّيء ، وقتلت البغال أيضاً ، وقد حرّرت شهادات للجميع بأنّني من أمر بذلك ، والسبب في ذلك أنها خدمة لسموه وهم يحملون هذه الصكوك للمطالبة بالتعويض عن خيولهم وبغالهم ، ويمكنك أن تنفذ هذا الأمر لهم وتأمر بسداد المبالغ من خزينة سموّه .

ستقدّم لي فضلاً كبيراً عند إيفائك بهذا الأمر لي ، وهو مسألة صحيحة وعادلة في حقّهم ، طالما أنهم قاموا بنقل ما عندهم خدمة

لسموه في هذا الوقت الحرج ، ومن حقهم أن يأمر سموه بدفع التعويض لهم .

في خدمة فضيلتك

- "دوم ألفارو دي نورونها"

نسخة طبق الأصل من رسالة ريس نور الدين

وصلت عبر "فيرناو فارتو" :

سيدي ،

سلمني "فيرناو فارتو" رسالة فضيلتك التي وصلت في مناسبة سعيدة لم يكن هناك بأفضل منها ، لأنّها أكّدت لنا حرص فضيلتك العظيمة على هذه البلاد ، وخدمة سيدنا الملك ، لأن هذه البلاد محطّمة تماماً ، ولو لم تأت فضيلتك لإنقاذها لأنها في حاجة ماسة لذلك فستضيع بكاملها .

لكننا الآن سيعدون لإيماننا بأن فضيلتك ستلبي حاجتها الضرورية ... ، ومعنا معلومات بأن فضيلتك تجهّز أسطولاً ضخماً لما تستجوبه الضرورة في هذه البلاد ، ولك أن تؤمن بأننا الآن نشعر بخلاصنا من جميع مشاكلنا التي تنتظرنا لأنك تذكرتنا وقدرت ما نحن فيه .

كتبت لفضيلتك بواسطة "روي لوبيز" كيف ظللنا محاصرين براً وبحراً من قبل الأتراك الذين نصبوا ست بطاريات المدافع ضخمة ، وآخر هائل الحجم ، وبعض القطع الصغيرة على أسطح منازل الملك ، بالرغم من الأحد عشر يوماً التي هاجموا القلعة خلالها إلا أنهم تسببوا في أضرار بسيطة لقوتها وصمودها ، حطموا بعض الممرات الحديدية ،

ومن طلقة واحدة من القلعة حطمنا مدفعهم الضخم ، قتلوا أربعة من "البرتغاليين" وجرحوا بين عشرة أو اثني عشر ، وعلمنا بعد مغادرة الأتراك أنهم تلقوا أضراراً أكثر منا ، وذلك بسبب الطلقات الموجهة جيداً من مدفعجيتنا .

في الليلة الأخيرة عندما سحبوا مدفعيتهم ورفعوا الحصار ، بعثوا لنا بمدفعجي برتغالي كانوا قد أخذوه من قلعة مسقط ، جاء ليتحدث للرجال الذين كانوا على الجدار متوسلاً حتى تتم فديته ، هو والرجل الآخر ، وحتى ذلك الحين لم نكن نعلم بذلك ، وإن كان العديد من الهاربين من الخدمة اعتادوا الحضور سراً أثناء الليل ليتحدثوا مع الرجال عند الجدار ، لكنهم لم يقدموا سبباً لذلك .

ثم يعودون ... ، في النهار ، جاءنا أيضاً اثنان من المسيحيين أحدهما روسي الجنسية والآخر إيطالي ، وعلمنا بواسطتهما كل ما جرى في مسقط ، وهو الاعتداء على القلعة لستة أيام بواسطة محمد بيك ، ابن "بيري بيك" ، "باربا نيجرا" كبير قادة هذا الأسطول ، وصل والده في نهاية الأيام الستة مع ثلاث عشرة سفينة لأن ابنه مع ستّ سفن فقط تحت إمرته كان قد بدأ الهجوم .

بعد اليوم الذي وصل فيه والده "جواو دي لسبوا" سلمه نفسه وكلّ "البرتغاليين" الذين معه بشرط أن يسمح لهم بالأمن والسلامة للقدوم إلى هذه القلعة ... ، وقد التزم بالشروط تماماً فأخذهم على ظهر السفينة مكبّلين بالأصفاد مع أجساد مزقها الجلد بالسياط لهم كان أمراً عادلاً .

حقيقة بما ظهر من ضعف وجبن من طرفه ، فإن ما حدث لم يكن

في مقدور القبطان تأكيد فكرة أن يفديهم ، وقد فكّر كثيراً في المسألة لكنّه وافق على فدية النساء ، لكن أولئك الكلاب تعاملوا مع الموضوع بطريقة رديئة حتى أنّني خشيت ألا نصل لاتفاق .

بعد هذا ، وفي التاسع عشر من سبتمبر يوم الإثنين ، وصل "بيري بيك" في صباح ذلك اليوم إلى هذه الجزيرة مع خمس وعشرين سفينة شراعية ، ثلاث منها بأسطح عالية ، وكان قد غادر السويس مع خمس وعشرين سفينة شراعية وواحدة شراعية ضخمة وأخرى مثلها كانت برفقته مع مدفع القذائف ، سعة اثني عشر رطلاً والكثير من المدفعية والبارود والطلقات والذخيرة .. ، وكان قد فقدها في إحدى المياه الضحلة في عدن بعد أن اتّجه "باربا نيجرا" إلى المكان .

السفينتين والمركب أخذهما معه إلى مسقط ... ، وقد تصرف هنا بما كتبته في السابق لفضيلتك بأنه أخذ سفينة ضخمة تعود "لجواو نونيز" وهو من رجال بلدة "شول" .

بعد الانتظار هنا لستة عشر يوماً تقدموا نحو جزيرة "كويكسوم" قشن التي تقع على بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان ، حيث ذهب إليها كل الرؤساء من الرجال وتجار هذه المدينة مع بضائع بكميات هائلة ، ذهب ، فضة ، وعملات معدنية وكلها أخذها الأتراك دون أن يتركوا أي شيء .

صدقني فضيلتك إن هذه كانت أثمن غنيمة يمكن الحصول عليها في العالم ، وكل هذه الأشياء حصل عليها "بيري بيك" مع سبعمائة رجل فقط ومجموعة من السفن (الفارس) بينما كان في هذه القلعة

سبعمائة مقاتل ، العديد منهم يتبوؤون رتباً عالية وأروع سلاح من البنادق يمكن أن يتوفر ، ولو كنا علمنا أي شيء عن الأتراك لكنا استعدنا المدفعية وتسببنا لهم في أضرار جمة .

ويبدو أن عظيم الترك أمر "بيري بيك" بعدم حصار هرمز إلا بعد أن يتقدم إلى البصرة ليتزود بالرجال ، لكنه ونتيجة للضعف الذي وجده في مسقط ، قدر أن الكل بهذا الضعف وفي نفس المستوى ، ومن ثم نصب بطاريات مدافعه وصب قذائفه باتجاهنا .

وصلت أخبار من "لار" و"حيراز" (شيراز)؟ بأن "هالماظ "دخل إلى أراضي عظيم الترك من ناحية تبريز ، ولم تصل بعد ذلك أي أخبار أخرى عنه ، وإن وصل أي منها فسنبعث بها رأساً لفضيلتك بواسطة أي سفينة في طريقها إلى هناك ، بعثت بقارب إلى جزيرة "كويكسوم" (قشن) ليأتي لي بأخبار عما صمم زعيم الترك على القيام به ، ومن ثم اكتب لفضيلتك اليوم ، يوم الأحد الثلاثين من شهر أكتوبر عند المساء عاد القارب .

علمنا أنه في نفس هذا اليوم تجمع كل الأسطول التركي في موقع عند جزيرة قشن الذي أصبح الموقع الذي يتحركون منه عند مغادرتهم إلى البصرة ، وسيكون ذلك في هذه الليلة ، أسأل الرب أن يكون في ذلك دمار هؤلاء الناس لأن البشرى السعيدة بقدوم فضيلتك إلى هذه البلاد والتقدم نحو البصرة ، لن يستطيع أحد الإفلات من شباكك .

الرسالة التي بعثت بها إلى ريّس مراد أرسلتها له في الحال ، وأوصيته وطلبت منه الوقوف بقوة أمام الأتراك إن جاءوا إلى هناك ، وأن يقوم بالدفاع السليم والقوي في خدمة سموّه .

نسأل الربّ أن يزيد من عمر فضيلتك لسنين عديدة .

من هرمز في الثلاثين من شهر أكتوبر ، للعام ١٥٥٢م

ريس نور الدين

نسخة طبق الأصل

من رسالة "باستياو لوبيز لوباتو" "Bastiao Lopez Lobato" بواسطة "فيرناو فارتو"

سيدي ،

في التاسع عشر من سبتمبر وصل على مرأى من هذه القلعة "بيري بيك" القبطان التركي مع خمس وعشرين سفينة ، وثلاث أخرى ذات سطح عال ، نزل عند موقع "الكرو" على بعد ثلث فرسخ من هذه القلعة حيث لا تطاله قذائف المدافع .

جاء العديد من الرجال إلى المنازل القريبة من هذه القلعة ، وأطلقوا من هناك العديد من طلقات البنادق ، أصاب بعضها وسقط الباقي بعيداً ، مما تسبب في جرح بعض الرجال وقتلت ثلاثة منهم .

استمر الحصار طويلاً وأصابنا الضرر من أولئك الجيران والأشرار والأعداء ... ، ففي اليوم الثالث من وصولهم ، وضعوا مدفعين في منزل إقامة الملك من حيث أطلقوا نيرانهم باتجاه القائد وحطموا المكان ، وكان من الضروري إخلاء الناس والابتعاد عن أماكن أخرى كثيرة تستدعيها الضرورة وتجنب الخطر من القذائف .

نصبوا بطاريات مدافعهم في الرابع والعشرين من سبتمبر مع كل

مستلزماتها ، وعربات المدافع القوية جداً والمصنوعة بطريقة جيدة ... ، ووضح فعلاً أنهم يقومون بأعمال ممتازة ، وأنهم مجموعة ضباط متميزين وسادة في الأعمال الحربية .

يوم الأحد الخامس والعشرين وفي الصباح الباكر بدأوا بإطلاق النيران نحو الحصون وجدران هذه القلعة بقذائف كبيرة ، ورشقونا بقطع كبيرة من الحجارة وأكبر من تلك التي بعث بها القائد لفضيلتك ، بواسطة القارب الذي غادر من هناك في اليوم الأول من الاعتداء بمدافعهم .

استمروا لتسعة أيام يدكّون هذه القلعة من المواقع السبعة التي نصبوها في أماكن مخفية تماماً ، تصعب رؤيتها ومحاولة الردّ عليها بإطلاق النار - استمروا كل ذلك الوقت يطلقون نيرانهم دون أن يرتاحوا أو يتوقفوا لبعض الوقت ، وأيضاً نيران بنادقهم والتي رددنا عليها بنفس الطريقة ، مع أفضليتنا في تحطيم عربات المدافع التي كانوا قد تمكنوا من قتل بعض الرجال بواسطتها ، وكان من بينهم المدفعجي الأول "الفيلد مارشال" وبعض أصحاب الرتب العليا والمناصب .

صدّقني فضيلتك إن كانوا قد تسببوا لنا في مشاكل إلا أنّنا سببنا لهم ضعف ذلك ، وإن أصابونا بأضرار فإننا كبّدناهم أكثر بكثير ، ولم يدمّروا سوى بعض المراكز وأصيب بعضها بأضرار ، عندما تيقنوا من الأضرار التي لحقت بهم ، ولا مكان يحتموا فيه ضد قذائف مدافعنا وطلقات البنادق التي تنهال عليهم ، قاموا في ليلة الثلاثاء الرابع من أكتوبر بالانسحاب بكل مدافعهم ، والمدفع الضخم الذي تحطم بإحدى قذائفنا ، متعلّلين بتحطمه وهذا ما علمناه فيما بعد ...

زعم قائد الأسطول أنه كان في حاجة للبارود والطلقات ، لأنه فقد إحدى السفن في الطريق إلى هنا من عدن التي كانت تحمل كل البارود والذخيرة وقذائف وزن اثني عشر رطلًا ، كان قد أحضرها لمهاجمة هذه القلعة .

على أيّة حال فإن الربّ قد أمدّنا بفضله وجعلهم يغادرون من هنا ، وبعد الحصار كان هناك الكثير من العمل الذي علينا القيام به ، حتى نوفر للعدد الكبير من الناس الاستقرار بالرغم من القوات القليلة إلا أن الربّ يسر الأمر كما يجب أن يكون .

خلال هذا الوقت ولعدة أيام كان القائد مريضاً ، ورغماً عن ذلك كان يصدر أوامره ويرتب بأسرع ما يمكن لكل ما هو ضروري في كل مكان ... ، وفي معظم الأوقات التي تواجد فيها في أماكن مختلفة وعند الأسوار ، حيث معظم نيران المساء ، كانت قد أطلقت وهو يشجع الرجال لتعبئة بنادقهم ، ويساعد في تلقيم المدافع التي كانت منصوبة في مواقع خطرة .

حيث أصيب بعض الرجال بجروح وأيضاً المسؤول العسكري والمدفعجية الذين أظهروا مهارة فائقة ، وقدم لهم مبالغ مالية من ماله الخاص ، مما حفزهم أكثر وأبدوا شجاعة رائعة حتى ذهب عنهم الخوف والتعب من أي شيء ، وأدوا واجباتهم بطريقة ممتازة من خلال طلقاتهم التي كانت تصيب بجدارة .

الحديث عن المدفعجية يجعلنا نذكر "فرانسيسكو بيريز" رئيس العمال الذين كان يعلم كيف يوجه طلقاته أفضل من "جواو دي لا كامارا" D . Joao de la Camara" الرقيب الذي كان مع نائب الملك

"دوم فرانسيسكو دي الميدا" ، عندما قاد أسطول الروس على "ديو" الذي يقال عنه إنّه ومن خلال قذائفه التي لا تخطئ تسبب في غرق سفينتين من سفن العدو إلى الأعماق .

حالما دخل "بيري بيك" إلى هذا المضيق أرسل سفينة إلى البصرة يقال إنّها كانت في طلب الرجال ، لأنه أتى بعدد قليل إلى هنا ، وينتظر حالياً وصولهم حتى يعاود الهجوم بواسطتهم على هذه القلعة ، وهو الأمر الذي لا أعتقد أنه سيقوم به بحسب الأخبار التي وصلت عبر القارب الذي بعثت به فضيلتك إلى هنا ، ووصل يوم السبت في الثاني والعشرين من أكتوبر ، والذي فرحنا بوصوله كثيراً .

وتلقينا من فخامتك عبره استحسانك وإشارة برضاك لإرسالك له في هذه المناسبة ، وللأخبار الطيبة التي جاءت منك ، والسرعة التي تبديها في تجهيز الأسطول للتقدم بحثاً عن هذا الرجل ، ونحن على يقين بأن الربّ سيمنحنا نصراً مؤزراً وهو أملنا في الربّ .

غادر "بيري بيك" هذه الجزيرة إلى قشن وحاصر كل الجزيرة ونهب واستولي على جزء كبير من ثروات النبلاء والأغنياء بهذه المدينة كما قيل ، وحصل على غنائم غالية ونسأل الرب أن تأتي لنأخذها من بين يديه ، ولعل ذلك يتم من خلال البر والبحر وتدمير أولئك الأعداء ، وهو أمر في غاية الأهمية لتأمين هذه البلاد التي بين يدي سموه والفرصة تبدو سانحة .

هناك أخبار تقول إن "هالاماظ" قد دخل أراضي الترك واستولى على ثلاث مدن تعود لعظيم الترك ، ومتّجه نحو بغداد نيابة عن "الجزاريين" ... ،

ولهذا الغرض أمر قادته بالذهاب على رأس عدد كبير من الرجال ، وقد ذهب "إبراهيم غاي" من مدة ليخلصها من "الجزاريين" ، إن كان الأمر كذلك وجئت فضيلتك بالمساعدة وعون الرب سينتهي كل ذلك خدمة لسموّه .

يجب ألا تظل الأمور كما هي عليه ، وإنّ على فضيلتك الحضور لتضع نهاية وتترك بصمتك على هذا الأسطول ، فطالما أنه هنا لا يمكن الإبحار في هذا المضيق ، وستلحق بهذه القلعة أخطار جمة لعدم وجود أسوار يمكنها مقاومة حصار لفترة طويلة ، وعدم وجود ما يمكن جعلها تحتمل تلك الأعمال مما شاهدته خلال تلك الأيام القليلة من حصار هذه القلعة ، إذا ما تمّ التأخّر في أشياء هي في حاجة لها ، واسمح لي فضيلتك واعتبرني جاهلاً ، وهذا ما أعطاني الجرأة لأتحدث عن أمر بهذه الأهمية والنوعية .

تدرك فضيلتك جيداً أنني أعتبر أن إرسالي إلى تلك البلاد مشكلة كبرى ، وأعترف لك بأنني عندما وجدت نفسي فيها ، ومما رأيته وفهمته اعتبرت أن المسألة تستحق لأنها في خدمة الملك سيدنا ، ورأيت أنه بتكليفي قد أرسل لي إشارة تدل على فضل كبير ، وأعتبرها الأعظم منذ أن قام أسطوله بحصار هذه القلعة وأنا بداخلها ، حتى وإن يكن ذلك لفترة طويلة ، إلا أن الأخطار والأعمال لم تكن قليلة أو صغيرة تلك التي تقع على كاهلي ، وستعلم بذلك فضيلتك في الوقت المناسب .

أتمنى فضلاً وإحسانًا من فضيلتك بأن تكتب لسموّه وتذكرني عنده ، وتتحدث معه بما ترى أنه الحقّ ، وذكّره بأنني ولتسع وثلاثين سنة خدمتها في تلك الأنحاء دون أن أمنح أو يظهر نحوي أي إحسان أو مكرمة ، بل

المشاكل وخسارتي لثروتي التي لم أعد أملك منها من شيء ، كما أعاني التعاسة والحاجة لتربية عشرة من الأبناء والبنات والأعمال المرهقة التي أرجو أن تعفيني منها فضيلتك حتى أنعم بالراحة .

مع هذه الرسالة أبعث بمذكرة بكل الأشياء التي تحتاجها هذه القلعة ، ويجب توفرها لأن الوقت يتغير ويمر ونحن في حاجة ماسة ، والأشياء غالية هنا حتى أن العصا تصبح وكأنها مصنوعة من الذهب ، أرسلت بنفس الفحوى إلى المراقب في الخزينة .

مبلغ الثمانين "لاك" (اللاك = مائة ألف) التي ستجمع من إيجارات أملاك الملك في هرمز المستحقة في هذا الوقت على الخيول وتعرف "بالأشرفي" وإيجار دار سكّ العملة كلها تحطمت مع قدوم هذا الأسطول ، ولم تأت الخيول ، ولم تكن هناك دار لسك العملة أو أي مبلغ إيجارات أخرى جاءت لهذه البلاد ، لكن بقدوم فضيلتك الميمون فإن كل شيء سيوفر لهذه المدينة والمملكة .

الأمل معقود في الرب وفي فضيلتك ، إن حدث أي شيء خلال هذا الوقت سأهتم به خدمة لك ، بقدوم هذا الأسطول أظهرت أعداد كبيرة من سكان تلك الأنحاء من ساحل الجزيرة العربية وفارس رضى وقبولاً للأتراك والوقوف بجانبهم أكثر من جانبنا ، وقاموا بزيارتهم وتقديم الهدايا لهم وزوّدوهم بكل الإمدادات .

وقدموا لهم عروضاً جيّدة باستثناء "ميراموشا" "Miramocha" الذي أبدى إخلاصه ووفاءه كتابع لسموه ومخلصاً في خدمته بدرجة كبيرة ، وعلى فضيلتك أن يصدّقني بأنني لا أعرف أحداً قام بأكثر منه على

الحراسة والاهتمام بكل برتغالي ظل موجوداً في هذه البلاد ، ووجد صعوبة في الحضور إلى هذه القلعة منذ أن قام العدو بمحاصرة القلعة بحراً وبراً .

كما قدم الكثير من الإحسان لكل المسيحيين الذين كانوا بأعداد كبيرة والذين بعث بهم القائد واعتنى بهم وحرص عليهم ، وقدم له من وسائله الخاصّة كل شيء وأظهر بهذا العمل وكأنه مسيحي وليس مسلماً ، وكان أكثر ولاء لسيدنا الملك عن "البرتغاليين" الذين سلّموا حصن مسقط للأتراك دون أي سبب يبرّر ذلك ، ولا حتى بسبب أن عدداً كبيراً من المدافعين عنه قتلوا أو جرحوا خلال ذلك ، لأن من ماتوا ما كانوا أكثر من ثلاثة .

أما الأحياء فهم مدنيون ومتّهمون بالخيانة للرب ولسموه بسبب استسلامهم وأيضاً لفضيلتك ... ، وقد تلقينا أخباراً بأن "بيري بيك" في طريقه إلى البصرة ، وسيستطلع كل الأماكن والموانئ في هذا المضيق ، لأنّ ما يتم هنا لم يقم به لا اللصوص ولا القراصنة كما فعل هو ، ولم يواجه أي صد أو مقاومة أياً كانت .

لعل الرب يأتي ويحاسب الجميع على هذه الأشياء ، ويمنحنا النصر عليه .

نسأل الله أن يمد في عمرك ودولتك الذي ليس لنا سوى تقبيل يديك .

كتب في هرمز في اليوم الأخير من شهر أكتوبر للعام ١٥٥٢م

"باستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث رئيس المهنيين في "غوا" (سلاح الهندسة) رسالة إلى الملك ، "كوتشين" في الخامس والعشرين (أو الثامن والعشرين) من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها أخباراً عن وصول الأتراك : (١٠)

الأمير الأعلى والأقوى سيدنا الملك ،

المهنيون الرؤساء الأربعة في مدينتك النبيلة والمخلصة "غوا" ، يقبلون أيادي سموّكم الملكية ويصلون لسيدنا الرب ليزيد من سني حياتكم ويوسع من رخائك ورفاه مملكتك .

فقرة : أولاً : لا يوجد عدل في الهند ولا طرف نائب الملك ولا الذين يقومون بإدارته .

فقرة : مولانا ، أخبار أن (الأتراك يجهزون في المضيق للهجوم على هرمز) قد نقلتها السفن السريعة التي قدمت من المضيق في مايو .

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

نائب الملك استمر في نومه (تجاهل الأمر)

عندما وصلنا إلى بداية سبتمبر وصلت الأخبار بأن الأتراك في عدن ، وأنهم يتوجهون إلى هرمز ... ، وما يزال نائب الملك في رقاده .

بعد ذلك جاء مركب "كاتور" من هرمز وقال إن الأتراك عبروا بالفعل رأس الحد ، وأن هناك خمسا وعشرين سفينة "غاليون" .

إنهم الآن (جماعة نائب الملك) بدأوا الاستعدادات ولكن ببطء يمكن فيه للأتراك الاستيلاء على مسقط وأسر ستين برتغالياً .

المدعو "أنطونيو دي ليسبوا" "Antonio de Lisboa" كان قبطاناً هناك وقد استسلم بدون قتال ، إذا كان قد قاتل فربما هز جموع الأتراك ، ولكن هو خائن باع القلعة بالمال .

من مسقط ذهبوا إلى هرمز ونهبوا المدينة وحطموا القلعة ثم غادروا إلى البصرة .

كل هذا وقع بسبب الإهمال والتأخير .

في العشرين من شهر نوفمبر عندما كان نائب الملك يتأخر ومع أسطوله في "تشول" وصل "فيرناو فارتو" من هرمز بأخبار تفيد أن الأتراك قد أبحروا إلى البصرة ... ، وضاع الوقت كله في المتع والملذات!

فقرة : الشغل الشاغل هنا هو جمع أكبر مبلغ من المال ممكن بكل الوسائل الممكنة ومن البعض بالقوة ومن الآخرين بالحسنى ومن غيرهم بالابتزاز ... ، أما بالنسبة للطاعون والأمراض التي يتحدث عنها الأهالي فنأمل من الرب أن تسفر عن لا شيء .

لأن سموّكم سوف تعملون بكل هذا فلسوف نسكت عن القول ، لا أكثر .

فقرة : مولانا ، نقسم لسموّكم بولائنا للرب ولكم أن المستشارين البلديين لا يكتبون الحقيقة كما يجب عليهم .

أن "جورجي جارسيا" مستشار بلدي وهو خادم "للمركيز" السابق ، وبمنحه نائب الملك (Bares) لجزر "الباندا" وجزر الملوك .

لقد جعل نائب الملك من "مانويل دي سا" مستشاراً بلدياً في محل "مانويل (فاسكو نسالوس)" وأخذ بمبلغ ستمائة "بارداوس" من حسابه ودفع "لبايو رويز دي اراجو" وهو مستشار بلدي آخر أربعمائة "برداواس" ، وهكذا فإنهم لا يقولون ولا يكتبون لكم بالحقيقة .

مولانا ، نذكركم بموت ملك "سيلان" والخيانة التي عومل بها بيت ماله وخزانته إلى حد أن "البرتغاليين" أخذوا كل نصيبهم ولا أحد من المسلمين الآن يثق في برتغالي .

بالتأكيد لقد تم قتل ملك "سيلان" وسلبت خزانته فالمسلمون لا يتحدثون عن شيء غير هذا .

فقرة : مولانا ، نخبركم بأن نائب الملك قد أرسل يطلب من "عادل خان" قرضاً بمبلغ مائة ألف "بردواساً" من الذهب .

أجابه "عادل خان" عبر السفير أنه بسبب صداقتهما فإن على نائب الملك أن يوفر له الرجال والمدافع ، لأنه محاط بالأعداء بينما نائب الملك يسأله عن المال .

السفير المبعوث ما يزال هناك .

كذلك فلقد أرسل يطلب من "ايزاماكو" (عيسى مالك) المال ، بل وإن "فرانسيسكو مانهوس" قد ذهب إلى هناك .

كما سأل "خواجا شمس الدين" في "كانانور" "Cananor" المال أيضاً ، الأمر الذي صدم العديد من المسلمين الذين كانوا يقولون إن ملك "البرتغال" على الرغم من أنه ملك عظيم إلا أنه يستجدي القروض من الأموال .

فقرة : لقد أقرضت هذه المدينة نائب الملك اثنين وعشرين ألفاً من "البرداواس" ، غير بعض المبالغ التي استحوذ عليها من المدينة نفذت منه ، ولقد أخذ مبلغاً ضخماً ليدفع للرجال في الأسطول الذي ذهب معه (نائب الملك) .

فقرة : مولانا ، أرسل رجلاً حكيماً صاحب تقدير ومعرفة وأخلاق إلى الهند ، رجلا لا يصدر أكوام أوراق تناقض كل واحدة منها الأخرى في كل شيء وأرسل نبلاء ...

(نص ناقص)

مولانا ، ها هي بعض أوراق رسومات توثّق لأحواض السفن الملكية البحرية والسفن الحربية ، ولكن سموّكم أمرتم برسومات أخرى بواسطة الآباء الدومنيكان والأخوة ... ، وهذه تتناقض جذرياً مع تلك التي ترسم حالياً والتي رسمت تحت الخوف ، والرجال يعرضون حياتهم وأرواحهم للهلاك بسبب الرعب .

فقرة : مولانا ، نذكركم بتولية قيادة الحصون والقلاع رجالاً ناضجين يخاف منهم العدو ويمكنهم حكمها بشكل جيد .

فقرة : مولانا ، تبحر سفينتان تركيتان عبر هذا الساحل طوال الصيفين المنصرمين ، ولم يتم شيء حيال ذلك بسبب اللامبالاة ، هذا هو خوفنا ، فالناس خائفون ، والسفن وضعت في أيدي أطفال ليتآمروا عليها .

فقرة : مولانا ، نطلب الرحمة ، الرحمة ، الرحمة ، أغثنا ، يا رب وأنجدنا ، يا الله ، لأننا نغرق ، وإذا ما سقطت دولتنا فلسوف لن تنهض من جديد ، يموت سيدنا المسيح وعذاباته ... ، أنجدنا يا الله وابعد عنا الانهيار ، لأنه إذا ضعنا فإن العديد من الأبرياء في هذه البلاد سوف يفنون وهم كثر .

فقرة : مولانا ، هذه الرسالة غير موقعة لأننا لا نجرؤ على ذلك حتى لا يعرف أننا نكتب لجلالتكم .

فقرة : مولانا ، نطلب أن يتم تمزيق هذه الرسالة فلا يطلع عليها أحد غير جلالتكم لأنهم سوف يقتلوننا ، الرسالة تصلكم عبر "بيرو فيرنانديز" الذي كان كاتباً في السابق للملكة سيدتنا ، وهو صديق عزيز "لجورجي جارسيس" ، المستشار البلدي يقوم بأعماله في البرتغال .

لأجل سيدتنا العذراء وللربّ دعنا لا نتألم لأننا نكتب لسموّكم الحقيقة .

ليمدّ الإله العظيم في أيام حياتكم في ظلّ ملككم العزيز .

من المهنيين في مدينتكم "غوا" .

في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام **١٥٥٢م**

"مارتيم غوميز" "Martim Gomez" / "ديوغو"/ "جواو مارتنز" "Joao Martins"

"ألفارو فيرنانديز" "Alvaro Fernandes"

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

وردت رسالة من القاضي وكبار رجال "غوا" إلى الملك ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٢م ، يذكرون فيها استيلاء الأتراك على مسقط : (١١)

لصاحب المقام العالي صاحب السلطة الأمير والملك ، سيدنا .

نحن الأربعة ، ممثلي التجار لمدينتنا النبيلة المخلصة "غوا" ، نقبل يدي سموك الملكي ، ونسأل الرب ليمنحك نعمة الحياة ويزيد من ملكك .

سيدي ،

نحن أتباعك سنبين هنا بعض الحقائق لسيدنا الملك :

أولاً : لا توجد عدالة في الهند ، لا من نائبك في الملك ، أو من الذين يعملون على إرسائها .

سيدي ،

إنّ الأتراك يستعدون في المضيق حتى يأتوا إلى هرمز ، وقد وصلتنا

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

هذه الأخبار عبر مراكب قادمة من المضيق في شهر مايو ، لم يتّخذ نائب الملك أي موقف سريع تجاه ذلك .

في بداية سبتمبر جاءت أخبار بأن الأتراك في عدن ، وفي طريقهم نحو هرمز وأيضاً لم يول نائب الملك اهتماماً بالأمر .

جاء لاحقاً مركب من هرمز اليوم يقول إن الأتراك عند "رأس روزالجيت" حالياً ويتجهون نحو الداخل ، وأن معهم أسطولا من خمس وعشرين سفينة ، عندها بدأ هو في الاستعداد ، لكن بأسلوب بطيء ، وسمح ذلك للأتراك واستولوا على مسقط مع ستين من "البرتغاليين" ، وفي ذلك الوقت استسلم القائد "أنطونيو دي ليسبوا" دون أي قتال ، لأنه إن حارب كل تلك القوى من الأتراك لتسبب ذلك في إحراجه ، وكان مثل "شائين" اشترى القلعة دون مال .

ذهبوا من مسقط إلى هرمز واجتاحوا وسلبوا المدينة ، وقذفوا القلعة بالقنابل واتجهوا نحو البصرة ، وكل ذلك بسبب تأخيره وقلة اهتمامه .

في العشرين من نوفمبر ونائب الملك لازال متخاذلاً وغير مهتم في "شول" مع الأسطول ، وصل "فيرناو" و"فارتو" من هرمز ، يحمل أخباراً بأن الأتراك ذهبوا باتجاه البصرة ... ، سيدي انقضى كل الوقت في اللعب واللامبالاة .

انصب كل الاهتمام في جمع الأموال بكل السبل والوسائل التي يمكن القيام بها بعضها بالقوة ، وأخرى بالرغبة من الآخرين نوعاً من الطغيان ، بأمر الرب فإنّ البلاء الذي يتحدث عنه الناس لم يكتمل

بعد ، وحتى بعد هذه المعلومات القليلة عن هذا الموضوع ، هل يمكن أن تكفّ عن الحديث أكثر؟!!

سيدي ، نتضرّع لك بكل الإيمان الذي ندين به للرب ولسموك ، وإن كبار رجال هذه المدينة لا يكتبون الحقيقة كما هي ، لأن "جورجي جارسيا" "Jorje Garcia" أحد كبار السن وعامل عند "المركيز" الكبير ، وقد قدم له نائب الملك الكثير من المكرمات في "باندا" و"مالوكو" .

وجعل من مانويل دي ما أحد كبار الرجال في مكان "مانويل دي فاسكونسيلوس" ، الذي حرمه من ستمائة "باردوس" من حسابه ، ودفع لـ "باجو رودريجيز دي آرانجو" "Bajo Roderigues de Aranjo" أربعمائة "باردوس" ، بهذه الطريقة لن يكتبوا هم الحقيقة ولم يفعلوا .

سيدي ،

مؤكد أن الأتراك سيعودون إلى هرمز مجهزين بأفضل ما لديهم ومزودين بالرجال ، لأنهم جاءوا الآن بخمس وعشرين سفينة وثمانية من الرجال المحاربين ، وإن عادوا ووجدوا "دوم أفونسو" في الهند فستضيع هرمز نتيجة للتجاهل والإهمال من جانب نائب الملك .

سيدي ،

نذكرك بأن وفاة ملك "كولام" "Colam" وملك "سيلو" ، وبالأعمال الوحشية التي مورست نحو قيادته ، وكان بطريقة أفقدته ثقة "البرتغاليين" والآن لا يوجد مسلم يثق في برتغالي ، قتلوا ملك "سيلام" وأخذوا ثرواته ولا يتحدث المسلمون سوى عن ذلك .

سيدي ، نحن نعرفك كيف أن نائب الملك أرسل طلباً من "عادل خان" لسلفه تبلغ مائة ألف "باردوس" من الذهب ، ورد "عادل خان" على المبعوث أنه وبسبب الصداقة التي بينهما يمكنه أن يبعث له كمساعدة رجلاً وقذائف ، كونه محاصراً بالأعداء ... ، وبما أن نائب الملك أرسل الآن يطلب مالاً ، وحتى الآن مازال المبعوث هناك .

كما أرسل أيضاً يطلب مالاً من "ايزا ميلوكو" "Eza Miloko" و"فرانسيسكو مانهوس" "Francisco Manhos" ، وأيضا طلب من "سيم سادیم" في "كانانا" وقد أدهش الأمر المسلمين بصورة كبيرة ، والذين قالوا إن ملك "البرتغال" يطلب القروض وهو سيّد عظيم .

أقرضت هذه المدينة نائب الملك ألفي "باردوساً" بجانب الابتزازات الكثيرة الأخرى التي مارسها في المدينة ، وطلبه للقرض جعل المدينة تحت ضغط هائل ، وحتى أجور رجال الأسطول كانت معه .

سيدي ،

فلتبعث سموك إلى الهند برجل حكيم وعاقل وحريص ، رجلاً في مسألة واحدة لن يسحب كل الأوراق ضد بعضها البعض ويخلطها في كل مناسبة ، أبعث بنبلاء من الرجاء يجتمعون ويتشاورون ، لأن الجميع هنا جاءوا للكسب غير الشريف باستثناء "فرانسيسكو باريتو" "Francisco Barreto" القائد السابق في "باديم" .

سيدي ،

سحبوا سندات من هنا تتعلق بأحواض السفن وترسانة الأسلحة ،

وعليه إن أصدرت أوامر أخرى بسحب غيرها للرهبان أو "فرانسيسكو فارتو" فستذهب في وجهة مخالفة لتلك التي سحبت الآن منها ، والتي نمت تحت الخوف الذي يعيشه الرجال .

سيدي ،

نرجو أن نذكرك أن تعين للقلعة رجالاً شجعاناً لا تخيفهم الأعداء ، والذين يستطيعون حكم وقيادة قلاعهم .

سيدي ،

اثنان من مراكب الأتراك تجوب الساحل في موسمي الصيف الماضية ، ونهبوه دون أن يواجههم أحد ، وكل ذلك نتيجة للإهمال ، حتى أصبحنا نخشاهم ... ، ويتم كل ذلك في وقت تقام فيه الولائم والحفلات ، في وقت سلام!

سيدي ،

إننا نطلب الرحمة ، الرحمة ، ساعدنا يا سيدي "السنيور" لأننا نغرق ، وإن سقطنا لن تعلو دولتنا أو ترفع رأسها مرة أخرى ، باسم الرب الذي يمتحننا ، لا تدعنا نضيع ، لأننا إن خسرنا فسيضيع الكثير من الأبرياء هنا في هذه البلاد .

سيدي ،

لن ترسل هذه الرسالة وعليها الختم ، لأننا لن نتجرأ في طلبه حتى لا يعلموا بما نكتبه لسموك .

سيدي ،

نرجوك أن تمزق هذه الرسالة ، ولا تجعل أي أحد يراها سوى سموك ، وإلا سيكون الموت من نصيبنا لأن "بيرو فيرنانديز" الذي كتب في السابق للملكة كان صديقاً وفياً لـ "جورجي جارسيا" ، أحد الكبار ، ويقوم بواجباته هنا حباً في سيدنا الملك ، وربنا ، ولا نريد نحن عبر كتابتنا أن يصيبنا أي شر .

نسأل الرب القدير أن يمد في عمرك ودولة سموك .

من تجار مدينتك "غوا"

في الخامس والعشرين من نوفمبر للعام ١٥٥٢م .

"مارتن جوميز" "Martin Gomez"

"ديوجو فيرنانديز" "Diogo Fernandes"

"جواو مارتنز"

"ألفارو فيرنانديز"

على العنوان :

إلى سيدنا الملك

من تجار مدينة "غوا"

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

بعث الأب "لودوفيك فرويس" "lodewijk Freus" رسالة إلـى الآباء والإخوة في "الجمعية اليسوعية" في البرتغال ، بتاريخ الأول من شهر ديسمبر عام ١٥٥٢م ، يتحدث فيها عن التنصير في هرمز والأوضاع في مسقط بعد احتلالها : [١٢]

مقتطفات :

تبعاً للضمير العام ولما يحسّه كل واحد منا عنه ، فإن الأب الرئيس "فرانسيسكو" هو عالي المكانة في فضائله ، وله اعتباره في عمله ، وله طموح كبير لأن تكون الخدمة والمجد والشرف الإلهي متزايدة في الجمعية عبر تذكر الروح القدس ، فلا شيء يمكننا ترتيبه ليحدد توسعته والحفاظ عليه ، ولم يتم أولاً الكشف عنه بالإنصاف المقدس ، وقبل كل شيء بانعكاسه في قلوبنا عبر فؤاده .

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

قبل مغادرته رتب أن يوزع مناصب للآباء في أماكن عديدة للمنافع الروحية للأهالي ولخير الجمعية وتوسع أعمالها الخيرية : -

لقد أمر الأب الرئيس "بلشيور" بالذهاب إلى "باسين" ليرأس الجمعية الدير هناك مع الإخوة "فيرنال دي اوزوريو" "Fernal de Ozoreo" و"جيل باريتو" "Jill Barreto" و"فولغنسيو فريري" "Volginsio Friere" (كان قاضياً سابقاً في "ديو" وتم قبوله في جمعية "باسين" نفسها) .

كما أمر الأب "فرانسيسكو هنريكس" "Francisco Henriques" بالذهاب إلى المسيحيين في "تانا" ، والأب الرئيس "غونسالو" "Goncalo"[أ] إلى هرمز ليحل محل الأب الرئيس "غاسبار" ، وعلى الأب "أنطونيو دي هيرديا" "Antonio de Herdia" الذهاب إلى "كوتشين" والأب "أنطونيو جوميز" عليه المغادرة إلى قلعة "ديو" .

لن أعرض هنا للنتائج التي أثمرت عن تحركات هؤلاء ، ولن أعالج العون الرباني الذي منحنا إياه ، لأنك لابد أن تعرف كل هذا من الرسائل ، ناهيك عن الحقيقة أنه أكبر من فهمي المتواضع ، ولا أملك المقدرة على التحدث والمدح في مدى قدسية وفلاح ذلك .

٥- الأخ "ألفارو ميندیز" أرسل إلى هرمز (٢١٣ في) واستقبله الأب الرئيس "غاسبار" ، إنه رجل فضيلة .

الــذي يحيطــه الرب بوضــوح كامــل بالحب والرعاية في الطريق وفي البلاد .

(أ) الأب "فوتسالو رودريغيز" .

لقد أثبت لنا نفر من الشهود إنّه قبل وصول الأخوة الكهنة في هرمز أن ثلاثة أو أربعة من المراكب الصغيرة قوامها مجموعة من الملاحين(أ) المحترفين قد انطلقت في محاولة للحاق به والنيل منه ، وذلك بعدما رأوه يبحر في طرادة (ب) صغيرة أخذها من مسقط كي يحاول الوصول بها بشكل سريع .

ظل أولئك الرجال يطلقون عليه سهاماً عديدة محاولين قتله ، حتى خر ساجداً يدعو ربه ، وكان يعلم أن ما يمكن أن يلحقه من مضايقة واضطهاد أقسى بكثير من أي ألم يمكن أن يسببوه له ، وبفضل الربّ وعطفه طاشت جميع سهامهم التي صوبوها نحوه وتساقطت بجنبه ، فلم يصب بجراح ، ولم تصل إليه هذه السهام قط ، كما إنها لم تصب أي فرد من مجموعة البحارة العرب الذين كانوا معه ، وهكذا فشل أولئك القراصنة في القبض عليه ، ومن ثم اضطروا للعودة .

إضافة : كان هناك خمسة من الكهنة الآباء وسبعة وعشرون راهباً فضلوا البقاء في "غوا" ، من ضمنهم الأب "باولو" واثنان من الكهنة هما "ألبيرتو دي آروجو" "Alberto de Arogo" و"بدرو دي الميدا" "Francisco de Almeida" و"أنوفريو رودريغيز" "Enoverio Roderigues" للعناية بالأطفال الذين يبلغ عددهم مائة وأربعين طفلاً بعضهم أيتام وستين من الهنود .

(أ) "توثاقوس" ، قراصنة وصفهم كوريا وصفاً حياً – المجلد ١ ص ٧٩٣.

(ب) طراده ، عبارة عن سفينة صغيرة وصفها "بالقادو" – طرادة– تعنى بالعربية طراد ، وهو عبارة عن مركب صغير خفيف لا تستخدم المسامير في صنعه . ، وقد اختلف الكتاب في وصفه حيث نسبوه بصفة خاصة إلى هرمز .

كان اثنان من الآباء الكهنة واثنان من الإخوة الرهبان قد أبحروا في الأسطول الذي وجه لمحاربة الأتراك ... ، وهؤلاء الآباء الكهنة هم الأب "أنطونيو فاز" "Antonio Vaz" و"فرانسيسكو لوبيز" "Francisco Lopez" ... ، أما الإخوة الرهبان فهما "فرانسيسكو دوراو" "Francisco Dorao" و"جيلهرمو بيريرا" "Jilhermo Perriera" .

إخوتي وأحبائي ، دعونا نواصل الدعاء والشكر للرب ، فهو حامينا وراعينا وآيات عطفه وحبه الذي يحيطنا به جلية وواضحة للعيان .

١٠- كان "باتاسار غاغو" "Balthasar Gago" قد أخذ معه لليابان حلياً وزخارف قيمة من المخمل والحرير ، وبالمثل مجموعة من السجاد الفاخر ، كما أخذ أيضاً هيكلاً أنيقاً (مذبح الكنيسة) وأشياء أخرى إلى مطران الكنيسة ، وكان مثله مثل شخص يمني نفسه بتحقيق أهداف وغايات مرجوة .

أيضاً أخذ معه الكثير من الأشياء الأخرى التي كان الأب الآمر "غاسبار" قد جاء بها من هرمز ليأخذها إلى "اليابان" سيما إنه كان يأمل أن يلتقي به .

١٥- يمكنك الاطلاع على أسلوبه في التفاوض من بول نفسه الموجود في هذا المجمع ، وبالمثل الكثير من الأخبار عن الإنجازات التي حققها الملك في هرمز بواسطة الأب "غاسبار بارزيو" ووكالته[أ] .

بعدما غادر "بول" بدأ الأب الآمر "غاسبار" في بناء المجمع في موقع

(أ) بول من جماعة الذهب المقدس الأهالي هرمز لقد غادر هرمز في ١٥٥٠ متجهاً للبرتغال و"روما" .

المسجد [أ] الذي يؤول إلى "اليوغي" حيث اتخذه مقراً لتعليم عشرة أو اثني عشر من الرهبان الأمور الدينية ، ولقد وصف الكهنة الذين يقيمون في الدير أسلوب تعامله في تدريسهم الدعاء والتذاكر ، وقد توفي خمسة منهم قبل أن يغادر إلى الهند [ب] متأثرين بحرارة الصيف اللاهبة التي لا يوجد لها مثيل في أي من البلدان الأخرى .

عموماً كان معظمهم يمتلك المقومات والصفات التي تؤهله كي يصبح خادماً جيداً للرب ، لكن شاءت إرادة الرب أن تظهر تميزهم وكفاءاتهم في الحياة الدنيا .

١٦- نجح الأب الكاهن في العديد من المناسبات أن يجذب انتباه الملك ويستميله للدخول في المسيحية ، لكن تبدد كل هذا بواسطة جهود ومحاولات البعض من أعضاء مجلسه ، فتوقف عن هذا الأمر .

بالرغم من ذلك ما يزال الآب يأمل في هدايته ... ، وبرغم إلحاده وكفره إلا أنه رغب في تخصيص السناهية للمجمع ، وكثيراً ما قدم الصدقات للبرتغاليين نظراً للحب الشديد الذي يكنه للراهب .

أما الأخير فقد تمكن من استئصال عادة التعامل بالربا والفوائد في البلاد ، ونجح في وقف الكثير من أعمال الشرور والآثام [ت] .

أيضاً نجح في هداية إحدى الإناث من أقرباء محمد و"الشاه

(أ) المسجد يعني المعبد .

(ب) لم تعرف أسماؤهم.

(ت) انظر كتبة الهند المجلد ١ الوثيقة ٨٧ .

طهماسب"[أ] للمسيحية ...، ومؤخراً تلقت مبلغ خمسمائة "كروزادوس" كمساعدة لها في زواجها [ب] .

كان يدفع للجنود ويطعم الفقراء ، وقد علمنا من خلال رسائله التي كتبها إلى هذا المجمع من هرمز ، أنه أنفق خلال السنوات التي قضاها هناك مائتي ألف "بارادوس" [ت] على عقد زيجات وبعض أعمال الإحسان والبر ، وبالتالي عادت أعماله تلك بالكثير من الفوائد للمذهب الديني هناك ، وذلك في وسط القضاة العموميين ومسؤولي الملك ، وبالمثل وسط الكتبة أيضاً ... ، ولم يكن يتم إنجاز أي عمل إلا بعد صدور قرار منه .

كانت هناك عدة اعترافات يقوم بها الكتبة ، ولم تتوقف تلك الاعترافات حتى بعدما ذهب الأمر "غاسبار" إلى هرمز ، لقد كان رجلاً حازماً في حياته ، لكنه كان عطوفاً جداً في حديثه ، إذ بوسعه استمالة كل من يتحدث إليه ، وكان يقوم بالتبشير طيلة أيام الأسبوع .

عندما غادر "د . أنطونيو" [ث] ابن أخ نائب الملك هذه المنطقة في أسطول لمواجهة القطيف ، بعدما اكتملت عملية إعداد وتجهيز الجيش هناك ، عمل بداية للاستماع إلى اعترافات الجميع الذين بلغ عددهم أو تجاوز بالفعل ألفين رجل .

(أ) انظر الوثيقة ٢٦ ، ٢٢ فيما يتعلق بهذا التفاوض .

(ب) يتحدث بازريو عن زوجة (مدني) .

(ت) انظر مكتبة الهند المجلد ١ ص ٦٩٠ .

(ث) " د . نطونيو دي نورنها" .

ولقد سمعته يقول إن العدد عظيم ، وأنه أمضى يومين كاملين لم يتناول فيهما شيئاً من الطعام ، ولم يذوق طعم النوم لأكثر من ثلاث ساعات فقط ، لقد كان إيمانهم كبيراً في صلابة عزمه وشجاعته ، فالمسلمون واليهود كانوا يخشونه ، لكن أحبه كل إنسان نظراً لإنسانيته وسماحة طبعه وتواضعه الجم .

إنني لن أتطرق بالوصف للمعجزات البارزة التي حدثت في هرمز ، لأنني يجب أن أعترف لأنني غير جدير ، كالحيوانات التي يحرم عليها أن تصل للجبل المقدس(أ) وبالتالي يجب رجمها ، إنني أعتقد جازماً بأنني أستحق العقاب والتقريع إذا ما كنت أعتبر أن يدي الملوثة تمتد وتطال ما استعصى على فهمه .

وسوف أترك ذلك إلى أحبّائي وإخواني في المسيح الذين بوسعهم أن يكتبوا بشكل أكثر فائدة ، وأيضاً إلى ذاك الأخ الحبيب القادم الذي يعرف كيف يصفهم بشكل جيد .(ب)

لعل أخبار مآثره وأفضاله والمعجزات الربانية التي تتحقق على يديه انتشرت في طول وعرض آسيا ، وفي القسطنطينية والإسكندرية ، وفارس واليمن السعيدة وبابل ، وهكذا أرسل من هناك أحد الأسرى ، كان بين مجموعة من الأسرى المسيحيين في القسطنطينية .

يحمل رسائل من الجميع إلى الآب الآمر "غاسبار" وإثر وصوله إلى قلعة

(أ) إنه يشير إلى "جبل سينا .

(ب) " اندريه فيرناندس".

البصرة التي تؤول إلى المماليك ، تم القبض عليه وأرسل من هناك موضحاً للأب الأسباب التي منعته من الحضور لمقابلته(أ) وبما أن المسلمين ظنوا أنه قد تلقى الرد من الأب(ب) ، فقد توج بالشهادة ، وأرسل القائد رأس ذلك الرجل معلقاً فوق رمح إلى الأب الآخر "غاسبار" كي يرى الشخص الذي عانى ما عانى كي يلتقي به (ت) .

١٨- غادر هرمز مع ثلاثة من الرهبان الذي استقبلهم هناك(ث) و اتجهوا جميعاً إلى المجمع ، ولأجل مواصلة عملهم وهم في طريقهم ، قدم في أسطول "دوم أنطونيو" الذي كان مبحراً في طريقه إلى "غوا" ، وعموماً كان قد استمع إلى اعترافات أولئك الجنود وألقى على مسامعهم موعظة في العقيدة عن الربّ وذود العبيد بتوجيهاته الدينية .

كان الاحترام الشديد والحب الذي وجده من جانب القادة والجنود في الأسطول أمراً مشهوداً ، لأنهم كانوا في أيام الأحد والأيام المقدسة يهرعون إلى نشر أشرعة سفنهم إذا ما وجدوا فسحة من الوقت ، ويتجهون بزوارقهم ومراكبهم إلى الجهة التي توجد فيها سفينته كي يستمعوا إلى حديثه ومواعظه ، لينالوا بركته ومن ثم يواصلون رحلتهم .

في جميع بلدان المسلمين ، حيث يحصل الأسطول على المياه ، فإن

(أ) تلك كانت رسالة "بارزبو" التي كتبها إلى "جون" في "كولونة الذي كان في قلعة القطيف (انظر الوثيقة ٥٦-٣١) التي سقطت .

(ب) أيضًا تلف هذا الخطاب .

(ت) بشكل دقيق يصف بارزيو تاريخ المذكور جون .

(ث) كان بارزيو قد ذكر اثنين فقط ، وهما اندريه فيرناندس وألفارو منديس .

أول ترويح يحاول الرجال الحصول عليه بعدما ينزلون إلى الشاطئ هو الاستماع إلى خطبه ومواعظه ، وقد شرع فوراً في إعداد نفسه للتبشير في مسقط و"قلهات" و"ديو" ، وفيما بعد في "بيسين" حيث وجدته هناك عند وصولي .

من هناك رافقته إلى "تشول" التي تبعد حوالي اثني عشر فرسخاً كي يحصل على معلومات عن المسيحيين في "تانا" و"بيسين" التي قضيت فيها عاماً كاملاً مع الكاهن "بلشيور غونساليفس" عند النزول في "تشول" ، وفي عيد القديسين قام بالتبشير بهمة عظيمة وتوهج ، وذلك لأن قباطنة الأسطول والقلعة الذين لم يعرفوا ويسمعوا بوصوله كانوا ينتظرونه .

في المساء توقّف الإخوة الرهبان في بيت الرحمة المقدس ، ومن كانوا يستعدون لعزف الموسيقى وإعداد مسرح مصارعة الثيران عن كل نشاطهم ، واتجهوا نحو ميدان "ساو سبستياو" كي يعدوا له منبر الوعظ ، ومن ثم توسلوا له كي يبدأ في التبشير وإلقاء موعظته ، وبعد تلك الظاهرة التي شارك فيها الملك بنفسه عاد يحمل عظام الشهيد .

وكان بكاء ونحيب الناس وما صاحب ذلك من لطم الصدور بعنف تمجيداً للرب وعظمته ، وفي إطار إعجاب الناس بتوهجه وحماسه طلبوا منه حباً في الرب أن يوافق على بناء مجمع في "تشول" قبل رحيله بعد ذلك ألقى الكاهن(أ) بنفسه تحت قدميه متوسلاً إليه كي يقبل بمسكن "ساو سباستياو" والذي سيتم إخلاؤه لأجل المجمع .

(أ) اسم الكاهن الذي كان عمدة مدينة "تشول" قد أشاد به وبفضله وأثنى عليه غير معؤوف تمامًا .

بالنسبة لما سمعته شخصياً في ذلك اليوم فقد قدم الناس على الفور أربعمائة "بارادوس" لأجل تشييد ملجأ لأجل إيواء الكاهن الأب والرهبان إلى حين إكمال بناء المجمع .

هؤلاء آلوا على أنفسهم واجب بناء ذلك المجمع على نفقتهم الشخصية ، وبالمثل المساهمات الخاصة بنفقات الصيانة ، ولقد وجد الأب (٢١٧ آر) العذر لنفسه بتواضع جم مشيراً إلى انه يعتبر نفسه خادماً للمجمع ، وليس بوسعه أن يفعل شيئا[أ]

٣٥- عندما وصل الأب الآمر "غاسبار" في مجمع "غوا" قادماً من هرمز بادر قبل كل شيء بالتجول في طرقات المدينة وهو يحمل جرساً صغيراً يستخدمه في جمع ومناداة الأطفال كي يتجمعوا لتلقي الدرس الشفهي ، وأيضاً قدم تمارين مماثلة لأن المدينة تتسم بالكثير من العناد[ب] .

في ظل علم سكان المدينة بأخبار كثيرة عن أعماله وحياته ، فقد بدأوا في مطاردته ، وعندما وجد الوقت الكافي لإقناعهم كي يحصلوا على التسامح وصكوك الغفران التي يؤتى بها من البرتغال ، شرعوا مجدداً في التردد على المواقع التي يؤمها الناس للاستماع للمواعظ بمعدل مرتين أو ثلاثة يومياً في تظاهرات كبيرة من الأطفال والقادمين الذين لوحظ أنهم يأتون طواعية .

(أ) كان بارزيو نفسه قد وصف أيضًا رجال الدين في الرحلة من هرمز إلى غوا .

(ب) للمراعاة والمواظبة ، في إطار العناد والإمعان ، إلخ ...

لقد كان يبشر بالحب والتآلف في أيام الجمع بشكل منتظم .

بلغ عدد المترددين الذين واظبوا على الحضور كي يستمعوا له ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف ، وبعدما أعلن لهم عن حقيقة وفوائد التسامح والغفران كان الحماس والتوهج الذي ساد المدينة أمراً مدهشاً ، وتجددت بالفعل ظاهرة الحب والإخلاص لهذا المجمع .

انتشرت في جميع أقاليم الهند أخبار التسامح وصكوك الغفران – الأمر الذي جعل الرجال يسارعون لاستلامها ، ولوحظ أنهم كانوا يتوافدون من مختلف المناطق مثل "بيسين" و"تشول" و"كانانور" و"كوتشين" و"كويلون" "Quilon" و"ديو" وغيرها من المناطق الأخرى .

كانت هناك اعترافات عديدة بحيث لم يتمكن الكهنة من التوقف عن أداء الأسرار المقدسة طيلة اليوم وجزءاً كبيراً من الليل ، وكذلك كان عدد المواعظ كبيراً الأمر الذي أجبر الكاهن على نقله إلى دير الرهبان ، وكان المكان مكتظاً بالناس حتى أوشكوا على الاختناق .

في إحدى الليالي تم تكليف أحد الأطفال الأيتام [٢٢١ في] بقراءة الابتهالات على مجموعة من المستمعين بلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف مستمع في الكاتدرائية ، وعندما شرع ذلك الطفل الذي اختير بواسطة الرب في الترتيل بكل براءة الأطفال ، بدأ لتوّه لاهثاً مقطوع النفس ، الأمر الذي جعل تأثر الرجال والنساء أمراً مدهشاً ، إذ خالط تأثرهم الكثير من النواح والعويل ، وهنا تبين الجمهور عظمة الرب وحلمه في إدخال الرحمة والألفة في قلوب خلقه .

٤٢- خلال العام الماضي تجاوز عدد النساء اللاتي تمت هدايتهن المائة امرأة ،

وقد قام الكاهن بتزويج جميع النساء من اليتامى وقد عمل في معظم الأحيان على تزويج المحظيات أو إبعادهن وآخرين يعمل على إبقائهن في بيوت المقيمين ويبحث عن المال الكافي لإعالتين هناك .

أيضاً أوعز للآخرين بالاستمرار في التبشير والقيام بزيارة الفقراء والمرضى من النساء .

لقد شاهدته قبل أيام قليلة مضت عندما فشلت مساعيه وكلماته في تحرير أحد الرجال من ذنوبه وآثامه ، فاضطر إلى أن يعده بجائزة مالية إذا ما تاب عن آثامه تلك وانتهى عن أعماله الخاطئة وقدم له عشرين "بارادوساً" كي يكف عن كل ذلك ، وهذا ما دفعه لاستبعاده [٢٢٣ آر] .

كان هنالك رجل آخر لم يحدث أن قدم على الاعتراف منذ مضي عشرين عاماً وكان قد خشي أن يعترف للكاهن لأنه يحوز على كتاب سحر يجعله يتحدث في مناسبات كثيرة مع خمسة وستين روحاً شيطانية "باللاتينية" و"الإغريقية" و"البرتغالية" ، عموماً شاءت إرادة الرب أن يقدم ذلك الرجل اعترافه ، ومن ثم قام بتسليم الكتاب للكاهن الذي قام فوراً بحرقه ، ولقد حرقته بيدي ، وهو كتاب ملئ بالزيغ والضلال والانحراف .

في مسقط أيضاً كان هناك شيخ عجوز لم يسبق له أن اعترف لأي كاهن منذ ثمانين عاماً ، بمعنى أنه لم يأت للاعتراف طيلة حياته .

وصل أيضاً أحد النبلاء في أسطوله عندما قدم الكاهن من هرمز ، وكان قد شعر بشيء من الاشمئزاز والتقزز والاعتراض على مسألة الاعتراف تلك ، وقد أخبر واحداً من الإخوة الكهنة ممن يعرفونه أنه في إحدى الليالي في "بيسين" وعندما أوى إلى سريره لم يستطع أن ينام إذ إنه شعر أن يديه قد أطبقتا على عنقه بقوة حتى كاد يختنق .

وعندما شرع في التوسل والتضرع مستنجداً باسم سيدتنا أقر بأنه أدرك السبب الذي جعله محلاً لعقاب الرب ، وزعم أنه عندما استغرق في النوم شاهد الكاهن بجواره ، وعندما سأله عن سبب العذاب الذي حل به قام برسم الصليب على عنقه ، وهكذا تم تخليصه من العذاب الذي شعر به ...

وعندما صحا من نومه وجد نفسه مبللاً بدموع غزيرة ، فسارع فوراً بالنهوض من فراشه فاتّجه إلى المجمع بحثاً عن الكاهن كي يعترف له ، لكنّه اكتشف أن الكاهن قد غادر في الأسطول .(أ)

هناك الكثير من الأحداث التي يتطلب الأمر أن يُكتب عنها في ذلك الأسطول الذي يبحر الآن في طريقه إلى هرمز وعلى متنه نائب الملك ، ولقد طلب معظم النبلاء والقادة من الكاهن أن يسمح للكهنة والأخوة الرهبان أن يرافقوهم ، كما طلب من الأطفال اليتامى أن يزجروا المجدّفين للعودة إلى الربّ ، ويعملوا على مساعدة المرضى والجرحى .

(أ) "روى بارزيو" هذه الواقعة تمامًا كما وردت في :

Documenta Indica, Vol I, page 696 .

لم يرفض الأب الكاهن طلب "دوم فيرناندس (دى نورونها)" "Fernandes de Noronha" و"دوم أنطونيو (دى نورونها)" "Antonio de Noronha" ابن نائب الملك نظراً لحبهما العميق للرهبنة ، بالرغم من أنه ما يزال يشعر بالمرض ، ولم يجد أحداً غير الأب "أنطونيو فاز" كي يساعده في أعمال التبشير .

قد أبحر كلّ من الأب "أنطونيو فاز" والراهب "فرانسيسكو دوراو" في الأسطول مع "دوم أنطونيو" ، وبالمثل أبحر اثنان من الصبيان اليتامى مع "دوم فيرناندس" والأب الكاهن "فرانسيسكو لوبيز" وثلاثة من الأطفال .

عندما حان وقت رحيل الأسطول كان عدد من يريدون الاعتراف للكاهن في المجمع كبيراً جداً ، ولكن في ظل رغبة الكهنة منح تلك الفئات صكوك الغفران فقد واصلت مجموعة الكهنة التي بلغ عددها خمسة عشر كاهناً العمل بكل جد .

هكذا غادر أتباعنا الذين فاق عددهم الألف شخص في ذلك الأسطول بعدما جاءوا ليقولوا وداعاً للكهنة والرهبان ، وكأنما ينتمون لذلك المجتمع ، مظهرين له كل الحب لأنهم لا يعتبرون أنهم يعيشون في أمن وسلام ما لم ينالوا بركة الكاهن الآمر "غاسبار" .

في هذا الوقت لم يشأ نائب الملك الذي يعدّ العدّة خارج المدينة استعداداً للإبحار أيضاً أن يرحل قبل أن ينال بركة الأب الكاهن ، وأيضاً قيامه برفع وتثبيت العلم الملكي بوسع الأخ الراهب "كريستوفاو دا كوستا" أن يكتب بتفصيل أكثر عن هذه الرحلة [أ]

(أ) لم تتضمن بقايا رسالة الكاهن كرستفاو دا كوستا أي شيء عن هذا الأمر .

الناجحة سيما انه سيغادر في نفس الأسطول تماماً مثل الراهب "ريماو بيريرا" "Rimao Perriera" .

٥٦- في أحد الأيام ، وبينما كان الأخ الراهب "أنطونيو فيرنانديز" "Antonio Fernandes" في طريقه من هذا المجمع إلى ضفة النهر ، رأى أعداداً كبيرة من المسلمين والملحدين من أسرى الملك في موقع يسمى سالا[أ] فاتجه إليهم وسأل البعض منهم ما إذا كانوا يرغبون في اعتناق المسيحية .

وهنا سر ملكنا وأكرمه وسأله مشجعاً ما إذا كان يحب أن يتحدث إليهم عن الرب عندما يعودون إلى ديارهم في المساء ، وقد أبلغ الأب الآمر "غاسبار" أنه جمع أربعين رجلاً جميعهم يرغبون في اعتناق الديانة المسيحية ، وقد وجه الأب الكاهن نفس الأخ الراهب "كريستوفاو دا كوستا" كي يقوم بتدريسهم في مساء كل يوم وإعطائهم دروساً شفهية في الدين المسيحي ، وبفضل الرب صار معظمهم فيما بعد من معتنقي الديانة المسيحية .

إنّني لا أروى هنا أخبار النجاح الذي تحقق في هرمز والنتائج التي أحرزت في "بيسين" وفي جميع المناطق الأخرى إذ أنى أفهم أن الأب الآمر الكاهن "غاسبار" كان وقد وجه وأمر بكل ذلك ، وأيضاً الكثير من الأخبار عن "بريستر جون" ، كي يتم جمعها في وثيقة مطولة ستكلفك الكثير من الحماس .

(أ) لم يكن بولانكو دقيقًا في إشارته إلى ذلك المكان باسم سالس .

سوف أنقل لك الآن شيئاً هاماً جديراً بالاعتبار والتوجيه كان قد منحني إياه نتيجة صبرك ومواظبتك :

٥٧- لقد قرر مولانا الملك أن يمنحنا دليلاً قاطعاً وبراهين عدة عن عدله ، ففي فترة بقائنا هنا لأيام عدة أخبرنا أن هرمز قد أصبحت تحت الحصار ، وأن المماليك قد تمكنوا من دخول المدينة .

بعد أن حجزوا مبلغ حوالي مائتين وخمسين ألف "بردواس" ، هناك مائتان وثمانية وعشرون قاموا بإحراق الكنائس ، وأسروا زوجات القباطنة في مسقط مع آخرين كانوا في صحبتهم في قلعة هرمز .[أ]

في ذات سبت ، يصادف الثالث والعشرين من شهر أكتوبر[ب] ثلاثة - أربعة أشهر بعد الصيف وكان الطقس هادئاً وصافياً والشمس إلى زوال ، وبعد منتصف اليوم فجأة داهمتنا عاصفة رعدية لم أشهد لها مثيلاً في حياتي عصفت بالمدينة .

لابد لي أن اعترف أنه كانت هناك لحظة اقتنعت فيها أنّني بالفعل قد أسأت إلى الرب ، العاصفة ببرقها وأمطارها الغزيرة جلبت الرعب والفزع وجعلت الجمعية ترتجّ . ضربت البروق ممر "ساو فرانسيسكو" كما أسقطت ثلاثة-أربعة بروق من مناطق متفرقة من المدينة . بدأنا الصلوات مع كل الأطفال الذين تولوا غناء الأناشيد والدعوات طالبين

(أ) ريس نور الدين و"دوم ألفارو دي نورونها" و"سيباستياو لوبيز لوباتو" وصفوا انتصارات المسلم بيري ريس وهزيمة "البرتغاليين" .

(ب) الثاني والعشرون من أكتوبر ١٥٥٢م كان يوم السبت .

وضارعين إلى الرب ألا نضيع في غضبه وألا يعاقبنا في ثورته ، إذ ما من مخلوق هو دائماً صائب في بصره بالتأكيد .

كل هذه كانت تحفيزات واستعدادات للمشقة التي سوف نعيشها في الأحد المقبل (الرابع والعشرين من الشهر المذكور)[أ] عندما ، ومع صلاة القداس ، في ذلك اليوم وفور انتهائها ، سوف يصل طراد إلى هرمز مع أخبار حزينة ومحبطة .

أفادت الأخبار أن قلعتنا في مسقط والتي كانت تبدو محصنة قد سقطت في أيدي المماليك وسفنهم وأن القبطان "جواو دي ليسبوا" قد أخذ سجيناً وأسيراً من سبعين برتغالي ومائة وخمسين من الخدم .

مدفعية القلعة والتي كانت جيدة وثقيلة تم أخذها ونهبها بالكامل ومعها خمسة عشر ألف "باردواس" سلمت لهم .

عندما جمع المماليك الأموال والمتعلقات والأملاك التي وجدوها هناك ، ومع انتهاء مهمتهم غادروا بعجلة لمساعدة الأتراك الآخرين الذين كانوا يطلقون نيرانهم على قلعة هرمز .

(٥٨) – خشية أن أنسى الهدف الذي من أجله كتبت لك هذا الخطاب ، فإن أحد الآباء الكهنة باسم "ميجيل دا نوبريغا" "Miguel da Nobriga" كان في هذه المدرسة[ب] منذ عامين ... كان قد

(أ) الطراد – سفينة صغيرة بشراع .

(ب) كان الأول قد تطرق لذكر هذا الكاهن ، وفي عام ١٥٥١م عمل في جزيرة كوراو– وما بين عام ١٥٥٣– ١٥٥٤م كان أسيرًا في مدينة القاهرة للإقامة في مجمع "غوا" وظل مقيما فيها حتى توفي في عام ١٥٥٨م .

ألزم بإقامة قداس بعدما أعطى انطباعاً حسناً للفضيلة واكتسب مقدرة أن يكون رابحاً ، فحاول أن يتجرأ بكلمات دون القدر إلى الأب الآمر "فرانسيسكو" عندما وصل إلى هنا .

قد أحيل لأداء بعض الممارسات العقائدية ... لكن بما أنه يصعب على الشيطان تدمير كل ما يمكن أن يترتب على عظمة الرب ، فقد عمل (٢٢٨ في) وثابر معه إلى حد ما بحيث إنه في إحدى الليالي غادر تلك التمارين مع راهب آخر وصعدا معاً إلى إحدى السفن التي غادرت سريعاً في اليوم التالي(أ) ، واتّجه كلاهما إلى قلعة مسقط بفكرة قضاء الشتاء هناك والعودة إلى المملكة في إحدى المراكب القادمة .

لكن لم يرد الحاكم أن يسمح لهما بهذا العصيان دون عقاب ، وعليه فقد تم القبض على الأب الكاهن(ب) والأخ "اندريه مونتيرو" "Andre Montero" في القلعة وعهد بهما للعمل في منصة سفن المماليك .

عزيزي المحبوب ، لابد أنك علمت بما شعر به كل واحد من هؤلاء عندما أصبحوا متعاونين ومؤازرين للعدو ، من خلال عملهم في التجديف والخدمة تماماً كالعبيد ، وهذه كلمات تنطبق تماماً عليهم .

الملك لن يسمح قط ، ولن يتغاضى عن أي جرم دون أن يوقع بالمجرم العقاب اللازم أو أي عمل جيد دون أن يكافئ فاعله بجائزة(ت) ، فمن

(أ) "أندريه مونتيريو" ، حسبما ورد ذكره أعلاه .

(ب) بعد مضي وقت ليس بالكثير تم افتداء "مونتيريو" في مدينة البصرة .
عمومًا أفاد بعض المؤلفين أنه من غير المؤكد أن يكون الراهب "فرويس" قد أطلق سراحه .

(ت) انظر الأمثال ، ١٣ ، ٢١- التعاسة تلاحق الآثم لكن الثواب هو حليف الصالح .

الصواب أن يواجه أولئك الأبناء الذين عظم فسادهم وأصبحوا عنيدين يرفضون رحمة الرب .

صرامة وحزم عدالته ... ، إنهم لن ينالوا السماح والمغفرة ، لأنهم بعدما عرفوا الرب ومجدوا اسمه عادوا تارة أخرى إلى غيّهم وضلالهم وأفكارهم البائسة ، فعميت قلوبهم في لجة الضلال ، فتخلى عنهم الرب ، وتركهم وشأنهم لأنفسهم ولرغباتهم أسرى لأهوائهم وقلوبهم المريضة كي يفعلوا هذه الأشياء ، وهي بالطبع ليست حميدة ، وإنما ملأى بكل الشرور والخطايا .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)
بعث "ألفارو منيديز" رسالة إلى "الإخوة اليسوعيين" ، "موغستان" ، عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها أن الأتراك في خورفكان ، وتتضمن أخباراً عن احتلال هرمز : [(١٣)]

في الأثناء الذي كان فيه الأتراك يتحرّكون لشنّ الحرب علينا ، قرّر القبطان هنا أنه على المسيحيين في البلاد أن يغادروا القلعة ، ليس فقط بسبب عدم توفر الأماكن لهم ولكن أيضاً بسبب قلة المياه .

عندما وصلت الأنباء أن الأتراك في "خور فكان" وهي على بُعد أربعة وعشرين فرسخاً من هرمز ، أبحرنا إلى قلعة "ميناب" ، على الرغم من أن بعض الناس لم يرغبوا في ذلك بسبب خوفهم من أننا قد نقتل هناك . أمرني الأب أن أذهب معهم للتعاليم والتعزية ولأقودهم وأرشدهم . كانوا كلهم حوالي أربعمائة مسيحي .

وجدت صعوبة بالغة مع هؤلاء الناس ، لأن الأب والقبطان قد

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

أمراني بالحرص الروحي والمادي عليهم ، ولما كانوا كلهم مختلفين وغالباً ما يتشاجرون ويتعاركون ثم يأتون إليّ ، فإنني بالكاد عرفت ما أفعله ، ففي بعض الأحيان أخفف عنهم وأصلح بينهم ، وفي أوقات أخرى لا أستطيع فعل شيء معهم فأهدّدهم ، وفي مرات أطلب القبض عليهم وحبسهم رجالاً كانوا أم نساء ... بحسب ما يلهمني الرب .

مرة بالحب وأخرى بالتخويف ... ، وحافظت على هذا النهج معهم :

أولاً : في الصباح ، أزورهم وأعرف احتياجاتهم حتى أتمكن من تلبيتها وأقدم لهم الطعام للفقراء والمساكين منهم ، وكانوا حوالي مائة وخمسين شخصاً .

ثانياً : في المساء : أعلمهم شعائر المسيحيين جامعاً كل اثنين معاً في دروس تعليم الأسئلة والأجوبة للتعميد والقداس وغيرها من الشعائر .

في ذلك الأثناء وصلت الأخبار بأن الأتراك قد وصلوا إلى هرمز ، وفرضوا الحصار على القلعة ، الناس في تلك القلعة وهم من المسلمين بدأوا بمعاملتنا باحتقار وبالبصق والتحقير علينا قائلين لنا : إنه قد بقيت لنا أربعة أيام من الحياة وبعدها سوف يقطعون أعناقنا .

سألوني : لماذا إذا ضاع كل شيء أقوم بتعليم شعائر المسيحية؟ لا يجب علي فعل ذلك ، لأنهم جميعاً سوف يأتون لقتلنا وذبحنا وسوف يقتلوني أنا أيضاً . عندما شاهدت ذلك انزعجت فذهبت إلى القبطان والذي كان اسمه "مير شاه أحمد" لأطلب منه الإذن لي بتدريس وتعليم المسيحيين ، وقلت له ما قاله لي أهاليه ، فقام بمنعهم من ذلك لبعض الوقت .

ذات أربعاء ، وكنت في بيتي عائداً من زيارة المسيحيين .

عادني عدد كبير من الناس بأخبار مفادها أن هرمز قد تم احتلالها .

سبب هذا الخبر انقباضاً شديداً بين المسيحيين مما دفع بعديدهم إلى جمع أغراضهم بداعي الهرب إلى داخل البلاد جميعهم ، ولكن سرعان ما جاءت أنباء مخالفة تفيد العكس مما بسط الهدوء والطمأنينة لبعض الوقت .

الآن أتوقّع أن ندفع المغادرة هرمز على الرغم من أنني أعتقد أنني سوف أظل في هذه الجزيرة لبعض الوقت ... ، فالطقس صحي في يونيو ويوليو وأغسطس وفي جزء من سبتمبر ، ولكن في أكتوبر ونوفمبر فهو مثل الطاعون .

يقول الأهالي هنا عندما يظهر نجم معين جهة الجنوب من السماء فذلك علامة على ذلك الطقس السيئ ، والذي سرعان ما يُحس به بواسطة الثيران .

لمعرفة ظهور النجم فهم يراقبون الماشية الملاحظة فزعها ... ، ذلك وقع الآن ، وكل الذين جاءوا معي إلى هنا أحسوا بذلك ، وشعروا بالمرض ... ، ولكن شاء الرب أن يموت فقط أربعة أطفال وسيدة واحدة ، "موغستان" ، "ألفارو مينديز" .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)
بعث الأب الكاهن "غاسبار بارزيو . إس .جي ." "Gaspar Barzio" رسالة إلى مجمع الإخوانية في "كويمبرا" ، "غوا" ، في العشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر أنه هرب من هرمز ، وأن الأوضاع هناك صعبة : (١٤)

دعواتنا للرب المسيح أن يسبغ أمنه ونعمه علينا ... آمين .

لن تكون هناك جدوى للتحدّث بإسهاب عن حصيلة الإنجازات التي تحقّقت بفضل الربّ للمجتمع في هرمز ، إذ بوسعك أن تقف على كل كبيرة وصغيرة من خلال الاطّلاع على خطاب الأب "إقناثيوس" ، فهو خطاب مفتوح كتب باللغة اللاتينية لأنه حسب رأيي ، إنهم هناك لا يفهمون "البرتغالية" ، وعموماً فسوف أتطرّق باختصار للأمور التي يدركها الملك بعد العودة من هرمز :

عندما شرعت في الاستعداد لمغادرة هرمز ، كان الناس يتجوّلون

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

هنا وهناك بحثاً عن وسيلة لاعتقالي ومنعى من الذهاب ، لكنّ الربّ خلّصني بفضله من شراك أولئك الناس الذي يلاحقوني .

بالفعل صعدت إلى متن سفينة "غاليون" كان على متنها ستمائة فردٍ من المسافرين ، وبالإضافة إلى هذه السفينة توجد مراكب وسفن أخرى مبحرة معنا في نفس الأسطول ، كانت في طريقها بهدف الاستيلاء على إحدى قلاع المماليك(أ) ، وقد بدا لي أن الملك أنفق في سبيل إعداد وتجهيز هذا الأسطول مالم يُنفق قط على أي أسطول آخر رأيته .

في إطار الاعترافات المستمرة توقّفوا عن اللعان واللهو والعادات السيئة التي يأتي بها الجنود في مثل تلك المناسبات ، ربما انتابنا شعور ما بالضياع لكنى أحسست بالكثير من الطمأنينة والراحة من هذا الخطر ، عندما أدركت العوامل التي شاءت إرادة الربّ أن تكون من حظّنا ونصيبنا ، إذ إن هذه الرحلة التي عادة ما تستغرق خمسة عشر يوماً فقط ، استغرقت منا جهد شهرين(ب) كاملين .

٤- بعد الوصول في مسقط ، أنشأوا منبراً للوعظ في الميدان الذي أقوم بالتبشير فيه مرتين ، وفي اليوم الختامي ، وبالإضافة إلى عقد زيجات الكثير من المحظيات لأجل تخليصهن من آثامهن ، عملت أيضاً على إزالة أسباب الحقد والكراهية والخصومة القائمة بين الكثيرين بحيث أصبحوا جميعاً إخوة أصدقاء ، وبالمثل تم تحرير السجناء .

(أ) إشارة إلى "كاتيفا" "القطيف" في الخليج الفارسي حيث تم الاستيلاء عنوة على قلعة الأتراك .

(ب) تقريباً من منتصف شهر سبتمبر وطوال شهر نوفمبر .

من ضمن هؤلاء كان هناك اثنان من السادة الكبار كانا من ألدّ المتخاصمين وعُرف أن دماءً كثيرة أهدرت وجرائم كبيرة قد حدثت بين عائلتيهما ، بسبب تلك الخصومة ، ولقد وُفّقت في الجمع بينهما وإزالة كل عوامل الحقد والكراهية بين عائلتيهما ، ووطدت علاقة الصداقة والودّ بينهما وجعلتهما يقسمان أمام الجمهور على كتاب القداس ، وقطعا وعداً بأنهما من الآن فصاعداً لن يعودا أعداءً كما كانا في الماضي .

٩- غادرت "تشول" ووصلت إلى مجمع القديس بول في "غوا" ، وما زلت حتى اللحظة موجوداً هناك لأنّه لم تتوفّر لي الفرصة كي أبحر إلى "كوتشين" .

هنا في "غوا" وجدت كلاً من الأب "بلشيور نونيس" "Belchiore Nunes"(أ) و"مانويل دي موريس" "Manuel de Moris"(ب) ، أما الأب "أنطونيو دي هيرديا" فقد كان في "كوتشين" ، بينما أبحر الأب "غونسالو رودريغيز" متّجهاً إلى هرمز .

الربّ وحده يعلم كم أنا مرتاح ومطمئّن بوجودي هنا .

قد طلبت من الأب الآمر "بلشيور" أن يسمح لي بالبدء في التبشير ، وحقيقة أحسست إن المجتمع كله متحمس ومتعطش لتلقي المواعظ والدروس الدينية (والمجد للمسيح) ، وعليه فالصبيان

(أ) كان "رودريغير" قد رغب في إختيار الأب "بلشيور نونيس باريتو" لإدارة المجمع في "غوا" ، غير أن مجتمع تلك المدينة لم يعترف به كرئيس للمجمع .

(ب) الأب الكاهن "موريس سنيور" .

الذين أقوم بتدريسهم كلما سمح وقتي بذلك عهدت لهم بأداء الغناء والإنشاد خلال صلوات القداس ، وكنت أنشد القداس ... ، وأكون ملتحفاً الثوب "الكهنوتى" الأبيض واقفاً على منبر الوعظ .

هكذا بدأت الجموع تتدفق للاستماع لحلقات الوعظ والإرشاد حتى ضاقت الكنيسة بأعدادهم ، ولقد رأينا أنه من الأفضل أن نجد من الآن فصاعداً مكاناً آخر رحباً يستوعب تلك المجموعات ، لكن رؤى إنني يجب ألا أقوم بالتبشير خارج الكاتدرائية حيث تعودت أن أبشر فيها لأنها كنيسة ضخمة ، أو في كنيسة "القديس فرانسيس" مسبقاً ، إذ طلب من الكهنة أن أتّخذ نفس الطريقة .

تم الترتيب أيضاً للأب الآمر "بلشيور" أن يحل محلى في الكنيسة الرئيسة ، لأنه صرح أن الجموع الكبيرة من الناس تلهب حماسه وتلهمه الكثير ليقوله .

لم يكن بوسعنا أن نذهب إلى العديد من الأماكن التي طلب منا التوجه إليها للتبشير .

في أمسيات أيام الجمع أعددنا خطباً ومواعظ تكفيرية تختتم بالضرب بالسياط ، كانت هناك أعداد غفيرة من الجمهور لم يكن بالإمكان استيعابهم في الكنيسة وكانوا دائمي البكاء والنحيب عند سماعهم المواعظ الدينية .

تواصلت أيضاً صلواتنا ودعاؤنا في صبيحة أيام الأحد وفي الأعياد الدينية والشيء نفسه في الأمسيات .

الآن فإنني أتجول معلناً عن مناسبة التهليل البابوي الذي سوف يبدأ في يوم الاحتفال بعيد الميلاد (المسيح) عام ١٥٥٢م[أ] .

كنّا نقوم بالاستماع للاعترافات حتى منتصف النهار ، وكان المعترفون كُثر ، وفي المساء كنا نهتم بتقوية علاقات الصداقة بين الأفراد ، وبالمثل زيارة المرضى في المستشفيات .

أيضاً كنت أقدم الوعظ للسجناء بعد تناول العشاء في أيام الجمع فيما يتعلق بالأمور الدينية في الدنيا والآخرة ، وكان الأب الآمر "بلشيور" يقوم بإعطاء الدروس الدينية وغيرها من التمارين الأخرى ، كما كان يقوم بتدريس الأب "موريس" والأب "أنطونيو"[ب] شيئاً من علم التوحيد والنظرية اللاهوتية من "سيكندا سكيندى"/- الجزء ٢ - القسم ٢) للقديس "ثوماس" .

لقد كانت لي مسؤوليات تجاه السكان بحيث كان كل شيء يكثر ويزداد بشكل مستمر ، وأحسب أن الرب يؤيدك في كل ما تفعل وتأمرنا بفعله .

لقد جئت باثنين[ت] من الإخوة الرهبان لأن البقية وافتهم المنية في هرمز ، ولقد طلبت صلاة القداس لكل واحد منها كي تكون له عونا في رحلته .

الآمر "غاسبار"

(أ) كان ذلك الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥١م ، عندما بدأت السنة الأولى مناسكها التى اتبعت نظام عيد الميلاد .

(ب) الأب "أنطونيو فاز" .

(ت) هما "أندريه فيرنا نديز" و"ألفارو منيدس" .

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

وردت من رسالة من "ألفارو ميندز" (جمعية يسوع) من "موغستان" ، بتاريخ عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها حصار الأتراك لهرمز : [١٥]

إلى الإخوة "الجيزوت"

في الوقت الذي كان الأتراك قادمين فيه لشنّ الحروب علينا ، قرّر القائد هنا بأن على المسيحيين الذين بالبلاد مغادرة القلعة ، ليس فقط لعدم وجود مكان لهم ، لكن أيضاً بسبب قلة المياه .

عندما جاءت الأخبار بأن الأتراك في "خورفكان" على بعد أربعة وعشرين فرسخاً من هرمز ، غادرنا بالسفينة لقلعة "ميناب" هذه ، بالرغم من أن بعض الناس لم يكونوا يريدون ذلك ، لأنهم كانوا خائفين من أن نُقتل هناك .

---

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

أمرني الكاهن أن أذهب معهم ، لأعلمهم وأواسيهم وأقودهم ، كانوا في جملتهم حوالي الأربعمائة مسيحي واجهت مصاعب جمة مع أولئك القوم ، لأن الكاهن والقائد كانت معهما أوامر بأن أقودهم روحياً بطريقة مؤقتة ، وبما أنهم كانوا جميعاً مختلفين فكثيراً ما كانوا يتشاجرون ثم يأتون طالبين مني الحكم بينهم .

وهم يقدمون العديد من الشكاوى ضد بعضهم البعض ، بينما للآخرين مشاكل أخرى جديدة .

مع كل تلك الأشياء المختلفة ، لم أكن أدري ما علي القيام به ، أحياناً أجري الصلح بينهم ، وأحياناً أخرى لا أتمكن من فعل أي شيء معهم ، ثم أهددهم ، وأحياناً ألقي القبض عليهم من الرجال والنساء حسبما يشاء لي الرب ، نقيض من الحب والخوف .

لاحظت هذا الأمر معهم :

أولاً في الصباح قمت بزيارتهم وتابعت احتياجاتهم حتى أتمكن من توفيرها لهم ، قدّمت الطعام للفقراء منهم الذين كانوا بعضاً من مائة وخمسين ، في الأمسيات ، علمتهم الدين المسيحي وجعلت رجلين يقومان بتجميعهم معاً .

وصلت في ذلك الوقت أنباء بأن الأتراك قد وصلوا إلى هرمز وحاصروا القلعة . القوم الذين في هذه القلعة كانوا من المسلمين بدأوا معاملتنا باحتقار وبسخرية منّا ، وهم يقولون لنا بقيت لكم أربعة أيام في هذه الحياة ، وأنهم سيقطعون رقابنا بعد ذلك .

سألوني لماذا أعلمهم عن المسيحية وهم سيموتون قريباً؟ ليس علي القيام بذلك لأنهم سيأتون جميعاً ويقتلوني .

عندما رأيت ذلك ، وأن الأمر يبدو مريعاً ، ذهبت للقائد المدعو "مير أحمد شاه" وطلبت منه الإذن لأواصل تعليم المسيحيين ، وأطلعته على ما كان يقوله لي الناس ... ، وقام بردعهم لفترة .

في يوم الأربعاء عندما كنت بالمنزل بعد زيارة المسيحيين ، جاءني العديد من الناس بأنباء تقول إن هرمز قد سقطت وتسبب ذلك في الكثير من الأسى والكرب بين المسيحيين ، وجمع العديد منهم كل متعلقاتهم حتى يهربوا لداخل البلاد ، لكن جاءت حينها أنباء بخلاف ذلك فهدأوا واطمأنوا نوعاً ما .

أتوقّع الآن أن يرسل في طلبنا من هرمز ، رغماً باعتقادي إنني سأبقى في هذه البلاد لبعض الوقت .

المناخ صحي وجيد في يونيو ويوليو وأغسطس وجزء من سبتمبر ، لكن في أكتوبر ونوفمبر يسود نوع من الوباء . يقول الناس هنا عند ظهور نجم معين في الجنوب فهي علامة لهذا الطقس السيئ ، ويتنبأ به الناس عبر الثيران والحيوانات التي تحمل الأغراض على ظهروها ، لمعرفة إن كان النجم قد ارتفع في السماء عليك بمراقبة الماشية حيث يبدو عليها الفزع والاضطراب ، وقد حدث ذلك وأصاب المرض كل الناس الذين جئت بهم إلى هنا ، لكن بحمد الربّ فقد توفّي فقط أربعة أطفال وامرأة واحدة .

من "موغستان"

"ألفارو ميندين"

وفي العام نفسه (١٥٥٢م)

غـادر الأسطــول البرتغالـي المملــكــة بقــيادة القبــطــان "فيرناو سواريس دي البيرغاريا" "Fernao Soares de Albergaria" ، وتوجه إلـى البصرة : [16]

فيما يتعلّق بالأسطول الذي غادر هذه المملكة في عام ١٥٥٢م ، بقيادة القبطان "فيرناو سواريس دي البرغاريا" ، كيف أبحر نائب الملك "د . أفونصو دي نورونها" إلى هرمز ، والأخبار التي تلقاها في طريقه عن انسحاب السفن ، كيف أرسل "د . أنتاو دي نورونها" أسطولاً ضخماً للقلعة وكيف عمد إلى إرسال "فرانسيسكو باريتو" إلى "كوتشين" مخولاً بالسلطات من الحاكم للالتزام بمسؤولية سفن المملكة .

مقتطف :

عمد نائب الملك إلى تسريع عملية ركوب السفن وقد وصلت ثلاثة

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

من ضمن سفن "البرتغال" الستة في إبريل من هذا العام ١٥٥٢م إلى حاجز "غوا" في الثامن من شهر سبتمبر بقيادة القبطان الجنرال "فيرناو سواريس دي البرغاريا" الذي أبحر في السفينة "ساو بيفونتورا" .

عندما تمّ البتّ في هذه الأمور استقلّ نائب الملك إحدى السفن للإبحار فيها في أواخر شهر أكتوبر ، برفقة أسطول قوامه ثمانون سفينة ، بينها أكثر من ثلاثين سفينة من السفن الضخمة ، وعندما كانوا في طريقهم اتّبعوا طريقهم مستفيدين من هبوب الرياح الشرقية حتى تمكنوا من الوصول في "ديو" في غضون أيام قليلة ، وهناك وجد نائب الملك إحدى السفن الخفيفة التي قدمت من هرمز برسائل "دوم ألفارو دي نورونها" ، حيث أخبره عن رجوع السفن للبصرة وقدّم له تقريراً مفصلاً بكل ما حدث في مسقط وهرمز .

هنا بدأ التأثر واضحاً على وجه نائب الملك بعد علمه بما حدث في مسقط وسرعان ما انتشرت أخبار تفيد عن مغادرة السفن ، الأمر الذي ترك انطباعاً سيئاً في نفس كل فرد ، لأن الجميع كانوا يرغبون في امتحان مهارتهم ضدهم .

بعد ذلك اجتمع نائب الملك بالقباطنة القدامى حيث أطلعهم على فحوى الرسالة ، وشرح للمجلس ما يعتزم القيام به في هذا الأمر ، وعندما اطّلع كل فرد على هذه الأمور اتّفق أنه طالما غادر الأتراك ، لا بدّ من إرسال أسطول بغرض تمشيط مضيق هرمز والتوجه إلى تلك القلعة خلال الشتاء لأجل حمايتها ، ويترتب على نائب الملك العودة إلى "غوا" .

بعدما تمّ اتّخاذ هذا القرار أرسل نائب الملك ابن أخيه المدعو "دوم أنتاو دي نورونها" في اثنتي عشرة من السفن الكبيرة وعشرين من السفن الخفيفة .

أحداث عام ١٥٥٣م

صدرت تعليمات كتابية من "دوم جواو الثالث" إلى مبعوث مسافر عن طريق البر إلى الهند ، بتاريخ عام ١٥٥٣م ، وكذلك تحطم الأسطول التركي على يد البرتغاليين جنوب رأس الحد : (١٧)

لقد تم إبلاغك سابقاً شفاهة بأهمية هذه الرحلة ، والحاجة إليها ، وبالخدمة الجليلة التي سوف تسديها إلى جلالته .

سوف تتهيّأ وتسلك الطريق والأسلوب حسب رغبتك ، واضعاً في اعتبارك سلامتك الشخصية لتأمين الطريق ، أما فيما يتعلق بالوقت الذي سوف تستغرقه رحلتك فينبغي أن تعتبر الوقت المناسب الذي يسمح لك بالعودة ، فوق الوقت الذي يحدده جلالته فالعودة ضمن هذه الحدود هي الخدمة المثلى التي يمكنك تقديمها لجلالته .

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

لدى جلالته أخبار بتاريخ التاسع والحادي عشر من يوليو عن طريق الإسكندرية والتي جاءت عبر القسطنطينية وإلى هناك جاءت من البندقية وتقول بأن "بيربيك" قائد الأسطول (التركي) الذي هاجم هرمز قد وصل إلى السويس بقطعتين اثنين من أسطوله فاقداً البقية على يدي القوات "البرتغالية" في عرض البحر ... ، وفي واحدة من سفنه ابنه ، والذي قيل إنه قد أسرته قوات جلالته .

أما باشا القاهرة فإنه في ضوء الأنباء السيئة التي حملها "بيربيك" له ، فقد أمر بوضعه "بيربيك" في السجن في القاهرة ، ويعتقد أنه سوف يرسله إلى القسطنطينية . عليك أن تعرف الأخبار والمعلومات الصحيحة حول هذا ، وإنّ ما قد قيل قد حدث بالفعل ، وكيف حدث ووقت حدوثه ومكانه وملابسات وقوعه ، وأيّ من سفن جلالته تلك التي تسببت في إلحاق الضرر بالأتراك ، ومن كان قائدها ، وكيف أمكن تحطيم ذلك الأسطول (التركي)؟!

إذا عرفت أن هذه الأنباء صحيحة وتتوافق مع ما سمعه جلالته من أنباء ، وإنّه لا يوجد فيها ما يبعث على الشكّ ، فعليك البحث لمعرفة ما حدث في أدقّ تفصيلاته وكلّ التفاصيل المحيطة به ، وإنّه عليك العودة والإتيان بالأخبار على عجلة .

أما إذا وجدت أن الأنباء لم تكن مؤكّدة أو لا شيء يُعرف عنها ، فعليك أن تواصل بطريقتك لمعرفة أين هو ذلك القبطان المذكور ، وكم عدد رجاله وسفنه ، وإذا ما كان في البصرة أو في أي جزء أو مدينة في

خليج هرمز هو؟ أو أنه قد عاد إلى عدن بكل سفن أسطوله التي هاجم بها هرمز ، وقيل : إنّها عشرون .

عليك معرفة إذا ما كان قد هاجم قلاعاً أو أماكن أخرى في مضيق هرمز وأي الأماكن هي .

عليك بالذهاب إلى السويس ومعرفة إذا ما كانت من سفن قيد البناء هناك ، وما هي حالة السفن القديمة ، وإذا ما كانت صالحة للإبحار وإذا ما كان العمل جارياً لإصلاحها ، وكم هو عدد تلك القديمة من السفن هناك .

وكم عدد التي يعاد بناؤها منها ، وما هو حجم السفن في المجموعتين (القديمة والجديدة) ، وكم من الأخرى يتوقّع دفعها إلى البحر عاجلاً ، وإلى أيّة وجهة في الهند يقال إنّها سوف تتوجّه ومتى تغادر ، ومن هم الرجال المقاتلون والمدفعية والذخيرة المحمولة؟ ما هي سن ورتبة قائدهم ، ومن هو الذي يصدر الأوامر لإنجاز ذلك وإنفاذه ، وهل يتمّ الأمر في عجلة أم هو ببطء؟

عليك أن تعرف ما يقال عن نوايا الأتراك في الهند وعن أي الأماكن يتوقع أن يضرب ويقاتل ، ومع من وأية أوامر طلب من البصرة أن تقوم بمهامها ، وأن تبقي الرجال المحاربين هناك ، وإذا ما كان هناك من شخص في بلاط الأتراك وفي أي رتبة هو ذلك الشخص الذي يثير ويقنع ويحفز الأتراك في شؤون الهند ، وهل يقترح ما يعود عليه بالأرباح وأيّ قيمة أو كمّية من الأرباح يطمع فيها ، وكيف يتقبل التركي هذا الشّخص ، وكيف يقتنع بما يقترحه عليه؟

عليك معرفة أية بهارات قد أتت من الهند إلى بلاد الأتراك ، وأيّة نوعية وكمية من البهارات وإلى أية أماكن وبلاد .

عندما تعرف كل هذا وتدرك ذلك باهتمام جدير وتلحظه بعينيك عليك أن تعود بالسرعة المناسبة حتى تصل في الوقت المحدد لمهمتك .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

بعث "غاسبار بارزيو ، إس .جي ." ، نائب أسقف أبرشية الهند رسالة إلى الكاهن الأب "أقناتيوس لويولا" ، مدير عام "جمعية اليسوع" في "روما" ، "غوا" ، في الثاني عشر من شهر يناير عام ١٥٥٣م ، يذكر فيها وضع سوقطرة : [١٨]

الأمن والسلام على سيدنا المسيح ... الخ .

لقد انقضى عام وشهران[أ] منذ أن قدمت من هرمز كي أبحر مع أول بعثة ترسل إلى "اليابان" ، ولم يحدث أن حصلت على إجازة منذ ستة شهور[ب] لأن رئيس هذا الدير[ت] أمرني أن ألتحق بإحدى دور الدراسة كي أتعلم شيئاً ، ما يمكن أن يستخدم ويفاد منه في هذه الجمعية .

(أ) كان قد جاء إلى غوا قبل ١٥ نوفمبر ١٥٥١م .

(ب) في شهر إبريل كانت السفن قد أبحرت من "كوتشين" إلى "ملقا" والشرق الأقصى .

(ت) الأب بول .

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

هكذا فقد أمكن تحقيق الكثير من الفوائد من خلال جلسات الوعظ والاعترافات والمشاركة في الأعمال الخيرية ، وقد لمسنا مدى التطور الذي حدث للبعض خاصة الذين ابتعدوا عن أحضان الكنيسة الكاثوليكية ، وهو تطوّر لم يُر له نظير في تلك المناطق ، وأحسب أن الأخ الراهب "اندريه فيرنانديز" "Andre Fernandes" القادم في طريقه إليكم بأمر من الأب الآمر "فرانسيسكو" سيوافيكم بتقرير مفصّل عن هذا الأمر .

بشكل غير متوقع(أ) وصل الأب "فرانسيسكو" قادماً من "اليابان" ، بعدة فترة من الزمن تمكّن خلالها بفضل الربّ من إنجاز أعمال عظيمة هناك ، ولقد وصل ومعه مجموعة من الناس من تلك البلاد ، جاء بهم كي يرسلهم إلى "البرتغال" وإلى حضرتكم ، وينتظرون تلقّي أوامر وتوجهاتكم للعمل بموجبها كي تتحقق غاياتهم(ب) في بلدانهم تلك ، ولقد ترك معنا اثنين من الرجال ممّن يمكن اعتبارهم من الرجال المتحمّسين للعمل في الدعوة المسيحيّة .

نظراً لأن الطقس في "غوا" مقيت ومهلك ودرجة الحرارة مرتفعة جداً في البلاد ، فقد توفّي أحد الرجلين وكان مسيحياً مخلصاً ، أما الثاني فقد اتجه إلى المملكة(ت) .

(أ) كانت رسائل "شافير" قد أكدت باسهاب كل أقوال "بارزيو" .

(ب) فيما يختص بهؤلاء "اليابانيين" .

(ت) حقيقة هذا المدعو "بيرنارد" قد وصل في البرتغال ، وقد عرف أنه توفي في عام ١٥٥٧م ... أما الثاني "ماثيو" فقد توفي في غوا .

أما الأمر الذي تركه الأب الآمر "فرانسيسكو" بعدما أرسل مجموعة كبيرة منا للعمل في مختلف الأقاليم التي توجد فيها حقول كرم العنب الخاصة بالملك ، فهو تكليفي بتولي مسؤولية المدرسة أثناء غيابه ، وكلّ المدارس الأخرى في الهند ، وباعتبار ما يشوب شخصيتي من نقائص وعيوب ، فبإمكان حضرتكم تصور الارتباك الذي يعتريني .

إن التحرق والشوق الذي يدفعني للتضحية بنفسي لأجل الملك في "اليابان" والمحيط الشمالي[أ] قوي جدّاً لكني دائماً أجد ، نفسي في تضحية المرء للرب وحده ، إذ إنها تكون أكثر قبولاً إذا كانت نابعة من إرادته وخالصة للربّ وحده دون غيره .

٣- الآن يقيم كل من الأب الكاهن "غونسالو رودريغيز" والأخ الراهب "ألفارو ميننديز" في مقر إقامتي في هرمز ، وقد أفلحا كثيراً وحققا نتائج باهرة في مجال التبشير والاعتراف وأعمال البر والتقوى .

يمكن أن تتّضح حقيقة ذلك من خلال نسخة التقرير الإخباري التي أرسلت من هناك ، سيما وأن مناطق معينة من هذه البلاد قد ذكرت فيه[ب] هذا العام ، ولقد تعرضت هذه القلعة التي يؤدّي فيها الأعضاء أعمالاً عظيمة ، للحصار من قبل جيوش الأتراك ، ولكن ، كما ستعلم- فيما بعد- فقد تم رفع هذا الحصار عن القلعة .

(أ) لم يكن بحر سيشيان (أو المحيط الشمالي) معروفاً بكثرة من قبل القدماء .

(ب) لقد فقدت رسالة "غونسالفو" (انظر الوثيقة ٨٧ أ) . ، وعموماً لقد ورد ذكر الخبراء في كتابات "بولانكو" .

بالرغم من وجود بعض القصاصات التى تتضمن ما أشير له في هـذا الصدد إلا أنّها فقدت أيضاً ، ولكن يبدو أن "الكاردينال سيرفينو" قد استفاد منها .

١٦ - لقد وجدنا هنا العديد من المقاطعات التي تعتبر مناطق خصبة يمكن للآباء في الإخوانية أن يتمكّنوا من استثمار وممارسة نشاطاتهم الدينيّة فيها ، لتحقيق نتائج ملموسة .

على وجه العموم ، ففي إطار احتياجنا للكثير من الناس كي نعهد إليهم بالقيام بتلك الأعمال ، فقد توقّفنا عن مساعدتهم ، والملك على علم بمدى ألمي وحسرتي على رفض الكميات الكبيرة من المطالب التي تقدّم هنا في كل يوم ، ولعل الأسوأ من ذلك أنّه في عدة أماكن أخرى ، حيث خلّف الرسول المبارك القديس "توماسّ" بعضاً من آثار المسيحية ، فقد تعرض الكثيرون للضياع بسبب غياب من يمكن أن يمدوا لهم يد المساعدة ، تلك هي الحالة السائدة في جزيرة سوقطرة الواقعة عند مدخل مضيق مكة بجوار البحر الأحمر ما بين أثيوبيا وبلاد العرب إلى الصحراء العربية[أ] .

في وجهة نظري ، هذا باختصار ما يحدث فيما يتعلق بأمر كهنة المجمع المنتشرين في جميع مقاطعات الهند ، لأننا حقيقة ننتشر على مساحة تقدر بحوالي ألفي فرسخ تقريباً ، ومن الصعوبة بمكان أن نتمكّن من الاتصال ببعضنا البعض إلّا بواسطة الرسائل ، وإن اعتمادنا على الربّ فهو من نلوذ إليه ونستجير بقوّته في أوقات الأزمات والشدة .

الحق يقال ، إن القوة التي أمدّنا بها جعلتنا نتيقّن أن ما نعانيه لأجل المسيح يبدو أمراً تافهاً لكلّ فرد منا .

(أ) يطلق على الجزء الشمالى من شبه الجزيرة العربية اسم الصحراء العربية .
أما جزيرة سوقطرة فهي حقيقة تقع بالقرب من اليمن السعيدة .

١٧- إنني سوف أبدأ الآن في تقديم تقرير لجناب حضرتكم ، أولاً عن المدرسة في "غوا" ، وثانياً عن نفسي وعن حياتي بحيث يتبين بجلاء في كل أمر عظمة سيدنا المسيح .

حسب علمي ، فإن "غوا" عبارة عن جزيرة بطول فرسخين تتبع لها مجموعة من الجزر الصغيرة المجاورة .

تتقاسم "غوا" البر الرئيس مع مملكة "هيدالكاو" ، وهناك كثيرون أصبحوا مسيحيين . هنالك مدينة مكتظة بالسكان ، عاصمة بلاد الهند ، وهي المدينة الأم التي توجد فيها المطرانية ومحكمة نواب الملك والحكام والمطران ورجال الدين القائمين على أمر الكنيسة .

في هذه الجزيرة توجد كنائس كلٍ من "الدومينكيين" و"الفرانسيسكيين" ، حيث كانت تقام الكثير من الفعاليّات .

في الوقت الراهن تمتلك رهبنتنا مدرسة كبيرة يوجد بها أربعة من الكهنة الذين يقومون بأداء القدّاس ، وكان اثنان منهم قد أبحرا مع نائب الملك في الأسطول الذي تم توجيهه ضدّ الأتراك الذين يقومون بمحاصرة قلعة هرمز ، وكان أحدهم مبشراً وهو رجل تميّز بحسن طويّته وصفاء نيّته بين الجمهور .

وبالرغم من أنّه لم ينل قدراً جيداً من التعليم إلا أنّه يعتبر كاهن اعتراف جيّد ، وهو يحمل اسم "أنطونيو فاز" وقد تم استقباله هنا في الهند ... ، وهو في حوالي الثلاثين من العمر ، أما الآخر فهو في نفس العمر ، ويدعى "فرانسيسكو لوبيز" ، ولقد أخذا معهما أخاً يدعى "فرانسيسكو دوراو" .

لقد قاموا بإحداث تطوير كبير في السفن والمراكب (٢٦٧ في) في موقع تجمعها وذلك حسبما كتب لي(أ) ابن نائب الملك "دوم فيرناندو" .

كانوا يقومون بالتبشير والاعتراف ونشاطات أخرى في التنوير بضرورة العمل في مجال الإحسان في تلك المناطق .

كانوا أيضاً قد أخذوا معهم خمسة من الصبية اليتامى ، أربعة منهم يتعلّمون مبادئ النحو ، ويدرس الآخرون الموسيقى والعزف على آلة "الأورغن" ، وقد عُهد إليهم بأعمال توبيخ وزجر المجدّفين ، وكذلك معالجة المرضى ، وكذلك تدريس الأطفال الصغار ... ، وعموماً قدموا فوائد جمة .

أما في الأسطول فقد تولوا الدور الخاص بالتثقيف ، ولعبوا دوراً عظيماً في توبيخ وإحراج الآثمين ، وفي اعتقادي إنهم بمثابة الوسائل التي يمكن للحاكم استخدامها لتحقيق الكثير من الأهداف ، وبوسعهم أن يصبحوا أعضاء فاعلين في المجتمع ... ، وفي غضون عام واحد يمكن أن يكون لهم الدور الفاعل والمميّز .

٣٢- أخبار ممالك "بريستر جون" حاكم إثيوبيا ، لقد ضُمنت أخطاؤه وعاداته في رسالة أرسلت للبرتغال ، وهذه معلومات موثقة كنت قد تلقيتها من بعض الأفراد "البرتغاليين" القادمين من هناك هذا العام ، ولقد أبلغوني أن ذاك الملك(ب) يميل كثيراً للشعوب "البرتغالية" ، ولقد أرسل في هذه السنة رسالة إلى ملك "البرتغال"(ت) .

(أ) "د .فيرناندو دي منسيس" .

(ب) "كلوديو" "قالاو ديوس" الذي حكم في الفترة ما بين ١٥٤٠- ٥٩ .

(ت) هذه الرسالة فقدت (انظر الوثيقة ١١٨ أ-) لقد صدر أمر شافير إلى بارزيو كى يكتب إلى الملك وفي الحقيقة مازال نص إحدى الرسالتين موجوداً .

في تلك البلاد تتوفر معارف كثيرة ، وهذا ما أخبرني به أحد الشباب الإثيوبيين ، وهو عضو في مجلس الملك ، كان من بين تلامذتي الذين درسوا على يدي في هذه المناطق ، وقد هرب إلى هناك .

في هذا العام[أ] أرسلت خطاباً للملك توسّلت إليه أن يقبل هذه الخدمة منّي ، إذ إنني أرغب في السفر إلى تلك البلاد لأجل تقويم وإصلاح "البرتغاليين" هناك ، والذين ثبت أنهم حقّقوا نجاحات في حياتهم الدنيويّة ، ولكنهم فشلوا تماماً في إثبات أي نجاح فيما يتعلّق بالأمور العقائدية ، وهكذا قدمت عرضاً بإجراء مساءلة شفهية لشعبه ، كي أتبين الشخص العنيد الفظّ المتعنّت في أخطائه ، سواء من الوثنيّين أو المسلمين أو اليهود ، وما إذا كان يرغب في قبول ذلك مني .

إنني آمل أن أحصل على ردٍ منه في مدة عام واحد ابتداء من الآن فصاعداً ، أي في الوقت الذي تستغرقه رحلة إبحار سفن الأسطول من هنا إلى مضائق مكّة .

لقد كتبت رسالة أخرى للبرتغاليين أنفسهم[ب] مبيناً لهم إنني آمل في الحصول على إذن من جانبهم ، كي يسمحوا لي بزيارتهم وقضاء البقية من أيّام حياتي هناك .

قد أبلغني هذا الرجل ما سمعه في بلاد "بريستر" وأنّه سوف يتم استدعائي في الحال من هناك للمجيء في غضون فترة عام ، وسوف

(أ) الوثيقة حررت بواسطة بيكارى .

(ب) انظر الوثيقة ، التى حررت بواسطة بيكاري .

يكون في انتظاري ومعه البغال والحمير في جبال إثيوبيا التي تقع خلف المخا ، وهو ميناء في مدخل البحر الأحمر أمام جبل سينا[أ] .

حباً في المسيح أتوسل لحضرتكم أن تتفضل بإرسال شخص آخر كي يحل محلي في "غوا" وأن تمنحني وتمنح أحد رفاقي الإذن كي أقضي البقية من عمري في تلك البلاد ... ، وبسبب عناد الناس هناك واسترسالهم في الآثام فسيكون على العاملين الكثير من الأعمال كي ينجزونها .

هناك تفريط كبير في نظام حياتهم ، ويفتقرون كثيراً للهداية كي تتحقق لهم التوبة .

على حدود هذه الممالك توجد شعوب متخلفة وغير متحضرة من بينهم يوجد آناس عور لابد أن يؤخذ بأيديهم ، فللبعض منهم أذناب وللآخرين أصوات أشبه بفحيح الأفاعي!!

القاعدة ، أنهم جميعاً يأكلون اللحم نيّاً مخلوطاً بروث البهائم ويعيشون كالحيوانات[ب] ، ولا شك أن حديث الربّ سوف يحدث فيهم تأثيراً قوياً ، وبعدما فقدت الأمل في الذهاب لليابان و"الصين" فإن ثقتي كبيرة في أن يحقق الملك مع حضرتكم الكثير من الإنجازات في هذه المناطق ، باعتبار ذلك عملاً يراد به وجه الربّ وخدمته ، وفائدة جيراننا ووسيلة لخلاصي من الخطايا .

البلاد ليست مجبولة على قبول البطريرك لأنه ما يزال في حاجة

(أ) المخا ، في مملكة اليمن وهي مدينة تبعد ٢٠٠٠ كيلو متراً من جبل سينا .

(ب) لقد برهن بارزيو إنه شخص مفرط في السذاجة في مثل هذه الأمور .

للدعم من (أنتوش) Antioch ، ولكن ربما أمكن تهيئة البلاد من خلال إيجاد أحد الآباء الكهنة وواحداً من الإخوة الرهبان ، بحيث إنه خلال مدة قصيرة يمكن أن تحدث الموافقة على استقبال البطريرك .

كل الناس [٢٧٢ في] يتنبؤون في هذه المنطقة بأن هذا المشروع قد احتفظ به لشخصي ، وبما أنّني أرى ضرورة الحاجة إليه ، فإنني شخصياً أقدم نفسي للقيام طواعية بجميع الأعمال التي يمكن أن تؤدى في هذه البلاد حبّاً في المسيح عيسى (عليه السلام) وإذا كان حظّي في الحياة الدّنيا قد انتهى .

فإنني إذا انقضى أجلي لن أمثل خسارة كبيرة ، لأنني حينها أكون قد حققت هدفي وغايتي ، وإذا ما مد الرب في عمري فسوف أتحمل الحياة وقسوتها بكل الصبر ، كأي زارع ينتظر الحصاد ، وإذا كان هذا الشعور له تأثير عليك ، فليكن توجه حضرتكم التمجيد للرب لأنني أصبحت أمامك أشبه بحيوان لحمل الأثقال .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

بعـــث "د .جواو الثـالث" رسالــة إلـى "الكومندادور مور" "د . أفونصو دي لانكاستر" "D . Afonso de Lancaster" السفير في "روما" ، "لشبونه" ، بتاريخ شهر سبتمبر عام ١٥٥٣م ، يستفسر عن نتائج الهزيمة : [١٩]

إلى ابن أخي وصديقي الكومندادور "مور" "Moore" ، أنا الملك أرسل لك أطيب تحياتي .

في الوقت الذي أوشكت على إرسال الرد على جميع رسائلك مع خادمك ، وصل "جريجوريو بوتلهو" حاملاً معه مكاتباتك عن فترة الأربعة أشهر الأخيرة والتي أخبرتني فيها أنك قد أكملت الموضوع الخاص بالموافقة على بعثة أخي "الكاردينال" واعتباره مبعوث المملكة مدى الحياة .

---

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

إن قداسته قد أرسل لي مذكرة بهذا الشأن مع خادمه "جيوفاني فرانسيسكو" "Jiovani Francisco" الذي قدم كجابي ضرائب ، وسوف يغادر خلال عشرة أو خمسة عشر يوماً .

حقيقة لقد سعدت جداً بتلقي هذه الأخبار لما فيها من الفائدة لملكنا وللمملكة ، وإني أثق تماماً أن التوهّج والحماس الذي تخص به خدمتي في كل شيء ، له تأثير بالغ في قرار صاحب السمو الخاص بمنحى هذا الشرف ... ، وهذا أمر أثمّنه بكل التقدير والتعظيم للأسباب التي ذكرتها ، وأرجو أن تقبل رجليه بالإنابة عني .

لا يسعني إلا أن أعبر عن عظيم شكري وامتناني إلى سعادة "الكاردينال سان فيتالي" عن كلّ ما قام به نحوي وعن مفاوضاته التي أخبرتني عنها في هذا الموضوع ، وهو يستحقّ مني كلّ الشّكر والتّقدير نظراً لحسن طويّته وصفاء نواياه وبين يدي رسالة سوف أوجّهها له عن هذا الأمر ، سوف أرسلها لك مع هذه الرسالة ، وهي تحمل عظيم امتناني .

بما أن المذكور "كانوبيو" لم يصل حتى الآن ، فليس بمقدوري أن أطلعك على أكثر من هذا ، ولكنى أؤمن أن ما تقوله سوف يحدث ولن يكون هناك أي تغيير .

آمل أن تكون الأخبار التي تلقيتها من الهند في هذا العام ، والتي سوف تطّلع عليها من خلال التقرير المرسل لك في رسالة أخرى في هذا الموضوع ، وكذلك الأخبار التي أرسلتها لي عن القائد التركي والذي أحسب أن من اسمه هو نفس القائد الذي رافق السفن إلى

هرمز ، وآمل أن تكون أخباراً صحيحة ، وفي ضوء ما أبلغني به سعادة نائب الملك في الهند أن تكون أخباراً صحيحة .

إنّه مع الوقت سوف توقع اتفاقية ما ، وبالتالي ربّما بدت تلك الأخبار صحيحة ، وأرى من الأفضل أن أرسل لك خادمك هذا في أقرب وقت وذلك لسببين اثنين :

الإنجاز الذي يمكن أن يقلّص أو يزيد الالتزام والنفقات في الموقع الذي وضعوني فيه ، إذ من الضروري أن أقوم بإرسال ما لدي من أخبار إلى الهند وهذا أمر كما ترى يقتضي أن يتمّ بأقصى السرعة .

عليه فإنني أناشدك أن تعمل على إرسالها من المكان الذي توجد فيه ، لأن هناك قراراً يجب أن يتم اتخاذه بشأنها في وقت معين لا يحتمل التأجيل والتمديد .

كلّ ما أطلبه منك هو أن تقوم أولاً بإرسال نسخة من أخبار هزيمة هذا القائد وهزيمة سفنه أي تلك التي سبق أن أرسلتها لي مع ساعيك الخاص ، ذلك حتى تصل الأخبار إلى "ثوماس دي كورونكا" وإلى أي مكان آخر يوجد فيه وكلاء أخبار لك ، وذلك كي يقفوا على الأخبار التي ترسلها لي ، وعندما تصلني هذه الأخبار ، يجب عليهم أن يبلغونك فوراً عن الوسائل والمسالك التي عن طريقها وصلتني تلك الأخبار ، وعندما تنسخ تلك الأخبار فسيكون من المتوقّع أنّها تكون أخباراً صحيحة سيما إذا كانت متطابقة في تفاصيلها البارزة ، تماماً كما هو الحال بالنسبة للأخبار التي أرسلتها لي .

إنه من الضّروري لمصلحتي أن نحصل على معلومات دقيقة كاملة

ومؤكّدة عن هذه الأخبار ، لأن سمعة أتباعي وسط أعدائي تعتمد على هزيمة تلك السفن وأتمنى أن يمنّ الربّ علينا بالنّصر والفوز ، لأن النصر هو الشيء الذي يمكنني من الوصول إلى القرار الذي يجب أن اتّخذه في هذا الموضوع ، وكذلك هو الحال بالنسبة للأخبار عن السّفن القادمة من السويس وما يحدث هناك .

أعتقد أن من مصلحتي أن يتمّ إرسال شخص ما كي يقف على حقيقة ما يحدث هناك ، وبما أن الفرصة الآن مهيأة كي تقوم بإرسال ابن اليهودي وصهره ، والذي أخبرتني عنه مؤخراً والذي أرسلت لي خطاباً بشأنه ، فإنني أناشدك أنه عند استلامك هذه الرسالة أن تسارع فوراً للتحدث مع أي من هذين الشخصين وإلى من تراه الأفضل والأكثر حرصاً كي يقوم بتلك الرحلة .

عليك أن تعطيه الأوامر والتوجيهات التي ترى أنها مناسبة ، واضعاً في اعتبارك ضرورة أن يعود لي بالرد في الوقت المحدد ، كي أتمكن من إصدار الأوامر التي تتناسب مع مقتضى الحال ، ومع طبيعة الأخبار نفسها ، ويترتب عليه أن يذهب إلى أي مكان يمكنه أن يتيح له فرصة التأكد والاستعلام بالآتي :

أوّلا ما إذا كانت الأخبار التي أرسلتها لي عن هزيمة القائد والسفن هي أخبار صحيحة ومؤكدة .

يجب عليك عند عودته أن تسارع بأخباري عما وجده ، وأترك لك حرية القرار فيما يتعلّق بالاتفاق عنه حول نفقات تلك الرحلة بما ترى أنّه يخدم مصلحتي .

كُتب في "لشبونه" في ..... من سبتمبر- بواسطة "بانتالياو ريبيلو" "Pantaliao Rebello" .

لقد تمّ شطب بقية هذه الفقرة وثلاث فقرات أخرى تلتها ولكنها تقرأ كما يلي :

ما هي الخسائر التي لحقت به في هذه المعركة؟ وأين؟ وبواسطة من؟ وإلى أيّة جهة انسحب بعد الهزيمة؟

إذا لم تكن هذه الأخبار صحيحة ، أين يوجد الآن ذلك القائد؟ كم عدد رجاله وكم عدد سفنه سواء في البصرة أو في المناطق المجاورة لمضائق هرمز؟ ما هي المدن التي استولى عليها؟ وهل تمكن من العودة إلى عدن بجميع سفنه التي قدم بها من هرمز والتي قيل إن عددها بلغ خمسا وعشرين سفينة ، أو كم عدد السفن التي رجع بها؟

لابد من التأكد ما إذا كانت هناك سفن يتم بناؤها في السويس ، وكم عدد تلك السفن وما هي أحجامها ، وكم عدد السفن المتوقّع استخدامها في الوقت الراهن؟ أيضاً الأشخاص الذين كلفوا بالاهتمام والإشراف عليها ، وكم من الوقت يحتاج إلى إكمال العمل ، ومن هو القائد سوف يعهد إليه بقيادتها؟

إذا ما كانت تلك الأخبار مؤكّدة وموثوق في صحّتها تماماً ، فعليه أن يعود إلى أي مكان يختاره بنفسه بحيث يتيقن من صحة تلك الأخبار ، وإذا ما تبين له أنها غير صحيحة أو وجد صعوبة في التحقق من صحتها ، فعليه أن يتجه إلى السويس كي يقف على ما ذكرته أعلاه .

كما ذكرت أن القرار الذي يترتّب عليّ اتخاذه عن هذه الأمور في الهند يعتمد على سرعة عودته ... ، وعليك أن تشرح له ذلك ، وأن تبيّن له أيضاً مدى أهمية دقة وصحة الأخبار التي يقوم بتبليغها لنا .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

بعث الملك "د . جواو الثالث" رسالة إلـى "كومندادور مور" ، "د . أفونصو دي لانكاستر" السفير في "روما" ، "لشبونه" ، بتاريخ سبتمبر عام ١٥٥٣م ، يخبره أنه بعد احتلال البصرة والخليج فإن الدعم من قبله (الملك) سيكون بعيد المنال ، ويتطلب مدة عام حتى يصل إلـى الخليج ، ويذكر سبباً آخر هو ضعف الإمكانات : (٢٠)

أنا الملك أرسل لك تحياتي .

من خلال الرسائل التي تلقيتها من نائب الملك في الهند والتي وصلتني مؤخراً بواسطة السفن التي وصلت هنا تمكنت من معرفة أخبار مملكة الهند .

لقد أثارت هذه الأخبار قلقي ودفعتني نحو الالتزام بفعل ما يطلبوه مني .

---

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

الآن أرسل لكم مذكرة تتضمّن جوهر ذلك الأمر وحقيقة حتّى تتمكّن من تقديم تقرير بالإنابة عنى إلى الأب المقدس ، وبدوره سوف يتبيّن أيّة رسائل تمكنني من مواجهة قوة أولئك الأعداء الطامعين في دخول هذه الأقاليم ، والتي يدفعهم نحوها ملوكهم وأمراؤهم .

بالنسبة لهؤلاء الأعداء وغيرهم يسهل عليهم أن يضربوا ويتراجعوا ، وبوسعهم إعادة تشكيل صفوف مقاتليهم بسرعة عندما يتطلب الأمر ذلك ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار وجود قلاع لهم في البصرة ومضيق هرمز .

أما بالنسبة لي فإن الدعم والمساعدات أعتبرها أمورا بعيدة المنال وغير مؤكدة ومن المستحيل أن تصل قبل مرور عام كامل ... ، وعند التفكير في إمكانية عمل أي شيء فليس فقط الشك والغموض ما يتبادر للذهن ، وإنما أيضاً ضعف الإمكانات ، وبالمثل التقاربية المستمرة لمثل أولئك الأعداء والسهولة التي تمكنهم من القدوم ، والحيرة التي تنتابنا حول وقت قدومهم وكيفية قدومهم .

كل تلك هي عوامل مؤثرة في نوعية الصراع والحرب التي يشنوها .

من الصائب أيضاً أن يصار إلى التركيز على أن تتضمن الأخبار كلّ ذلك ، لأنني من ناحية أعتبر نفسي مجبراً من واقع التزامي بواجبي نحو الربّ ونفسي بأن أدفع ديوني ، وهي ديون أدفع عليها فوائد كبيرة كل عام ... ، ومن ناحية ثانية التزامي نحو نفسي وما يمليه علي الواجب في المحافظة والدفاع عن سيادة دولتي التي زرعت فيها بذور إيماني ، وهذا ما يؤكد مقولة "رب ضارة نافعة" وبمعنى آخر أن الرب إذا ما شاء لنا أن نخسر في هذا الجزء ، سوف يعوّضنا عنه في جزء آخر .

يجب عليك أن تكتب تقريراً عن هذه الأخبار كي ترسله إلى قداسته ، وتخبره في نفس الوقت ما أخبرتك به في هذه الرسالة ، وعليك أن تطلعني برده .

حرر في "لشبونه" في سبتمبر [.....]

١٥٥٣م

بواسطة "جواو رودريغيز كوريا" "Joao Roderigues Correia" ١٥٥٣م .

مرسل إلى "كومندادور مور" .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

بعث الأب "اليكسو دياز" "Alexo Dias" رسالة إلى الأب "لويز غونسالفيس دا كامارا" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٥٣م ، يذكر ما حدث بعد المعركة بين الأتراك والبرتغاليين جنوب رأس الحد : [٢١]

١ـ أكتب لقداستك من "كوتشين" لإخبارك بأن الأب الأكبر "غاسبر بارزيو" سوف يرسل الأب "أنطونيو دي هيريديا" إلى هرمز ، ولقد أمر الأب "غونسالو رودريغيز" بالحضور إلى هناك من هرمز بسبب مرضه .

إنني ، بحسب مشيئة الرب بمكافأتي في هذه الدنيا لبعض الأعمال التي سبق أن قمت بها ، فإنه يقدم لي فضلاً كبير بإرسالي إلى هرمز مع "الأب أنطونيو" رفيقاً له ... ، فالعزاء الروحي لهذه الرفقة هو إذا ما طرأ عمل شاق فهو بالنسبة لي راحة .

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

٢ـ أيها الأب العزيز ، بما أن روحي تسبح في انشراح عظيم عبر هذه المنح التي يقدمها لها الرب عبر الأبرشية في هذه الأقاليم وغيرها ، فإنني سوف أطلعك على تلك التي منحها الرب عبر الأب "أنطونيو" منذ أن غادرنا "غوا" وحتى وصولنا إلى جزيرة هرمز .

ليس القصد تقديم فكرة عن بلاد العرب وفارس والمضيق والممالك ، وذلك لأن تلك معروفة من خلال الرسائل المبعوثة من هنا ، بل فقط حول ما وقع أثناء الرحلة وما حصل لنا هنا في هرمز .

٣ـ غادرنا "غوا" في يوم عيد الفصح (الثاني من شهر إبريل) في العام ١٥٥٣م وأبحرنا متوجهين إلى بحار هرمز متوقعين الرياح الغربية والتي جاءت في وقت محدد ... ، وأثناء توجهنا إلى هرمز وعند وصولنا إلى خطوطها توقفت الرياح الشمالية الغربية وظللنا ننتظر هبوب الرياح الغربية ، طال انتظارنا لثمانية أو عشرة أيام دون طائل ، لأنه عندما توقفت الرياح الشمالية الغربية صادفنا فترة الهدوء بين الريحين .

قيل إنّ سفينتين برتغاليتين كانتا متجهتين إلى هرمز قد تحطمتا في الأثناء ... ، وفي نفس المكان وفي أثناء "المونسون" عندما كان الأب "غاسبر" قادماً من هرمز كانوا على شفا حفرة من الموت بسبب العطش وكادوا ...

(... نص مفقود / ناقص)

منزل برتغالي مقيم وكان مخلصاً لعقيدتنا ، كان متزوجاً هناك .

الذين يتحوّلون إلى المسيحية تتمّ عملية تحويلهم في السفينة بمراسم

كافية تسرّ الجميع ، لقد أقمنا مِحرابين ، أحدهما لإقامة الشعائر والآخر للتعميد بالماء المقدس ، وذهبنا في مواكب وفي الوسط مجموع الذين يتحولون إلى المسيحية وفي أيديهم الشموع متوجهين إلى حيث يتم تعميدهم ، بينما يغني الشباب في الحضور : المجد لله في الأعالي ... وأناشيد أخرى ...

كان المتحولون إلى المسيحية في أبهى حللهم ، ذلك لأن "البرتغاليين" منحوهم الأزياء والملابس بعضهم ، كان سابقاً قد تعلّم الطقوس وكان استغرابي من السرعة التي تعلّموا بها الكثير في أيّام معدودات .

٦ـ عندما وصلنا إلى رأس مسندم ، وجدنا أربعا أو خمس سفن طراد كانت هناك لحماية الساحل ، تحسباً من هجمات "النوطاق" القراصنة الذين يستولون على السفن التي تبحر هناك ، إذا ما لم تكن حذرة تماماً .

هذه الطرادات أخبرتنا أن أسطولنا يسبقنا بحوالي اثني عشر فرسخاً ، وأن القائد هو "دوم انتاو دي نورونها" ابن أخ نائب الملك ، وهو يذهب لمساعدة هرمز بأسطول كبير ، لقد كان الأب "أنطونيو" كاهن اعترافه عندما كان في "كوتشين"(أ) ... ، وعندما أتينا إلى حيث سفينته ذهب لمقابلته مع التلاميذ .

قابلنا بحرارة شديدة ، وأمر في التو بإحضار كلّ المرضى على ظهر السفينة التي كنا نسافر على ظهرها ، لأن الأب كان سوف يحضر إلى

(أ) كان الأب "هيريديا" في "كوتشين" من خريف ١٥٥١م وحتى بداية العام ١٥٥٣م .

هنا ... ، وحقيقة جلبوا على ظهرها ، وفعلاً جلبوا حوالي ثلاثين أربعين مريضاً إلى سفينتنا ، لقد وزّع علينا من قليله الذي كان معه وبعض النقود لشراء ما هو ضروري في مسقط ، والتي كانت تبعد حوالي عشرين فرسخاً ، ثم غادرنا إلى مسقط .

عندما وصلنا إلى هناك ذهب الناس بحثاً عن الدجاج والطعام فلم نجد غير عشرين دسته بيض ، إذ لم يتوفر سوى ثلاثين أو أربعين تاجراً وسفن تجارة من الهند والذين طُلب منهم الانتظار هناك حتى مجيء القبطان المسؤول ... ، وهو الذي حول سفينتنا إلى سفينة العلم ، وأمر كل السفن الأخرى للتوجّه إلى مسقط معنا .

٧ـ عندما شاهد الأب "أنطونيو" كلّ ذلك العدد من المرضى لم يعرف ماذا يفعل وكانت الرحلة من هناك وحتى هرمز تستغرق خمسة عشر يوماً ، طلب مركب سفينة وذهبت معه نبحث عند السفن عن زوادة دعماً يمكن تقديمه لنا من الركاب لتقاسُمه مع المرضى ، سواء أكانت أكولاً أو نقوداً إذ لم تتوفّر غير دستين من الدجاج .

(... نص مفقود / ناقص)

تسهيلات هنا وهناك من أجل أصحاب الخطايا .

يتداخل "البرتغاليون" كثيراً مع العرب والمسلمين ويعيشون في بيوتهم ومعهم ، وعندما يشعرون بأي أضرار أو تعسّف يغادرون إلى الأراضي الداخليّة لأن حول هذه الجزيرة يعيش المسلمون بكثافة ، وفي الجزيرة عددهم كبير مع وجود أجناس أمم أخرى .

يجب معاملتهم برفق ولكن يجب اتّباع الحقيقة قولاً .

١٦ـ أيها الأب ، نحن نقيم في الرهبنة التي بناها الأب "غاسبر" ، لوحدنا بعيدين عن هرج ومرح المدينة ، على الرغم من أنني والأب "أنطونيو" غالباً ما نخرج للتدريس والعظات وقرع الأجراس للصلوات للأرواح من أجل المغفرة ، ولأشياء وأمور أخرى علينا القيام بها ... ، وعندما نعود إلى هنا نحن وحيدون وهادئون ، لدينا ساعات للصلوات وكذلك الشمامسة .

لن أكتب لك عن كثير تفاصيل يمكن أن أصفها ، فليس هناك من وقت ، سوف أبلغك فقط أننا قبل أيام قليلة سابقة كنا نتوقع وصول أسطول سفن تركية والتي حاصرت الميناء هنا العام الماضي ، قيل إنهم قادمون من البصرة في طريقهم إلى السويس لأن التركي العظيم (السلطان) ، حسبما ذكر أحد الفارين لنا ، قد أمرهم بالذهاب لأخطار الأسطول الكبير بالحضور .

أتوا حتى لمسافة اثني عشر فرسخاً من هذه الجزيرة ممّا أفزع سكان المدينة ، لأنهم فكّروا أن أسطولنا والذي كان ينتظر في المضيق لقدوم الأتراك - ولسوف يمنع مرورهم - اعتقدوا أن أسطولنا سوف يخاف منهم ، وأنّهم سوف يأتون وينهبون البلدة حتى لو كان القبطان هذا ، والذي هو الآن "دوم انتاو دي نورونها" قد عزم بشكل صارم على انتظارهم في أرض المعركة ، وليس ليأتوا هم إلى الشاطئ كما فعلوا في المرة السابقة .

لقد بقينا في منزلنا كلّ الوقت لأنّ القبطان أخطر الأب الكاهن أنّه لو أصبح من الضروري فلسوف يرسل لنا من يذهب بنا إلى القلعة .

في هذه الأثناء أقمنا مواكب حول الكنيسة مع الشمامسة والذين كانوا يتعلمون عندنا وشجعنا وأجمعين أنفسنا ، ثم جاءت رسالة تفيد بأن أسطولنا قد قابل السفن التركية وكان عددها خمس عشرة سفينة و"ناو" واحداً ومركباً كبيراً واحداً .

١٧ـ أول من قاتلتهم منا كانت سفينة غاليون على بعد من الأسطول وبحيث لا يمكن تقديم أي عون لها ، لأن سفننا كبيرة والرياح تهبّ ولا يمكن لها أن تساعد ... ، ولكن رحمة سيدتنا العذراء في مثل هذه .

(.. نص مفقود / ناقص)

ليس بمقدورهم التغلب عليها .

الأب "أنطونيو" هو الذي يعترف عنده القبطان والذي قدم الاعتراف قبل أن يغادر للذهاب بحثاً عن الأتراك وهو بالطبع رجل فضيلة .

هكذا ، قدمت لنا السيدة العذراء معجزة بالنسبة له عندما كان أسطولنا قد اعتبره ضائعاً مفقوداً ، وبسبب أن أسطولنا فقد الرياح وكانت سفنهم تعمل بالمجاديف ، فلقد انسحبوا صوب البصرة فيما قيل ، ولكن تمّت محاصرة سفينة واحدة والاستيلاء عليها وكانت تحمل ذخيرة .

لا أستطيع الاستفاضة في تقديم الأخبار لك لأنّه ليس من متّسع من الوقت .

أن الأب "أنطونيو" يصلّي من أجلك وكذلك كل الآباء والإخوة ، ويأمل أن يكتب لك عندما يسمح له الوقت بذلك .

على عزيزي الأب "فرانسسكو فييرا"[أ] أخذ هذه الرسالة وكأنها له ، ولكل الآباء والأخوة الأعزاء لأنني لا يمكن أن أكتب أخرى .

كتبت اليوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام **١٥٥٣م**

الملخص "اليكسو"

(أ) غادر فرانسسكو فييرا إلى كويمبرا في ١٥ يناير ١٥٤٤م ، وفي العام ١٥٥٤م ذهب إلى الهند مع نائب الملك ماسكارنهاس ، ومن هناك ذهب مباشرة إلى رئاسة الأبرشية في العام ١٥٥٧م . كان كبير مسؤولي هذه البعثة . توفي في جزير الملوكاس في مطلع العام ١٥٦١م . شخص آخر بنفس الاسم عمل لاحقاً في الجزر أيضاً .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

بعث "فرانسيسكو بالها" "Francisco Palha" رسالة إلى "د .جواو الثالث" ، "غوا" ، في السادس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٣م ، يذكر فيها بأنه سيوفر جميع الطلبات للأسطول البرتغالي في الهند ، ما عدا المدفعية الحكومية فيجب أن ترسل من البرتغال : (٢٢)

سيدي ،

في إطار التزام كل مسيحي بخدمة ملكه بكل ولاء وإخلاص ، فإنني لم أدخر جهدي أو ما أملك في سبيل خدمتكم ، كما أنّني لم ألتفت إلى ما عانيته في سبيل ذلك عندما تم اعتقالي .

بما أن سموّكم قد أمرتني أن استمر في الكتابة إليه فيما يختص بخدمته ، وفقاً لما أخبرني به "غاسبار كاردوسو" "Gaspar Cardoso" ،

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

فقد فعلت ذلك في ضوء حاجة هذه البلاد إلى شخص يستطيع وضع النقاط على الحروف وقول الحقيقة .

على كل ، سوف أستذكر بعض الأشياء فيما يتعلق بإدارة السلع التجارية ، وكذلك الحرب لأن الرجل إذا ما قضى عشرين عاماً في هذه البلاد من المحتمل أن يستمع له .

باختصار سيدي ، أقول لك إذا شاءت إرادة الربّ ألا يساعد سموّكم أي شيء آخر كي يحكم هذه البلاد ، وألا تثق في شروط الكهنة ورجال الدين إذ يوجد منهم الكثيرون في "رودس ، "بلجراد" ، وإسبانيا وقد ضاع جزء من المسيحية بسبب الطيش والإثم في دواخلنا .

نتيجة لذلك فإني أقول : يجب على سموّكم أن تقاوم كل هذا من خلال الإجراءات والتوجيهات التي سوف أبيّنها لك فيما بعد ؛ لأنّه ما من سبيل للحفاظ على هذه البلاد إلا بواسطة المال ، وسوف أطلعك وأبيّن لك كيف يمكن للمرء بواسطة الحرب أن يحمي هذه البلاد وعاملي المساعدة اللذين تحتاجهما هذه البلاد لتحقيق ذلك .

ندعو للرب أن يولي أمر المحافظة ومسؤوليتها على هذه الأموال من يراه صالحاً .

لقد بينت في رسائلي لسموّكم في السنوات الماضية أنه لا يجب أن يؤتى بالقرنفل من "ملقا" في سويقاته ، وإنما تجلب فقط الرؤوس إذ إن بوسع سفينته أن تستوعب حمولة أربعة آلاف وتسعمائة قنطارٍ ، لأنه مع حمولة الرؤوس يمكن أن تستوعب السفينة ثلث الحمولة كحمولة إضافيّة ، وبالتالي سوف يتلقى سموّكم ألفين وستمائة قنطار ، وهي

بمثابة الثلث بالإضافة للحمولة التي تُدفع عيناً ، وتبلغ القيمة في هذه البلاد نحو مائة ألف "بارادوس" .

بالتالي ربما طلبوا أي سعر لأنهم يستهلكون نحو تسعمائة قنطار في جاوا و"ملقا" و"الصين" وفي تلك المناطق الأخرى وألف وثلاثمائة قنطاراً تؤخذ إلى مملكة سموّكم وبقية المناطق الأخرى وهكذا لا يتبقى في الهند سوى ألفين وسبعمائة قنطار .

هكذا فمن المؤكد إنهم عندما يستهلكون الجزء الأعظم من كمية القرنفل الذي ترك في سويقاته خلال خمسة سنوات فلا عجب أن تصبح قيمة قنطار القرنفل في الهند أكثر من ستين "برادوساً" .

إذا سلمنا جدلاً أن سموّكم لا يرغب في أن يخبر عن الخدمة التي أقوم بها في تلك المناطق فإنني قد غامرت بفعل هذا الأمر مع نائب الملك "وفيدور دا فازندا" "Feodor da Vazinda" وأطلعتهما بوضوح على الفوائد التي يمكن أن تعود على سموّكم ، ولقد طلب منى أن أقوم بإجراء الترتيبات حسب رغبتي وتصوّري .

السيد "سيماو بوتلهو" الذي اتّجه إلى هناك سوف يحدّثكم عن الخدمات العظيمة التي أنجزتها في تلك المناطق وغيرها في مملكة سموّكم والتي أحسب أنّني استحقّ عليها مكافأة عظيمة .

يمكن أن يكون سموّكم على علم بأنه لا يحصل على فوائد من "باندا" كما أنّه لا يُتوّقع الحصول عليها على النحو الذي وصفته هنا ، ومن "باندا" يترتب عليهم دفع الثلث وقيمة الشحن عيناً ، وبالتالي فمن شحنة السفينة من القرنفل يمكن للمرء أن يحقق فوائد بنحو

خمسة وثلاثين ألف "بارادوس" ، وبوسعي أن أؤكّد لك ذلك إذا ما أصبحت قبطاناً .

يجب أن يمنع القبطان الذي يبحر إلى هناك من أخذ أيّة سفينة أخرى من غير السّفن التابعة لسموّكم ، وإنه إذا ما فعل غير ذلك فسوف تنشأ عدة مشكلات وصعوبات وسوف أشير وأحدّد لك طبيعة تلك المشكلات :

سيكون بوسعها نقل الكثير من السلع التّجارية التي يترتّب تركها على البرّ الرئيس لأن البرتغاليين سوف ينتشرون وسط الجزر لأجل تحميل سفنهم ، وإذا ما عجز السكان المحلّيون فإنهم سيجدون ضغوطاً من جانبهم حتى تثور ثائرتهم ويقتلون أولئك الذين يعارضونهم ، لأنهم يدركون أنه في العام القادم سوف يظهر قائد جديد يتّجه إلى هناك طالباً توقيع السّلام ، وفي معظم الأحيان يقومون بتحميل سفنهم ومن ثم يرسلونها إلى "ملقا" بينما تظلّ سفن سموّكم قابعة في أماكنها .

بسبب المرضى أيضاً فإن الكثيرين يجوبون تلك الجزر بغرض التجارة ، إذ إنهم يحملون الكثير من البضائع ... ، وفي حالة استغلالهم سفينة واحدة فستكون عملية تحميلها آمنة وبدون ضغط أو خطورة من جهة البر ، وسوف يأتي السّكّان المحليون بالكثير من جوز الطيب وتوابل قشور الجوز للسفينة .

هذه السفن التي يأتي بها قباطنتها هي سبب ضياع سفننا ، كما أنها تقوم بمجازفة كبيرة نظراً لتعرض الأفراد للمرض ، كما وعلى حساب القباطنة يقوم البرتغاليون والبحارة بأخذ صواري وأشرعة سفنك

واستخدامها في سفنهم الخاصة ، وحسب علمي أنه في فترة "بارو دا فاريا" "Baro de Varia" كانت تلك الممارسات قد أدت إلى ضياع سفن سموّكم وكذلك سفينة القائد ...

لقد ذكرت هذه الأسباب لإبراء ذمتي .

يجب على سموّكم أن تصدر أمراً بمنع شحنات القرفة ، وكذلك الحال بالنسبة للزنجبيل ، لأنه إذا ما سمح لسموّكم ببيع هذه السلع فإن ستمائة "بهارس" التي تأتي من هناك يمكن بيعها بمبلغ ثلاثة آلاف "بارادوس" .

عموماً إذا وجدت سفينة تحمل شحنة من القرنفل ، جوز الطيب والقرفة والزنجبيل وأربعمائة قنطارٍ من الفلفل يتمّ ارسالها سنوياً إلى هرمز ، فإنهم بواسطة تلك السلع المرسلة يمكن أن يحصلوا على مبلغ سبعين ألف "بارادوس" في كل عام في حالة احتكارها وعدم السماح لأي شخص بنقلها إلى هناك أو شحن المزيد من القرنفل وجوز الطيب وتوابله من "ملقا" أو "باندا" كي يباع في الهند .

كما يجب أيضاً أن يمنع أية محاولة لنقل أو إرسال أيٍ من هذه السلع من هذا الساحل ، أو بالمثل يسمح لأي من العرب المسلمين بنقلها ، وبالتالي سوف يتسابق الجميع لبيعها إلى وكيل سموّكم "فيدور دا فازندا" الذي سوف يقوم بشرائها ، وبالتالي سوف تستقطب هذه المدينة التجار المسلمين الذين سيتسسابقون إلى عقد الصفقات التجارية مع "فيدور دا فازندا" للحصول على تلك السلع التجارية وحينها يجب أن يحصلوا على تراخيص تمكّنهم من نقل بضائعهم هذه خارج البلاد متى ما أرادوا كما يحدث الآن .

بهذه الطريقة يمكن للمدينة أن تنمو وتتطوّر بشكل كبير ويمكن أن يترتّب على ذلك تمكّن سموّكم من تحقيق ثروات طائلة في الهند بسبب التعامل في تلك السلع .

أرى أنّ هذه المدينة هي المكان المناسب لإقامة محطّة تجاريّة لهذه السّلع ، يجب على سموّكم أن تأمر بأن جميع البضائع القادمة من "موزمبيق" و"مالندي" وجميع المناطق الأخرى يجب أن تأخذ طريقها إلى هذه المدينة ، وتسلم العائدات الإضافية التي تتجاوز مبلغ ستين ألف "بارادوس" في مركز الجمارك إلى المجلس لأجل بناء "قاليوتس" Galeotas وإنني أشير بذلك لأنه حقيقة تم هذا العام تأجير مركز الجمارك .

يمكن أن يخطو سموّكم خطوات في زيادة الدخل لأجل بناء أسطول قويّ ، وسوف نكون جميعاً حماة لمركز الجمارك ، وحينها سيزداد الدخل ، وبشيء من الاحتراز سيتمكن سموّكم من بناء أسطول في كل عام .

يجب أن يصدر سموّكم "فرماناً" بمنع تقديم "البهارس" كامتياز خاص لقاء تلك السلع ويجب أن يتمّ إدراج هذا الفرمان في سجلات الحسابات بحيث لا يجب وضع أي اعتبار "للبهارس" في مسألة الضرائب .

بالمثل يجب أن يصدر سموّكم "فرماناً" آخر ينص على أن تُدرج في دفتر في الحسابات جميع المكافآت والجوائز التي يحصل عليها الحكام أو المسؤولون وموظفو الحسابات ، سواء أكانت تلك المكافآت مالية أو كانت في شكل منح لبعض المناصب أو الممتلكات ... ، وذلك في دفتر يتم حفظه .

وفي كل عام يجب على كاتب الحسابات أن يرسل دفتراً يضم قوائم

المكافآت التي منحت في تلك السنة ، مع بيان بأسماء الأشخاص الذين تلقوا تلك المكافآت والخدمات التي استحقوا عليها المكافآت ، حتى يعلموا أن سموّكم يدرك تماماً حقيقتها وأسبابها .

أرى أيضاً أن يعمل سموّكم على إصدار الأمر لإيجاد سجل ، أي دفتر يضم جميع المعاشات التي يدفعها الحكام كتلك التي تتجاوز الخمسين ألف "بارادوس" وبنفس الطريقة كل معاش يدفع أو يتم تحويله ، ويجب أن يرسل له في كل عام دفتر يحتوي على مدفوعات تلك المعاشات ، إذ إن هذه الخطوة كفيلة بوقف أي تلاعب أو تزوير .

يجب أن يصار إلى وضع فقرة شرطية في هذه الغرامات المذكورة أعلاه حتى لا يكون هناك أي مجال لأي حاكم أن يتجاهل هذه الغرامات أو يخرج عنها ، كما ألا ترسل هذه الغرامات مباشرة إلى الحكام وإنما إلى "فيدور دا فازندا" وذلك كي يتم بداية تسجيلها في مكتبه ومن ثم تسلم للأشخاص ذوي الصلة .

لأجل ضمان مراعاتها والالتزام بتنفيذ ما ورد فيها يجب عليه أن يجد الأشخاص المناسبين لتحمّل هذه المسؤوليات ، لأنهم هنا سوف يبحثون فقط عن المناصب حتى يتمكن كل فرد منهم بتسليمها إلى أقربائه ، وفي هذه الحالة أرى سيدي أن هذه البلاد تدفعني كي أطلب منكم السماح .

منذ مضيّ خمسين عاماً وحتى الآن لم يحدث قطُّ أن قام أيّ وكيل بتقديم تقرير وجميعهم قد دمروا وسجنوا وتركوا سموّكم يقاسي الخسائر الفادحة في المقدرات والممتلكات ، الأمر الذي كانت ستكون له فوائد عظيمة لهذه البلاد .

أما الأسباب التي أدّت إلى ضياع رجالك وممتلكاتك في هذه البلاد فيمكنني أن ألحظها فيما يلي : -

أولاً عدم وجود أيّة محطّة تجارية تابعة لسموّكم لأجل تجميع البضائع ، بالإضافة إلى غياب الأوامر والتوجيهات لموظفيك ، ثم إن جميع سلع سموّكم وبضائعه تأخذ طريقها إلى المساكن المؤجرة التي أعطيت مفاتيحها إلى الوكيل الذي يعطيها إلى رجاله الذين يعملون بسرقتها كي يصبحوا أثرياء .

يقوم الوكلاء ببيع بضائع سموّكم إلى القابعين في السجون بأثمان بخسة ، وذلك كي يتمكنوا من دفع ديونهم ودفع مبالغ أخرى لنفس الوكلاء الذين يقومون بشرائها مجدداً وإرسالها إلى "البنغال" والموانئ الأخرى ، وهنا يخسرون أيضاً نظراً للنفقات الباهظة والسوء في عمليات التسويق والبيع حتى يتمكّنوا من دفع نفقات قوتهم ، وهكذا فهم يخسرون في هذه العمليات وكذلك تحل الخسارة بسموّكم .

عليه يجب على سموّكم أن تعمل على رصد بعض الجوائز لكل من يخلص في خدمة سموّكم ويحقق الأرباح لسموّكم .

لقد علمت من الموظفين أنه من الممكن أن ينشئ مبنى رائعاً مقابل ألفين وخمسمائة "بارادوس" مع مساحات مغطاة تخصص لتخزين شحنات القرنفل ، وقسما آخر لجوز الطيب وقسما ثالثا للقرفة والزنجبيل وآخر للفلفل ، وكذلك قسما لحجارة وطوب الرصف والأشياء الأخرى ذات الصلة لما ذكر أعلاه .

وسوف تكون هنالك زريبة أو مساحة تخصص لعمليات الوزن ... ،

وبالإضافة لأقسام التخزين هذه يجب إيجاد غرفة واسعة "ببرنداتها" ، وأرى أن يشيد هذا المبنى بجوار منطقة محصنة بجانب البحر في اتّجاه المدينة على أرض مستوية في محاذاة البحر ، بحيث يمكن بناء تلك المساحات المغطّاة لأجل استيعاب وتجميع بضائع سموّكم .

باعتبار أن هذه السلع تمثّل ثروة مقدّرة لسموّكم ، فيجب أن تتم عملية تجميع كل هذا السلع وضرورة توفير الحماية الكاملة لها .

في نفس المبنى يجب أن تتم إجراءات كل الصفقات والمعاملات التجارية ، كما يجب أن يصار إلى بناء قسم يمكّن المرء من مشاهدة عمليات التنزيل والشحن ومراقبتها ، حتى لا يصار إلى سرقة هذه البضائع ، وبتلك الطريقة يمكن أن يتم توفير مبلغ ثلاثمائة "بارادوس" في كل عام كانت تدفع كإيجار للمساكن وسبعمائة "بارادوس" في عمليات تحميل السلع ... ، وبتلك الطريقة ستتوقف عمليات سرقة البضائع من سموّكم .

أراهن بالإشارة إلى أن القائمين بخدمة سموّكم على الصعيد المحلي ومنهم "فرانسيسكو غونسالفيس" "Francisco Goncalves" وهو رجل متزوج و"دوارتي جوميز" "Duarte Gomez" متزوج أيضاً في "ساسين" وكلاهما يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً ، وهما متزوجان من امرأتين شريفتين لكنهما لم ينجبا أطفالاً ، ولا يبدو أنّ هناك من أمل في الإنجاب وهما رجلان شريفان يحزنهما ألا يحظى سموّكم بخدمات جيدة .

يوجد أيضاً كل من "جواو كاميلو" "Joao Camelo" الذي يعمل

كاتباً في محطة "بيسين" و"فابياو دا موتا" "Fabiao Da Mota" في أمانة الخزينة هنا ، وهذان من خدامك ، ويتّسمان بالكثير من الطهر والأمانة ومخافة الربّ ، كما أنّهما صديقان للعاملين في خدمتك ، أيضاً هناك "نونو ألفاريز" الذي يعمل في قسم السجلات ، وهو من أكثر الناس حرصاً على تنفيذ توجيهات وأوامر سموّكم .

سيدي ،

ليس بوسعي أن أثبت الخدمات التي أنجزتها في هذا المنصب ؛ إذ إن ذلك سوف يضر ببعض الأطراف ، لكن سيتجه "سيماو بوتلهو" إلى هناك وعموماً لك أن تستفسر منه كيف كان أدائي في خدمة سموّكم .

أحب أن أشير فقط أنه طيلة فترة عملي في الخزينة التي امتدت نحو عام كامل وعشرة أيام كنت محظوظاً ، بحيث لم أفقد أكثر من خمسة وعشرين خيلاً نفقت في هذه الفترة ، بينما فقد اثنان من الكتبة دامت فترة عملهما سنة واحدة أكثر من مائة خيلٍ وجداها نافقة ، ولقد فقد دفتر الحسابات والنفقات الخاص بتلك الخيول وتم استحداث دفتر جديد ، أيضا كنت مسؤولاً عن تقييم كميات الأخشاب التي تم شراؤها ، وهناك أمور لم يكن من الممكن منع حدوثها .

سيدي ،

لقد أصبح عمري الآن سبعة وأربعين عاماً وليس لدي أطفال أو أسرة كبيرة تجبرني على كسب أكثر مما يلزم لشراء قوت اليوم في هذه الحياة القصيرة المتعبة ، ولدي الاستعداد بالمغامرة والعمل في خدمة سموّكم كحارس على الممتلكات ، وسوف أقيم في نفس المبنى حتى أتمكن من

إحكام مراقبتي على الممتلكات التي سوف تعهد لى بحراستها ؛ إذ من هناك يمكنني أن أراقب عمليات تنزيل الخيول وتحميلها .

والتي سوف أعمل أيضاً على تحمّل مسؤوليتها ، والحرص على عدم نقلها خارج هذه الجزيرة ما لم يتمّ تسجيلها في الدفتر المخصص لهذا الأمر تحت إشرافي ، وسوف ألتزم بهذا الأمر وبالمثل التخلّص من الخيول النافقة ، وسوف يضمّ ذلك الدفتر حسابات مسؤولي الخزينة إلى جانب حسابات الكتبة العاملين في خدمة سموّكم .

لن يتمّ أيضاً تقييم الأخشاب إلا في حضوري ، وكذلك الأمر بالنسبة لكل شيء ذي صلة بالأوامر التي يرسلها الوكلاء إلى أمناء المستودعات لاستلامها ... ، فإنّها لن توضع في الاعتبار إلا بعدما أوقع على مستنداتها ؛ لأن كميات الخشب هذه يجب أن تدرج في الدّفتر وأن تكون متوافقة مع الأوامر الصادرة ، وذلك كي يتبيّن للمرء ما إذا كانت صحيحة حسب ما ورد في مذكّرتي .

فكل ما يتعلق بشؤون الخيول والأخشاب والمزادات العلنية والهدايا ، قد سجلت في مذكرة حتى لا يتمّ خداعي ، وتكون خدمة سموّكم قد تمت بالوجه المطلوب .

إنني لا أمانع أيضاً في العمل ككاتب في مكتب الحسابات الذي يتمّ فيه تسجيل كلّ كمّيات المؤن ، وذلك كي يتسنّى لسموّكم استلام نسخة طبق الأصل هذا إلى جانب شرح كامل ، حيث إني لا أريد أداء أية خدمات للرب سوى خدمة سموّكم إذ إن تلك هي الخدمة المقدسة الواجب أداؤها من كلّ فرد .

سيدي- أعطني ما يعادل خمسمائة "بارادوس" في كل يوم ، وهذا ما أحتاجه إلى جانب صلاحيات في خدمة سموّكم فيما يتعلق بالأمور التي أشرت لها بخصوص الخيول والأخشاب والحسابات ، وسوف أوليها العناية اللازمة بنفسي ومع شخصه .

لقد أظهرت من خلال شهادة أرسلتها إلى هناك ضد "جورداو دي فريتاس" "Jordao de Freitas" قائد قلعة "مولكاس" إنّه مدين لي بالأجور ، ولقد تم توقيفي رغبة في خدماتي ، وإن الأجور المفترض دفعها لي يجب أن تدفع بالرغم من تسديد الرسوم الأخرى .

أناشد سموّكم أيضاً أن تصدر الأمر كي يدفع لي معاشي المستحقّ من أيّ اعتماد مالي في هذه المحطّة ، لأن موظفيك لا يرون أنّني أستحق أي أجر لقاء الخدمة التي أقدّمها لسموّكم .

من بين الخمسة أشخاص الذين ذكرتهم مسبقاً يمكن لسموّكم أن تختار واحداً للحسابات وشخصاً آخر ترسله كي يتولّى منصب القبطانية الوكيل للبضائع في هرمز ، ومن الضّروريّ أن يكون قبطاناً في السفينة لكي يخدمك ، وعليك أن تخصّص له معاشاً وقدره ألف "بارادوس" إذ سيكون عليه أن يتحمّل نفقات إضافية أخرى .

ويجب ألا يقوم بنقل بضائعه الخاصّة باستثناء ثلاثين "بهارساً" من القرنفل وجوز الطيب ، ويجب أن يتمّ تعيين حارس على مقرّ تخزين البضائع أي في المكان الذي لا يأوي إليه القائد ، أو يكون بحوزته أكثر من مفتاح واحد لكل مستودع ، إذا لا يناسبهم أن يقيموا أو يسكنوا في تلك المستودعات .

يجب على سموّكم ألا تعمل على إرسال المتعلّمين إلى قسم الحسابات ، لأن "أنطونيو أفونصو" "Antonio Afonso" أو "فرانسيسكو دي مايا" "Francisco de Maya" لهما صلة بخزينتكم هناك ، وتعلما بالخبرة ، وهما من أكثر الناس المستنيرين ومن نالوا قدراً وافياً من التعليم في باريس ، وإذا ما أمكنك إضافة بعض المحاسبين الممتازين إلى فريق "فيدور دا فازندا" فإن كل فرد سيحاول أن يقدم أفضل ما عنده كي يثبت جدارته وهذه هي الحقيقة .

أما بالنسبة للأشخاص من غير المتعلمين فإنهم سوف يكونون عقبة في طريق خدمة سموّكم ، وسيعملون على التخلص من "أنطونيو أفونصو" لأنّه أفضل من يضع الأمور في نصابها الصحيح .

سيدي ، لقد تحدثت الآن عن الخزينة ، لقد ظللت أعمل في مجال الحرب نحو عشرين عاماً وأحسب أنّني الشّخص الذي يمكن أن ينصح نائب الملك كي يأخذني في سفينته لمواجهة الأتراك ، ولعل خير شاهد على هذا الأمر ويمكن أن يثبته لك "سيماو بوتلهو" المتجه حالياً للمملكة فهو يدرك كل صغيرة وكبيرة عن خدمتي .

أما بالنسبة لي فإنني أعلم أنّ الأتراك لن يعرفوا أن لدينا عشرين "غاليوتاً" من السفن الخفيفة دون ظُلل أو سقايف كما اعتدنا ، وبالتالي فبوسعنا التوغّل إلى المواقع التي يهاجموننا منها ، ولا شك أنّهم سوف يستخفّون بنا ويتهكّمون من مجرّد محاولتنا بهذه القوّة التي لا تتجاوز عشرين "غاليوتاً" لمواجهة أسطولهم ومنعه من الهجوم ؛ لأن

"الغاليوت" سوف تكون بعيدة عن بعضها البعض وهي تبحر في هدوء ومن الصعوبة بمكان الدفاع عنها ، وهو أمر أُجبرنا عليه .

عموماً إبقاء هذه العشرين "غاليوتاً" والعشرين مركباً مبحرة إلى جانب بعضها البعض ، وألا تستخدم إلا ضدّ الأتراك في الحالات الضرورية ، أما السفن العشر فسوف تستخدم في الحرب أو ما شابهها ، وعندما يتم وضع السفن مع بعضها البعض يتسنّى إنقاذ الكثير ، من الممكن جداً أن نعلن الحرب على السويس وسوف نكون في مأمن ، وحينها سوف يرتاح سموّكم .

أما بالنسبة للعشرين "غاليوتاً" والعشرين مركباً فيجب على سموّكم في كل الحالات أن تصدر أمراً بأن تعمل للحصول على الأموال من خلال الإفادة من القرنفل أو من أي مصدر متاح آخر ، ويجب أن ترسل لهذه المدينة لإبلاغهم أنّك ترى من الأفضل أن يوافقوا على دفع مبلغ ثلاثة "كروزادوسات" عن أيّة بضائع تقدّر قيمتها بمبلغ مائة "بارادوس" تردّ إلى مركز الجمارك لقاء الزّيوت والشحوم وتموين الأسطول المذكور حتى تكتمل جاهزيته ، وبتلك الطريقة لن يكونوا قلقين عندما يدركوا أن عليهم الكثير كي ينجزونه .

سوف يكون أيضاً أعضاء المجلس مسؤولين عن هذا الأمر ، وبالتالي فمن الأفضل أن يكون منصوصاً عليه ، وسوف يتمّ تسليمهم الأموال كي يتمّ إنفاقها وفق أوامر سموّكم وسوف يعملون على تعيين عشرين قبطانا من القباطنة المحليين المتزوجين على عشرين سفينة من هذه السفن ، يوافق عليهم سموّكم ، لأنه يوجد الكثيرون من النبلاء

المتزوجين والمرموقين في هذه البلاد ، ممن لهم خبرات طويلة في مجال الحروب ، وكثيراً ما يلجأ لهم الحكام أنفسهم وقت الضرورة .

عموماً سوف تتشرف المدينة بتقديم العشرين قبطاناً ، وسوف يتولون قيادة الأسطول دون أن يتحمل سموّكم أية نفقات .

تخويل سموّكم بإمكانية قيام المجلس بمنح الترخيص إلى أية سفينة ترغب في الإبحار إلى جزيرة "مدغشقر" مع الالتزام بإحضار ثمانين شخصاً من الذكور ، إنهم لن يتمكنوا من بيعهم بأكثر من عشرة "برادوسات" للفرد الواحد على أفضل تقدير .

سوف يسعى أعضاء المجلس إلى تقاسمهم بموجب هذا السعر وسط سكان هذه المدينة ، وإلزامهم بالعمل مرتين في الأسبوع ، وسوف يأمرونهم بالعمل في التجديف في هذا النّهر في مركبين حتى يتعلّموا هذا العمل .

بهذه الطريقة يمكننا أن نجمع بحارة خمسة عشر "غاليوتاً" دون أن يتكبّد سموّكم النفقات ، وحينها سوف يكونون على أهبة الاستعداد لمواجهة الأتراك .

لقد تحدثت مراراً في هذا الأمر مع مجموعة من السّكان ، وقد أبدوا لي موافقتهم ، وها أنذا أبلغ به سموّكم ، وإذا ما رأى سموّكم أنّه المناسب فأرجو أن يتمّ الاهتمام به كغيره من الأمور الأخرى ، حتّى يأمر سموّكم بتنفيذه سيما وأنّ هذه البلاد تولي اهتمامها للأمور التي أشرت لها .

لابدّ لسموّكم أيضاً أن يُعنى بمسألة تأمين قطع أسلحة المدفعية للحكومة ، لأنها لا تملك شيئاً من خزائن البنادق ، والفتائل ، وحبال الأشرعة والصواري للمراكب الشراعية ، وبالمثل المدفعيّين والبحارة ، لأنّني أرى أنّ البلاد في حاجة إلى كلّ ما ذكرت ... ، وبالطّبع دون توفّر تلك الأشياء فمن الصّعب علينا أن نخرج للبحر .

يجب على سموّكم أن ترسل في مارس مجموعة من السفن ، وبالرّغم من عدم الحاجة إليها هناك إلا أنّ البلاد تحتاج إليها هنا كثيراً ، وبموجب هذه القوّة بوسعك أن توفّر لهذه البلاد حاجتها من البحّارة والمدفعيّين ، وبالمثل حبال الأشرعة والذخائر وكل ما هو ضروري لهذه البلاد ، وعندما يعجزون في شهر مارس لن يواجهوا أيّة أخطار ، بل في هذا الوقت سوف نستشعر السعادة والفرح وسيحل الندم بأعدائنا .

لقد طلب منّي نائب الملك "د . غارسيا [دى نورونها"] التوجّه إلى "مولكاس" بعدما أُبلغ عن شخصيّتي وذلك كي أعمل في خدمة سموّكم هناك ، ولمعرفة البلاد ومخاطبته من هناك ، وهكذا ظلّلت دائماً أكتب إليه وأخاطب حكّام سموّكم من هناك ، وكثيراً ما تلقّوا أخباري ، أما القائد "أفونصو دي سوسا" "Afonso de Susa" وهو رجل رائع فقد شاهدني وأنا أحارب في عدة معارك ، وكان يرغب في أن أعمل في محطة "مولكاس" ولكنّني لم أرغب في هذه الخدمة خوفاً من تدمير نفسي ، على كلٍّ ، طلب منّي الناس وكذلك القائد "دي جورج" أن أعمل هناك ، حيث يوجد الكثيرون من الإسبان في البلاد ، وكثيراً ما يصار إلى إجبار الناس لإنجاز المهام المطلوبة منهم .

في العام التالي وصل "جورداو دي فريتاس" وكعادته دائماً أوقفني عن العمل في خدمتكم وقام باعتقالي ، حيث عمل على هدم كل ما بنيته وأنجزته في خدمتكم ، ولقد أرسلت هذه الأدلّة والبراهين وطلبت أن يتمّ التحقيق مع الشهود للوقوف على حقيقة أعمالي كلها ، الجيد منها والرديء ، لكنّه رفض ذلك لأنّه لم يسع إلى شيء سوى إلحاق الضرر بي .

من خلال التقرير عن الأمور بيننا ، وقد عانيت من خدمتكم ، فقد أمر بعودتي كي أنفّذ مهامي ، وقد دفع لي ما تكبدته من نفقات وخسائر .

طالما أنّه عمل على إيداعي السّجن لمجرد طلبي العمل في خدمة سموّكم ، وفي ظل ما قدمته في هذا المنصب من جهد لأجل خدمتكم ، فإنني أعتذر عن الخدمة لأن مجرد الذكرى قد أصبحت تزعجني كثيراً .

سيدي ، تلك هي الأمور التي تهمني ، والتي عملت على إنجازها أثناء عملي في خدمة سموّكم ، والتي استحق عليها المكافأة إلى جانب مكافآت أخرى في مملكتكم وذلك حتى أتمكّن من إعالة نفسي واستمرّ في خدمتكم .

الآن ، سيدي ، سوف أشير عليك بالمسؤوليات ، وبضرورة توجيهاتكم والأشخاص الذين قاموا بتنفيذها حسب إرادة الرب ومشيئته :

سيدي ، أحب أن أذكر سموّكم أن ما أشير له لابد من توفيره كي تتمّ المراعاة لحكم سموّكم ، وبالإضافة إلى هذا ، سيدي ، أقول إن المشرف على البضائع القادمة من الخارج ، "فرانسيسكو دي مايا" ، والمشرف على الحسابات "أنطونيو أفونصو" وهما المحاسبين و"فرانسيسكو غونسالفيس"

وزوجته "ماريا فيرنانديز" "Maria Fernandes" ، ومجموعة الحرس على مستودعات البضائع ، وهؤلاء يمكن أن تعهد إليهم بمسؤولية الخيول .

"فابياو دا موتا" أمين الخزينة .

وكيل وقبطان سفينة السلع التي أبحرت إلى هرمز ، وقد تزوج "دوارتي جوميز" محلياً في مدينة "بيسين" .

أنا كاتب الحسابات الخاصة بالسلع التجارية ، سوف أرسل لك نسخة عن جميع السجلات والمعاشات ، وأيّة وثائق أخرى أرى أنّها تخدمكم .

أما بالنسبة للأخشاب فيترتب أن يحصل "جواو كاميلو" على المحطة التجارية في "بيسين" وسوف يكون ذلك من مصلحتكم بحكم أنّه الكاتب هناك ، وهو أدرى بالكيفية التي يخدم بها سموّكم .

بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الذين ذكرتهم لتولي المسؤوليات المذكورة ، لم يعد لدي المزيد كي أضيفه سوى أنّهم يدركون حقيقة كيف يخلصون في خدمة سموّكم .

حسب رأيي الشخصي ستكون "مولكاس" في مأمن الآن ، فقد تم الاستلاء على "جيلولو" ومن ثم دمرت كما تم هدم قلعة "تيدور" .

الجميع سوف يذعنون للقلعة التي سوف يعلم بها سموّكم وعن بسالة "بيرنالديم دي سوسا" ، وبالتالي لابد لسموّكم من الاستمرار في الكتابة إلى الملك "آيرو" "Airo" لأنه وبحكم كونه الملك الآمر ، لابدّ له من تأمين البلاد حتى لا يُمكّن الإسبان من دخولها .

لهذا سيدي لابد لك من إصدار الأمر للملك لأجل تخصيص الهدايا والمناصب لأجل الرجال المتزوجين محلّياً ، لأنّي أعتقد أن ذلك سيجعلهم يشعرون بالتشريف ، وأن تطلب منه أن يراسلك بصفة مستمرّة فيما يختص بأداء قادته ، وما إذا كانوا يتسببون في خلق أية مظالم أو ممارسات خاطئة في البلاد ، وذلك كي يعهد الملك إلى القضاة بإقامة العدل ، حتى يُلفت أنظار القادة واهتمامهم إلى إمكانية محاسبتهم إذا ما ارتكب أي منهم أية مخالفة .

أذكر سموّكم أيضاً بضرورة أخذ المشورة فيما يختصّ بموضوع تأمين سلامة وأمن "مولكاس" ، سيما المنطقة في حاجة دائمة للدعم والمساعدة .

الكثيرون يثمّنون الجهد الذي يبذله "جورداو دي فريتاس" في بسط الأمن والسلام في البلاد ، واستمرار هذا لمدّة عامين كاملين دون أن يحدث أي إخلال أو أية ثورة مضادة ، وكذلك إبقاء الملك والحاكم في السجن ، ولقد اعتبرت هذه الطريقة مناسبة لإبقاء الملك معزولاً مرة أخرى وتمتّع البلاد بالأمن والاستقرار .

بوسع المرء أن يقول إن مولانا جلالة الملك استحوذ بالكامل على مملكة "مولكاس" .

كان من الضروري أن يتم عزل الملوك الأخرين ، وبالتالي تزداد ثروات ملك "تيرينت" ، الأمر الذي جعله يقبل بمملكته من بلاد مولانا جلالة الملك ، ومن ثم يعمل على حكمها وإدارتها باسم سموّكم .

كانت "ملوكاس" هي البلاد التي يقصدها القباطنة لكسب المال ، وليس لأيّة أغراض ذات صلة بتحقيق طموحات سموّكم ، وربما يكون

ذلك مغايراً لوجهات نظر البعض ، لكنّي مستعدّ لحلف القسم على ما أقوله .

عندما طرحت هذا المفهوم على نائب الملك ، سألني عن الدخل الذي يمكن أن يحقّقه المرء في "ملوكاس" .

إذا ما طالب سموّكم بمملكة "ملوكاس" لأجل اكتساب المزيد من دخلها ، يترتّب أن يعلم المرء أنّه لا وجود لأيّة ضرائب يمكن أن تستوفي على أيّ شيء ، ويعيش الملك على النحو التالي : -

هناك آباء الزوجات الذين يقدمون له كلّ ما يلزمه حتى حطب الوقود والمياه ، ولديه مكان ما يحصل منه على "الساغو" "دقيق النخل" الذي يصنع منه الخبز ، وهناك مكان يحصل منه على الخمر ... ، وهكذا توجد أماكن كثيرة أخرى ملتزمة بتقديم كلّ احتياجاته وكل ما يرغب فيه .

عندما يرغب الملك في الحصول على السلع ، فإنه يقوم ببناء أسطول ، وعلى كل مكان أن يعمل على تحميل هذا الأسطول بمستلزمات واحتياجات الملك ، فجميعهم يأكلون بالتساوي في سفنهم ، وأينما يذهبون يحصلون على الكاشو "نبات" ويحصل الملك على الهدايا من أي مكان يذهب إليه ... ، وبالتالي هذه الأماكن تعتبر مصادر دخله .

منذ مضي خمسة أشهر كنت قد أعلنت فترة عملي ككاتب في المحطة ، لكنّني ما زلت في العمل حسبما أمرني "فيدور دا فازندا" بمواصلة العمل في هذا الأسطول وقد بقيت أعمل وحدي ، وذلك لأن الوكيل وبقية الكتبة يعرفون القليل عن طبيعة هذا العمل ، بعدما منعوا كاتب الخزينة عن العمل في هذا المجال .

وصل للتوّ مركب يحمل خيولاً رائعة من ساحل "قانديل" في السند ، ولقد علمت أنهم حتى الآن لم يدفعوا الرسوم الجمركية المستحقة ، وقد طلبوا مني عدم إدراج مديونية الخيول في الحسابات حتى لا يصار إلى معارضتهم ، ولقد عرضوا عليَّ أن أصدر لهم شهادة بالمرور مقابل منحي خيلاً بقيمة مائتي "بارادوسٍ" الأمر الذي رفضته ... ، ولقد تبيّن لي أن هناك حوالي ألفي "بارادوسٍ" تضيع سدى كلّ عام بسبب الإهمال والتغاضي عن استيفاء الرسوم المستحقة .

أوامر وتوجيهات سموّكم تنص على أن أي خيل يُؤتى به من ذلك الساحل ، يجب أن تستوفى عنه الرسوم ، لكن باعتبار تلك العائدات الأخرى من مسؤوليات الموظفين فإنها تضيع مني دائماً ، لأنهم يستأثرون بها لأنفسهم ، ويجب على سموّكم ألا ينسى هذا .

إنّني لا أطالب بمنصب الحاكم في هذه المدينة التابعة لنفوذ سموّكم ؛ لأنّني أرى أنّ "ابن غالفاو فيغاس" أحقّ بتولّي الحكم فيها ، لكن إذا لم يتسنّ ذلك فإنّني أرجو أن تمنحني هذا الشّرف ، وكيلا أزعج نفسي بهذا الأمر ؛ فإنني أشغل نفسي بالعمل في كل الأمور الأخرى ، حتى يتبيّن له أنني أحرص على خدمته .

لقد سبق أن أشرت لسموّكم أن "فيدور دا فازندا" يجب أن يعمل على شراء كل كميات القرنفل ، وجوز الطيب المرسل من قبل "ملقا" و"باندا" ، لأنّه إذا ما آل كلّ ذلك إليك ، فسوف يكون بوسعك أن تبيعه بالسعر الذي تريد .

إذا كنت قد قلت لك إنه بوسعك أن ترسل سفينة محمّلة بالبضائع

في كل عام إلى هرمز فإنّني أقول أيضاً أنه بإمكانك أن ترسل إلى "ديو" البضائع الهامة والضرورية التي يقومون ببيعها للسفن التي يتمّ تحميلها هناك ، وسوف يدفعون أكثر ، وسوف تبحر السفن لنقل البضائع هناك ، وبالتالي سيستفيد مركز جمارك المدينة بالكثير ، وستزدهر المدينة مجدّداً بعدما دمّرت بشكل كامل .

لكي يتمكّن المرء من شراء ألف ومائتي رطلٍ من القرنفل ، وثلاثمائة رطلٍ من جوز الطّيب ، لابدّ له من رأس مالٍ يبلغ نحو سبعين ألف "بارادوسٍ" ويعتبر هذا المبلغ القيمة الكلية لسعر القرنفل وجوز الطيب ، وكذلك توابل جوز الطيب التي تباع في هذه المدينة ، لأنّ البقية يتمّ استهلاكها ، ويملك سموّكم نصيب الثّلث والشحنات التي يتم الدفع عنها عيناً يدفعها لك كل شخص .

إن رأس مال يبلغ ثلاثين ألف "بارادوسٍ" يجب أن يكلف سموّكم كل عام ثلاثة آلاف "بارادوسٍ" وبواسطة ثلاثين ألف "بارادوسٍ" سوف يتمكّنون من شراء القرنفل المذكور أعلاه ، وجوز الطيب ، وتوابل جوز الطيب ، ومن ثم يبيعونه لك ، وعند استلامك ثلث المبلغ أو نصفه سيظل ما تبقى مؤجلاً ، وهكذا بواسطة هذه الثلاثين ألف "بارادوسٍ" يصبح من الممكن جداً أن تحتكر وتسيطر على سوق القرنفل وجوز الطيب بتكلفة سبعين ألف "بارادوسٍ" وبوسعك أن تبيعها بأي سعر ترغب فيه .

لكي يحصل سموّكم على هذه الثلاثين ألف "بارادوسٍ" وأكثر منها كما ترغب فليس من الضروري أن تذهب إلى أبعد من أن تعهد

بهذا الموضوع إلى أي شخص من الموثوق بهم ، ومن يُشهد له بالخبرة في مجال المقاولات التجارية .

عندما يرون أن سموّكم قد احتكر جميع البضائع والسلع التجارية ، فإن كل شخص سوف يعمل على إقراض المال بواقع عشرة بالمائة أو أكثر ، وفق ما هو مطلوب .

أسأل الربّ أن يحقق لسموّكم المزيد من التطوّر في مملكتكم والازدهار ، وأن يطيل في عمر سموّكم .

من "غوا" ، السادس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٣م

"فرانسيسكو بالها"

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

وردت رحلة "دوم أنتاو دي نورونها" إلى هرمز ، حيث اتجه إلى البصرة حاملاً ثروة كبيرة من الذهب مخالفاً التعليمات ، وما جرى فيها من أحداث ، كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" : [٢٣]

بشأن ما حدث لـ "دوم أنتاو دي نورونها" في رحلته إلى هرمز ، ماذا فعل "بيري ريّس" عندما وصل للبصرة ، الأحداث التي وقعت حتى قيام "دوم أنتاو دي نورونها" بتسليم الأسطول لـ"دوم ديوغو دي نورونها" .

مقتطف :

بعدما غادر "دوم أنتاو دي نورونها" متّجهاً بالأسطول إلى هرمز كان

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

قد أبحر تساعده رياح لطيفة حتى وصل لتلك القلعة في أواخر شهر نوفمبر ، حيث وجد هناك كلاً من "دوم ديوغو" و"دوم أنتاو دي نورونها" وقد مضى على بقائهما هناك أكثر من شهر كامل ، وقد وجد من الكابتن "دوم ألفارو دي نورونها" وسكان المدينة الذين مازالوا مرعوبين من تلك السفن استقبالاً حارّاً .

إثر ذلك أمر "دوم أنتاو دي نورونها" السيد "جوميز دي سيجويرا" و"لويس دي أجويار" بالذهاب إلى البصرة لأجل مراقبة السفن وزودهم بالتوجيهات ، بحيث يعود أحدهما بأخبار ما شاهداه على أن يبقى الآخر هناك حتى تصل رسالته ، وأثناء ذلك قام "دوم أنتاو" بإعداد وتجهيز ما يلزم الأسطول من معدات ومؤن .

عندما غادر التركي "بيري ريس" هرمز حاملاً كلّ الثروات التي ذكرناها اتّجه إلى البصرة حيث قرّر المكوث فيها ، وعندما علم باشا البصرة أنّه قد نزل في مسقط وهرمز مخالفاً بذلك أوامر الملك التركي وتوجيهاته ، سارع فوراً بإرسال تقرير عن طريق البرّ عن هذا الأمر للقسطنطينية .

أُخبر "بيري ريس" بهذا الأمر ، وبما أنه كان رجلاً فطناً واسع الحيلة ، فقد أخذ كل تلك الثروات التي حصل عليها في مسقط وهرمز و"لارك" وقد جاوزت قيمتها المليون ذهب ، وعمل على نقلها مستخدماً ثلاثة من المراكب الخفيفة ، ومن ثم قام بوضع الأغلال في أيدى جميع "البرتغاليين" الذين قبض عليهم في مسقط ، وأبحر من البصرة قاصداً القسطنطينية .

وهناك ألقى بنفسه تحت قدمي ملك الأتراك حاملاً تلك الأموال

بهدف استعطافه وتهدئته بها ، لأنه كان على قناعة تامة أنّه إذا ما انتظر التوبيخ في البصرة ؛ فلا شكّ سوف يُصار إلى الحكم عليه بقطع عنقه .

بعدما غادر البصرة اتّخذ طريقه على طول ساحل الجزيرة العربية ، وبعدما وصل للقطيف انجرفت إحدى سفنه فوق منطقة رملية حيث تحطّمت بالكامل ، و بما أن ذلك حدث ليلاً كانت مجموعة "البرتغاليين" المقيّدين لا علم لها بهذه البلاد وفي ظل خوفهم من الغرق قرّروا البقاء في المركب ، والآن لم يعودوا مقيّدين بتلك السلاسل .

عندما لاحظ "بيري" ريّس الذي كان مبحراً في المقدمة اختفاء أحد المراكب استدار بسفينته وقفل راجعاً للوراء ، وعندما وصل منطقة القرارة الرملية رأى ما حل بالمركب من دمار ، بالرّغم من وجود الرجال بداخلها ، وبالتالي قام بإنزال بعض الزوارق لانتشال أولئك الرجال فرداً فرداً ، أما تلك الفئة من "البرتغاليين" الجبناء الذي كانوا بوسعهم إنقاذ أنفسهم واللجوء إلى الشّاطئ الذي كان قريباً منهم ، فقد قرّروا البقاء ، قام الأتراك بجمع ما تبقّى من أغراض في المركب ، ومن ثمّ استمروا في رحلتهم .

كانت سفننا التي استمرّت في مراقبة المراكب قد أبصرت تقدمها بمجرد خروجها من البصرة ، وهكذا تركوا "سيغويرا" يواصل مراقبته لها ، حيث إنه حرص على ألا تغيب عن ناظريه لحظة بينما انطلق "لويس أجويار" بأقصى سرعة بالرسالة إلى هرمز وعندما وصل إلى القلعة قدم تقريراً إلى "دوم أنتاو دي نورونها" الذي أسرع إلى سفينته يرافقه "دوم ديوغو" و"دوم أنطونيو دي نورونها" .

عندما غادرا هرمز التقاهما "سيغويرا" وأخبرهما أن السفن قد خرجت مبحرة على طول ساحل الجزيرة العربية ، وبالتالي شرع "دوم أنتاو" في مطاردتها حيث كانت السفن تسير محاذية بقرب البر والمراكب العاملة بالمجاديف في وسط القنال . ظل "سيغويرا واجويلار" مبحرين في المقدمة وعملا على تفتيش جميع المداخل للتأكد من عدم بقاء أية سفينة أو تخلّفها هناك .

كان هذا شهر فبراير وهو موسم هبوب رياح الشمال ، وهي الرياح الشمالية الشرقية التي تتّخذ شكل العاصفة داخل المضيق ، وهكذا وجد الأسطول صعوبة شديدة بحيث أدت قوة الرياح إلى تفرّق قطع الأسطول ، الأمر الذي اضطرهم لاستخدام الأشرعة الصغيرة حتّى يتجاوزوا منطقة مسقط .

وعند رؤيتهم الأسطول من الشاطئ شرع "فيرناو دياس" في الإبحار متّجهاً نحوهم في سفينته ومن ثم أخبر "دوم أنتاو" أن اثنتين من السفن كانتا قد مرّتا على مرأى من البرّ ، وهنا أعطى "دوم أنتاو" الأمر بالإبحار منطلقاً بأقصى سرعة لمطاردتهما ، وأرسل أمامه سفن المجاديف لمناوشتهما إذ ما عثرت عليهما ؛ لكنه عندما وصل إلى رأس الحد لم يجد لهما أي أثر .

هناك استشار مرافقيه فيما يجب عمله ، وما إذا كان يترتب عليه ملاحقتهم في مضيق مكة ، وقد تقرّر أنه في غياب وصول "المونسون" وهبوب الرياح الشمالية الشرقية على هذا النّحو ، يترتب على الأسطول الذهاب ثم الانتظار في ضفاف نهر "طوى" Teve إلى حين

وصول السفن القادمة من جدة للانضمام إليه ، ومن ثم الإبحار معاً إلى هرمز .

هذا ما قاله ، ومن ثم عاد إلى النهر حيث بقي هناك حتى نهاية شهر إبريل وعدة أيام من شهر مايو ، حيث قام بترتيب وصف جميع السفن ، أما "بيرو دي أتيد انفيرنو" "Pero de Ataide Inferno" فقد وصل هناك بكامل أسطوله تماماً عندما استعد "دوم أنتاو دي نورونها" للإبحار .

عندما غادر هذا النبيل مدينة "غوا" اتجه إلى مدخل الخليج حيث بقي هناك حتى ذلك الوقت ولم تواجهه أية أحداث تذكر ، بل دون أن يرى أثراً لوجود "بيري ريس" إذ يبدو أنه قد مرّ خلال الليل .

عندما رأى "دوم أنتاو دي نورونها" أسطول "بيرو دي أتيد" تمكّن من الوصول معه إلى اتّفاق بشأن الأعلام ، ونتيجة ذلك قام "بيرو دي أتيد" بإزالة علمه ثم تبعه حتى وصل إلى هرمز حيث وجد "دوم أنتاو دي نورونها" قد استولى على القلعة وساعتها قام بتسليم الأسطول لـ "دوم ديوغو دي نورونها" (الأحدب) وبعدها رافقه في سفينته "اس لورينسو" كواحد من جنوده .

عندما استلم "دوم ديوغو" الأسطول أمر بتجهيزه وإعداده ، ثم عمل على دفع أجور الجنود وترتيب المأوى لهم ، وقد وفّرت لهم وسائل الراحة طيلة فترة بقائهم هناك ، بعد ذلك أمر "دوم ديوغو دي نورونها" بعض السفن الخفيفة أن تبحر من هرمز للبصرة بشكل مرحلي ، وذلك بغية التأكد من الشّائعات التي تدور حول السّفن ، ومن ثم شرع في إرسال أخباره يوماً بعد يوم .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)

ورد ذكر الرسالة التي تلقاها الأتراك من باشا البصرة ، فيما يختصّ بتصرفات "بيري ريس" في مسقط وهرمز : [٢٤]

بشأن الرسالة التي تلقاها ملك الأتراك من باشا البصرة ، فيما يختصّ بتصرفات "بيري ريس" في مسقط وهرمز ، كيف أرسل "بارباروسا" كي يأتيه بخمس عشرة سفينة في ميناء "مخا" ، كيف وصل "بيري ريّس" إلى بلاط ملك الأتراك وإصدار الأخير الأمر بقطع رأسه ، كيف التقى "د .ديوغو دي نورونها" مع "بارباروسا" والمعركة الشهيرة التي خاضتها المراكب الشراعية ضدّ سفن "غونسالو بيريرا ماراماك" .

عندما وصل "بيري ريس" إلى البصرة قام الباشا فوراً بإبلاغ الملك التركي عن طريق البريد البري بما فعله "بيري ريس" في مسقط وهرمز وكيف أنّه غادر في ثلاثة من السّفن بالرّغم من وجود أسطول "البرتغاليين" القوى في قلعة هرمز بعدما قدم لإنقاذها ، أيضاً وردت

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

رسالة مع تلك الخطابات ، تفيد بأنّه عند مدخل مضيق مكة يوجد هناك أسطول آخر .

وهو أسطول "بيرو دي أتيد إنفيرنو" وكان الأتراك يخشون أنّها ربما تدخل بيت محمّد (الزائف) كي تدمّره (لأن المضيق ليس محمياً بتاتاً) لذا فقد وافق على أخذ خمس عشرة سفينة ، وهي السفن التي استقلها "بيري ريس" في الذهاب إلى البصرة ، فأُرسلت إلى مضيق مكّة لحراسته والدفاع عنه .

كان "بارباروسا" ، وهو الكابتن السابق في القطيف الذي كان في البلاط وكان خجلاً جداً إثر قيامه بإخلاء تلك القلعة بكل سهولة لـ "د . أنتاو دي نورونها" (كما ذكرنا أعلاه) قد علم بذلك .

في إطار رغبته في تحسين صورة تصرّفه فيما يختصّ بأعمال النهب الذي تمّ التأكد من أنّه مسؤول عنه ، استخدم نفوذه كي يتمّ اختياره كمسؤول عن تلك الحملة ، وعليه تم تعيينه بواسطة ملك الأتراك في ذاك المنصب ، حيث أرسل له في الحال الأوامر والتوجيهات بواسطة مبعوث خاص كي يبلغه بالذهاب إلى البصرة ، واختيار الخمس عشرة سفينة التي أخذها "بيري ريس" إلى هناك كي يتّجه بها إلى مكّة للدّفاع عنها ، على أن تبقى بقيّة السّفن في البصرة لشنّ الحرب ضدّ "الجيزار" .

وصل "بيري ريّس" إلى القسطنطينية في أقل من مدّة شهر من تاريخ مغادرة "بارباروسا" وبعدما وصل إلى السويس بسفنه إلى هناك ، أمر بإلقاء المراسي ، حيث نقل جميع الثروات والأموال ، وأيضاً مجموعة الأسرى "البرتغاليين" على ظهور الجمال ميمّناً وجهه شطر الإسكندرية ، ومن هناك

عبر البحر إلى القسطنطينية التي وصلها بكامل الثروات والأموال التي أخذها معه .

بعد ذلك قام بالمثول أمام ملك الأتراك ، لكن ذلك السيد النبيل حتى ولو كان وثنياً لم يكن على استعداد لخرق القانون أو تجاوزه بسبب تلك الثروات التي وضعها "بيري ريس" تحت قدميه ؛ إذ اعتبره خرج على قانونه فحكم بقطع عنقه ، أما بخصوص "البرتغاليين" الأسرى فقد أمر ..

حكم عليهم بالسجن في دكّة السفينة ، وتمّ افتداؤهم فيما بعد ، ومن ثم عادوا إلى الهند .

أما بالنسبة "لبارباروسا" فقد تمكن من الإبحار بصورة جيّدة ، حيث إنّه وصل إلى البصرة في نهاية شهر يوليو عام ١٥٥٣م ، وبعدما أكمل صيانة الخمس عشرة سفينة وتجهيزها ، وزوّدها بأفضل قطع المدفعيّة والجنود ، شرع في الإبحار في أغسطس .

غادر أيضاً "دوم انتاو" هرمز بكامل أسطوله في بداية ذلك الشهر ، كي يرابط بأسطوله في رأس مسندم ، ومن هناك أرسل "جوميز دي سيغويرا" و"لويس دي أجويلار" بأمر التّوجه إلى البصرة لاستقصاء أخبار السفن الشراعية ، وأوصى بأن يبقى أحدهما هناك للتجسّس عليها ، على أن يعود الآخر بتقرير عما جمعه من أخبار بشأنها .

عندما وصلت سفنهما إلى مدخل نهر الفرات ، تمكّنا من القبض على سفينة على متنها بعض المسلمين الذين أخبروهما أن "بارباروسا" يستعدّ للإبحار بسفنه ، وبعدها أبحرت إحدى السفن بهذه الأخبار بينما بقيت الأخرى للقيام بأعمال المراقبة .

إثر استلام "دوم ديوغو دي نورونها" هذه الرسالة شرع في تجهيز أسطوله ومن ثم أرسل السفينة عائدة لتنضم إلى البقيّة ، حتّى تتمكّن من العودة إليه بأخبار موعد مغادرة السفن الشراعية .

في تلك الأثناء قرّر الإبحار من رأس مسندم إلى جزيرة "هنجام" التي سوف تزورها السفن .

بما أن ذلك كان في نهاية شهر أغسطس ، فقد وصلت سفينة "دوم ديوغو دي نورونها" لتخبره أن مجموعة الخمس عشرة سفينة قد شرعت في التحرك .

بعد هذه الأخبار بدأت هذه السفن تظهر على طول الساحل الفارسي ، وهي تنشر كامل أشرعتها مبحرة بمساعدة الرياح الغربية .

ألقى "دوم ديوغو دى" مراسي جميع سفن أسطوله في الساحل العربي وبعدما تلقى الرسالة أمر برفع المراسى والشروع في الإبحار ، ومن ثم عبر الساحل الفارسي ، وعندما أصبح بسفنه عند مدى إطلاق نيران السفن عمل على توجيه السفن بحيث وجه عليهم المدافع المنصوبة على جوانب السفن ، إذ إنّه لم يرغب في الاقتراب منها على الشاطئ ، لأن السفن تطلق نيران أسلحتها في اتجاهه .

قد شاء الحظّ العاثر أن تنطلق قذيفة من جسر إحدى السفن الشراعية ، لتصيب سفينة القائد العسكري في العلامة المائية ، من الجهة التي تهبّ منها الرياح ، فاخترقتها ، وبدأت المياه تتدفّق إلى داخلها ، حيث صارت تغرق وتغوص إلى الأسفل .

وهنا اندفع الضباط إلى الأسفل ، عندما شعروا بأن السفينة سوف تغرق ، فطلبوا من القائد تغيير مسارها ، وهنا وافقهم "دوم ديوغو" بالرغم من عدم قناعته بطلبهم ... ، وهكذا بدأ الضباط والبحارة ، بعدما تغيرت وجهة السفينة ، في سد الفجوات التي تتدفق إليها المياه .

في العاشرة صباحاً هدأت حركة الرياح ، وظلّت السفن مبعثرة في البحر ، بحيث إن سفن "غونسالو بيريرا ماراماك" لم تجد وسيلة قطّ للتحرك في الجانب الفارسي وأصبحت منعزلة على مسافة رمي قذيفة مدفعيّة عن بقية سفن الأسطول .

عندما أحس "بارباروسا" بأن الفرصة أصبحت مواتية نشر شراع سفينته ، ومن ثمّ أبحر بجميع سفنه في اتّجاه سفن "غونسالو بيريرا" ، وعند وصوله إلى هناك وجد نفسه مطوّقاً بشكل كامل ، وإن سفينته أضحت هدفاً لقصفٍ مدفعي عنيف متواصل .

كان على متن سفينة "غونسالو بيريرا ماراماك" مائة وعشرين رجلاً بينهم مجموعة من النّبلاء والجنود المغاوير والفرسان ، وعندما أحسوا بأن السفن الشّراعية قد حملت عليهم بعنف وضراوة ، شرعوا في تسليح أنفسهم وانبروا لحماية السفينة والدّفاع عنها . كان النّبلاء قد اصطفوا على طول الجانب الذي يقف فيه رجال المدفعية مصمّمين على مواجهة العدوّ وإطلاق نيران أسلحتهم عليه ، وبالفعل استخدموا تلك الأسلحة ، حيث دمّروا معظم أشرعة سفن العدو .

لكن أثناء مقاومة السّفينة التي كانت شبه لاصقة بمكانها ، كما وصفوها بعكس السفن الشراعية التي ظلت تتقدم وتتراجع بفضل

استخدام المجاديف ، تبيّن أنّ المهاجمين قد نالوا منها بحيث إنّها أصبحت في حالة يرثى لها ، فقد دمرت كل أجزائها العلوية ولم يعد يُرى منها شيء ، وأصيب جميع من كانوا على متنها بجراح . أما المزين شراع المؤخرة فقد انهار تماماً ، وبالمثل انهار كلا صاريي السفينة وتناثرا إلى قطع صغيرة ، إلى جانب القائم والأشرعة التي شوهدت طافية فوق مياه البحر .

كانت هذه السفينة المنكوبة المثيرة للشفقة قد وقفت وسط السفن كحصن رائع منيع تنبعث منه ألسنة اللهب والدخان في كل الاتجاهات . أما الجنود ، فبالرغم من إصابة الكثيرين منهم بجراح ، فقد تحلوا بقدر وافر من البسالة والصمود ، حيث إنّه رغبة في إطفاء غضبهم الملتهب من الأتراك ، اتّجهوا نحو السفن لمهاجمتها من جهة أطرافها التي تصدر منها المواجهة .

في ذلك اليوم كشف "غونسالو بيريرا ماراماك" عراقة معدنه وأصالته ومنزلته الرفيعة لأنّه لم يترك مكان عراك وقتال إلا واقتحمه ، فشارك الجميع في الصعوبات التي يواجهونها ، فنال من الجراح أخطرها وأبلغها .

عندما شهد "دوم ديوغو دي نورونها" بهذه البسالة ، وأدرك أنّه ليس بإمكانه التوجه لمساعدة سفنه ، استشاط غضباً حتى أصبح كالمعتوه موجّهاً اللوم لـ "ل .اس . لورينسو" الذي لم يقدم له المعلومة الصحيحة كي يتمكّن من تقديم المساعدة لها ، ناعتاً إياه بالغِّر الذي حرمه من ذلك الشرف ، وفي فورة غضبه هذا أصدر أوامره بتجهيز جميع سلوب السفن بحبال السحب محاولاً قطرها ، لكن كانت تلك محاولة يائسة ، وبالتالي

أرسل جميع السفن لمساعدة المراكب الشراعية التي بذل قباطنتها جهوداً بالغة ، وبالرغم من اقتراب البعض من تلك السفن ، إلا أن تلك أحاطت بالسفينة وأصبح من الصعب الاقتراب منها .

لم يتبق هناك من شيء يمكن أن يقوم به "غونسالو بيريرا" ، وبما أنه شاهد أن كل شيء يسير وفق ما خطط له ، صار يقوم بواجبه ومهامه على أحسن ما يكون كقائد حصيف شجاع .

أما عريف الملاحين والقبطانان اللذان بذلا مجهوداً مقدراً في ذلك اليوم فقد قتلا إثر قذيفة مدفعية انفجرت بالقرب منهما ، بالإضافة إلى وابل غزير من نيران العدو وسحباً كثيفة من الرماح أصابت الكثيرين من رجالنا ، كانت تتساقط فوق سفينتنا مصوّبة من جميع الاتجاهات .

حقيقة كان الجميع قد حارب ببسالة وأظهروا شجاعة نادرة ، بحيث إنه ما من أحد لم يحسد رفيقه على الشجاعة التي تحلّى بها أثناء الاشتباك .

(...) ، أما "فرانسيسكو دا كونها" "Francisco da Cunha" ، وهو من النبلاء الشجعان ، فقد قاتل كالصقر الضاري بمهارة وشجاعة ، وكان يطلق نيران بندقيته على الأعداء ويصيبهم في مقتل ، وكأنه ظل يتدرب على هذا العمل طيلة حياته .

بالرغم من أن هذه المعركة تستحقّ الحديث عنها بشكل مفصّل ومطول ، لأنها معركة نبيلة ، إلا أنّنا تجنّبنا ذلك بسبب افتقارنا للتكليف ، ولكن يكفي أن نشير إلى أن القتال استمرّ حتى المساء ، عندما بدأت الرياح تهبّ وبدأت السفن في الوصول .

بعدما أحس "بارباروسا" أنّ الرياح بدأت تهبّ بقوة ، وأن سفنه الشراعية تضررت كثيراً ، وضع في حسبانه أنّ أفضل شيء يمكنه عمله هو أن يعود إلى البصرة ، وعليه اعتمد على التجديف حتّى وصل إلى ساحل فارس ، فأبحر على طول هذا الساحل ثم استدار إلى الداخل مرة أخرى . كان ما يزال محتفظاً بالسفينة التي تؤول إلى "جواو نونيس هوميم" وهي السفينة التي استولى عليها "بيري ريس" في هرمز ، وعمل على نقل قطع المدفعية والذخيرة وكل المؤن والإمدادات الخاصة بالأسطول على متنها .

تمكن "دوم ديوغو دي نورونها" من الوصول إلى سفينة "غونسالو بيريرا ماراماك" التي لم يعد باقياً منها سوى "الهلك" وباستخدام السلوب وعمل التجديف تمكّن "غونسالو بيريرا" من الوصول إليها ، ومن ثمّ بقي ينتظر على متنها ومعه جميع جنوده الذين لطخت الدماء والبارود أجسادهم ، وعندما صعد "دوم ديوغو دي نورونها" فوق ظهر المركب اتجه نحوه "غونسالو بيريرا ماراماك" كي يحتضنه ، خاطبه قائلاً :

تنحّ جانباً سيدي لأنني لا أرغب في معانقتك ، إنّك لم تعد تساوى شيئاً بسبب ما فعلته ، فدمك وشرفك أرغماك على ذلك ، لكن لا أحد يعتبر جديراً بالمعانقة سوى هؤلاء ... ، نعم فقط هؤلاء ...

ظل يعانقهم فرداً فرداً حتى غطّت الدّماء والعرق ملابسه ، ومن ثمّ صار يكيل لهم الثناء والتمجيد جميعاً .

إن أعظم الرجال أهمية ممن كانوا مع "غونسالو بيريرا ماراماك" هم "دوم أفونصو هنريكس" "Afonso Henriques" ، "لويس فرير دي

أندراد" "Luis Friere de Andrade" ، وهو القبطان السابق في شول الذي حضر نشاط الحصار الشهير الذي فرضه "زمالكو" على القلعة عام ١٥٧١م ....

وعمّه "جورجي دي سوسا" "Jorje de Susa" ، "أندريه بيريرا دي بيريدو" "Andre Perriera de Perido" ، "دوم ليونيس بيريرا" "D . Leones Perriera" ابن "الكونت فيريرا" ، "دوم لويس بيريرا" "D . Luis Perriera" ، "مانويل فيرنادو ماشادو" "Manuel Fernado Machado" ، "سبيستياو ماشادو" "Sebastiao Machado" .

"دييجو نونيز بيدروسو" "Diego Nunes Pedroso" ، "فاسكو دي ريبوريدو" "Vasco Reporedo" ، "ليونيل بيريرا" "Leonel Perriera" ، "فرانسيسكو دا كونها" ، "كريستيفاو دي أروجو ايفانجيلهو" "Christofao de Arogo Evangilho" ، والكثيرون من النبلاء والفرسان .

كان "دوم ديوغو دي نورونها" قد سمح بإبحار بعض السفن لأجل حراسة أسطول "غونسالو بيريرا" ومرافقته إلى هرمز بينما شرع بما تبقى من سفن الأسطول في مطاردة السفن الشراعية التي تحتضن الساحل .

اتّجهت سفننا الخفيفة لشنّ هجوم على السفينة التي هربت أمامها حتّى أجبرتها على الانحراف في جزيرة قشن ... ، وحينها قفزت مجموعة من الأتراك إلى البحر محاولين إنقاذ أنفسهم بالوصول سباحة إلى الشّاطئ ، لكن كان مصير الغالبية العظمى منهم الموت بالسيوف ، وهكذا سقطت السفينة بكلّ ما تحمله من ثروات .

وفي العام نفسه (١٥٥٣م)
وقعت أحداث عندما ظهر "بيري بيك" أمام الأتراك في القسطنطينية ، نورد تلك الأحداث من كتاب : "Lendas da India" ، لمؤلفه "غاسبار كوريا" "Gaspar Correia" : (٢٥)

ظهر الباشا "بيري بيك" أمام عظيم الترك في القسطنطينية ، وماذا حدث له . أمر عظيم الترك "مراد بيك" مع خمس عشرة سفينة بحراسة مضيق البصرة . يواجههم "دوم دييجو دي نورونها" جنرال أسطولنا . يشتبك معهم "غونسالو بيريرا مارامااك" بسفينة في معركة شرسة ... ، وما نتج عنها .

بعد وصول التقرير إلى القسطنطينية الذي بعث به باشا البصرة إلى عظيم الترك عن ما قام به بيري ريس في مسقط وهرمز ، وأنّه غادر على ظهر ثلاث سفن تعمل بالمجاديف ، وأنّ أسطولاً ضخماً وقوياً

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

للبرتغاليين في طريقه لإنقاذ ثلاث سفن تعمل بالمجاديف ، وأنّ أسطولاً ضخماً وقوياً للبرتغاليين في طريقة لإنقاذ القلعة التي في هرمز .

وصلت أنباء أخرى أيضاً تفيد بأن أسطولاً آخر للبرتغاليين بقيادة "بيرو دي أتيدا" كان عند مدخل المضيق في مكّة ، لأن عظيم الترك خشيَّ أن تقوم تلك الأساطيل بالتّقدّم لأن المضيق كان بلا دفاعات في ذلك الوقت ، وقرّر إرسال خمس عشرة سفينة ، من بينها التي كان قد أخذها بيري ريّس إلى البصرة ، لحراستها والدفاع عنها .

عندما علم بذلك مراد بيك "بارباروسا/ خير الدين" قائد سابق للقطيف ، والذي كان في ذلك الوقت في البلاط ، قلقاً في معالجة الصدع الذي نشأ بعد مغادرة تلك القلعة في سرعة شديدة وتسليمها إلى "دوم أنتاو دي نورونها" ... ، فاستخدم نفوذه على عظيم الترك ، وتمكّن من إقناعه بالوثوق فيه ليتولى تلك الحملة .

أرسله الأخير قدماً مع أمر بقيادة خمس عشرة من السفن ذات المجاديف التي أخذها "بيري ريّس إلى البصرة ويذهب بها لحراسة مضيق مكّة ، وعلى بقية السفن البقاء في البصرة ؛ لتشنّ الحرب على "الجزائر" "Gizares" .

عند وصوله إلى السويس قام "بيري ريّس" بإرساء سفينته ونقل كلّ الغنائم والأسرى "البرتغاليين" الذين جاء بهم بواسطة الجمال إلى الإسكندرية . ذهب من هناك واثقاً من الثروات التي كان يحملها ، فقدّم نفسه تحت أقدام عظيم الترك ؛ لكن ذلك السيّد رغم كونه كان وثنياً فهو

لا يحتمل أي شكّ في أوامره على حساب أيّ نفوذ أو صداقة ، أمر بأن يقطع رأسه في الحال وأن يوضع "البرتغاليون" على السفن ، والذين تمت فدية الكثيرين منهم فيما بعد .

منهم من تمكّن من الوصول إلى الهند وآخرون إلى أماكن أخرى ، أصاب "بارباروسا" تقدماً جيّداً حتى أنه وصل إلى البصرة في نهاية شهر يوليو عام ١٥٥٣م ، قام بتجهيز الخمس عشرة سفينة كأفضل ما يكون وزودها بأفضل مدفعيّة ، وأفضل رجال استطاع ترتيب وجودهم ، وغادر مبحراً في أغسطس .

غادر "دوم دييجو دي نورونها" هرمز أيضاً في بداية نفس الشهر بكامل أسطوله ، وبينما هو يتمركز خارج رأس مسندم ، بعث "جوميز دي سيجويرا" و"لويس دي أجوير" إلى البصرة ليستكشف أمر السفن ، إذا تلقّوا أخباراً عنها فعلى أحدهم إبلاغه بها ويبقى الآخر يتجسس عليهم .

عندما وصلت تلك السفن إلى مصبّ نهر الفرات ، استولوا على مركب عليها بعض المسلمين الذين أخبروهم بأن "بارباروسا" قد أعد أشرعته وكان جاهزاً للمغادرة . أخذت إحدى السفن هذه الأخبار "لدوم دييجو" الذي طلب منها العودة في الحال والانضمام إلى الأخرى ، وأن تأتي له بالأخبار عند تحرّك السفن مباشرة . قرّر حينها أن يبحر من رأس مسندم إلى جزيرة "هنجام" حيث على السفن أن تعرج عليها .

عند بداية نفس شهر أغسطس هذا ، جاءت السفينتان بأنباء "لدوم دييجو" بأن خمس عشرة سفينة تقتصي أثرهما ، بعد وقت قصير بدأت تلك السفن بالظهور في كامل أشرعتها على طول ساحل فارس ، تحرّكها وتدفعها الرياح الغربيّة .

أسطول "دوم دييجو" الذي كان بأكمله راسياً خارج الساحل العربي ، أفرد أشرعته وبدأ بعبور الجانب الفارسي ، عندما وصل إلى مدى إطلاق النيران على السفن ، قام بقذفهم من مدافعه ، إلا أنّه لم يجرؤ على الاقتراب من الشاطئ ، حيث كانت السفن ذات المجاديف تواصل إبحارها بقدر ما تستطيع ، بينما كانت تطلق مدافعها .

قذيفة من جسر إحدى السفن ، أصابت السفينة الشراعية الصغيرة التي يقودها القائد العام ، عند خطّ مستوى المياه المواجه لاتّجاه الريح الذي دخلت منه القذيفة .

بدأ التسرّب ، اندفع ضباط السفينة الشراعية إلى الأسفل ورأوا أنها تغرق ، لذلك طلبوا من القائد العام أن يغيّر اتجاهه لأنهم كانوا يغرقون ، قام بكل ما يمكن ضد رغبته لأنه كان مجبراً على ذلك . بسبب تغيير المسار تسبب الضباط في أحد التجويفات في سرعة شديدة .

عند الساعة العاشرة صباحاً بدأت الرياح تخفّ ، وبقيت السفن مبعثرة على سطح المياه دون أن نتمكّن من تغيير اتجاهها أو التحرك ، بينما ظلت سفينة "غونسالو بيريرا ماراماك" مغروسة على الجانب الفارسي ، على بعد قذيفة مدفع من الأسطول الآخر .

لرغبته في اغتنام تلك الفرصة الرائعة قام "بارباروسا" بإيقافه كل أشرعة السفن وجذف باتجاه سفينة "غونسالو بيريرا" ، بعد أن أطلق مرّة أخرى كلّ مدفعيتهم عليها ، قاموا بالانسحاب ، أعادوا تلغيم مدافعهم مرّة أخرى وأطلقوا القذائف من الجانب الآخر ، مستخدمين نفس التّكتيك ، كرروا ذلك عدة مرات ، لم تكن السفينة بلا حراسة أو غير

جاهزة لأن "غونسالو بيريرا" الذي كان معه مائة وخمسون رجلاً من بينهم العديد من السادة الشجعان والفرسان والنبلاء ، عندما رأوا أنّ السفن قادمة لمهاجمته ، استعدّوا جيداً للنزال .

عندما وصلوا ، أطلق مدفعيّته تجاههم وحطّم معظم صواريهم ، لكن بما أن السفينة ظلت مكانها واستمرت السفن في التحرّك أينما أرادت وتركوها في وضع لم يبق فيها من شيء سليم ، وذلك لتحطّم كل الأجزاء العليا إلى آلاف القطع وحولت القذائف الأشرعة إلى خرق ممزّقة ، كلا الصاريين كانا مبعثرين لأكثر من مكان والأشرعة طارت وجرفتها المياه .

لكن حتى هذا لم يكن كافياً ليحبط من معنويات الجنود الشجعان ، ولو لدرجة واحدة ، ولا حتى الانفجارات المستمرة من المدفعيّة أن تعيق السفينة التي تسبب في الكثير من الضرر للعدو ، ولم يتجرؤوا على الصعود إلى سطح السفينة بالرغم من وجودهم حولها من جميع الجوانب ، من مواقعهم أطلقوا عدداً لا يحصى من طلقات البنادق عليها ، وعدداً كثيفاً من الأسهم ، وزخماً من قذائف المدافع . أصيب الكل بجراح جراء ذلك ، والربّان والقبطان قُتلا بينما كانا يؤدّيان واجبهما ، دون أن يكترثا للخطر المحدق بهما .

أظهر الضباط "غونسالو بيريرا" قدراً كبيراً من الحماسة وشجاعته الطبيعية . كان دائماً يشاهد في أخطر المواقف ويشارك الجميع معاناتهم وجراحهم ، لأنه هو شخصياً تلقى ثلاثة جروح ليست بسيطة ، من ثلاثة أسهم .

عندما رأى "دوم دييجو" المقاومة والخطر المحدق بسفينه "غونسالو بيريرا" ، الأمر الذي لم يكن قادراً على مدّ يد العون فيه ، تملّكه الإحباط والقلق والكثير من الغضب . أمر في الحال بأن يوضع رجال على المراكب ذات الصاري الواحد من السفن وإنزالها في البحر مع حبال للسحب ليرى ما يمكن عمله لهم ، إلا أن كل تلك الجهود كانت بلا فائدة .

أمر بعد ذلك كل سفن التجديف أن تأتي لمساعدته . بالرغم من أن كافة قباطنتها قد بذلوا جهداً كبيراً في ذلك العمل ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إليه ، ذهب البعض قريباً من السفن لأنها كانت في شكل دائرة تحيط بهم .

كانت السفينة المنكوبة في هذا الموقف الصعب حتى ساعة صلاة المغرب ، عندما بدأت تهب رياح ونسيم طيب ، وفي ذلك الوقت بدأت السفن بالوصول إليها . عندما رأى أن النسيم والرياح تصبح أقوى وأنّ سفنه قد تضررت كثيراً ، وغادر "بارباروسا" سفينته الشراعية .

وأفرد أشرعته وأبحر في اتجاه الساحل الفارسي ، وواصل رحلته إلى البصرة تتبعه في الخلف السفينة التجارية الضخمة التي كانت في السابق تخص "جواو نونيز هوميم" ، والتي كان قد استولى عليها "بيري ريّس" في هرمز . أخذها الأتراك وهي مجهّزة بالمدفعية والذخيرة وعليها مؤن كثيرة لتزود أسطولهم .

عندما وصل "دوم دييجو" إلى سفينة "غونسالو بيريرا" ، ذهب إليه في المركب الصغير ووجده في انتظاره على سطح السفينة ، وبرفقته كل جنوده

وتغطيهم الدماء والعرق . العديد منهم كان لا يزال يحمل في جسمه السهام التي رشقوا بها . عندما وصل "دوم دييجو" إلى السطح اقترب منه "غونسالو بيريرا" ليحتضنه ، لكنه قال له : "اذهب وقف هناك .

أنا لا أرغب في ضمّك لأنك بالرغم من الجهد والعمل الكثير الذي بذلته فإن القليل فقط هو الذي يحسب لك ، طالما أنّك أذعنت لالتزامات سمعتك ومركزك . دعني أضم أولئك الجنود الذين يستحقّون أكثر مما تستحقّ ، بالرغم من أن القليل كان يرجى منهم ، وذهب إليهم وضمّهم فرداً فرداً يلطخه دمهم ويبلله عرقهم وهو يلهج بالثناء عليهم .

القادة الذين هنا مع "غونسالو بيريرا" هم : "دوم أفونسو هنريكس" ، "لويس فرير دي أندراد" ، "جورجي دي سوزا" ، عمه ، "أندريه بيريرا دي بيريدو" ، "دوم ليونيس بيريرا" ابن "كونت فيرا" ، "دوم لويس بيريرا" ، "مانويل فيرنادو ماشادو" ، "سيبستياو ماشادو" ، "دييجو نونيز بيدروسو" ، "فاسكو دي ريبوريدو" ، "ليونيل بيريرا" ، "فرانسيسكو دا كونها" ، "كريستيفاو دي أروجو ايفانجيلهو" ، والعديد من السادة الآخرين والفرسان .

أمر "دوم دييجو" بعض قواربه بمرافقة "غونسالو بيريرا" إلى هرمز بينما واصل هو وبقية الأسطول لمتابعة السفن التي أبحرت بجوار الساحل . سفننا الحقيقية التي ظلت معه . ذهبت في إثر السفينة الضخمة حتى أجبروها على التوغل في الرمال عند جزيرة قشن ، حيث قفز الأتراك داخل المياه لإنقاذ أنفسهم بالهروب نحو الشاطئ . توفي معظمهم هناك وسقطت السفينة في أيدي رجالنا بكل ما كانت تحمله .

واصل "دوم دييجو" مطاردته للسفن الشراعية الصغيرة لسبعة أيام

متتالية كانت حثيثة دون أن يتمكن من القبض عليهم ، حتى علقوا بين الجزر والبرّ الرئيسي ودخلوا إلى مدخل مضيق البصرة ، ووواصلوا السير إلى الداخل على طول نهر الفرات حيث عندما رأى "دوم دييجو" أنهم جميعاً في أمان لأن سفنه لم تكن قادرة على الدخول إلى هناك ، عاد مع كامل أسطوله إلى مسندم ، حيث قرر الانتظار حتى هدوء الرياح الغريبة ومن ثم ذهب إلى هرمز ليرتب أمر مغادرته للهند ، والذي كان عليه القيام به بناءً على الأوامر المحلية التي معه .

أحداث عام ١٥٥٤م

جاء وصف دقيق عن الموازين والقياسات والعملات ، قام بإعداده "أنطونيو نونس" ، بتاريخ عام ١٥٥٤م : [٢٦]

موازين هرمز

وحدة وزن القرنفل

في وحدة وزن (بهار) القرنفل في هرمز عشرون "فرصولا" ، وإضافة إلى عشرين "فرصولا" فإنّ بهاراً واحداً تقسم إلى ثلاثة "ماووات" يعرف كل قسم بـ"البيكوتا" (الكوتة) . "البيكوتا" هي عرف وزني قديم في كل المراكز التجارية ، سواء بواسطة السمسار كوسيط في عملية البيع أم لا ، أو تضاف كمبلغ إضافي .

أصدرت المدينة هرمز تعليمات بخصوص هذا الموضوع ، اعتمادا على ما إذا كان في البضائع من عيوب ، في هذه الحالة يلزم إعطاء

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

"البيكوتا" ، كل "فرصولا" من هذه الوحدة فيها عشرة "ماووات" ، وتسعة عشر "كوياز" (أخماس) ، ويتضمن "الماوو" أربعة وعشرين "كوياز" مع وزن وعائه . يتضمّن أربعة وعشرين "كوياز" خمسة وعشرين "ميتِكِلْ" (مثقال) وربع مثقال هرمزي . أشرت إلى المثقال الهرمزي لأنه توجد أنواع أخرى تعرف بالمثقال الشيرازي ، وهذه أكبر بستّ مرات .

عشرة "ماووات" وتسعة عشر "كوياز" (أخماس) تتضمّنها "فرصولا" واحدة دون "البيكوتا" . تبلغ قيمة "البيكوتا" ثلاثة "كوياز" وستة مثاقيل وربع في كل "فرصولا" .

وحدة "بهار" تزن ثلاثة قناطير ، اثنين من الأرباع ، وتسعة أرطال ونصف ، وثُمنيْن .

يبلغ مقدار "فرصولا" اثنين وعشرين رطلا ، وأربع عشرة أوقية ، ويبلغ مقدار رطلين وأوقية ، رطلين وأونسا ونصفاً دون "البيكوتا" (الكوتة) ، هذه "البيكوتا" تساوي ثلاثة مثاقيل وثلاثة أرباع مثقال في كل "ماوو" ، و"الكوياز" (الخمس) هو أحد عشر مثقالا .

وحدة وزن تابل جوز الطيب

وحدة "بهار" تابل جوز الطيب هي أساساً نفس وحدة القرنفل ، دون فرق في جميع الأحوال ، لذلك ما ذكر أعلاه يعد كافياً .

وحدة وزن الجوز

في وحدة وزن الجوز عشرون "فرصولا" ، إضافة إلى خمسة "ماووات" إضافية ، بالتالي في كل "بهار" عشرون "فرصولا" ونصف ، مشتملة على "البيكوتا" .

تزن "فرصولا" أحد عشر "ماواً" و"كويازاً" واحداً متضمّنة "البيكوتا" .

في "البهار" ثلاثة قناطير واثنان من الأرباع ، وثلاثة عشر رطلا ونصف ، وثلاث أوقيات وربع الأوقية ، وثلاثة مثاقيل هرمزيّة وربع .

يبلغ مقدار "فرصولا" ثلاثة وعشرين رطلا ، وأوقية ونصف الأوقية ، ومثقالين وربع مع "البيكوتا" .

زنة رطلين وأوقية ونصف أوقية ، وثلاثة مثاقيل وربع ، تكون "ماواً" واحداً .

كتب على الهامش بنفس الخط : "ستين مثقالا هرمزياً يساوي "ماركا" واحدا" . ("المارك" Mark وحدة وزن أوروبية قديمة للذهب والفضة تعادل حوالي ثماني أوقيات) .

وحدة وزن القرفة

في وزن وحدة "بهار" القرفة عشرون "فرصولا" ، إضافة إلى واحدة أخرى "كبيكوتا" ، بذلك يوجد واحد وعشرون "فرصولا" مشتملة على "البيكوتا" في "البهار" الواحد .

في "فرصولا" أحد عشر "ماواً" ، وسبعة "كوياز" وثلاثة أرباع ، ويزن "الماوو" رطلين ، وأوقية ونصفاً ، وثلاثة مثاقيل وربعاً .

يزن "البهار" ثلاثة قناطير واثنين من الأرباع وستة وعشرين رطلا ونصفاً .

في "الفرصولا" ثلاثة وعشرون رطلاً ، وإحدى عشرة أوقية ونصفا ، متضمّنة "البيكوتا" لكلّ شيء .

وحدة وزن قصدير الهند

وحدة "بهار" القصدير الهندي في كل مكان هي نفس وحدة وزن القرفة ، لا يوجد فرق بالنسبة للوحدة بل السعر أغلى .

وحدة وزن اللبان الجاوي

تزن وحدة اللبان الجاوي عشرين "فرصولا" ، مع "بيكوتا" بقيمة أربعة "فرصولات" ، بذلك يوجد أربعة وعشرون "فرصولا" في "البهار" مع "البيكوتا" ، في "الفرصولا" اثنا عشر "ماواً" واثنان وعشرين "كويازاً" وربع ، دون "البيكوتا" في "الفرصولا" عشرة "ماووات" وتسعة عشر "كيازاً" .

في "البهار" أربعة قناطير ، وعشرون رطلا ومثقال ونصف ، وفي "الفرصولا" سبعة وعشرون رطلاً وأوقية وثلثان مع "البيكوتا" .

في "الماو" زنة رطلين ، وأوقية ونصف ، وثلاثة مثاقيل وربع مع "البيكوتا" .

وحدة وزن الهيل

وحدة "بهار" الهيل في جميع الأحوال تعتبر نفس وحدة اللبان الجاوي . يوجد فرق في السعر فقط .

وحدة وزن حبوب الفلفل المجفف

وحدة وزن "بهار" الفلفل في جميع الأحوال هي نفس وحدة وزن اللبان الجاوي والهيل . يوجد فرق في السعر فقط .

وحدة وزن أعواد القرنفل

وحدة "بهار" أعواد القرنفل هي نفس وحدة اللبان الجاوي والهيل والفلفل . يوجد فرق في السعر فقط .

وحدة وزن الزفت "المليندي"

وحدة "بهار" الزفت تتشابه مع وحدة اللبان الجاوي والسلع المذكورة أعلاه . يوجد فرق في السعر فقط .

وحدة وزن خشب الصندل

وحدة وزن "بهار" خشب الصندل الأحمر تتشابه مع وحدات اللبان الجاوي والسلع الأخرى المذكورة أعلاه ، يوجد الاختلاف في السعر فقط .

وحدة وزن التمر الهندي

وحدة "بهار" التمر الهندي مثل وحدات اللبان الجاوي والسلع المذكورة أعلاه ، والسعر أقل بكثير .

وحدة وزن الإهليلج المخزن

وحدة "بهار" الإهليلج المخزن تشبه أيضا وحدة اللبان الجاوي ، فيما يتعلق بـ"البهار" و"البيكوتا" .

وحدة وزن الفلفل الطويل

وحدة وزن الفلفل الطويل تشبه أيضاً وحدة اللبان الجاوي ، فيما يتعلق "بالبهار" و"البيكوتا" .

وحدة وزن دم التنين

وحدة "بهار" دم التنين تشبه أيضا وحدة اللبان الجاوي دون أي فرق .

وحدة وزن "سكوترا ألوي" (socotra Aloe)

وحدة "بهار" "سكوترا ألوي" مثل وحدة اللبان الجاوي .

وحدة وزن "بورنيو ماخو" (Borneo Maju)

وحدة "بهار" "بورنيو ماخو" تشبه أيضا وحدة اللبان ، يوجد فرق في السعر فقط .

وحدة وزن "إيجل وود" (eaglewood)

في زنة وحدة "بهار" "إيجيل وود" عشرين "فرصولا" ، إضافة إلى واحدة إضافية "كبيكوتا" ، بذلك يوجد واحد وعشرون "فرصولا" مع "البيكوتا" ، في "الفرصولا" أحد عشر "ماواً" وسبعة "كويازات" وثلاثة أرباع ، وفي "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ، وستة عشر رطلا ونصف مع "البيكوتا" ، وفي "الفرصولا" ثلاثة أرطال[أ] وإحدى عشرة أوقية ونصف مع "البيكوتا" ، و"الماو" كما ذكرت سابقا .

يوجد غالبا إضافة إلى القرنفل ، (صفحة رقم ٥) . يوجد نوع آخر من القرنفل أقل جودة ، لأنه في لون فاتح وخفيف ، يزن اثنين وعشرين "فرصولا" "للبهار" ، وهو عبارة عن : عشرين "للبهار" واثنين "للبيكوتا" ، بالتالي في "البهار" اثنان وعشرون "فرصولا" . في "الفرصولا" أحد عشر "ماواً" ، وعشرون "كويازاً" وثلاثة أرباع . في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ،

(أ) من البديهي أن " ٣ أرطال " في النسخة الأصلية كتبت خطأ بدل "٢٣" .

وتسعة وأربعون رطلاً ، وأوقية ونصف ، وفي "الفرصولا" أربعة وعشرون رطلاً وثلاث عشرة أوقية ونصف .

يوجد أيضا "إيجيل وود" رديء النوع بحيث يزن أربعة وعشرين "فرصولا" "للبهار" ، عبارة عن : عشرين "للبهار" وأربعة "للبيكوتا" . في "الفرصولا" اثنا عشر "ماواً" ، واثنان وعشرون أوقية وثلثي الأوقية ، وفي "البهار" أربعة قناطير وثلاثون رطلاً ومثقال ونصف . في "الفرصولا" سبعة وعشرون رطلا وأوقية ونصف .

وحدة وزن العاج

في وحدة وزن "بهار" العاج عشرين "فرصولا" ، إضافة إلى "البيكوتا" ، تشبه تماما وحدة القرفة .

عليه يوجد واحد وعشرون "فرصولا" "للبهار" . في "الفرصولا" أحد عشر "ماواً" وسبعة "كويازات" وثلاثة أرباع ، في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف وستة وعشرون رطلاً ونصف ، ومثقال ونصف . في "الفرصولا" ثلاثة وعشرون رطلاً وإحدى عشرة أوقية ونصف مع "البيكوتا" .

وحدة وزن خشب الصندل

في وحدة "بهار" خشب الصندل عشرون "فرصولا" ، إضافة إلى "فرصولا" واحدة "كبيكوتا" ، حيث يشبه بالضبط وحدة العاج لا أكثر ولا أقل .

وحدة "بهار" "الكافور الصيني"

وحدة وزن "بهار" "الكافور الصيني" تتطابق مع وحدة وزن العاج وخشب الصندل فيما يتعلق بوحدة الوزن لكن الأسعار مختلفة .

وحدة وزن الشمع

وحدة "بهار" الشمع أحد وعشرون "فرصولا" دون "البيكوتا" ، مثل وحدة العاج ؛ لكن السعر مختلف .

وحدة وزن الكبريت

وحدة "بهار" الكبريت تشبه وحدة العاج دون أي فرق .

وحدة ومن المرّ

في وحدة وزن المرّ عشرون "فرصولا" ، و"فرصول" "كبيكوتا" ، بذلك يوجد اثنان وعشرون "فرصولا" "للبهار" . في كل "فرصولا" أحد عشر "ماواً" وعشرون "كويازاً" وثلاث أرباع "كوياز" . في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ، وتسعة وأربعون رطلا ونصف أوقية . في "الفرصولا" أربعة وعشرون رطلاً وثلاث عشرة أوقية ونصف مع "البيكوتا" .

وحدة وزن الزنجبيل

في وحدة "بهار" الزنجبيل المخزن عشرون "فرصولا" ؛ لكن دون "بيكوتا" ، في "الفرصولا" الواحدة عشرة "ماووات" وتسع عشرة "كوياز" .

في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف وخمسة أرطال . في "الفرصولا" اثنان وعشرون رطلا ونصف وأوقيتان وثلاثة مثاقيل . في "الماو" زنة رطلين وأوقية ونصف .

وحدة وزن السكر (candied)

وحدة "بهار" السكر (المعسل) تشبه وحدة الزنجبيل المخزن ، باستثناء ما يتعلق بالسعر ، ولا يحتاج إلى المزيد من التوضيح .

وحدة وزن القطن

في وحدة "بهار" القطن خمسة وعشرون "فرصولا" و"ماووين" ، بمعنى : عشرين "فرصولا" "للبهار" ، إضافة إلى خمسة "فرصولات" و"ماووين" "كبيكوتا" ، ومع ذلك فإن البيع والشراء يتم فقط بـ "البهار" أو "الماو" .

الشراء بوحدة "البهار" يعطي "البيكوتا" المذكورة ، لكن الشراء بـ"الماو" في محلات البيع بالتجزئة ليس لديها "بيكوتا" ، كما سأوضح لاحقا .

في "البهار" مائتان واثنان وخمسون "ماواً" مشتملة "البيكوتا" ، والتي تساوي أربعة قناطير ، ستة عشر رطلا ، وعشرة أوقيات . في "الماو" رطلان ونصف وأوقيات ومثقال مع "البيكوتا" .

وحدة وزن صمغ المصطكاء

في وحدة "بهار" صمغ المصطكاء عشرين "فرصولا" وأخرى "كبيكوتا" ، بذلك في "البهار" أحد وعشرون "فرصولا" . في "الفرصولا" أحد عشر "ماواً" وسبعة "كويازات" وثلاثة أرباع . في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ، وستة عشر رطلا ونصف . في "الفرصولا" ثلاثة وعشرون رطلا ، وإحدى عشرة أوقية ونصف مع "البيكوتا" .

وحدة وزن أسنان فرس النهر

وحدة "بهار" أسنان فرس النهر في جميع الأحوال تشبه وحدة "الصمغ المصطكاء" .

وحدة وزن سكوترا ألووي من " ديو"

في وحدة "بهار" "سكوترا ألووي" من "ديو" عشرون "فرصولا"

مع "البيكوتا" (ماووان) ، لأنه وزنت دون غلاف أو وعاء السلعة . في "الفرصولا" أحد عشر "ماواً" وعشرون "كويازاً" وثلاثة أرباع . في "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ، وتسعة وأربعون رطلا وأوقية ونصف . في "الفرصولا" أربعة وعشرون رطلا وثلاث عشرة أوقية ونصف ، مشتملة "البيكوتا" ، لأن "سكوترا" ألوى ذات نوع أدنى .

صفحة رقم ٧ ف :

وحدة وزن كستمري

في وحدة "بهار كستمري" عشرون "فرصولا" إضافة إلى أربعة "فرصولات" أخرى "كبيكوتا" ، بذلك في "البهار" أربعة وعشرون "فرصولا" . "بتوتشو" هو اسم "ملاياني" ، ويسميه "البارسيون هيكوست" ، ويسميه "الجوجراتيس أبولوت" . في "الفرصولا" اثنا عشر "ماواً" واثنان وعشرون "كويازاً" وثلثان . في "البهار" أربعة قناطير ، ثلاثين رطلاً ومثقال ونصف . في "الفرصولا" سبعة وعشرون رطلا وأوقية ونصف .

وحدة وزن المرجان لغرض النقش

وحدة "بهار" المرجان لغرض النقش يشترى ويباع بـ"الفرصولا" مثل القرنفل والأدوية . تتضمن نصف "ماوا" "بيكوتا" . في "الفرصولا" عشرة "ماوات" ، تسعة عشر "كويازاً" ، وفي "الفرصولا" ثلاثة وعشرون رطلا ونصف ، سبعة عشر مثقالا وثلاثة أرباع مع "البيكوتا" . في "الماو" رطلان ، وأوقية ونصف واثنا عشر مثقالا وبما يشمل "البيكوتا" .

وحدة وزن الرواند (عشب من الفصيلة البطباطية ذو منافع طبية)

يباع الرواند بـ"الماو" مع وزن وعائه ؛ في كل "ماو" ثمانية وعشرون

مثقالاً هرمزيا إضافة إلى "بيكوتار" التي تساوي رطلين ، خمسة "آونسات" ، ومثقالاً وثلاثة أرباع مع "البيكوتا" .

وحدة وزن "الزنجفر" (كبريتيد الزئبقيك)

يشترى ويباع "الزنجفر" "بالماو" مع وزن وعائه ؛ في كل "ماو" ستة عشر مثقالاً هرمزياً وستين "ماركا" "كبيكوتا" . في "الماو" رطلان ، وثلاث أوقيات ومثقال مع "البيكوتا" .

وحدة وزن ثاني كلوريد الزئبق

يباع ثاني كلوريد الزئبق "بالماو" مع وزن وعائه ، إذ يشبه في جميع الأحوال وحدة "الزنجفر" فيما يتعلق بالوزن ، ومع ذلك فالسعر مختلف .

وحدة وزن الزئبق

يباع الزئبق "بالماو" مع وزن وعائه ، مثل "الزنجفر" وثاني كلوريد الزئبق ، وكذلك له نفس "البيكوتا" .

وحدة وزن الزعفران البرتغالي

يباع الزعفران "بالماو" مع وزن وعائه ، مثل "الزنجفر" وثاني كلوريد الزئبق والزئبق ، وكذلك له نفس "البيكوتا" .

وحدة وزن المسك في أكياس

يباع كيس المسك بالمثقال الشيرازي ، حيث يساوي خمسين "ماركا" ، وليس فيه "بيكوتا" أبدا . تعرف "بالميعة" (storax) الشيرازية ، لأنها تختلف عن النوع الهرمزي ، لذلك يميزونها واحدة عن الأخرى .

وحدة وزن المسك المسحوق

يوزن المسك المسحوق "بالمثقال الهرمزي" وليس فيه "بيكوتا" أبدا ، وفي "المارك" ستون مثقالا .

صفحة رقم ٨ ف :

وحدة وزن العنبر

يباع العنبر "بالمثقال الهرمزي" ، حيث يساوي ستين "ماركا" ، يوجد زنة مثقال "بيكوتا" في كل خمسة عشر مثقال ، وبهذه القيمة تضيف إليها مبلغا صغيرا أو كبيرا ، يساوي المثقال "أزارين" ، وأقل من سبعة عشر أو ستة عشر "كنديلاً" ، وهذا هو سعره .

وحدة وزن الأفيون

يوزن الأفيون بـ "الماو" مع وزن وعائه ، وفي كل "ماو" أربعة "كويازات" "كبيكوتا" . في "ماو" واحد أربعة وعشرون "كوياز" ومع "البيكوتا" يصبح ثمانية وعشرين "كويازاً" مع "البيكوتا" . في الماو أربعة "ماركا" ، وثلاثة وخمسون وثمن مثقال هرمزي . يساوي "الماو" العدني ستة "أزارا" . أما "الكامباي" فيساوي أربعة مثاقيل ونصفا ، ويساوي الفارسي خمسة "أزارا" ، وحدة "الماو" الكابي أفضل لساحل "ملابار" و"مالاكا" .

وحدة وزن المرجان المنقوش

يشترى المرجان المنقوش "بالمثقال الهرمزي" ، ويوجد زنة مثقالين ونصف "بيكوتا" في كل خمسة عشر مثقال ، وعليه فإن في كل عشرة مثاقيل يوجد مثقالان ونصف إضافية .

وحدة وزن اللؤلؤ الصغير جدا

يباع اللؤلؤ الصغير "بالمثقال الشيرازي" ، ومهما يكن ليس فيه "بيكوتا" ، وفي "المارك" خمسين مثقالا بالضبط .

وحدة وزن الحرير (loose)

يوزن الحرير المهلهل "بالمثقال الهرمزي" ، ليس فيه "بيكوتا" ، وفي "المارك" ستين من هذا المثقال .

وحدة وزن العنبر

يوزن العنبر "بالمثقال الشيرازي" ، ليس فيه "بيكوتا" ، وفي وحدة "المارك" خمسين من هذا المثقال .

وحدة وزن الخيوط السلكية

توزن الخيوط السلكية بـ "الماو" مع وزن وعائها ، في كل "ماو" "بيكوتا" بقيمة "كوياز" ونصف ومثقال هرمزي ، مع "البيكوتا" في "الماو" رطلان وثلاث أوقيات وأربعة مثاقيل ونصف .

وحدة وزن "كافور بورنيو"

يوزن "كافور بورنيو" "بالمثقال الشيرازي" ، وليس فيه "بيكوتا" ، وفي وحدة "المارك" خمسون مثقالا ، يساوي المثقال خمسة "كناديل" ، يختلف قليلا عن "المثقال الهرمزي" ، ومع ذلك فإن كمية كثيرة من "كافور بورنيو" يجلب إلى هرمز ويباع .

وحدة وزن الزّباد (طيب يخرج من بعض غدد سنور الزباد)

يوزن الزباد "بالمثقال الشيرازي" ، وليس فيه "بيكوتا" ، وتزن خمسين مثقالا

نفس وزن وحدة وزننا "المارك" . (صفحة رقم ٩ ف) ، ويساوي الزباد الجيد مثقالا واحدا و"أزاراً" واحدا ، ويوجد نوع آخر من الصنف المختلط يستعمل كحقنة شرجية للخيول التي تسافر إلى الهند ، وتساوي القليل جدا .

وحدة وزن الحرير الخام

يوزن الحرير الخام بـ "الفرصولا" ، وليس فيه "بيكوتا" ، وفي وحدة وزن صغيرة جدا . لا توجد سلع توزن به سوى الحرير الخام ، وفي "الفرصولا" عشرة "ماوات" ، وفي كل "ماو" مائتان وستة عشر "مثقالاً هرمزياً" ، وفي كل "فرصولا" يوجد ثمانية عشر رطلا بالضبط .

وحدة وزن الذهب

يوزن الذهب "بالمثقال الهرمزي" حيث يساوي ستين "ماركا" ، وليس فيه "بيكوتا" . مثقال من الذهب الخالص(أ) يساوي عشرة قراريط والأجود من الذهب الذي يجلب إلى هنا يساوي ثلاث "أزاراً" و"كنديلا" ويتجاوز هذا السعر ، وينخفض سعره إلى ثلاثين أو واحد وثلاثين "كنديلا" ونصف ، وهذا أرخص سعر له .

وحدة وزن الفضة

توزن الفضة "بالمثقال الهرمزي" مثل الذهب وليس فيها "بيكوتا" . فضة

(أ) لا نجرؤ أن نقول إن اختصار (X) يعني أشابة الذهب . يمكن أن تعني ١٠ قيراط(؟) بخصوص مصطلح قراريط ، استعمل في وثيقة اقتبست بواسطة العضو النشط والمتميز في أكاديمتنا ، السيد بي . م . لوبيز فيرنانديز ، في الصفحة رقم ٨٣ من مذكراته . أعد تقريرا عن العملات " ٤٩ (دابلونو) تزن "ماركا" واحدا و٢٢ قيراطا منه شوائب" .

لارين هي أجود نوع يوجد في الهند[أ] تساوي ثلاثة "كناديل" ، وثلاثة فلوس ، ويقدر "المارك" بتسعة "باردواس" ، تسعة "كناديل" وعشرين "كنديلاً" "للباردواسا" ، وينخفض السعر إلى عشرين ديناراً الذي يساوي فلسين وهذا سعر الفضة .

وحدة وزن الفلفل

في وحدة وزن الفلفل عشرون "فرصولا" ، إضافة إلى اثنين "بيكوتا" ، بذلك يكون في كل "بهار" اثنان وعشرون "فرصولا" مع "البيكوتا" ، هذا الوزن أكبر من وزن الأدوية فيما يخص "الفرصولا" والبهار ، لكنه هو نفس وحدة "الماو" .

في "البهار" أربعة قناطير ، واحد من الأرباع ، وأربع أوقيات .

في "الفرصولا" سبعة وعشرون رطلا ، وثلاث أوقيات وثلاث مثاقيل ، وفي "الماو" رطلان ، وإحدى عشرة أوقية وثلاثة أرباع ، مع "البيكوتا" . يوزن الفلفل غالبا باستعمال سلة الغصين ، التي تخدم البائع أكثر من المشتري .

وحدة وزن الخُتام (شمع أحمر يختم به)

وحدة "بهار" الختام تشبه وحدة الفلفل ، لا يوجد فرق بينهما . يساوي "البهار" مائة وأربعين "أزاراً" ، من سنة إلى أخرى . عندما يكون الفلفل متوفرا فإن سعره ينزل إلى مائة "أزار" ، وعندما يكون هناك بعض النقص في الفلفل فإن سعره يرتفع إلى مائتي "أزار" وأكثر . عندما يكون ناعماً جافاً ، يساوي ثلاثة أقل قيمة .

(أ) يظهر أن الكلمات : "المثقال يساوي" مفقودة .

وحدة وزن الزنجبيل

وحدة "بهار" زنجبيل تتطابق مع وحدة الفلفل والختام ، ودون فرق في جميع الأحوال . النوع الأبيض من الزنجبيل هو الأفضل ، ويوجد هنا ، ويوضع في قوالب ، ويساوي ثمانين "أزاراً" ، ينزل السعر من سنة إلى أخرى من ستين إلى خمسين "أزاراً" لكل بهار ، ويرتفع سعره إلى مائة "أزار" "للبهار" حسب السنة . يفترض هذا أن يكون طازجا وجيدا وليس منقرا وخشنا . إذا كان منقراً أو صغيرا فإن سعره ينزل إلى ستة أو خمسة "أزارات" .

يعرف الزنجبيل في القوالب بالزنجبيل الأحمر ويساوي سبعة أو ثمانية "أزارات" أقل من الزنجبيل الأبيض ، حسب حالته وجودته ، وإذا ما كانت حالته مثل ذلك فإنه يساوي نفس الشيء .

الأشياء الأخرى متساوية ، يختلفون في الأمور التي ذكرت ، وكيف هي حالته أبيض أو في القوالب . إذا عرفت كم يساوي النوع الجيد فستعرف سعر الباقي .

وحدة وزن البخور

وحدة وزن البخور تشبه تماماً وحدة الزنجبيل ، يساوي كل "بهار" واحدا وثلاثين "أزاراً" ، إذا كان أبيض وجديداً ، ولا يلتصق مع بعضه بعضاً . يعرف هذا النوع بالبخور الذكوري ، ويساوي ثمانية عشر أو عشرين "أزاراً" لا أكثر .

وحدة وزن صمغ الكافور

في وحدة وزن "بهار" الكافور عشرون "فرصولا" ، إضافة إلى "فرصولا"

"كبيكوتا" ، بذلك في "البهار" واحد وعشرون "فرصولا" مع "البيكوتا" ، وفي "الفرصولا" اثنا عشر "ماواً" وتسعة "كويازات" ونصف ، وفي "البهار" أربعة قناطير ، وستة أرطال وخمس عشرة أوقية ، وفي "الفرصولا" خمسة وعشرين رطلا ، وواحد وعشرون مثقالا وخمس عشرة أوقية ، الكل بما فيها "البيكوتا" . تساوي "الفرصولا" العدنية ، وهي الأفضل ، سبعة "أزارات" ، والخُرسانية أربعة "أزارات" .

وحدة وزن النيلة (صبغ أزرق)

توزن النيلة بـ "الماو" مع وزن وعائها وتباع بالبالة (وهي رزمة بضاعة ضخمة) . كل بالة تساوي أربعين "ماواً" . إذا كانت أقل فيجب أن تعوض للمشتري ، وحتى لو كانت البالة أكثر من أربعين "ماواً" فإن ما هو إضافي لا يجب أن يحذف ، ولكن تحسب البالة كما هي ، على سبيل المثال : يشتري تاجر عشر بالات من النيلة التي تناسبه ويضعها على جانب ، إذا كان لا يريد أن يزنها كلها ، يأخذ ما يعتبر أصغر بالة وتكون قد وزنت قبل أن يأخذها .

مراقب الوزن في المدينة يزنها "ماواً" ، وإذا كانت البالة المذكورة تزن أربعين "ماواً" مع إزالة الغبار ، فإن التاجر سيأخذها ، وإذا ما كانت أقل بقليل من أربعين "ماواً" ، ومهما كانت الكمية الناقصة قليلة ، فإن مالك النيلة سيعطي للتاجر كمية إضافية من النيلة تساوي الكمية الضرورية لإكمال أربعين "ماواً" ، لكل بالة يشتريها التاجر منه ، وإلا سينقص من المال الذي سيعطيه له في مقابلها .

إذا كانت البالة أكثر من أربعين "ماواً" ، فإن المشتري ليس مجبرا

أن يعيدها إلى البائع ، هذا يعني بأن مالك النيلة لن يأخذ مالا مقابل الكمية الإضافية على أربعين "ماواً" ، لأن هذا شرط بيع النيلة .

هناك بعض البالات تزن ستين "ماواً" ، بحيث تساوي بالة ونصفا ، وهذه أيضا مثل الحالات الموضحة ، ليس عليها أي مقابل ، ولا يهم إذا كانت الكمية الإضافية قليلة أو كثيرة ، لأنها تزن ستين "ماواً" عندما تكون امتلأت كلياً . اثنان من هذه البالات تصبح ثلاثاً بالقياس المتداول ، وبما أنه إجراء اعتيادي ، فإن الكل يأخذ أي واحدة تعرض عليه .

وحدة وزن السكر

في وحدة "بهار" السكر عشرون "فرصولا" ، وليس فيها "بيكوتا" ، وفي "الفرصولا" "ماواً" واحداً ، وفي "البهار" ثلاثة قناطير ونصف ، وواحد من الأرباع ، وأربعة عشر رطلا ، وثلاث أوقيات ونصف ، وفي "الفرصولا" اثنا عشر "ماواً" ، وأربعة "كويازات" وأقل من نصفه ، ومثقال وأربعة وعشرون رطلاً وثلاثة أرباعه .

في "الماو" رطلان ، وأوقية ونصف ، هذه القيم لا تشمل "البيكوتا" . يوزن دون سلة الغصين ، وفي "البهار" ثمانية عشر "فرصولا" و"ماووين" .

وحدة وزن الحديد

في وحدة "بهار" الحديد تسعة عشر "فرصولاً" ، مع "ماو" واحد "كبيكوتا" ، وعليه في "البهار" تسعة عشر "فرصولا" و"ماواً" واحداً مع "البيكوتا" ؛ لأن ذلك يرجع إلى أن الحديد يوزن دون سلة الغصين ، وإذا وزن بالسلة ، سيكون في "البهار" واحد وعشرين "فرصولا" مع

"البيكوتا" . يوجد في "الفرصولا" الواحدة واحد وعشرون "ماواً" و"كويازاً" ونصف ، وفي "البهار" ثلاثة قناطير ، وثلاثة من الأرباع ونصف ، وفي "الفرصولا" خمسة وعشرون رطلا وخمس عشرة أوقية ، ومثقال واحداً ، يشتمل ذلك على "البيكوتا" ، و هي ثلاثة قناطير ، وثلاثة من الأرباع ، وخمسة عشر رطلا وخمس عشرة أوقية .

وحدة وزن الزعفران الهندي

وحدة "بهار" الزعفران الهندي يتطابق مع وحدة الفلفل فيما يتعلق بالوزن ، لا يوجد فرق مهما كان الأمر ، باستثناء السعر فهناك فرق كبير .

وحدة وزن الخشب البرازيلي

في وحدة "بهار" الخشب البرازيلي عشرون "فرصولا" ، عندما يوزن مع حبل رقيق من الليف ، وليس عليه "بيكوتا" ، وعندما يوزن بسلة الغصين يزن اثنين وعشرين "فرصولا" مع "البيكوتا" ، وبذلك يكون "البهار" مثل "بهار" الفلفل ، وعندما يوزن بحبل الليف يزن عشرين "فرصولا" كما ذكر سابقاً . الوزن بـ"الماو" وبالبهار ، يشبه تماما الفلفل دون أي فرق .

وحدة وزن القرفة من بهاتكال

في وحدة "بهار" القرفة من "البهاتكال" عشرون "فرصولا" ، وأربعة أخرى "كبيكوتا" ، فتصبح أربعة وعشرين "فرصولا" "للبهار" مشتملة "البيكوتا" . في "الفرصولا" أربعة عشر "ماوا" ، وأربعة "كويازات" ، وفي "البهار" أربعة قناطير ونصف ، وسبعة عشر رطلا وسبع أوقية ، وفي

"الفرصولا" تسعة وعشرون رطلا ونصف ، وثلاثة أرباع "آونسات" ، الكل يشتمل على "البيكوتا" .

وحدة وزن الرصاص

في وحدة "بهار" الرصاص ثمانية عشر "فرصولا" ، مع "البيكوتا" من "ماووين" ، عندما يوضع الرصاص في أحزمة كبيرة ويوزن بالليف : إذا كان صغيرا ووزن في سلات الغصين ، فإن "البهار" سيزن بالضبط عشرين "فرصولا" ، لأن مع وعاء الرصاص يجب أن يزن "ماواً" واحداً ، ومع ذلك ، وبطريقة أو بأخرى ، لا يوجد فرق ، فالكل يساوي مليون ريال ، سواء وزن بسلات الغصين أو في أحزمة الليف ، وفي "الفرصولا" نفس قيمة "الماو" التي في السكر ، والوزن الإجمالي هو "بهار" واحد .

وحدة وزن النحاس

وحدة "بهار" النحاس تتطابق مع وحدة الرصاص

وحدة وزن الإهليلج المجفف (شجر هندي)

وحدة الإهليلج المجفف في جميع الأحوال تشبه وحدة "بهار" القرفة من "بهاتكال" .

وحدة وزن الفُوَّة (نبات صبغي)

وحدة "بهار" الفوة تتطابق مع وحدة السكر ، لا أقل ولا أكثر .

وحدة وزن الألمنيوم

وحدة بهار ، حيث يوزن بسلة الغصين ، تتشابه أيضا مع وحدة

السكر . في "البهار" عشرون "فرصولا" ، دون "البيكوتا" ، وإذا وزن بالليف ففي "البهار" ثمانية عشر "فرصولا" و"بيكوتا" "ماووان" . يساوي "البهار" أربعين "أزاراً" من سنة لأخرى ، والوزن يتشابه مع السكر لا أقل ولا أكثر .

وحدة وزن الفولاذ

وحدة "بهار" الفولاذ ، إذا وزن بسلة الغصين ، هي تتطابق مع وحدة السكر . في "البهار" عشرون "فرصولا" دون "البيكوتا" ، وإذا وزن بالليف ، ففي "البهار" ثمانية عشر "فرصولا" وزيادة "بيكوتا" "ماووان" ، ويساوي "البهار" ثمانين "أزاراً" .

وحدة وزن الصُّفر

وحدة "بهار" الصفر هي أيضا تتشابه مع وحدة السكر ، دون أي فرق مهما كان .

وحدة وزن العفصة الجوزية (عفصة شبيهة بالجوزة)

وحدة "بهار" العفصة الجوزية تتطابق مع وحدة "بهار" الفلفل .

وحدة وزن الميعة السائلة (الأصطرك)

وحدة "بهار" الميعة السائلة في جميع الأحوال تشبه وحدة وزن الكتان والأرز ، دون أدنى فرق .

وحدة وزن الملح الصخري

وحدة وزن الملح الصخري في كل الأحوال مثل وحدة الكتان والأرز دون أي فرق بينهم .

وحدة وزن ماء الورد

في وحدة "بهار" ماء الورد مائتا "ماو" ويباع بـ "الماو" . توجد "بيكوتا" "ماو" في كل زنة عشرة "ماووات" . يساوي "الماو" "كنديلين ." ويساوي "الماو" العدني عشرة "كناديل" مع وزن وعائه الصغير .

وحدة وزن الصابون

يباع الصابون من "ديو" بالقطعة ، وتساوي كل قطعة سبعة أو ثمانية فلوس ، وثلاثة "لكنديل" واحد . يوزن صابون "ديولسيندي" بالبهار ، وبهار الصابون هو نفس "بهار" الكتان والأرز بالضبط دون أي فرق .

وحدة وزن عرق السوس (السوس)

وحدة "بهار" السوس تتطابق مع وحدة الأرز والكتان .

وحدة وزن خيط عقد من الخرزات

يشترى ويباع عِقد من الخرزات الملونة الصغيرة بالعدد ، والعَقد لكل واحدة حسب نوعية خرزات العقد الصغيرة . يساوي خيط العقد (كذا) . تباع خرزات سوداء وأخرى حمراء من "ميلندي" بالبهار . في "البهار" عشرون "فرصولا" إضافة إلى "بيكوتا" أربعة "فرصولات" .

وحدة وزن الكتان الغالي (من بلاد الغال أو فرنسة)

يباع ويوزن كتان "ريشاهر" أو كتان البصرة للغزل ، والذي هو (غالي) ، بـ"الماو" ، وتوجد "بيكوتا" "ماواً" " في كل عشرة "ماو" .

وحدة وزن الكتان "الكنيفي"

يباع الكتان الكنيفي بـ "الماو" . يشتري من "البازار" ، توجد "بيكوتا"

في كل عشرة "ماو" . عندما يشترى من محلات البيع بالتجزئة لا تعطى "البيكوتا" ؛ لأن بائعي التجزئة يغطون هذا ، إضافة إلى "كوياز" واحد ؛ لأن "الماو" والذي يوزن في البازار يزن خمسة وعشرين "كويازاً" والذي يوزن في محلات البيع بالتجزئة يزن أربعة وعشرين "كويازاً" .

وفي "الماو" وأربعة أرطال ، لأنه يزن أربعة وعشرين "كويازاً" ، وفي كل "كوياز" أوقيتان ، وخمس أثمان ونصف الأوقية ، وفي "البهار" سبعة قناطير ، عشرون رطلاً ، خمس عشرة أوقية وثمنان .

وحدة وزن القنب الهندي

وحدة "بهار" القنب الهندي تتطابق مع وحدة الأرز .

وحدة وزن جوزة أريقة

تباع جوزة "أريقة" بحسب العدد ، يعني بألف حبة ، في الشول ألف حبة تساوي عشرة "كناديل" ، إذا كان كبيراً وناضجاً ، وفي "غوا" تساوي كل ألف حبة أربعة أو خمسة "كناديل" .

وحدة وزن الكاد (للدباغة)

وحدة "بهار" الكاد ، الذي يعرف هنا "بالكاتشو" ، تتطابق مع وحدة الأرز فيما يتعلق بالوزن .

وحدة وزن الودك (الشحم الحيواني)

وحدة "بهار" الودك في كل مكان تشبه وحدة الأرز .

وحدة وزن السُمَّاق

في وحدة وزن السماق مائتا "ماو" ، إضافة إلى عشرين "ماواً" "بيكوتا" ، وتتطابق مع وحدة الأرز .

وحدة وزن جوهرة لكيسا (laqueca)

تباع جواهر لكيسا بالعدد وبتقييم العين ، إذا ما كانت صغيرة أو كبيرة ، وبذلك لا يوجد شيء إضافي أقوله .

وحدة وزن الأرز

يباع الأرز ويشترى بوحدة "البهار" و"الماو" ، في "البهار" مائتا "ماو" و"بيكوتا" (عشرين "ماواً") ، فيزن كل "بهار" مائتين وعشرين مع "البيكوتا" ، ويوزن الأرز "بالماو" ، في كل "ماو" خمسة وعشرون "كويازاً" ، في محلات البيع بالتجزئة يزن "الماو" أربعة وعشرين "كويازاً" ؛ لأن المحلات تغطي "كويازاً" إضافياً .

وبذلك تكسب "البيكوتا" ؛ لأن أسواق البيع بالتجزئة لا تمنح "البيكوتا" . يزن كل "ماو" أربعة أرطال ، أوقيتين ، وخمسة أثمان ونصف ، وفي "الماو" في محلات البيع بالتجزئة أربعة أرطال فقط ؛ لأن فيه أربعة وعشرين "كويازاً" ، ويزن كل "كوياز" أوقيتين وخمسة أثمان ، ويزن "البهار" سبعة قناطير ، وتسعة وعشرين رطلاً ، وخمس عشرة أوقية وثمنين .

وحدة وزن القمح

يشترى ويباع القمح بـ "البهار" و"الماو" ، ويتطابق مع وحدة الأرز ، ولا يوجد فرق بينهما .

وحدة وزن الشعير

وحدة وزن الشعير في جميع الأحوال تشبه وحدة الأرز والقمح .

وحدة وزن الزبدة

تباع الزبدة "بالماو" . تأتي الزبدة من البصرة إلى هنا و"ريشاهر" . أغلب ما يأتي إلى هرمز يأتي من "ديولسينديي" و"مانجلور" . تجلب في أجرية جلدية كبيرة ، وتحزم هذه مع بعضها البعض وتوزن "بالكاباو" (capao) ، وهي وحدة الوزن المتبعة في المدينة ، بعد الوزن يخصمون وزن الوعاء ويضيفون "ماواً" واحداً كبيرا في كل عشرة "ماوات" .

في هذا المكان يعرفون ماذا تحتوي كل جرة ، ويزنون كذلك كل قطع الزبدة بالصغيرة "بالماو" ، ومع ذلك تحتوي على "بيكوتا" ، وبما أنهم يعطون "بيكوتا" في محلات البيع بالتجزئة ، فإنه توجد "ماو" على كل شيء ، كما هو الشأن مع الأرز .

وحدة وزن زيت السمسم

وحدة وزن حبوب السمسم والخردل و"زيت الكوكو" تتطابق في جميع الأحوال مع وحدة الأرز والزبدة .

وحدة وزن الليف

في وحدة "بهار" الليف ، سواء كان رقيقاً أو غليظاً ، مائتا "ماو" و"بيكوتا" اثنان "ماو" . يوجد "ماو" واحد في كل عشرة "ماو" "بيكوتا" ، فيصبح مائتين وعشرين "ماوا" مع "البيكوتا" . تتطابق مع وحدة الأرز في كل الأحوال .

وحدة وزن حبوب السمسم

توزن حبوب السمسم "بالماو" ، وتباع "بالبهار" "والماو" . يوجد

"ماو" "بيكوتا" في كل زنة عشرة "ماو" . هي نفس وحدة الأرز فيما يتعلق بالوزن .

صفحة رقم ١٥ :

وحدة وزن فاكهة المانجو

وحدة وزن فاكهة المانجو يشبه زنة الأرز في كل شيء ، ومن ناحية الوزن يشبه السلع المذكورة أعلاه . لا يوجد فرق مع تلك السلع التي تباع "بالماو" .

وحدة وزن زفت البصرة

وحدة وزن زفت البصرة وبغداد نفس وحدة الأرز . توزن بالبهار . في "البهار" مائتا "ماو" و"بيكوتا" (عشرون "ماو") ، فتصبح مائتين وعشرين "ماواً" مع "البيكوتا" .

هذه الأوزان وضعت في هرمز بواسطة "فرانسيسكو ساجادو" "Francisco Salgado" ، و"جاسبار دياس" "Gaspar Dias" ، و"جورج غونسالفس" "George Goncalves" و"مانويل فيلهو" "Manuel Velho" بأمر من "بيرو فاز" ، "فيدور دا فازندا" .

وحدة وزن الفخار

يوزن الفخار بخمسة "فرصولا" . يزن (كذا) قنطار وثلاثة أخماس . بهذه القيمة تزن "الفرصولا" خمسة وعشرين رطلا وثلاثة أخماس .

وحدة وزن الفحم

وحدة وزن الفحم تشبه وحدة الأرز السابقة .

وحدة وزن الشحم (مادة زيتية)

وحدة وزن الشحم هي نفس وحدة الأرز السابقة والليف وزفت بغداد فيما يخص الوزن .

وحدة وزن القطران

وزن القطران يتشابه مع وحدة الأرز .

وحدة وزن العملات

"الليك" الذي يوصف بالعملة السيئة يساوي خمسين "بارداواساً" من "الكنديل" .

"الليك" المذكور لا يعد عملة ، لكنه (عدداً) يعمل به في هرمز . في كل "بارداواس" من هذه "الليكات" "أزار" ، وكل أزار عشرة "كناديل" ، وفي كل "كناديل" مائة دينار .

بهذه الطريقة يحفظ مبلغ مداخيل إدارة الجمارك .

ذهبية "أشرفي" تساوي واحدا وعشرين "كنديلا" جيّدا ونصفا . يقدر "الأشرفي" المذكور بثلاثمائة ريال ، لكل ذهبية "أشرفي" في خزينة مولانا الملك ، ويعمل به في هرمز بهذا السعر .

لقد جرت العادة أن تساوي في الهند اثنين أو ثلاثة لكل مائة في المقايضة ، وتساوي حاليا ثلاثمائة ريالٍ ، وهذا يبدو أن قيمة الذهب أقل من المعتاد .

جرت العادة أن تساوي فضية "تنجا" خمسة "تنجات" ، حيث تساوي "بارداواساً" واحدا أربع "كناديل" ونصف "للتنجا" . تساوي

عادة ثلاثمائة ريال في الهند إضافة إلى شيء آخر للمقايضة . تساوي حاليا أكثر من خمسة "كناديل" "للتنجا" . تساوي في الهند خمسة "تنجات" ثلاثمائة وستين ريالا ، عندما لا تكون هناك رحلات إلى بنغال و"مالاكا" ، تساوي عندئذ صفقة كبيرة جدا ، بهذه الطريقة تشبه السلع في تدبدب سعرها .

وحدة قياس "ألموند" (وحدة قياس السوائل)

في هرمز في "الموند" ثماني "كندات" . خمسة وثلاثين "ماواً" من الأرز بوحدة وزن "غوا" يعادل "بهاراً" بوحدة وزن هرمز .

وحدة وزن "سوفالا"

يزن "البهار" عشرين "فرصولا" ، وفي كل "فرصولا" خمسة عشر "ماواً" ، حيث تزن سبعة وعشرين رطلاً . هذا "البهار" يزن قنطارين ، وثمانية وعشرين رطلا ، حيث يزن الخرزات والقصدير .

وحدة "بهار" العاج هي أربعة قناطير ، عشرة أرطال ونصف ، وبسبب إعطاء علاوة حسب العرف المتداول ، على كل ستة من الأرباع وأربعة أرطال ، عندما تسترجع .

سبعة وأربعون مثقالا ونصف من "سوفالا" تزن "ماركا" واحداً .

هذه المثاقيل تساوي أربعمائة وسبعة وستين ريالاً ، والتي تعادل ثمانية "تنجا" .

في بالة من الذرة ثماني "الكير" ، حيث تشكل خمسة وعشرين "بانجا" . في كل "بانجا" ثماني "كونيا" .

بقدر ما القياسات مهمة فقد استعملوا القياسات "البرتغالية" في القلعة .

لا يوجد سيولة نقدية باستثناء الأموال للملابس . يقايضون بالذرة أشياء أخرى . يشترون بضائع قليلة تعادل مع قياسات الذرة ، تعرف "بالكونيا" (الجوال) (؟!)

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

صدرت صكوك العقد الذي أبرمه الحاكم مع ملك هرمز ووزيره ، بتاريخ عام ١٥٥٤م ، وقد صدرت الإضافات على مدى السنوات السابقة منذ إبرام الاتفاقية مع "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" : (٢٧)

بند لم أجد النسخة الأصلية للعقد والاتفاقية ، التي أبرمها "أفونسو دو ألبوكيرك" في مدينة هرمز مع الملك "شاه توران" ووزيره guazils رئيس نور الدين في كتاب السجلات للوكالة التجارية المذكورة .

أُخبرت ببساطة بأنه باسم مولانا الملك ، "دوم مانويل" الله يحفظ روحه ، المدعو "أفونسو دو ألبوكيرك"(أ) اتفق مع ملك هرمز المذكور

(أ) ملاحظة لغوية على الترجمة الأصلية . ، ولا تنطبق على الترجمة هنا .

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

وحاشيته (guazils) ونبلاء الدولة ، أن يسلم المملكة المذكورة ، هكذا ، كل مرة طلب هو أو حكامه ، يجب أن يسلمها مجانا[أ] .

كذلك فرض عليه جزية سنوية تبلغ خمسة عشر ألف "أشرفيّ" ، مقابل صيانة القلعة التي بناها في المدينة .

بند وكذلك علمت ، بواسطة معلومات من أشخاص يعرفونه جيدا ، أن أربع سنوات أو خمسا أو أقل من تاريخ إبرام "أفونسو دو البوكيرك" العقد المذكور أعلاه ، وصل "أنطونيو دو سالدنها" " القبطان العام" للأسطول البحري وصل إلى المدينة والقلعة المذكورتين .

اتفق مع الملك "شاه توران" ، وبسبب الصداقة الذي تجمعه مع مولانا الملك ؛ ونظرا للمصاريف الضخمة للأسطول البحري الضخم الذي بناه مولانا الملك ، وبعثه إلى هذه البقاع ، أن الملك المدعو شاه توران عليه أن يعطي عشرة آلاف "أشرفيّ" إضافية سنوياً ، تضاف إلى خمسة عشر ألفا التي أعطاها قبلا إلى مولانا الملك ، وعليه سيصبح الملغ الكلي خمسة وعشرين ألف "أشرفيّ" .

تقبل الملك المذكور الأمر بشكل رحب ووافق على دفع المبلغ على شكل جزية سنوية إلى مولانا الملك "دوم مانويل" ، الذي كان يحكم في ذلك الوقت . هذه الجزية ستؤخذ بشكل أبدي .

ترجمة العقد الذي أبرمه الحاكم ، " دوم دوراتي دي مينيزيس " مع ملك هرمز محمد شاه وزيره (guazil) ريس شرف وميراس .

(أ) ملاحظة نحوية لا تنطبق على الترجمة هنا .

في يوم الخامس عشر من شهر يونيو ، من سنة ١٥٢٣م

سجلات مداخيل دائرة الجمارك في هرمز من سنة ١٥٢٣م ، عندما كان "دوم دوراتي" الحاكم ، آنذاك ، عقد اتفاقية سلام مع الملك محمد شاه وزيره (guazils) ريس شريف إلى غاية العام الحالي .

بند في سنة ١٥٢٤م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وأربعة وسبعين "أشرفياً" ، وخمسة "كناديل" (candils) وتعادل بألفين وتسعة وخمسين "ليكاً" (Leques) ، وأربعة عشر "أزارسا" (azars) وستة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٢٥م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثلاثة وثمانين ألفا وثلاثمائة وثمانية عشر "أشرفياً" ، وتسعة "كناديل" وتُعادل بألف وستمائة وواحد وتسعين "ليكاً" ، وستة وثمانين "أزارسا" وستة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٢٦م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة مائة وأحد عشر ألفا وستمائة وسبعة وسبعين "أشرفيّاً" ، وتعادل بألفين ومائة وستة ثمانين "ليكاً" ، وخمس "أزارسات" وثمانية "كناديل" .

بند في سنة ١٥٢٧م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعة وسبعين ألفا ومائتين وتسعة وستين "أشرفياً" ، و"كنديلين" ، تعادل بألف وستمائة وواحد وستين "ليكاً" ، وثمانية وعشرين "أزارسا" وخمسة " كناديل" .

بند في سنة ١٥٢٨م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعة

وثمانين ألفا وستة وستين "أشرفياً" ، وتسعة "كناديل" وتعادل بألف وثمانمائة وواحد وسبعين "ليكاً" ، وواحد وتسعين "أزارسا" ، وثمانية "كناديل" .

بند في سنة ١٥٢٩م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة تسعين ألفا وثلاثمائة واثنين وثلاثين "أشرفياً" ، وثمانية "كناديل" ، تعادل بألف وتسعمائة واثنين وأربعين "ليكاً" ، وأربعة عشر "أزارساً" وستّة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٣٠م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة اثنين وتسعين ألفا وثلاثمائة وثمانية وسبعين "أشرفياً"" ، وأربعة "كناديل" ، تعادل بألف وتسعمائة وستة وثمانين "ليكاً" ، وستة وثمانين "أزارسا" وستة " كناديل" .

بند في سنة ١٥٣١م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثمانين ألفا و"أشرفي" ونصف ، وسبعة " كناديل" ، تعادل بألف وسبعمائة وعشرين "ليكاً" ، وأربعة "أزارسات" .

بند في سنة ١٥٣٢م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثمانية وتسعين ألفا وسبعمائة وواحد وسبعين "أشرفيّاً" ونصف ، وأربعة "كناديل" ، تعادل بألفي ومائة وثلاثة وعشرين "ليكاً" ، وتسعة وخمسين "أزارساً" و"كنديلاً" واحداً .

بند في سنة ١٥٣٣م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ستة وسبعين ألفا وثمانمائة وستة وسبعين "أشرفياً"" ، وسبعة "كناديل" ، تعادل بألف وستمائة وثلاثة وخمسين "ليكاً" ، وسبعة "أزارسات" وسبعة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٣٥م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعة وثمانين ألفا وتسعمائة وثلاثة وثمانين "أشرفياً"" ، وسبعة "كناديل" ، تعادل بألف وثمانمائة وواحد وتسعين "ليكاً" ، وثلاث وخمسين "أزارساً" و"كنديلين" .

بند في سنة ١٥٣٥م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثلاث وثمانين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين "أشرفياً"" ، تعادل بألف وسبعمائة وتسعين "ليكاً" ، واثنين وثمانين "أزارساً" ، وأربعة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٣٦م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة تسعة وسبعين وتسعمائة وواحداً وستين "أشرفياً"" ، تعادل بألف وسبعمائة وتسعة عشر "ليكاً" ، وخمسة عشر "أزارساً" .

"خواجا مالادين" (Khwaja Maladin) ، خازن الملك ، الذي يأخذ المداخيل من سجلات المسلمين مع "خواجا لادين" ، زودني بها .

"جاسبار بايرس" "Gaspar Paires" الذي كان يعمل كاتباً في دائرة الجمارك المذكورة ، "غارسيا دي لابينها" مترجماً للملك ، المذكوران ساعدونا أيضاً بشهاداتهما .

مع ذلك ، بدا لي أن المداخيل كانت أكثر من ذلك ، وكانت فواتير كثيرة للبضائع والتي تيقنت أن ملوك هرمز قاموا بها في ذلك الوقت ، تتعلق "بالخواجا مالادين" المذكور لم يسلم المداخيل المرسلة ، وأُخبرتُ رسميا بأن دائرة الجمارك هذه تنتج عادة أكثر من المداخيل التي سجلت وأكثر مما ينتجون حاليا .

كاتب دائرة الجمارك " جاسبار بايرس" أرسل لي أيضا سجلا بما حققته دائرة الجمارك المشار إليها سابقاً ، من سنة ١٥٣٧م إلى وقتنا الحاضر ، ورأيت هذا أيضا في نفس سجلات الموظفين البرتغاليين .

بند بنفس الطريقة ، في سنة ١٥٢٧م حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة خمسة وثمانين ألفا ومائتين وخمسة وخمسين "أشرفياً" ، وعشرين "كنديلا" ما يعادل ألفا وثمانمائة وثلاثة وثلاثين "ليكاً" ، وثلاثة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٣٨م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة مائة وواحد ألف وثمانمائة واثنين وعشرين " أشرفياً" ، وسبعة عشر "كنديلا" ، ما يعادل ألفين ومائة وتسعة وثمانين "ليكاً" ، وتسعة عشر "أزارساً" .

بند في سنة ١٥٣٩م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعة وستين ألفاً وخمسمائة وخمسة وتسعين "أشرفياً" ، و"كنديلين" ، ما يعادل ألفا وأربعمائة وثلاثة وخمسين "ليكاً" ، وتسعة وعشرين "أزارساً" وأربعة "كناديل" .

بند في سنة ١٥٤٠م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثلاثة وتسعين ألفاً وخمسمائة واثني عشر " أشرفياً" ، واثني عشر "كنديلا" وما يعادل ألفين وعشرة "ليكاً" ، واثنين وخمسين "أزارساً" .

بند في سنة ١٥٤١م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة مائة وأحد عشر ألفا وسبعمائة وتسعة وسبعين "أشرفيّاً" ، وأحد عشر "كنديلا" ، ما يعادل ألفين وأربعمائة وثلاثة "ليكات" ، وستة عشر "أزارساً" .

بند في سنة ١٥٤٢م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعة

وثمانين ألفا وثمانمائة واثنين وثمانين "أشرفيّاً" و"كنديلين" ، ما يعادل ألفا وثمانمائة وتسعة "ليكات" ، وستة وأربعين "أزارساً" وخمسة "كناديل" .

منذ ذلك الوقت ، وملك هرمز "سارجول شاه" قد سلم دار الجمارك وأصبحت المداخيل تجمع لصالح سيدنا الملك البرتغالي :

بند من واحد يناير من سنة **١٥٤٣م** عندما استولى مولانا الملك على دائرة الجمارك وإلى نهاية السنة المذكورة ، حقّقت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة مائة وثمانية آلاف وتسعمائة وثلاثين "أشرفيا" ، وثمانية "كناديل" ، ما يعادل ألفين وثلاثمائة واثنين وأربعين "ليكا" ، وثلاثة "كناديل" .

بند في سنة **١٥٤٤م** ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة ثلاثة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة "أشرفياً" ، وثلاثة عشر "كنديلا" ، ما يعادل ألفين واثنين وعشرة "ليكات" ، و"أزارسين" وثمانية "كناديل" .

بند في سنة **١٥٤٥م** ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة سبعين ألفا ومائتين وثمانين "أشرفيّاً" ، وثمانية "كناديل" ، ما يعادل ألفاً وخمسمائة وأحد عشر "ليكاً" ، و"أزارسين" وثمانية "كناديل" .

بند في سنة **١٥٤٦م** ، حقّقت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة تسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وواحد وثمانين "أشرفيّاً" ، وثمانية عشر "كنديلا" ، ما يعادل ألفا وسبعمائة وعشرة "ليكات" ، وستة وخمسين "أزارساً" وستة عشر دينارا .

بند في سنة **١٥٤٧م** ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة اثنين وستين ألفا ومائتين وتسع وستين "أشرفيّاً" ، واثني عشر "كنديلا" ، ما

يعادل ألفا وثلاثمائة وثمانية وثلاثين "ليكاً" ، وتسعة وستين "أزارساً" وخمسة "كناديل" وسبعة عشر دينارا .

بند في سنة ١٥٤٨م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة واحد وستين ألفاً وستمائة وستة وأربعين "أشرفيّاً" ، وثمانية "كناديل" ، ما يعادل ألفا وثلاثمائة وخمسة وعشرين "ليكاً" ، وواحداً وأربعين "أزارساً" ، وتسعة "كناديل" وسبعة وسبعين ديناراً .

بند في سنة ١٥٤٩م ، حققت دائرة الجمارك أرباحاً بقيمة تسعين ألفاً وسبعمائة واثنين وثمانين "أشرفيّاً" ، وسبعة عشر "كنديلا" ، ما يعادل ألف وتسعمائة وواحد وخمسين "ليكاً" ، وثلاثة وثمانين "أزارساً" وأربعة وثمانين ديناراً .

بند من واحد يناير من سنة ١٥٥٠م حتى التاسع عشر من شهر سبتمبر من نفس السنة ، عندما كان الضابط المالي ، "سيماو بوتيلهو" ، في هرمز لتصفية الرسوم الجمركية ، دائرة الجمارك المذكورة حققت أرباحا بقيمة مائة وثلاثة وعشرين ألفا وواحد وتسعين ونصف "أشرفيّ" ، تعادل ألفين وستمائة وستة وأربعين "ليكاً" ، وستة وأربعين "أزارساً" وسبعة "كناديل" .

على نهاية السنة هذا المبلغ سوف يضاف لما ينتج .

صكوك البيوت التي يمتلكها سموه في هذه المدينة والمساحة الإجمالية لهذه القلعة .

بند في المدينة المذكورة يمتلك مولانا الملك مستودعات للوكالة التجارية ، هذه المستودعات أعطيت إلى الحكام الذين أبرموا ووافقوا

على اتفاقية السلام مع ملوك هذه المملكة ؛ لضمان أمن تجارة الرجل المذكور . الوكلاء التجاريون الذين يجب إرسالهم إلى هناك كان واجبهم إدارة وتجارة الأراضي والمباني التي توجد في شارع يسمى شارع الوكالة التجارية (Factory Street) .

يجـاور في الجهـة الشماليـة مـنازل "فرانسيسكو بايرس" "Francisco Paires" ، وأكواخ الإسكافي ونافخ البوق ، وعلى الجهة الجنوبيـة يجاور منازل يمتلكها الآن "أنطونيو دياز" "Antonio Dias" الجزار .

بند وكذلك الرجل النبيل المذكور يمتلك منازل أخرى والتي اشتريتها هذه السنة ، (١٥٥٠م) للمرضى ، الذين يعالجون في المستشفى على نفقة سموه ؛ لأنه لم تكن هنالك أي دُور للمرضى لا في القلعة ولا في المدينة ، إنهم يسكنون في مساكن ومؤجرة صغيرة جداً ومتهدمة ، فمات العديد من المرضى .

تلبية لطلب المراقب وإخوان القساوسة في الجمعية الخيرية الذين يديرون المستشفى والأطباء ، اشتريت منازل "جورجي فيرنانديس" بألف وخمسين " أشرفيّاً" . هذه المنازل تجاور في الجهة الشمالية محلات "أوراكا" (Orraca) للخمر ويمتلكها ملك هرمز ، وللمرضى غرفتان فوق محلات أوراكا للخمر ، لأن الملك المذكور أعطى الطوابق العليا من المنزلين "لجورج فرنانديس" المذكور أعلاه ، وعلى الجهة الجنوبية تجاور هذه المنازل منازل "كرستفاو توفاريس" ، والبحر على الجهة الشرقية ، والشارع العام من الجهة الغربية .

بند الرجل النبيل المذكور أعلاه لديه أيضا منازل أخرى حيث

اشتريتها في هذه السنة (١٥٥٠م) لسموه ، لتأوي الوكيل التجاري على الشاطئ وبجانب دائرة الجمارك ، وسكنت هناك .

من خلال تجربتي يمكن القول بأن من مصلحة سموه أن يسكن الوكيل التجاري هناك .

على الجهة الشمالية حيث هذه المنازل تقابل المدخل الذي يؤدي إلى دائرة الجمارك ، ويجاورها من الجهة الجنوبية البيوت التي يمتلكها حاليا " غيومار داكوستا" ، والذي كان مسؤول الزواج (Master' wife) ، والشاطئ من الجهة الشرقية ، ويقابل على الجهة الغربية دائرة الجمارك . هذه البيوت اشتريت من "تريستاو دي أورطا" بثمانمائة وخمسين "أشرفياً" .

مساحات فناء المبنى

بند الرجل النبيل المذكور أعلاه يمتلك أراضي شاسعة أمام القلعة في المدينة المذكورة ، حيث إنها محاطة بالبحر ، وأهم نقطة في هذا الأمر هو أن هذه الأراضي تجتمع مع المنازل - خاصة منازل ملك هرمز ، التي كانت من الجانب الأيمن من القلعة .

استلم هذه المنازل ودفع لسموّكم لهدمها والعديد من البيوت يمتلكها الأهالي . هذه المنازل أخذت من أصحابها وأخذوا تعويضاً على حساب الرجل النبيل المذكور .

الكل غادروا بيوتهم في حينها ، وأنشأوا فناءً ، لأنها إذا كانت قريبة من القلعة فانهم يعرضونها للخطر .

حتى الآن هدمت خمسة منازل ، لأنه يمكن أن يحدث في المستقبل

أن يرغب بعض القادة أن يمنحوا قطع أرضٍ يمتلكها سموه ، هدية لأشخاص معينين ، باسم الرجل النبيل ، بنيت منازل هناك ، كما رأيت هذا يحدث في قلاع أخرى .

بهذه الطريقة ، بدا أن من مصلحة الرجل النبيل المذكور بأن يأمر بقياس الأرض من حافة الخندق إلى بيوت الأهالي ومنازلهم التي تحيط بالفناء .

كانت هذه المقاسات كالتالي :

بند من حافة الخندق إلى منزل "جواو رودريجيس ، " الحلاق ، على طول الشاطئ توجد خمسة وخمسون "براسا" (bracas) القياس البرتغالي ، عشر نخلات لكل "براسا" . هذه المنازل من جهة الجنوب .

بند من نفس الخندق إلى منزل "جواو فرنانديس" ، صانع الأقفال ، ويوجد قريبا من الجهة الجنوبية ، خمسة وستين "براسا" . يوجد بينهم وبين منزل الحلاق منازل صغيرة يمتلكها سموه .

عندما كان "مارتيم أفونسو دو ميلو" "Martim Afonso de Milo" قائداً لهذه القلعة ، أعطاها كمنحة إلى "بيرو دي سرسيس" "Pero de Sarces" ، الذي كان ضابط المدافع في هذه القلعة ، وباعها بدوره إلى "فرانسيسكو دي بورتو" "Francisco de Porto" .

كما قلت قبلا ، لأن هذه المنازل يمتلكها سموه ، ويحتاجون أن يهدموها ، أزالوها دون دفع أي شيء لأنه أعطيت لهم هذه المنحة بهذا الشرط .

بند توجد مسافة اثنين وخمسين "براسا" من الخندق إلى منازل الأب "بدرو رودريجيس" ، ومن هذه المنازل إلى منازل "جواو فرنانديز" ، صانع الأقفال ، يوجد شارع واسع وغير معبد .

بند من نفس الخندق إلى منازل "فرانسيسكو فيراس" توجد مسافة ثلاثة وأربعين "براسا" ونصف .

بند من نفس الخندق إلى منازل المراقب يوجد ستة وأربعون "براسا" .

بند من نفس الخندق إلى منازل "إينسونسو[أ] فرنانديس" يوجد خمسة وثلاثون "براسا" ونصف .

بند ومن نفس الخندق إلى منازل "أنطونيو ماشادو" يوجد ثلاثة وثلاثون "براسا" .

بند من نفس الخندق إلى منازل يمتلكها ريس سعد الدين التي تمتد على طول الشاطئ على الضفة الأخرى ، في منطقة تسمى الحي الأجنبي لريس شريف ، بعد هذه المنازل يوجد بيت الملك حالياً ، المسافة هي ثمانية وأربعون "براسا" .

يتضمن هذا القياس بيوتاً من القش ، يسكنها صانع البراميل ، أعطيت له هذه القطعة الأرضية لإصلاح البراميل ، وهي تعد من ممتلكات مولانا الملك ، ويوجد عليها صانع البراميل وحده ، ولا يمكن أن يبني عليها بيوتا من الطين .

(أ) يقول بولتاو : استعمل اسم "أسينسو" في بعض العائلات النبيلة لقباً والبعض يستخدم اللقب الشائع انسنسو .

بند قياسات هذه الأرض كلها خاطئة مسبقاً ، لأن جدراناً أخرى بنيت خارج القلعة والخندق اتسع ، ولهذا السبب هدموا فيما بعد المنازل الأخرى .

حتى الآن فإن نائب الملك دوم بيرو يأمر بتفكيك بعض هذه البيوت الأخرى وتوسيع الفناء لأنه ضروري للدفاع عن القلعة .

سجلات المصاريف السنوية

التي دفعها مولانا الملك في هذه القلعة

بند يتقاضى قائد القلعة ألفي "أشرفي" حيث تعادل ستمائة ألف ريال .

بند يتقاضى ثلاثون جنديا جلبهم القائد المذكور ، ستمائة ريالٍ لكل واحد شهريا ، وبصرف النظر عن رواتبهم وطعامهم ، في السنة ، عندما ينجزون كل مهامهم ، يمكن أن يصل دخلهم إلى سبعمائة وعشرين "أشرفياً" ، ما يساوي مائتين وستة عشر ألف ريالٍ .

بند يتقاضى الوكيل التجاري ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين "أشرفياً" وثُلثاً ، ما يساوي مائة ألف ريالٍ .

بند يتقاضى كتاب الوكالة التجارية ، ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين "أشرفياً" وثُلثاً ، ما يساوي مائة ألف ريالٍ .

بند يتقاضى قاضي القلعة ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين "أشرفياً" وثُلثاً ، ما يساوي مائة ألف ريالٍ .

بند يتقاضى مترجم القاضي المذكور ، أربعة وعشرين "أشرفياً" على عيشه ، حيث تساوي سبعة آلاف ومائتي ريالٍ .

بند يتقاضى الرئيس البحري ومزود الأسطول بالطعام ، حسب ما ذكر في رسائله ، لأن الأخير تقاضى ستة وثلاثين ألف ريالٍ مقابل العملين معا . الشخص الذي ينجز هذه المهام في الوقت الحاضر يتقاضى مائة "أشرفي" ، ما يساوي ثلاثين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى الكاتب على خدمته ، ثمانية عشر ألف ريالٍ ، ما يساوي ستين "أشرفيا" .

بند يتقاضى مراقب الحراس ، راتبا قدره ستون "أشرفيّاً" ، إضافة إلى أربعة وعشرين "أشرفيّاً" على عيشه ، بحيث يصل المبلغ إلى أربعة وثمانين "أشرفياً" ، ما يساوي خمسة وعشرين ألفاً ومائتي ريالٍ .

بند يتقاضى النائب مائة وثلاثة عشر "أشرفياً" وثُلثاً ، وهو عبارة عن راتب ثلاثة وثمانين "أشرفياً" وثُلثٍ ، إضافة إلى ثلاثين "أشرفياً" على عيشه ، حيث يساوي الكل أربعة وثلاثين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى أربعة كهان يخدمون الكنيسة مائتين وثمانين "أشرفياً" ، عبارة عن راتبٍ قدره أربعون "أشرفيّاً" ، إضافة إلى ثلاثين على عيشهم ، حيث يصل المبلغ المذكور إلى مائتين وثمانين "أشرفيّاً" ، ما يساوي أربعة وثمانين ألف ريالٍ .

بند يكلف بهاران سعة خمسة "فرصولا" من الشمع ، الذي يستعمل كل سنة في الكنيسة ولصناعة الشموع ، أقل أو أكثر من مائة "أشرفي" حسب السعر المحلي للشمع ، وأيضا عشرين "أشرفيا" أخرى لزيت القناديل ، إضافة إلى ستين "أشرفيا" لمائة وعشرين" كنداس" (canadas) من الخمر ، بمعدل عشر "كندات" في الشهر .

بحيث يمكن أن تكلف أقل أو أكثر من ذلك المبلغ ، إضافة إلى اثني عشر "أشرفيا" إضافيا للمضيفين ولغسيل أمتعة الكنيسة ، المبلغ الإجمالي هو مائة واثنان وتسعون "أشرفيا" ما يساوي سبعة وخمسين ألفا وستمائة ريالٍ .

بند يتقاضى أمين صندوق الكنيسة ، عشرين "أشرفياً" مقابل عيشه ، وعشرين أخرى كراتب ، فيصبح المبلغ أربعين "أشرفياً" ، ما يساوي اثني عشر ألف ريالٍ .

بند يتقاضى غلامي "الكورس" ، "أشرفين" شهرياً على عيشهما فيصبح المبلغ سنوياً ثمانية وأربعين "أشرفياً" ، ما يساوي أربعة عشر ألفا وأربعمائة ريالٍ .

بند تكلف ثماني مدرعات (رداء كهنوتي أبيض) ، التي تعطى سنويا إلى النائب ، والكهان وأمين الصندوق وغلامي الكورس ، أقل أو أكثر من اثنين "برداواس" للواحدة ، فتكلف ستة عشر "أشرفياً" ، ما يساوي أربعة آلاف وثمانمائة ريالٍ .

بند يتقاضى عازف أرغن الكنيسة ثلاثين "أشرفياً" سنوياً ، بصرف النظر عن راتبه ومعيشته ، يُحرر إيصال من قبل النائب إلى الشخص الذي يعزف على الآلات بما يساوي تسعة آلاف ريالٍ .

بند يُقدم إلى المجلس المقدس للرحمة لهذه المدينة ، خمسون "أشرفياً" شهرياً ، حيث يوزعها المشرف على الفقراء ، فيصبح المبلغ السنوي ستمائة "أشرفي" ، ما يساوي مائة وثمانين ألف ريالٍ .

بند بالنسبة لمصاريف مستشفى هذه المدينة ، ثلاثة آلاف وثلاثمائة "بارداواس"

(in candils) ، حيث يتضمن رواتب الأطباء ، والجراح ، والحلاق إضافة إلى مصاريف الصيدلية وكل المصاريف الأخرى الضرورية المتفق عليها .

هذه المبالغ هي ألفان ومائة وتسعة وثلاثون "أشرفياً" وسبعة "كناديل" ونصف ، ما تساوي ستمائة وواحداً وأربعين ألفاً وثمانمائة وستين ريالاً .

بند عند عودتي إلى هذه القلعة في سنة ١٥٥٠م ، وجدت أن هذه الحصة المالية لم تكن كافية للعام السابق ، بسبب وصول أناس كثر أكثر من المعتاد ، والعديد منهم مريض ، و من المحتمل ألا تكفي هذه السنة أيضاً ، بسبب تدفق العديد من الناس أكثر من العام السابق للإقامة هنا ، وهذا ضروري لوجود الأتراك في البصرة .

وعليه فإن الوكيل التجاري سيعطي للمراقب وجمعية المجلس المقدس للرحمة ، الذي يديره هناك ، حسب ما يحتاجوه خلال ثلاث أو أربع سنوات ، إذا ما وصلت احتياجاتهم إلى أكثر من المبلغ المتوفر حاليا ، سيجهز مبلغاً إضافياً مناسباً .

بند يتقاضى الأب الأعلى "جاسبار" ، رئيس جمعية المسيحيين ، ومرافقة مائة وعشرين "أشرفياً" سنوياً لمصاريفه ، بحيث تساوي ستة وثلاثين ألف ريال ، وإذا ما احتاج إلى حصة أكبر فإنه يعطى له ما يطلبه .

بند يتقاضى رئيس مدفعية القلعة راتباً قدره مائة وعشرون "أشرفياً" ، وأجر

الصيانة ستة وثلاثين "أشرفياً" ، فيصل الراتب إلى مائة وستة وخمسين "أشرفياً" ، ما يساوي ستة وأربعين ألفا وثمانمائة ريالٍ .

بند يتقاضى مراقب الواجهة البحرية راتباً مائة "أشرفي" وثلاثين "أشرفياً" أجر الصيانة ، إجمالي المبلغ هو مائة وثلاثون وثلث "أشرفي" ، ما يساوي تسعة وثلاثين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى ضابط الواجهة البحرية على النجارة ، وعلى أشغال القلعة ، ولأنه يقوم بكل هذه الأعمال ، راتباً هو ثلاثة وثمانون "أشرفيا" وثُلثاً ، وعلى صيانته ثلاثين "أشرفياً" ، وتصل إلى مائة وثلاثين "أشرفياً" وثُلث ، ما يساوي أربعة وثلاثين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى كبير "الجلفاط" راتباً قدره مائة وعشرون "أشرفيا" وعلى الصيانة ثلاثين "أشرفياً" ، الكل يساوي خمسة وأربعين ألف ريالٍ .

صفحة رقم ٨٣ ف :

بند يتقاضى الحداد راتباً قدره ستون "أشرفياً" وعلى الصيانة ثلاثون "أشرفياً" ، ما يساوي سبعة وعشرين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى البناء راتباً قدره ثلاثة وثمانون وثلث "أشرفي" ، وعلى الصيانة ثلاثين "أشرفيا" ، الكل يساوي أربعة وثلاثين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى صانع البراميل راتبا قدره ستة وخمسون "أشرفيا" وعلى الصيانة ثلاثين "أشرفياً" ، الكل يساوي خمسة وعشرين ألفاً وثمانمائة ريالٍ .

بند يأخذ "مالاباري" صانع الأسلحة أجر صيانة أربعة وعشرين

"أشرفياً" في السنة ، وثلاثين "ماوا" (maos) من الأرز شهريا ، بحيث يمكن أن يُساوي حوالي ستة (Tangas) "تنجاس" ، وإجمالي المبلغ أحد عشر ألفاً وخمسمائة وعشرين ريالاً .

بند يتقاضى قاضي المدينة راتباً وقدره خمسون "أشرفيا" إضافة إلى ثلاثين "أشرفياً" عن عيشه ، الكل يساوي أربعة وعشرين ألف ريالٍ .

يتقاضى اثنا عشر جندياً من المشاة ، يتبعون للقاضي المذكور ، مائة وأربعة وأربعين "أشرفياً" سنوياً – وهي عبارة عن "أشرفي" واحد لكل واحد ، ما يساوي ثلاثة وأربعين ألفاً ومائتي ريالٍ .

يقدم إلى الجنود المشاة المذكورين خمسة عشر "ماواً" من الأرز إضافياً ، بمعزل عن المبلغ المذكور ، بحيث يصبح المبلغ حوالي تسعين "أشرفياً" ، ما يساوي سبعة وعشرين ألف ريالٍ .

بند لا يتقاضى ضابط البحرية راتبا آخر سوى راتبه الشهري وأجر الصيانة ، ومع ذلك يتقاضى اثنا عشر جنديا من المشاة مائة وأربعة وأربعين "أشرفياً" ، وهي عبارة عن "أشرفي" واحد كل جندي شهرياً ، ما يساوي ثلاثة وأربعين ألفا ومائتي ريالٍ .

يحصل الاثنا عشر جنديا على خمسة عشر "ماواً" إضافياً من الأرز لكل واحد شهريا ، إضافة إلى المال المذكور ، فيصبح المبلغ حوالي تسعين "أشرفياً" سنوياً ، ما يساوي سبعة وعشرين ألف ريالٍ .

بند يتقاضى ثلاثة "مالبارين" نجارين ، يعملون بصفة منتظمة على تصليح الأشياء المتكسرة ومبنى القلعة ، اثنين وستين(أ) "أشرفياً"

(أ) على الأصح اثنين وسبعين .

سنوياً ، المبلغ الكلي هو مائة وسبعة وثلاثون "أشرفياً" ما يساوي واحداً وأربعين ألفاً ومائة ريالٍ .

بند يتقاضى عشرة بحارة يعملون بصفة منتظمة على الواجهة البحرية وفي القلعة ، وتشمل المشرف وصانع الحبال (اللذان يكسبان الضعف[أ]) ، مائة وأربعين "أشرفياً" سنوياً- وهي عبارة عن واحد "أشرفي" شهرياً لكل واحد ، وخمسة عشر "ماواً" من الأرز ، فيكلف حوالي تسعين "أشرفياً" ، ما يساوي سبعين ألفاً ومائتي ريالٍ .

بند يتقاضى تلميذ (صبي) صانع البراميل وصبيان ترقيع السفن (الجلفاط) ومراقب الواجهة البحرية ، حيث إن وظيفتهم في المساعدة على التصليح والصيانة ، ستة وثلاثين "أشرفياً" سنوياً - وهي عبارة عن - "أشرفي" واحد لكل واحد شهرياً ، إضافة إلى خمسة عشر "ماواً" من الأرز لكل واحد ، فيصبح المبلغ حوالي ثمانية عشر "أشرفياً" سنوياً ، ما يساوي معاً ستة عشر ألفاً ومائتي ريالٍ .

بند يتقاضى خادمان يخدمان في المستودع ، أربعة وعشرين "أشرفياً" سنوياً ، وهي عبارة عن "أشرفي" واحد لكل منهما شهرياً ، إضافة إلى خمسة عشر "ماواً" من الأرز ، فيصبح المبلغ حوالي اثني عشر "أشرفياً" سنوياً ، يساوي عشرة آلاف وثمانمائة ريالٍ .

سجـلات المصاريف التي يدفعها مولانـا الملك من مداخل إدارة الجمارك ، بعد ما سلمت إليه ، وجمعت الأرباح لسموه .

بند يقدم إلى ملك هرمز أربعين "ليكاً" سنوياً على الملابس ، ما

(أ) المشرف على البحارة وصانع الحبال يكسب كل واحد منهما أشرفيين إثنين .

يعادل ألفا وثمانمائة وستين "أشرفيا" وعشرة "كناديل" ، ما يساوي خمسمائة وأربعة وستين ألفا ومائة وخمسين ريالاً .

بند بالنسبة للمصاريف التي دفعت إلى الملوك والنبلاء المجاورين لهذه المملكة ، وللسفراء الذين يأتون لأخذ هذه المصاريف ، تعطى هذه المصاريف إلى "الجوازيل" (guazils) لدفعها شخصياً ، مائتين وخمسة "ليكات" وثلاثة "أزارات" ، ما يعادل تسعة آلاف وخمسمائة وستة وثلاثين "أشرفياً" وستة "كناديل" ، ما يساوي مليونين وثمانمائة وستين ألفاً وثمانمائة وتسعين ريالاً .

من ذلك العهد إلى يومنا هذا ، يعطى إلى "الجوازيل" مائتين وعشرين "ليكاً" على معيشتهم ، ولن يعطى لهم أي شيء إضافي من الآن فصاعداً ، سوى مائتين وخمس "ليكات" وثلاثة "أزارات" ، لأنه ما كان ينقص يخصم مما كانوا يعطونه إلى ملك البصرة ، الذي لم يعطوه أي شيء خلال السنوات الأربعة الماضية ، فدفع الآن كل ما عليهم لأن المسؤولين عن القلعة نسوا أن يقوموا بذلك . خصمت ما تراكم خلال أربع سنوات ماضية ، وهي كالآتي :

خصم سنة واحدة من رئيس ركن الدين ، وثلاث سنوات من رئيس شريف ، وأعددت مستنداً رسمياً بهذا المبلغ : مائتين وخمس "ليكات" ، ثلاثة "أزارات" ، باسم الأشخاص المذكورين : رئيس شريف وابنه رئيس نور الدين ... ، وتوجد في الحسابات .

بند الراتب السنوي "للجوازيل" (guazil) ستة وثلاثون "ليكاً" ،

حيث يساوي ألفا وستمائة وستة وسبعين "أشرفياً" ، وستة "كناديل" ، ما يعادل خمسمائة وثلاثة آلاف وأربعين ريالاً .

بند يتقاضى كاتب إدارة الجمارك "البرتغالية" ست "ليكات" ، ما يساوي ألفاً وتسعة وسبعين أشرفيا[أ] ، و"كنديلا" ونصف ، ما يعادل ثلاثة وثمانين ألفاً وسبعمائة واثنين وعشرين ريالاً .

بند يتقاضى "خواجا منادين" ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة ، ست "ليكات" أو ما يساوي مائتين وتسعة وسبعين "أشرفياً" ، و"كنديلاً" ونصفاً ، ما يعادل ثلاثة وثمانين ألفاً وسبعمائة واثنين وعشرين ريالاً .

بند يتقاضى خواجا عبد الكريم (كريم) وهو كاتب مسلم في إدارة الجمارك المذكورة ثلاث "ليكات" ، تساوي مائة وثمانية وثلاثين "أشرفياً" وأحد عشر"كانديلاً" ونصف بما يعادل واحداً وأربعين ألفاً وثمانمائة واثنين وسبعين ريالاً .

بند يتقاضى خواجا علاء الدين ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة خمس "ليكات" ، ما يساوي مائة وستة وثمانين "أشرفياً" ، واثني عشر "كنديلاً" ، ما يعادل تسعة وستين ألفاً وسبعمائة وثمانين ريالاً .

بند يتقاضى خواجا شرف الدين ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة ، أربع "ليكات" ، ما يساوي مائة وستة وثمانين

(أ) على الأصح مائتين وتسعة وسبعين "أشرفياً".

"أشرفياً" ، و"كنديلاً" واحداً ، ما يعادل خمسة وخمسين ألفاً وثمانمائة وأربعة عشر ريالاً .

بند "خواجا ماندجار" ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة ، ثلاث "ليكات" ونصف أو ما يساوي مائة واثنين وستين "أشرفياً" وسبعة عشر "كنديلاً" ، ما يعادل ثمانية وأربعين ألفاً وخمسة وخمسين ريالاً .

بند يتقاضى خواجا محمود ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة ، "ليكين" ، ما يساوي ثلاثة وتسعين "أشرفياً" ، ونصف "كنديل" ، ما يعادل سبعة وعشرين ألفا وتسعمائة وسبعة ريالات .

بند يتقاضى خواجا قطب الدين ، الكاتب المسلم في إدارة الجمارك المذكورة ، "ليكين" ، حيث تعادل نفس المبلغ أعلاه .

بند يتقاضى رئيس الميناء ، العمال الذين يفرغون السفن من البضائع والنسوة اللواتي يخدمن في إدارة الجمارك ، "ليكين" ، وهو نفس المبلغ المذكور أعلاه .

بند يتقاضى محصل المكوس المسلم ، "ليكين" ، إضافة إلى سبعين "أزاراً" إضافيا بسبب انخفاض قيمة العملة ، ما يساوي مائة وعشرين "أشرفياً" ، وعشرين "كنديلا" ، ما يعادل ستة وثلاثين ألفاً ومائتين وسبعين ريالاً(أ) .

بند يتقاضى المكوس البرتغالي "ليكاً" واحداً ، وأربعين "أزاراً" ، إضافة إلى ثلاثين أزارا بسبب انخفاض قيمة العملة ، ما يساوي تسعة

(أ) لا يتفق هذا المبلغ مع العدد المدون على الهامش .

وسبعين "أشرفياً" و"كندلاً" ونصفاً ، ما يساوي ثلاثة وعشرين ألفاً وسبعمائة واثنين وعشرين ريالاً .

صفحة رقم ٨٧ :

بند يتقاضى قاضي الأوزان ، مائة وستة وستين "أشرفياً" وثلثي "أشرفي" ، ما يعادل ثلاث "ليكات" ، وثمانية وخمسين "أزاراً" وثلاثة "كناديل" ، أي ما يساوي خمسين ألف ريالٍ برتغاليٍّ .

بند يتقاضى حارس بوابة إدارة الجمارك ، وهو برتغالي ، "ليكين" وستة "أزارات" وأربعة "كناديل" ، ما يعادل ستة وتسعين "أشرفياً" ، حيث يساوي ثمانية وعشرين ألفاً وثمانمائة ريالٍ .

بند يتقاضى المترجم هي هذه المملكة وهو برتغالي ، حيث يُدفع له من مداخل إدارة الجمارك هذه ، من خلال تعليمات مولانا الملك التي تأتي عن طريق الحاكم "مارتن أفونسو" تسع "ليكات" ، ما يعادل أربعمائة وثمانية عشر "أشرفيا" وثلاثة عشر "كنديلاً" ، ما يساوي مائة وخمسة وعشرين ألفا وخمسمائة وتسعين ريالاً . بمعدل خمسة وسبعين "أزاراً" شهرياً .

بند يتقاضى مترجم إدارة الجمارك ، البرْهمي ، خمسة وسبعين "أزاراً" وكاندلاً ونصف ، ما يعادل خمسة وثلاثين "أشرفياً" ، وما يساوي عشرة آلاف وخمسمائة ريالٍ .

بند يتقاضى الرجل الذي يقوم بمهمة زيارة الأحياء الأجنبية في الضفة الأخرى ثلاثين ألف ريال سنوياً ، حيث أمرتُه للتو بالإشراف

على السلع التي تأتي مع القوافل ، لتدوينها وكتابة سجل لتقديمه إلى الوكيل التجاري والموظفين ، بذلك لن تسرق السلع المسجلة ، يدفع له ثلاثون ألف ريال لعيشه .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

بعث "دي جواو الثالث" رسالة إلى "كومندادور مور" ، "دي أفونسو دي لانكاستر" ، السفير في "روما" ، بتاريخ عام ١٥٥٤م ، يذكر فيها الفدية التي تمت عن الأسرى البرتغاليين : (٢٨)

"كومندادور مور" ، ابني أخي وصديقي إلخ .

أحضر لي خادمك "مونتيرو" رسالة من طرفك تقول إنك تحدثت مع شاب من "جنوه" صانع المدافع ، الذي كتبت عنه سابقاً ويبدو لك أنه صانع ماهر لكن ألححت كثيرا ، ورغبت أن تعرف كم من المفترض أن يدفع لمثل هذا الصانع هنا حتى يمكن أن ترتب الأمور معه وفق ذلك .

بما أننا نحتاج إلى مهارته في مقاطعاتنا وجيشنا وترسانته سأكون مسروراً بإعطائه شيئاً إضافياً ، مادام يصنع أشياء لم يصنعها عمالنا . سيكون من مصلحتي بأن تعده بإعطائه مبلغاً سنوياً قدره عشرون أو ثلاثون

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

ألف "ريس" عن كل سنة يخدمنا فيها ، ويدفع مبلغ عن العمل الذي يقوم به بالشكل المعتاد ؛ حيث ما تقدم له دفعة مقدماً أقل بقدر ما يخدمنا أكثر ، نظرا للأسباب التي شرحتها ؛ لأنني متأكد أنه يكفي أن تعرف أنك تقوم بأقصى ما يمكن لخدمتي ، لن أقول أي شيء عن هذا .

في رسالة أخرى أخبرتني بفدية "البرتغاليين" الذين احتجزوا من قبل الأتراك في مسقط ؛ نظرا للمعلومات التي لديَّ أنهم عانوا كثيرا في ذلك المكان وتصرفوا بأسلوب يتناسب مع مصلحتي وبشخصياتهم ، لا أظن أنّه يجب أن نناقش فديتهم ، السفينة لخدمتي وهم مسيحيون وهم أتباعي ، وآمل أن تجد ما يمكن القيام به بخصوص هذا الموضوع .

في رسالة أخرى أخبرتني بالمبلغ المعطى من قبل "باسكيان" على العملات التي صنعت في فرنسا ، وكم ألحّ لكي يتعلمها ، وأرسلت لي نماذج من العملات المصنوعة التي سررت بها كثيراً ؛ ولأن ما طلبه يبدو شيئا مهما ، استكشف منه السعر النهائي لها وأخبرني بذلك .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)
بعث "كومندادور" "د . أفونسو دي لانكاستر" في "روما" رسالة إلـى "دوم جواو الثالث" ، روما في يوم العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٥٤م ، يخبر فيها أن "شاه طهماسب" يشن الحرب على تركيا : (٢٩)

سيدي ،

في الثالث من هذا الشهر كتبت إلى سموّكم في عبر "جنوه" وأرسلت لكم كل الأنباء التي جمعتها عن هذه الأرض وأيضا تلك الأنباء من الشرق . ما يعرضون سيكون جديدا بالنسبة لسموّكم ، سيرسلون هذه الرسالة ، بما أن "الصفوي" عاد ليشن الحرب على تركيا فإنه يبدو أنه سيكون لديك الكثير للقيام به بهدف ، وخاصة ، عدم مضايقة الهند في الوقت الحاضر .

إذا كان صحيحا أن باشا البصرة ينتقل للإقامة في القاهرة ؛ لأنه

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

عندما يكون لدى هؤلاء الوزراء الجدد بعض المعرفة ، يريدون دائما تطبيقها أولا في الشؤون التي تخص حكومتهم التي لا تعنيهم ولا يعرفون متى يكون خطراً القيام بذلك . مرت عدة أيام منذ أن أخبرت من باشا القاهرة بأنهم أضافوا هناك باشا من بور سعيد .

أعتقد أنني قد أخبرت سموّكم بهذا قبلا أن الأتراك في شغل شاغل بالحرب ، على الرغم من أن الفرنسيين قد صرحوا بأنهم سيعطونهم سبعين سفينة شراعية ، إلا أنني أعتقد أنهم لن يغادروا الميناء ويتركونه غير محميّ ، لكن سيجهزونهم بينما هم هناك .

ستذهب هذه الرسالة على مسؤولية "براس دالفيد" لأنه ربما لم يصل بعد "برنديم دو تافورا" ؛ ولأنني في عجلة من أمري لن أقول الكثير باستثناء أن قداسته أرسل واحداً من موظفيه لزيارة سموّكم ، إنه رجل يثق به وأرسله بخصوص عدة أمور ذات أهمية ، كما وأنه مثقف جدا وأخبروني بأنه من عائلة جيدة ، لقد أرسله لنفس هذا السبب سابقاً إلى إنجلترا لملاحظة ما يجري هناك عندما اعتلت الملكة العرش ، يدعى "مونسينور فرانسسكو كوموندوري" بحيث سيكون قادرا أن يعطي المعلومات كاملة المدعو " كانوبوي" .

بما أنني سأكتب عنه بشكل مطول لن أقول المزيد هنا ، سوى أن أسأل الله أن يحفظ حياتكم والمملكة لسنوات مديدة ، وأن تزداد نعمه العظيمة ، كما يتمنى سموّكم ، وكما سألت الله .

من "روما" ، في يوم العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٥٤م

"كومندادور–مور د . أفونسو" يقبل يدي سموّكم الملكية .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

بعـث الأب "أنطـونيـو دي هيرديا" ، رسالـة إلـى الأب "إغناسيو دي لويولا" "Ignacio de Loyola" ، الرئيس العام "للجمعية المسيحية" في "روما" ، هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٤م ، يصف فيها مملكة هرمز : (٣٠)

(الملخص اللاتيني محذوف) ....

١- كتبت في سنة ١٥٥٢م إلى سيادتكم المبجلة من "كوتشين" ، التي عشت فيها هناك سنة ونصف ، مقدما إلى سيادتكم تقريرا عني وعن ظروف ذلك البلد ، والثمار التي يمكن جنيها من هناك .

في سنة ١٥٥٣م أُرسِلت إلى مدينة مملكة هرمز ، حيث وجدت فيها الأب "ماستر جونسالو"(أ) وكان مريضا جدا وباقي سكان المدينة

(أ) "جونزالفو رودريجس" .

---

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

أيضا ، بسبب المعاناة والأمراض الناتجة عن الحصار الذي أقامه الأتراك في تلك السنة . العديد من الناس ماتوا والبلد بأكمله مهدد بتغيير الطقس ، حيث كان يتغير يوما عن يوم وتغيرت ظروف الناس على جميع الأصعدة .

٢- لم تتسن لي الفرصة تلك السنة للكتابة إلى سموّكم المبجل ، لأنني كنت حديث العهد بالبلد وبسبب "الاعترافات" وخطب المواعظ والزيارات التي يتطلبها الظروف ، بالتالي لم يكن لدي الوقت حتى لأجهز منزلي بالضروريات .

٣- ربما لا ترغب بأن تعرف بكل هذه الصعوبات ، لأنها أشياء معتادة في الجمعية ، بفضل الكرم الإلهي ، وليس بسبب ظروف البلد وما يمكن أن يحفظنا هنا ، فلم أكتب هنا هذا ، ولأنكم ستعرفونه من الرسالة العامة عن هذا البلد وعني وعن العمل الرباني في هذه المنطقة .

٤- مدينة هرمز هذه (حيث يمتلك سموه قلعة قوية ونبيلة) تتموقع على جزيرة على طول اتجاه البصرة بين بلاد فارس وبلاد العرب ، إنها جزيرة مالحة جدا ، بحيث تجعل الحياة جحيماً ، وكما ستعرف من رسائل " ماستر جاسبار"

"بارزيو" ، الذي ..... ، مجد الرب (٥) ، يقطنها حوالي أحد عشر أو اثني عشر ألف ساكن ، ولكن يوجد حاليا حوالي ثلاثة آلاف فقط .

هجرت تماما إبان الحصار التركي ، وبدأ السكان يعودون إليها . يوجد مائة وخمسون كاسدوس (Casados) من برتغاليين ومسحيين وأصليين ، وحامية عسكرية تتألف من ستمائة جندي ، والباقي من

المسلمين وبعض الهندوس ويهود وأرمن ، وروس وحبش وأجانب غيرهم ، الذين يرحب بهم هنا من كل بقاع الأرض .

إن هذه المدينة تعد من أكبر الأماكن التجارية في العالم ، تجلب كل أنواع التجارة والمؤونة والمنتجات ، تبعد بلاد العرب عنها بأحد عشر فرسخا وتبعد بلاد الفرس بفرسخ واحد ، وتمتد الجزيرة بينهما .

تحاط جزيرة هرمز بجزز أخرى ذات أراضي خصبة أكثر منها لأنهم يتمتعون بمياه غذبة .

يوجد تعدد الديانات ، والتجارة والعقود ، والربا والظلم والوثنية ومعاصي أخرى نتيجة لتمازج هذه الفئات من الناس الأمر الذي يشير إلى الثمار الروحية التي يمكن جنيها ، والقوة والسلطة التي تتمتع بها ، وأيضا تحديد شخصية الأب المطلوب هنا لتحقق الهدف والثمار المرجوة .

ليس لدى الجمعية لا مدرسة ولا دار في هذه المدينة ، سوى دير يبعد عن المدينة بأقل من فرسخ على تلٍّ رملي مرتفع ، يتكون من ثلاث حجرات بناها الأب "جاسبار" لتأملات "يوجي" "Yugi" الشهير حيث اعتنق ديننا المقدس في ذلك المكان (كان لديه كفهاً ومنزلاً صغيراً يعيش فيهما) ، لقد بنيت هناك لا لسبب سوى أن الشيطان كان يعبد هناك لمدة طويلة من الزمن ، في حين أن الرب الحقيقي وخالق العالم هو من يجب أن يعبد .

ليس من الممكن لمؤسسة الجمعية أن تقوم بعملها من هناك دون أخذ بعين الاعتبار بضرر ونقص الثمار الروحية ، لأنه من هناك ليس سهلا لرجال الكنيسة من الآباء الذين لم يُقبلوا في المذهب

(Hieronymites) أو في مذهب "البندكي" (Cistercians)- أن يسدوا الاحتياجات التي تظهر وتنشأ صباحا ومساءً .

إن العيش في هذا البلد شاق جداً ، لا يمكن أن أصف لسيادتكم المبجلة إذا كانت شاقة أكثر في الصيف أو في الشتاء ، لأنها متطرفة ، باستثناء في الصيف تكون الحرارة مفرطة جداً بحيث لا يوجد ما نقارنها به سوى بمنطقة المعذبين . عندما سكنوا (رجال الكنيسة) في ذلك الدير ، ويأتون ويذهبون من الدير إلى المدينة تعرضوا لعدة مخاطر وأصيبوا بأمراض مميتة ، ستة رهبان ماتوا بسبب أشعة الشمس والحرارة المفرطة[أ] . سكان هذا البلد يعيشون تحت الظل وفي الماء .

٥- عندما أخذ سكان المدينة التجربة من الماضي وما تعرضوا له ، أتوا يتوسلونني أن أعيش في المدينة ، لأنهم شاهدوا ما حدث لي وكيف كنت قريبا من الموت ، وهذا سيطمئنهم ، لقد حدث نفس الشيء للأب " ماستر جاسبار" ومرتين مع . "ماستر جونسالو" وكل الرهبان الذين ماتوا .

وافقت على طلبهم لأنني اعتقدت أنها ستكون في خدمة الرب ، ومن الأفضل لأنه عليّ أن أذهب إلى المدينة وأعود مرتين أو ثلاث مرات في اليوم ، حيث قالوا إن هذا ما سبب المرض وأدى إلى الموت ، لقد كنت قريبا من الموت بسبب سيولة جريان الدم (flux of blood) ، وعليه فأنا حاليا في المدينة ، في منزل قريب من المستشفى ، لأنه لا يوجد مسكن داخله[ب] ،

(أ) إنه يعني "باولو دوسانتو في" (من المواطنين في هرمز) .

(ب) في واحد ديسمبر سنة ١٥٥٢م كتب فراوس أن خمسة من الرهبان ماتوا هناك .

وضعت مصلى في دير " ساوباولو"[أ] وأسست جمعية للمسحيين هناك وبـذلك لـن يضيعوا شخصيتهم التقية ويمكن إصلاحها كلما تطلب الأمر ذلك .

٦- ستجنى الآن العديد من الثمار ، ويبدو أنها من المحتل أن تزداد ، منذ أن قام "سان باولو" بصفقة كبيرة عندما كان هناك ، على الرغم من أنه كان عملا صعبا وسبب اضطراب بين الأهالي وبين الباباوات والرهبان .

لدي في هذا المنزل مصلى صغيرا أستمع فيه لاعترافات وتلاوة القداس وتعليم خمسين طفلا من المحليين القراءة والكتابة ؛ كي يستطيعوا تعلم الصلوات والفضائل والعادات الحسنة ، بفضل الله تم كسب نتائج مثمرة ، لأنه في المساء أخرج مع هؤلاء الأطفال للدعاء للأرواح المعذبة ، وقرعنا جرساً صغيراً ، وانخرطنا كلنا في موكب ذكر الابتهالات واستحضار القديسين ، وفي النقاط الأربعة ، وصيت بهؤلاء الذين ارتكبوا خطايا مهلكة[ب] ، وتلونا كلنا في الأخير : "يا الله ، ارحمنا" .

٧- في أيام الأربعاء ، وأتلو القداس للمرضى في المستشفى وللأطفال ، وأسمع اعترافات من المرضى الذين يكونون على استعداد للاعتراف في ذلك اليوم ، وكل يوم إذا احتاجوا ذلك ، وأولئك الذين يعيشون في المدينة وخارجها وهذه الأشياء تشغل كل وقتي ، كل يوم جمعة ، أذهب في موكب مع الأطفال وآخرين كثر يرافقوننا لتراتيل القداس في

(أ) وصى "شافير جسبار باريزو" بضرورة العيش في المستشفى أو في (مساركورديا) أو في منزل آخر مناسب .

(ب) أصبح رسميا دير اليوغاني (yogis) .

سان باولو بالجمعية ، وألقي عظة ، وكل الناس يأتون بإخلاص أكثر ، وفي أيام الأربعاء ألقي عظة في الكنيسة الرئيسية ، التي توجد داخل القلعة .

في أيام الأعياد ، وفي الليالي التي تسبقها وفي أيام الأربعاء أعلم التعاليم الدينية في هذه الكنيسة للنساء العازبات والمسحيين الأصليين ، وغالبا تأتي أكثر من ستين فتاة لسماع التعاليم دون إحصاء النساء المحليات اللواتي تزوجن مسحيين واعتنقن المسيحية حديثا ، وهن كثيرات ، لأن هذا البلد تأثر كثيرا بـ (mansoons) .

٨- خلال فترة الصوم نظمت مواكب قداس كل ليلة مع العديد من التائبين ، وألقي بعض الأحيان مواعظ في فناء المنزل ، وفي هذه الفترة يوجد إثارة كثيرة ، والمسلمون الهندوس يحتشدون لمشاهدتنا ، ومن ثمار هذه الأعمال والممارسات قام العديد بإعادة تشكيل حياتهم ، وآخرون ذهبوا بعيدا لاعتناق الديانة المسيحية ، وآخرون أصبحوا مصلحون يصلحون بين جيرانهم ويسوون الأمور المهمة .

حيث يجد سكان هذا البلد صعوبة في التسامح في مثل هذه الأمور ، والكل يعترف في الأعياد الرئيسية في السنة ، ويأخذ القربان المقدس ، ويقوموا بذلك بعض الناس عدة مرات .

سيتواصل هذا إذا سكان البلد لم يعيشوا بشكل متنقل ومتغير ، في جميع الأوقات يوجد ذاهبون وآتون ؛ لذلك فإن الثمار لا تقطف أبداً وهي ناضجة ، بل تقطف وهي خضراء ، ومع عمل ديني كبير . الأعمال الجسدية لا تنتهي في تأملات المسيح .

٩- لم أقل شيئا عن المسيحية في هذا البلد لأنه لم أضع لها أسسا :

أولا ، لأن هذه جزيرة لا تملك شيئا سوى هذه المدينة ، حيث يوجد فيها كل شيء ، والمسلمون ، يعيشون عن طريق شحن البضائع من بلاد فارس وبلاد العرب . إضافة يوجد العديد من المغادرين - يذهبون متى يريدون دون أن يوجد أي وسيلة لمنعهم - أولئك الذين أصبحوا مسيحيين ، الكل يعيش وسط الباقي .

يوجد منزل في المدينة يعيش فيه المسيحيون ، والمسلمون واليهود والهندوس والكل يدخل ويطلع من نفس الباب ، ويوجد في أسر أخرى الابنة مسيحية والأم والأخوات مسلمات . أقوم بكل ما بوسعي لمعالجة هذا الوضع ووضع حل نهائي له .

خلال الأيام القليلة الماضية ، بمساعدة الرب والقائد جمعنا النساء المسيحيات العازبات اللواتي كن متفرقات في أرجاء المدينة في شارعين لفصلهن عن المسلمين ، وما يمكن أن يجمعهن بهم . إضافة إلى أن كل المسحيين كانوا يتجمهرون في تلك المنطقة . لا يوجد علاج لإنقاذ هؤلاء الرجال والنساء من المسيحيين سوى الزواج ، لأنه لا توجد نساء راهبات ، ولا أخوية دينية ، ولا يمكن لهن أن يبقوا كما هن لأن البلد في حرب ، وأيضا ، عندما يشكلن ضررا للدين ، فإننا نرسلهن إلى الهند ، وهذا ما نقوم به غالبا .

أطلب من الله أن ينزل على سيادتكم المبجلة صلواته وبركاته .

في هذا اليوم : العشرين من شهر أكتوبر ، من سنة ١٥٥٤م ، في هرمز .

١٠- عن طريق ساعي بريد آخر ، غادر هذه المدينة براً ، كتبت رسالة إلى سيادتكم المبجلة لإعلامكم بشيئين :

الأول بخصوص الأب[أ] الذي كان سجينا في القاهرة ، آتى إلى هنا[ب] وأخبرني أن في بيروت ، تبعد بيومين أو ثلاثة أيام من القدس ، في هذا الاتجاه إلى حلب ، يوجد دير لرهبان فرانسيسكان[ت] . يريدون أن يغادروا بيروت ويذهبوا إلى القدس أو البندقية لأن مذهبهم لن يمنحهم الحرية والوقت الكافي لجني الثمار التي زرعوها بين المسحيين العرب في تلك المنطقة عن طريق الوقت والحرية .

قال بأن مبجلكم يجب أن يرى إذا كان بالإمكان إرسال بعض رجال الدين من الجمعية ، بذلك يمكن أن نتراسل شهريا من هذه المنطقة من الهند ، ومبجلكم يريد أخباراً بسرعة من هنا ، وأيضا سيصبح سهلا لنا لاستلامها من هناك ، لأن البصرة إذا اجتيحت ، ونتمنى أن تكون في هذه السنة[ث] ، فإننا سنكون قريبين جدا ، لقد قيل لأن "الدير الفرانسيسكاني" في شمال سوريا هو المكان الذي قتل فيه القديس "جورج الأفعى"[ج] .

١١- والمسألة الثانية هي أنه على آباء الجمعية في البندقية أن يسعوا لمصادقة قنصل البندقية في حلب ، والآخر في القاهرة ، لأنه عندما

(أ) الأب مشال دونوبريجا ، الذي هرب من الجمعية في "غوا" في سنة ١٥٥٢م ، وأخذ أسيرا وسجن في القاهرة .

(ب) أي : عن طريق سوريا ، ما يمكن أن يرى من خلال السياق .

(ت) بخصوص الدير الفرنسيسكاني في شمال سوريا .

(ث) لم يحدث هذا لأن "البرتغال" لم تأخذ مدينة البصرة في أدنى بلاد الرافدين من تركيا .

(ج) أشير لهذه الفقرة في عدة أماكن . انظر (Acte Sanctorum) ، إبريل ، الجزء الثالث (البندقية ١٧٣٨م) صفحات من ١٠٤-١٠٦ .

نكون على تواصل وصداقة معهم سيكون من الممكن أن تكتب إلى هذا القسم من الهند من القاهرة وحلب على التوالي شهريا ، وكل ثلاث أشهر .

الله ينزل علينا البهجة والسرور ، آمين .

خادمك الحقير والمعدم لمبجلكم .

"أنطونيو هيرديا" .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

بعث الأب "أيريس برانداو سي. جي." "Aires Brandao" رسالة إلى الجمعية في "كويمبرا" ، "غوا" في يوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، من عام ١٥٥٤م ، يصف فيها رعايا ملك هرمز : [٣١]

مقتطفات :

الأب "جونسالو رودريجيس" في "باسين" (Bassin) ومع راهبين[أ] .

الأب "فرانسيسكو آرنكير" "Francisco Arncare" في (Thane) .

إنها جزيرة صغيرة تبعد بأربعة فراسخ من "باسين" ، أرض صغيرة تنتج الكثير . في كلا المنطقتين الكثير اعتنق المسيحية ، لأنه لا توجد وثنية في الجزيرة .

(أ) ايجيدوس ، برايتو وبلتازار نونيز .

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

- الأب "أنطونيو دي هيرديا" في هرمز وسترى من خلال رسالته بأنه أنجز الكثير فيها في تلك البلاد[أ] .

حسب ما قيل في إحدى الرسائل ، أن الأب "ماستر جاسبار" نبه على رجال الدين الذين يذهبون إلى عدة بلدان أنه يجب أن يكتبوا بشهور قبل مغادرة سفن "الناو" ، بذلك تكون الأخبار التي تأتي إلى "البرتغال" غير تامة كما يجب أن تكون عادة .

لكن ليس من السهل ذلك ، بما أن العديد من رجال الدين ، وحقيقة كلهم ، الذين يقضون سنة أو سنتين أو زمنا طويلا ليس لديهم أخبار عنا ولا نحن لدينا أخبار عنهم ، بسبب طول المسافات التي تبعدنا عن بعضنا بعضا . كما يفعل أولئك في جزر : "مالوكس" (Moluccas) ، وهي بمسافة رحلة طويلة ، كما "اليابان" ، "مالكا" وهرمز حيث لا تعلمنا الأخبار الدقيقة باستثناء رسائلهم إذا أعطونا إياها .

سأتحدث عن الباقي وما حدث معي وما وصلني ومن خلال هذا يمكن أن تلخص ما هو ضروري وترسله إلى "روما" ، وفي السنة المقبلة ، وبفضل ومساعدة الله ، سيتم كتابة الكثير بغية إرسالها إلى رجال الدين (الآباء) ، وعليه ستكون الأخبار من هذه البقاع أفضل ومفهومة جدا بعون الله .

٦٠- الأب "أنطونيو دي هيرديا" وراهب معه يوجدان في مدينة هرمز (كما قيل قبلاً)[ب] ، هذه جزيرة صغيرة وجافة ، ليس لديها موارد

(أ) كتب الرسالة في يوم ٢٠ أكتوبر من سنة ١٥٥٤م .

(ب) يعني السكان .

لأن أرضها مالحة كاملة . كل شيء هنا يأتي عن طريق البحر بكميات كبيرة . إنها توجد في اتجاه البصرة ، وإلى الشمال توجد بلاد فارس ، كل السكان مسلمون ينحدرون من جنسيات مختلفة ، وعلى الجنوب توجد بلاد العرب ، تبعد بتسعة أو عشرة فراسخ ، وهم أيضا مسلمون . في هذين البلدين ، العديد من رعايا ملك هرمز في الجزيرة التي هي تابعة لملك البرتغال .

على هذه الجزيرة ، مدينة كبيرة للمسلمين ، ويوجد أيضا برتغاليون متزوجون وعزابا ، ومسيحيون أصليون من الذين مكثوا في هذه المدينة منذ أن كانت قلعة صغيرة ... ؛ حيث بلغ عددهم في بعض الأحيان ثمانمائة وتارة أخرى ألف برتغالي دون إحصاء النساء والخدم .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

وصول نائب الملك "دوم أفونصو دي نورونها" إلـى "غوا" ، وماذا فعل ، كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالـي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto " ، ويذكر ما حدث عندما وصلوا إلـى قلعة ظفار : (٣٢)

فيما يتعلق بالأمور التي عمل نائب الملك "دوم أفونصو دي نورونها" على معالجتها والبتّ فيها ، ثم قيامه بإرسال ابنه "دوم فرناندو دي مينسيس" بأسطوله إلى المضيق . الحكم القضائي الذي أصدره بحق "دوم ألفارو دي أتيد" قائد قلعة "مالقا" .

بشأن القباطنة الذين ذهبوا للانضمام إلى القلعة ، والأحداث التي واجهها دوم "فرانسيسكو دي منسيس" في رحلته إلى أن وصل هرمز .

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

مقتطف :

بعدما وصل نائب الملك "دوم أفونصو دي نورونها" إلى "غوا" ، كان أول ما بدأ به عمله هو مسألة تنظيم وإعداد الأسطول لابنه "دوم فرناندو" ؛ كي يبحر إلى مضيق مكة والتوجه من هناك إلى هرمز لقضاء موسم الشتاء والانتظار إلى حين موعد وصول السفن الشراعية التي يترتب أن تبحر مغادرة البصرة في أغسطس ، ودفع أجور ألف ومائتين فرداً تقرر إرسالهم في هذه الحملة ، وأمر بتسريع هذا العمل بحيث إنه فرغ من كل شيء في نهاية فبراير عام ١٥٥٤م واستعد للإبحار .

كان "بيرنارديم دي سوسا" الذي أرسل كي يتولى قبطانية هرمز قد اهتم بأمر ذهاب "دوم فرناندو" لقضاء الشتاء في تلك القلعة ، وذلك بصفته ابن نائب الملك ولابد أنّه رغب في أن تكون له كل السلطات ، ولكن بحكم علاقة الصداقة الوطيدة فقد حاول أن يجنبه مواجهة المشكلة .

وعندما قابله ، قال له : " إنه إذا ما كان متجهاً إلى هرمز بتخويل تام لممارسة كل السلطات فيجب أن يخبره ما إذا كان سوف يقرر البقاء ثم الذهاب لاستلام القلعة في أكتوبر ، إذ إنه لا يريد أن يحدث أي خلاف بينهما فيما يختص بالدستور لأنه بمثابة خادمه .

نفى "دوم فيرناندو" أن تكون لديه أية سلطات بشأن تلك القلعة بخلاف السلطات التي يترتب عليه ممارستها بصفته قبطان القلعة ، وبهذا الرد أرتاح بال "بيرنارديم دي سوسا" .

في ظل مرابطة الأسطول عند الحاجز ، ذهب نائب الملك لتجهيزه للإبحار وهو يدعو لإبنه ولكل من معه بالتوفيق .

كان الأسطول مكوناً من ست سفن شراعية ، وستة مراكب شراعية صغيرة وحوالي خمسة وعشرين أو ستة وعشرين من الزوارق المجهزة .

هنا قاموا بنشر أشرعة سفنهم لمواصلة رحلتهم (التي سوف نعود للتحدث عنها فيما بعد) .

قام نائب الملك بدفع أجور خمسمائة رجل كان قد عمل على إرسالهم إلى هرمز ، وقد تولى أمر توزيعهم على أربع أو خمس من السفن التجارية عابرة البحار ، أمرها أن تبحر برفقة "بيرنارديم دي سوسا" الذي أعطاه نائب الملك سفينة رائعة تولى قيادتها القبطان "روى دي كاسترو" وصعد على متنها حوالي ثلاثمائة رجل ، وبما أن جميع هؤلاء القباطنة غادروا "غوا" خلال شهر مارس ، أي عند نهاية موسم الشتاء في "غوا" ، حيث توقفت جميع النشاطات ، فسوف نستمر في سرد قصة "دوم فيرناندو دي منسيس" :

إثر مغادرته بأسطوله مدينة "غوا" استمر مبحراً حتى وصل إلى (ماونت فليكس) حيث قرر البقاء هناك في انتظار قدوم السفن من "أشين" و"كامباي" والتي ظل يرقب وصولها بكل الحذر واليقظة .

بعد ذلك أمر بعض المراكب الخفيفة أن تتجه إلى مدخل المضيق لجمع الأخبار عن السفن ، وتمكنت تلك المراكب من القبض على بعض سفن التجارة ، علموا منها أنه لا توجد سوى أربع أو خمس من السفن في ميناء مكة ، تحت قيادة القبطان ظفر وهو الذي كان "لويس فيغويردوا" قد حاربه .

عموماً عادوا بهذه الأخبار كي يعطونها إلى القائد العسكري .

كان ذلك في بداية شهر إبريل ، وبالتالي كان من الضروري الرجوع إلى هرمز حيث قاموا بذلك دون أن يقفوا على شيء ، وبعدما نشر الأشرعة وشرعوا في الإبحار بدأوا رحلتهم على طول ساحل الجزيرة العربية ، وعندما وصلوا إلى قلعة "ظفار" (Dofar) أمر "دوم فيرناندو" بإلقاء مراسي جميع سفن الأسطول ، لأنه يحمل من أبيه أمراً رسمياً بطرد جميع "الفرتك" الذين سبق أن استولوا عليها في الماضي .

في اليوم التالي تم نقل جميع الرجال من الأسطول إلى السفن العاملة بالمجاديف ومراكب السلوب والمراكب الشراعية ، واتّجه الجميع نحو الشاطئ حيث بدأت عملية إنزالهم على نحو لا يخلو من صعوبة بسبب الأمواج المتكسرة العالية .

حينها انطلقت مجموعة مكونة من ثلاثمائة فارس من "الفارتكان" من القلعة على ظهور الخيول والجمال التي جلبوها ودربوها جيداً لشن هجوم شرس ، حيث اشتبكوا مع أول فئة من رجالنا تمكنت من النزول على الشاطئ ، فاندفعوا نحوهم كحيوانات شرسة دون خوف ، فأصابوا حوالي عشرة أو اثني عشر رجلاً من قواتنا بجراح في أول هجوم لهم ، وكان من بين هؤلاء الجرحى كل من "جواو فيلهو" "Joao Velho" قبطان السفينة و"لوبو غونسالفيس ماراكوت" "Lopo Goncalves Maracot" و"تومي فيجويرا" "Tomi Vigueira" ، وهؤلاء النفر من أروع الفرسان .

عندما رأى رجالنا الذين شرعوا في النزول ببطء ، نظراً لارتفاع الموج ، أن رفاقهم يقاتلون العدو فوق الشاطئ ، اندفعوا بكل قوة في المياه للانضمام لرفاقهم في العراك . تمكنوا (رجالنا) من إرباك العدو عندما

أسقطوا الكثيرين منهم في أول هجوم بحيث مات بعضهم وجُرح الآخرون . عندها شعر "الفارتكان" بأنهم أصبحوا مطوقين بمجموعة من "المسكتيين" فشرعوا في الانسحاب للقلعة محاولين الدفاع عن أنفسهم من الداخل .

بعدها تقدم "دوم فيرناندو" نحو الشاطئ بجميع قواته ، وبعدما اجتمع مع قباطنته تشاور معهم فيما يجب عمله ، فاتفقوا جميعاً على عدم القيام بأي هجوم على القلعة نظراً لاستحالة إنزال المدافع من السفن لاستخدامها في القصف ، عموماً تم اتخاذ هذا القرار ومن ثم اتجهوا بعيداً للإنزال على مسافة رمي قذيفة حيث البحر هادئ هناك ويمكن للسفن أن تصل إلى البر .

بعدما صعدوا للسفن بشكل آمن شرعوا في الإبحار على طول ساحل الجزيرة العربية ، "كوريا موريا" ، "مادرانكا" ، مصيرة و"بالهيروس" حتى وصلوا إلى رأس الحد ، ومن هناك اتجهوا نحو مسقط .

عندما وصل إليها ذلك الأسطول القوى قام "دوم فيرناندو" بتسليمه للقائد "مانويل دي فاسكونسيلوس" [وهو الذي تحدثنا عنه مراراً إبان حصار "ديو"] وهو صهر "ديوغو دي ماسكويتا" "Diogo de Mesquita" و"بانتيلوا دي سا" "Pantello de Sa" ، أحد كبار النبلاء الأذكياء .

وقد أمره نائب الملك أن يبحر مع هذا الابن بصفته مستشاراً له يتباحث معه في كل أمر إذ يترتب عليه قضاء الشتاء هناك مع الأسطول ، ومن الضروري بالنسبة لـ "دوم فيرناندو" أن يعبر إلى هرمز ، وعندما علم أن "بيرنارديم دي سوسا" لم يتجه إلى هناك بعد ، أرسل خمسة مراكب

من العاملة بالمجاديف كي تنتظره بالقرب من رأس الحد لأجل جمع السفن التجارية .

عندما وصلت تلك السفن إلى الرأس سارع "بيرنارديم" فوراً لاستقبالها ، ولكن بسبب هبوب الرياح عمل على إبدالها بالسفن العاملة بالمجاديف ومن ثم اتجه إلى مسقط حيث وجد هناك "دوم فيرنادو" الذي أحسن استقباله ورحب به .

بعد مرور أيام قليلة وصلت مجموعة سفن "برنارديم" حيث غادر على متنها ومعه "دوم فيرناندو" إلى هرمز ، وهناك استقبلوا بحرارة وأحسنت ضيافتهم ، بعدها قام "دوم أنتاو دي نورونها" بتسليم "بيرنارديم دي سوسا" مقاليد الأمور في القلعة ، وأخذ سفينته متجهاً مباشرة إلى مسقط لقضاء موسم الشتاء هناك .

وفي العام نفسه (١٥٥٤م)

تمّ إرسال ملك الأتراك للقبطان علي شلبي بالسفن الشراعية من البصرة إلى السويس ، حيث غادر البصرة ومن ثم اصطدم بأسطول "دوم فيرناندو دي منسيس" ، الذي استولى على ست من سفنه . كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" : [٣٣]

بشأن قيام ملك الأتراك بإرسال قبطان آخر يدعى علي شلبي كي يأتيه بالسفن الشراعية من البصرة إلى السويس .

كان "بارباروسا" قد هرب من أمام "دوم ديوغو دي نورونها" منسحباً إلى البصرة بالسفن وذلك بعدما اشتبك في معركة ضارية ضد "غونسالو بيريرا ماراماك" .

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

عندما تلقى ملك الأتراك أخبار ما حدث عن طريق البر احتدم غضبه . في ذلك الوقت حدث أن وجد أحد القراصنة باسم علي شلبي "شبولى" وهو مسؤول الخزينة السابق في القاهرة في البلاط ، ويقال إنه من كبار الأثرياء وله حظوة وسط الباشوات .

عندما تلقى ماورد من أخبار عن المدعو "بارباروسا" شرع في التقليل من شأنه والاستخفاف به أمام "الباشوات" قائلاً إن رجلاً يقوم بتسليم قلعة القطيف للبرتغاليين دون أن يجرد سيفه في وجوههم كي يقاتلهم ، ليس جديراً بأن يناط به ذلك العمل .

كان يشير على الباشوات بأنه يجب أن يذهب لإحضار الخمس عشرة سفينة إلى السويس ، حسبما أمر بذلك ملك الأتراك ؛ لأن أولئك الباشوات هم أصحابه فقد تفاوضوا بشأن تجهيز حملة له ، وعليه فقد غادر براً إلى البصرة ، وبعد أن أوكلت له مهمة قيادة الأسطول أولى جل عنايته لتجهيز السفن الشراعية البالغ عددها خمس عشرة سفينة بغية الإبحار فيها في بداية شهر أغسطس .

في مستهل شهر يوليو أرسل "دوم فرناندو دي مينسيس" ثلاثا من السفن كان قباطنتها "جوميز دي سيجويرا" ، "لويس دي أجويار" و"سيباستياو دي ماسيدو" "Sebastiao de Macedo" من عائلة "الكونت فيجويرا" وأمرهم جميعاً بضرورة المرابطة في مدخل مضيق البصرة لأجل مراقبة السفن الشراعية ، ويترتب على أحدهم أن يأتيه بالأخبار على أن يبقى الآخران لمراقبة ورصد حركات السفن حتى تغادر .

أبحر أولئك القباطنة إلى الموقع الذي حُدد لهم حيث قرروا البقاء

هناك ، وقد علموا من بعض السفن التي قبضوا عليها أن علي شلبي قد وصل ، وهو الآن موجود مع السفن يقوم بالإشراف عليها وإعدادها للخروج ، وعليه غادر "جوميز دي سيغويرا" فوراً بهذه الأخبار .

أعد "بارنارديم دي سوسا" ، كابتن القلعة ، خطة حيث قام بإرسال جواسيسه لتقصي أخبار السفن ، وأبحر هؤلاء في إحدى السفن بعدما تنكروا في ملابس صائدي السمك ، واتجهوا لصيد السمك في داخل المضيق ، ومن ثم حملوا صيدهم لبيعه للموجدين مع السفن بحيث تمكنوا من تقصي الأخبار دون أن يشك فيهم أحد .

كان يتم إبلاغ "بيرنارديم دي سوسا" بالأخبار يوما بعد يوم .

بعد مضي عدة أيام من شهر أغسطس برز علي شلبي بعدما خرج بسفنه من المضيق ، وعندما أبصرته سفننا التي كانت تتجول هناك ترقب وترصد تحركاته ، عادت فوراً إلى هرمز لإعطاء الأخبار للسيد "دوم فيرناندو دي منسيس" ، الذي سارع في نفس ذلك اليوم للإبحار على سفنه الخفيفة متجهاً إلى مسقط ، للانضمام إلى أسطوله والشروع في ملاحقتهم .

كان "دوم أنتاو دي نورونها" قد رافقه في واحدة من سفنه التي تحمل أربعين جندياً وبعض النبلاء ، وعندما وصلوا إلى ذلك الميناء لأخذ بعض حاجياتهم انتقلوا للسفن الشراعية ، ثم شرعوا في إطلاق أسطولهم وراء تلك السفن .

إثر مغادرة "دوم فرناندو" عمل "بيرنارديم" على تسليح سفينة أخرى ، وهي السفينة التي تؤول لقيادة "جوميز فارينها" ، وتحمليها بالكثير من

الذخيرة والقوات ، وقد أبحر في سفينة شراعية ضخمة بهدف أنه بمجرد مرور السفن سوف يعمل على المرابطة عند مدخل مضيق البصرة بحيث إنها إذا ما عملت على الهروب أمام أسطول "دوم فيرناندو دي منسيس" سوف يقوم بإغلاق المدخل حتى لا تتمكن من الانسحاب والتراجع أو تتمكن أية سفينة أخرى من الهروب .

وقد أبلغ "دوم فيرناندو" بهذا بواسطة أحد الزوارق ، وقال إن السفن الشراعية إذا ما أفلتت منه إلى داخل المضيق فسوف يقوم بمطاردتها حتى البصرة ، والاستمرار في الانتظار هناك وبالتالي يمكنه أن يقبض على السفن في الوسط وسوف تستسلم جميعاً ." كانت تلك كلمات هذا القبطان العظيم" .

إثر مغادرة "دوم فيرناندو" مدينة مسقط ظهر مجدداً في وسط ساحل الجزيرة العربية يبحث عن السفن وقد أرسل مجموعة من المراكب الصغيرة الخفيفة أمامه للبحث عنها ، وعندما وصلوا إلى رأس مسندم أبصروا مجموعة من السفن بلغ مجموعها خمس عشرة سفينة كانت تبحر في خط مستقيم الواحدة تلو الأخرى ، وبعدها عادوا إلى القائد وأخبروه إن السفن قادمة في طريقها وراءهم .

هنا جهز "دوم فيرناندو" سفنه الشراعية ومن ثم أعطى توجيهاته بشأن الكيفية التي سوف تتبع في مهاجمة السفن ؛ ونظراً لأنه كان في مقدمة الجيش فقد تقابل معها ، ومن ثم أرسل سفنه الخفيفة والمراكب الشراعية أمامه ، لأنها تمتاز بالسرعة لمهاجمتها ، وبعد ذلك حدث تبادل النار بين الطرفين .

عندما رأى علي شلبي سفن أسطولنا أطلق أشرعة سفنه وأبحر متجهاً نحو الشاطئ ، وأثناء ذلك كان يطلق نيران مدفعيته . أما "دوم أنتاو دي نورونها" ، الذي ظل مبحراً بسفينته ، فقد انتقل منها إلى الغليون ومعه مجموعة من النبلاء والجنود واتجه كي يأمر الرقيب بمهاجمة علي شلبي ، لأن نائب الملك كتب له كي يقوم بذلك ، وليس لابنه أي شأن بذلك .

في ذلك الوقت ، كانت الرياح قد نشطت نوعاً ما ، والسفن تتقدم نحو الشاطئ . كانت سفينة "جوميز دا سيلفا" تبحر قريباً من مدى إطلاق مدافعهم ، وبما أن "دوم انتاو" يعلم بالنقص في عدد الرجال ، لأن كثيراً منهم قد بقي في هرمز بسبب العجلة .

فقد خشي من حدوث كارثة ما يمكن أن تصيبهم ؛ لأن سفينتهم في موقع ليس بعيداً من الأسطول ، لذا فقد سأل النبلاء الذين كانوا يرافقونه ما إذا كانوا يفضلون الانتقال للسفينة الشراعية التي تقتضي الضرورة استخدامها في خدمة صاحب الجلالة ، لذا فقد بدأ في التجديف حتى وصل إليها مخاطراً بذلك بالتعرض للهجوم من قبل السفن ، وبعدها عاد إلى سفينة القائد لكي يستقلها .

في هذا الوقت كانت السفن قد اقتربت من الشاطئ ، ومن ثم انسحب إلى "جون ليما" كي يمنع دخول السفن .

عندما انتبه دوم فرناندو إلى قفل المسار أمامه ، استشار بعض من معه فيما يمكن عمله خاصة وقد شرعت السفن في الهروب للشاطئ ، كان البعض قد رأى شيئاً ورأى البعض الآخر شيئاً آخر ، لكن كان

بينهم رجل مسن ذو تجربة عريقة في مجال الملاحة وقد أشار عليهم الرجل قائلاً :

بما أن هذه الرياح غربية وجنوبية غربية فليست للسفن أية فرصة للإبحار في ذلك الاتجاه أو في الوصول إلى مسقط ، لأنه في العام الماضي عندما كان مبحراً في سفينة كابتن هرمز متجها للبنغال في نفس موسم "المونسون" كان قد اتبع ذلك المسار وحظي برياح مناسبة على الجانب الآخر من الساحل ، تمكّن بمساعدتها من الإبحار بكل سهولة ويسر حتى عبر من رأس "جاسك" ووصل إلى مسقط .

كان الجميع قد استحسن هذه الفكرة ، ومن ثم عادوا للجانب الآخر ، ثم اتجهوا إلى مسقط ، بينما ترك قائد الكتيبة معظم السفن الخفيفة كي تتولى مهمة مراقبة السفن .

عند وصول الأسطول إلى ذلك الميناء ألقيت المراسي في الخليج ، ومن ثم أعطى القائد أوامره بالتزود بالمياه والوقود ، بينما أرسل بعض الرجال في السفن الخفيفة بغية التجسس على السفن الشراعية .

خلال وقت وجود الأسطول هناك وقعت حادثتان غريبتان :

الأولى عندما كان الأسطول راسياً في الخليج ، ففي أحد الأيام شُوهد وحش بحري أكثر ضخامة من حوت البحر ذو مظهر غريب غير مألوف لم يُشاهد قط من قَبل ، شوهد هذا الحيوان وهو يدخل الخليج ، وعندما اقترب من سفينة "دوم فيرناندو دي منسيس" صار يدور حولها ببطء شديد .

عندما علمت مجموعة من العرب بهذا الخبر ، تجمعت فئة من صائدي السمك في سفينة كبيرة وأخذوا معهم بعض الحبال التي تشد بها السفن ثم عملوا أنشوطة ووضعوا الطُعم بداخلها ، وهنا اتّجه الوحش نحوها على عجل .

بالتالي تم القبض عليه بواسطة الأنشوطة ، وأصبح أسيراً بداخلها .

بعد أن رأى المسلمون ذلك شرعوا في إرخاء الحبال لإعطائه مساحة حتى لا يغوص في الماء ؛ لكن بدأ الوحش يجذبهم نحو خارج الحاجز ، واستمر في الضرب حوله بقوة خارقة ، وظل على هذا الحال وقتاً كبيراً وهو يجذب السفينة ، وعندما استنزفت طاقته شرع العرب في التجديف ، حيث جذبوه وراءهم حتى وصلوا به إلى "جون المكلأ" ، وهناك ألقوا بالحبال على الشاطئ في مكان آمن .

تجمع الكثير من الناس لسحب الوحش نحو طرف مائي ، حيث قاموا بتقطيعه لأنهم عجزوا عن حمله للشاطئ .

أما الحادثة الثانية التي شوهدت ، فهي أنه في ليلة قبل عملية القتال مع السفن حدث أن شوهد أحد النجوم الشاردة كان يشع توهجاً في السماء ، وقد استمر ذلك لوقت طويل ومن ثم اختفى كل شيء في المنطقة التي استولى فيها رجالنا مؤخراً على السفن .

عليه فبعد رسو الأسطول وصلت المراكب التي ذهبت للتجسس عليهم ، حيث قدمت تقريراً للقائد مفاده أن السفن موجودة في وسط جزر صحار على بعد اثني عشر ميلاً من مسقط ، وبموجب هذه الأخبار صعد على متن السفينة ، وأعطى أوامره كي يتم تزيين الأسطول

بالأعلام ، وبعدها أبحر يلاحق السفن الشراعية ، وفي الخامس والعشرين من شهر أغسطس وهو يوم عيد "لويس" كاهن الاعتراف تمت مشاهدتها في التاسعة صباحاً .

عندما شاهد علي شلبي السفن الشراعية حسب أنها كانت سفناً تجارية ، لأنه كان قد ترك الأسطول في جو رديء ، وكانت قد مضت فترة خمسة عشر يوماً على آخر مرة شاهد فيها السفن ، لذا فقد افترض أنها لابد أن تكون قد عادت إلى هرمز .

كانت جميع السفن الشراعية قد ظهرت على طول الساحل مبحرة في خط طويل بمساعدة الرياح وسط تلك الجزر على مسافة فرسخين من مسقط ، وبعدها عبرت إلى أروع وأنظف شاطئ يوجد في الساحل العربي .

كان القائد العسكري قد تمكن بأسطوله من تطويق السفن ، بحيث إنه لم يدع لها أي مجال للإفلات منه ، وظل يلاحقها بسفنه العاملة بالمجاديف في المقدمة والمراكب الشراعية خلفها . انتشرت تلك السفن في البحر وكانت جميعها مزخرفة بالأعلام ، بحيث بدأ الشكل خلاباً ملفتاً للنظر .

عندما أدرك علي شلبي بأنه قد أصبح محبوساً نحو الساحل وأجبر على البقاء قريباً من الشاطئ مطوقاً بمقدمات سفننا ، ولم يعد في مقدوره التراجع للوراء ، قرر استعمال المجاديف والعمل بجهد لبلوغ الرأس ، وذلك كي يتسنّى لهم الهروب من هناك إلى عرض البحر .

تقدم "فرناندو دي منسيس" كثيراً بسفينته حتى وصل إلى منطقة يبلغ فيها عمق المياه ثماني قامات ، وبعدها أمر بإلقاء المرساة بينما استمرت السفن في الاقتراب من الشاطئ في اتجاه السفن الشراعية .

تمكن علي شلبي الذي كان يبحر في تسعة من أخف المراكب من الوصول إلى الرأس قبل وصول سفننا ، غير أن الستة التي كانت في الوراء لم تتمكن من الدوران ، لأن المراكب كانت صغيرة وخفيفة ، وبالتالي صعب عليها الإبحار قرب الشاطئ .

عندما رأى "دون أنتالو دي كاستيلو برانكو" أخ "دوم جيرونيمو" الذي كان يبحر برفقة "فيرناندو دي منسيس" أن أخاه يقوم بتجاوزهم جميعاً صعد على العمود القائم في مقدمة المركب وصاح يناديه ... يا أخي أوقف ذلك المركب لي وهذا ما فعله "جيرونيمو" في وقته حيث وجه مقدمة المركب نحو الجهة التي تهب منها الرياح حتى وصل إلى الشاطئ قبل وصول السفن الشراعية .

قد شاءت إرادة الرب أن تصيب قذيفة مدفعية انطلقت من سفينة القائد إحدى السفن التي تسير في المقدمة فانحرفت السفينة جانباً ، لكن في مسار بقية السفن الأخرى ، الأمر الذي جعلها تصطدم بها ، وفي نفس الوقت وصل "دوم جيرونيمو دي كاستيلو برانكو" مخترقاً السفن وأصبح يناور بسفينته بين اثنتين منها ، حيث وجه نيران مدفعه إلى أحداها فأصابها بحريق هائل ومن ثم أبحر قدماً كي يدمر الأخرى .

تقدم "دوم جيرونيمو" بجانب إحدى السفن من ثم اشتبك معها حتى تمكن خمسة عشر أو عشرين من رجاله من الصعود على متنها ، للفتك بعدد كبير من الأتراك الذين تساقطوا صرعى ما بين قتيل وجريح .

وصلت بقية المراكب كي تعمل كل واحدة منها على الاشتباك مع إحدى السفن الشراعية ، بينما عمل "أنطونيو دي فالارديز"

"Antonio de Valardes" و"فـــيرنـــانـــــدو دي مــــونــــروي" "D . Fernando de Monroe" على شن هجوم على السفن ، ودارت معركة بحرية شرسة استخدمت فيها السيوف والدروع ضد الأتراك ، أسفرت عن قتل عدد كبير منهم . أما البقية من الرجال فقد اضطروا لإلقاء أنفسهم في مياه البحر .

بعد الاستيلاء على إحدى السفن التي اشتبك معها "دوم جيرونيمو" تمكن "دوم مانويل ماسكارينهاس" من ضرب سفينة أخرى بجؤجؤ سفينته حتى استسلمت له .

بعدما تمكن "دوم جيرونيمو دي كاستيلو" من الاستيلاء على سفينتين أُلقي إليه بحبل في البحر تمكن بموجبه من تحرير نفسه من القرارة الرملية ومن ثم أخذ المركبين معه ، وبعدها أعلن على الجنود أن "دوم مانويل ماسكارينهاس" قد استولى على واحدة منهما ودمرها وهو أمر أنكره "دوم مانويل" .

بعدما استسلمت مجموعة الست سفن تم قتل جميع الجنود الذين كانوا على متنها أو رموا بأنفسهم في البحر ولم ينج من القتل أحد . أما علي شلبي الذي تمكن من بلوغ الرأس بالسفن التسع فقد وجد لنفسه مكاناً في البحر يمكنه من مراقبة القتال من أسطوله ، وعندما انتهت عملية الاستيلاء على السفن نشر أشرعة سفنه في اتجاه الساحل الآخر متجهاً صوب "كامباى" ، لأنه لا سبيل للذهاب للقسطنطينية ، لأن الأتراك لا شك سوف يطيحون برأسه .

عندما شاهد رجالنا المراكب وهي تغادر رفعوا الأشرعة وبدأوا في مطاردتها حتى ساحل الهند .

بهذا النصر قفل دوم فرناندو عائداً إلى مسقط كي يهتم بمعالجة الجرحى هناك ، ولأجل نقل القباطنة إلى السفن ، أمر بتجهيز وإعداد ستة من السفن وتذويدها بكل الاحتياجات ، وفوق ذلك عمل على افتداء سفينة الخدم من أيدي الجنود ، وطلب من الكهنة أن يباركوا تلك السفن بحيث أعطى كل منها اسماً لتمييزها ، وقام بتوزيع قبطانياتها بين النبلاء وقادة السفن .

قد أعطـى قبطانيــة السفينة "سانتا إيلينا""Santa Elena" للكابتن "سيباستيـاو دي ماسيدو" ، وأعطى قبطانية السفينة "سانتا لوسيا" "Santa Lucia" للكابتن "مانويل دي سيجويرا" "Manuel de Segueira" ، و"كونسيساو" "Consisao" إلى "بالتازار مونتيرو" "Andre Montero" .

والسفينة "فيتوريا" إلى الكابتن "جوميز دي سيجويرا" والسفينة "سانتياغو" للكابتن "جورج بيريرا" "Jorje Perriera" و"سان ميجيل" "Sant Miguel" للكابتن "غونسالو جويدس" "Goncalo Guedes" ، وفوق جميع تلك السفن عملوا على نقل سبعة وأربعين قطعة مدفعية وتمكنوا من الاستيلاء على مدافع ذات قذائف زنة أربعين رطلاً . هذا إلى جانب بعض الجمال والنسور .

بينما كان "دوم فيرناندو دي مينسيس" يقوم بتجهيز الأسطول أرسل سفينة خفيفة تحمل أخبار انتصاره إلى أبيه ، بينما استمرّ في إعادة بناء الأسطول .

كانت مراكبنا التي تبحر وراء السفن الشراعية قد طاردتهم حتى ساحل الهند ، فلجأت سبعة منها للاحتماء في "سورات" ، لكن تمكنت سفن "دوم جيرونيمو دي كاستيلو برانكو" وسفن "بنتو دي كاسترو" "Bento de Castro" و"دوم مانويل ماسكارينهاس" من الالتفاف حولها ، ومن ثم قررت البقاء في الحاجز .

كان "دوم فيرناندو دي مونروي‌ي و"أنطونيو دي فالارديز" قد عملا على مطاردة السفينتين وشنا عليهما هجوماً حتى اضطرتا للرسوّ ، حيث رست الأولى في "دامان" والأخرى في "دانو" ، حيث تم تدميرها كلياً .

بعد ذلك اتجها إلى "الباسين" ، وعندما اكتشف "فرانسيسكو دي سا دي منسيس" "Francisco de Ca de Meneses" قائد تلك القلعة هذه الأحداث ، وتبين له لجوء السفن الأخرى في "سورات" قام بتكوين مجموعة من السفن بلغت عشراً فأبحر فيها عاقداً العزم على المرابطة بنفسه عند الحاجز مع السفن .

عندما تلقى كابتن "شول" ، "جورجي دي ميندوسا" "Jorje de Mendonca" هذه الأخبار شرع فوراً في تسليح عشر أو اثنتي عشرة سفينة أبحر ، بها بنية الانضمام إلى "فرانسيسكو دي سا" .

كان ذلك في العشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٥٤م ، وفي يوم الثالث والعشرين من الشهر نفسه كان "بيدرو ماسكارينهاس" "Pedro Mascarinhas" الذي قدم بصفته نائب الملك في الهند قد ظهر عند حاجز "غوا" ، ولكن نظراً لأن أحداث أخرى زامنت ذلك

فسوف نحتفظ بذلك لاستعراضه في الوثيقة السابعة التي سوف تلي هذه الوثيقة .

بحول الله سوف نقدمها لاحقاً ، ولكن بداية سنختتم الوثيقة السادسة ، فالحمد والمنة للرب الحي الخالد والباقي للأبد ...... آمين .

أحداث عام ١٥٥٥م

بعث "دوم لويس" ابـن الملك رسالـة إلـى نائب ملك الهند "دوم بيدرو دي ماسكارينهاس" ، "لشبونه" ، في الثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٥٥م ، يذكر فيها أن السلام يعم البصرة ، ولا وجود لأساطيل تركية لتهاجم الهند : [٣٤]

الجزء الثاني من إخباري هو أن كل ما سمع من الطريق الذي سلكته السفينة "ليفانت" إن السلام يعم البصرة وأنه لا في السويس ولا في أي مكان آخر في تلك الأنحاء ، وجود أسطول تم بناؤه ليذهب ضد الهند ، كان هذا هو سبب عدم إرسال سموه الرجال إلى الهند ، لأنه بدا من الأفضل له أن يبعث بتمويل مالي بدلاً عن الكثير من الرجال .

أصحاب السمو الأمراء والأميرات في حالة صحية جيدة ، حمداً لله ، كما أنا أيضاً في صحة جيدة بالرغم من شعوري ببعض المرض قبل مدة .

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

أود كثيراً معرفة وصولك لتلك الأنحاء وكل أمل في الله أن يكون ذلك في خدمته بحسبان الحماسة والغيرة التي أبديتها في ذلك المشروع ، لابد أن يكون هذا حلا عظيماً للصعوبات التي لابد وأن تواجهك والتي آمل أن تقدم لك الشرف العظيم في هذا العالم والمجد في الآخرة .

يقول ابن الملك "دوم لويس" أن "دوم بيدرو ماسكارينهاس" معروف ببذخه الشديد في حياته قبل مغادرة البرتغال ، لكن إن كان ذلك حقيقياً فهو أمر مفهوم ، ويمكن سماحه فيه ، إن "دوم لويس" يقدم ملاحظة ودية فقط ، ولا داعي لإعطاء أي أهمية لها .

على سموه أن يبعث للهند هذه السنة اثني عشر كاهناً من جمعية يسوع ، وتكون مهمتهم تفعيل دور التحول إلى المسيحية ، "دوم بيدرو" سيسعد كثيراً لهذا الأمر بدلاً عن إرسال عدد كبير من الجنود .

هو يوصي "دوم بيدرو" بالمحافظة على ترتيباته الدينية ، وما يتعلق بها .

"دونا هيلينا" "Dona Helena" زوجة "دوم بيدرو" في صحة جيدة .

وفي العام نفسه (١٥٥٥م)

بعـث الأب "ملشـيور كـارنيرو" "Melchior Carneiro" فـي "جمعيـة اليسـوع" رسالة إلـى الأب "ديوغو ميرون" "أسقف الأبرشية" في "البرتغال" ، "موزمبيق" ، الثامن من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٥م ، يذكر فيها أن للأتراك أسطولاً قوياً يرابط عند باب المندب : (٣٥)

بخصوص ممثل الأب "فرانسيسكو بورجا" "Francisco Borga" في جمعية اليسوع .

مقتطفات :

٦- لو كانت الطاعة المقدسة أمراً يمكن إصداره فإنني سوف أسخر لهذا الأمر كل الوقت المفترض أن نقضيه في الهند قبل أن تتاح لنا فرصة الإبحار للاجتماع مع "بريستر جون" .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

لأجل القيام بهذه الرحلة فإننا في حاجة إلى استخدام أسطول كبير ، وعموماً فإن هذه الفكرة تجد التأييد من جميع الموجودين هنا ممن ينظرون إلى الأمور بكل حصافة وترو ، إذ يرون أنه سوف يستحيل علينا أن نجهز ونعد أمورنا بشكل عاجل وسريع لأن البلاد التي سوف ننزل فيها تؤول إلى الأتراك الذين يفرضون عليها رقابة(أ) صارمة محكمة .

لكي يتسنى لنا دخول تلك البلاد فإننا في حاجة للمزيد من الجنود بالإضافة إلى أسطول قوى يضم سفناً عديدة ، لأن للأتراك أسطول قوي يرابط في المضيق(ب) . لكنني أعول كثيراً على رحمة الرب في مساعدة أولئك الناس حتى يصبح كل مستعصى أمامهم أمراً سهلاً .

يبدو لي أنه بالفعل قد شرع في تسهيل الأمور وتهيئتها في ضوء الانتصار العظيم الذي حققه "البرتغاليون" مؤخراً على الأتراك في الهند ، إذ تمكنوا من إجبارهم على الفرار والاستيلاء على العديد من سفنهم وإشعال النيران في سفن أخرى كثيرة تماماً كما ورد في كتابات(ت) الآخرين ، وهكذا ساد النظام والهدوء في بحر الهند وأصبح أكثر أمناً .

٧- لقد تلقينا أخباراً عظيمة من نائب الملك "دون بدرو" (ث) وهو شخص محبوب جداً ، ولقد أخبرونا أنه قد جهز العديد من السفن

(أ) "فيقار" بالبرتغالية و"فيقلار" بالاسبانية .

(ب) في المضيق بالقرب من عدن ويسمى باب المندب ويعرف هنا بإسم مضيق مكة .

(ت) انظر الوثيقة ٥٣ ، ١٠ .

(ث) د . بدرو ماسكارينهاس الذي اتجه إلى غوا في ٢٣ يونيو ١٥٥٥م .

مكوناً أسطولا ضخماً ، بالرغم من أنه لا يوجد الآن من يعرف إلى أية وجهة سوف يبحر ، فالبعض يقول إنه سيتجه إلى عدن كي يحتلها ، وهي مدينة كبيرة ومنيعة تقع في مدخل مضيق مكة .

وسوف يكون من دواعي سرور المتجهين إلى عدن أن يذهبوا في نفس الأسطول من غير نفقات ، ولولا أننا أُرسلنا كي نبقى هناك في الهند لكان الأمر قد بدا لي وكأننا أُرسلنا لخدمة الرب حيث ترتب أن يذهب اثنان منا مع "دون بدرو" .

عندما وصلنا إلى ميناء جدة(أ) كان بوسعنا أن نسلك طريق البر إلى أن نصل إلى بلاط "بريستر جون" إذ من الممكن بعون الرب أن نتدبر على الأقل أمر الطريق لكن في ظل آثامي أخشى أن أكون سبباً في المعوقات أكثر من تسببي في المساعدة .

إنني لن أتحدث عن هذا الأمر ، وسأظل مستعداً لتنفيذ الأوامر ، إذ ربما كان القدر يدفعني لفعل ذلك من خلال الإمكانات المتوفرة هنا لأنه إذا ما اتجه السيد دون بدرو إلى عدن فلا شك أنه سوف يبحث عن بعض الكهنة ، وفي الهند لا يوجد أي فرد منهم يقدم نفسه باستثناء البعض من كهنتنا الذين جاءوا من البرتغال(ب) .

نسأل الرب تعالى أن يمن علينا ببركته وعونه ويحقق لنا السمو والرفعة .

(أ) يقع ذلك الميناء الذي يعرف باسم جده في البحر الأحمر ، ومنه يمكن للمرء أن يتوجه إلى مدينة مكة .

(ب) لقد ذكر أن هنالك أعداداً قليلة في الهند بسبب ذهاب اعداد كبيرة إلى الشرق في عام ١٥٥٥م .

وفي العام نفسه (١٥٥٥م)

بعث الأب الكاهن "أنطونيو دي هيريديا" في جمعية اليسوع رسالة إلى الكاهن "اغناسيو دي لويولا" ، الرئيس العام لجمعية اليسوع في "روما" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٥م ، يذكر أن ملك هرمز على وشك التنصر ، وأن زوجاته أصبحن مسيحيات : [٣٦]

الأب المحترم في المسيح .

ندعو الرب والمسيح عيسى أن يمن عليك بالنعمة والعون ... آمين .

١- لا شك إنك تلقيت أخباراً من "كوتشين" تفيد عن طبيعة الأوضاع في تلك المدينة وثمار الجهود التي بذلت من خلال الأنشطة الدينية خلال فترة العام ونصف العام التي قضيتها هناك في مجالات التبشير والاعترافات وغيرها من الأعمال الأخرى[أ] .

(أ) أُرخت هذه الرسالة في العشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٢م- انظر مكتبة الهند مجلد ٢- ٥٤٧-٤٩ .

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

قد أرسلت لك أخباراً مماثلة من هرمز في العام الماضي ١٥٥٤م[أ] وربما يكون هذا بمثابة الوفاء للالتزام الذي وضع على عاتقنا ممثلاً في الكتابة إليك حتى يكون حضرتكم على علم بأننا مستمرين في التبشير بواقع مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع ، وبمرور الزمن وبإذن الرب سوف يزداد عدد المهتدين وسوف تكون النتائج مرضية ، وبنفس الطريقة سيستمر العمل في الاعتراف وسوف تحصل غالبية الناس على السر المقدس في جميع الأعياد طوال السنة .

٢- حتى هذه اللحظة تبين لنا أن أربعاً أو خمساً من زوجات ملك هرمز واللاتي يقمن في هذه المدينة قد أصبحن مسيحيات ، وهو أيضاً على وشك الاهتداء ، وتجدر الإشارة إلى أن الرب قد أراد له أن يكون متحرراً من كل قيد وربما كان هذا سبباً في تسريع تنصيره وهدايته للدين المسيحي[ب] .

هناك أيضاً أشياء بارزة تحدث بشكل يومي وفي كل شهر سيما في ظل تغير الأحوال في هذه الحياة وعدم بقائها على حالها في وجود عوامل التغيير[ت] ، وحقيقة لا أريد أن أكتب عن هذه ، فالأمر متروك للرب وحده وهو المتصرف في جميع الأمور وله الأمر من قبل ومن بعد إلى يوم الحساب[ث] .

(أ) انظر أعلاه رسالة العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٠م .

(ب) يتحدث عن الملك "توران شاه الثاني" ، مسلم ، كان "بارزيو" يأمل في أن يكون أكثر تعلقاً بالديانة المسيحية ، ولكن كان ذلك ضرباً من العبث بالنسبة إلى هيريديا .

(ت) انظر القول المأثور . سوف نتغير بتغيير الزمن .

(ث) يروى بولانكو الكثير من الأمور ذات الصلة ببول الهرمزى الذي ساعد الأب هيريديا في عام ١٥٥٥م ، وذلك عندما كان الأب الكاهن أنطونيو يخطب في اجتماع باللغة "البرتغالية" ضد

هرمز في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر من عام ١٥٥٥م
إننا ننذر أنفسنا للتضحية في سبيل خدمة حضرتكم ودمتم
ابنكم المطيع ، "أنطونيو دي هيريديا" .

أخطاء المسلمين ويقوم بول بترجمة خطابه باللغة الفارسية ضد المسلمين الذين زاد عددهم على ألفين كانوا حضوراً في ذلك الاجتماع ، بالاضافة إلى بعض "البرتغاليين" . هذا ولقد عمل قائد قلعة هرمز على منعهم من الخوض في ذلك الأمر حتى لا يتفاقم الأمر ويؤدي إلى نشوب الحرب ، غير أن بول نفسه فضل أن ينسب ذلك إلى بعض الهدايا التى يتهم ويشك أنها قد أغدقت على الصفوة منهم .

أحداث عام ١٥٥٦م

وقعت عاصفة لـ"دون ألفارو دي سلفيرا" في رحلته ، في شط العرب ، والخلافات التي برزت بينه وبين "بيرنالديم دي سوزا" قائد قلعة هرمز ، جاء ذلك في كتاب : "عقود آسيا "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو "Diogo do Couto" : (٣٧)

من بين جميع أحداث هذا الصيف ، يبقى لنا فقط أن نستمر مع "دون ألفارو دي سلفيرا" ، الذي تركناه مبحراً إلى هرمز في الفصل الأول من هذا الكتاب الثالث - وهنا سوف نصف رحلته تلك ، لقد واصل إبحاره حتى لاح له الساحل العربي فتوجه حتى (رأس الحد) ثم تزود بمياه الشرب من (طيوي) ثم أبحر بمحاذاة هرمز حتى رسا قبالة القلعة .

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

حيث زاره مندوب عن قائدها "بيرنالدين دي سوزا" صديقه القديم طالباً منه أن يحل ضيفاً على قائد القلعة "دي سوزا" . على أن "دي سلفيرا" كان ما يزال يذكر ذلك التنافس الذي قام بينهما بسبب مساندة "دي سلفيرا" لصديق ثالث لهما على نقيض موقف "دي سوزا" في (غوا) ضد الحاكم نائب الملك . رفض "دي سلفيرا" أن ينزل إلى القلعة على أن يفعل ذلك في اليوم الثاني ، وذلك ما فعله مستقلاً مركب باتيل في معية بعض معاونيه .

كان "دي سوزا" ينتظر على الشاطئ بحرارة ، ولكن كانت مشاعر وأفكار "دون ألفارو" مختلفة ؛ لذلك ما أن رآه على الشاطئ حتى سارع وانحرف على طول الساحل بزورقه إلى مقر مركز الجمارك ونزل قبالة دير "ساو دومنجو" ، والذي هو منزل فقير تحول الآن إلى مشفى للآباء الذين لم يعودوا قاطنين في هذه الأرض ، وترك "دي سوزا" ينتظر سدى وليفكر بتلك المواقف القديمة!

فهم "بيرنالديم دي سوزا" قصد صديقه القديم ولكنه تظاهر بأنه لم يفهم فتحرك مع الجميع إلى حيث الدير ، وتوجه إلى "دي سلفيرا" فوجده بارداً ومختلفاً عن صديقه القديم ، ورغم ذلك دعاه إلى العشاء فلبى الدعوة ، وفي الطريق إلى القلعة وقبالة الوكالة التجارية أعتذر "دي سلفيرا" بوجود ارتباط مع الوكيل التجاري لابد من إنجازه على أن يلحق به للعشاء ...

ترك "دي سوزا" صديقه وهو على يقين أنه لن يتعشى معه ، بقي "دون ألفارو" مع الوكيل التجاري يبحث في شؤون سفنه وتموينها آمراً

بتحضير المزيد من السفن بحسب الأوراق الرسمية التي يحملها وذلك حتى يتمكن من الرحيل عاجلاً إلى البصرة .

بعد انقضاء أعماله عاد "دي سلفيرا" إلى سفينته وأرسل رسولاً إلى "دي سوزا" بعدم انتظاره على العشاء وذلك بسبب ظرف طارئ أعاده إلى السفينة ، مازال "بيرنالديم دي سوزا" يظهر أنه لم يفهم مجريات الأمور وتحولات صديقه ، فلقد زج به في مسألة صديقه الذي كان يجب أن يترقى إلى الحكم ولم تتم الترقية مما أغضب "دي سلفيرا" على "دي سوزا" .

تعجل "دون ألفارو دي سلفيرا" تهيئة أسطوله ، وكان كل يوم ينزل إلى الشاطئ ولا يذهب إلى القلعة حيث "دي سوزا" .

جهّز "دي سلفيرا" ستة زوارق ومراكب بأشرعة ووفر الجند والقادة (هنريك سواريز ، فرانسيسكو جورج ، جاسبر دي امارال ، أنطونيو نونيز وأنطونيو غونسالفيس ..) ، وأبحر إلى البصرة في يونيو ، وقبل أن يصلوا إلى (ريشهر) - في بلاد فارس وتقع على مصب نهر الفرات - وجدوا طراداً سمح له "بيرنالدين دي سوزا" بسلامة العبور ، فقام "دي سكويرا" بالاستيلاء على كل شئ ، واعتقل التجار من الطراد وثرواتهم وتجارتهم دون اهتمام بما قرره سابقاً قائد قلعة هرمز ، ولم تفلح تضرعات التجار وتوسلاتهم لتركهم وشأنهم .

أثناء انتظار "دي سلفيرا" ، خارج نهر الفرات ، إشارة ملك البصرة وأعوانه العرب في الجزائر ، هبت عاصفة وضربت سفنهم على الفرات

مما أضطرهم لنشر الأشرعة والإبحار إلى هرمز مشتتين وسفنهم محطمة ، فوصلوا تباعاً إلى هرمز ولكن في أحوال مزرية وسيئة .

وجاءت سفينة "دون ألفارو دي سلفيرا" الذي ما كان يرغب في دخول الميناء لولا حالة سفينته ، فلقد سمع بغضب "دي سوزا" لموقفه من طراد التجار الذي سمح له بالعبور الآمن في المضيق . كان "دون بيرنالدين دي سوزا" يحس بأنه عومل معاملة غير كريمة من "دي سلفيرا" .

البعض قال بأن "دي سوزا" كان يود مقابلة "دي سلفيرا" ، بل وحاول ذلك في الموقع السابق الذي لقيه فيه (موقع الدير) ، على أن "دون سلفيرا" قرر عدم نزول هرمز واكتفى بالتزود بالمؤن وإصلاح سفينته وأبحر إلى مسقط حيث أقام حتى سفره إلى (غوا) إذ انتظر هناك وصول قطع أسطوله البحري من هرمز لمرافقته .

بقي "بيرنالدين دي سوزا" على حنقه على صديقه السابق "دي سكويرا" مما أقعده في الفراش فلزمه لفترة طالت حتى وفاته – وسوف نسرد ذلك لاحقاً .

أحداث عام ١٥٥٧م

بعث سكان "ديو" رسالة إلـى الأب "جونسالو دا سيلفيرا" "Goncalo da Silviera" في العام ١٥٥٧م ، "ديو" ، في يوم العشرين - الحـادي والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٧م ، ويذكرون أن هناك صراعاً بين الأتراك والحبشة عند باب المندب : [٣٨]

مقتطف

بعد أن انتهينا من هذه الرسالة بالأمس ، العشرين من شهر أغسطس ، وصلت اليوم السبت الحادي والعشرين من شهر أغسطس السفينة الأولى إلى هذا الميناء قادمة من مضيق مكة[أ] ،

(أ) العام الوحيد فقط الذي لم يرسل فيه "البرتغاليون" أي سفن من الهند إلى البحر الأحمر ، والذي استناد منه الأتراك .

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

والشكر لربنا ، فقد أحضرت خبراً حسناً جداً ، بأن الأتراك[أ] لم يغادروا .

ولكنه يوجد قتال شديد بين الأتراك والحبشة الذي مات فيه رجال كثيرون في كل الجانبين ، ولكن "بريستر جون" بمساعدة الإله قد فاز بانتصارات أكثر في الحرب[ب] ، وقد تم معرفة هذا من السفينة الأولى ، التي علمنا منها أيضاً أنه يوجد عدد كثير من الانتصارات يأتي بعدها .

(أ) الذي يعني الأتراك .

(ب) في انتصارات إمبراطور إثيوبيا "كلوديس" ، على "أُزدمير" التركي في عام ١٥٥٧م .

أحداث عام ١٥٥٨م

وردت نسخة من رسالة من الأب "باولو دي سانتا في" "Paolo de Santa Fe" ، إلى رئيس أساقفة جمعية "يسوع المسيح" في "البرتغال" ، "غوا" ، في يوم العشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٨م ، وفيها أن زوجات ملك هرمز رفضن أن يصبحن مسيحيات : (٣٩)

يسوع المسيح ، لتؤيد وتساند قداستكم دائماً رحمة ومحبة الروح القدس .

آمين .

١- يوجد لديكم سبب قوي لكي تعتبرونني غير عابئ وناكر للجميل في الكتابة بشكل نادر جداً ؛ لأنني تلك سبب قوى لكي أفعل هذا في مرات عديدة ، لأنني ابن الجمعية ، تربيت فيها على المعتقدات الدينية

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

والقدوة المقدسة للرهبان وللإخوة في الجمعية ، وأيضاً لأن الجمعية هي بداية وجودي الحسن ووسيلة إنقاذي الروحي(أ) .

ولكن أعرف لحضرتكم بأنه على الرغم من أنها علامة سيئة جداً ، ولم أكتب في الغالب كثيراً نتيجة لها ، فإنني لا أنسى الالتزام والدين الذي أدين به لكم ، وبينما ربما لأظهر مُمتناً وشاكراً كما ينبغي أن أكون ، فإنني في نفسي لن أتوقف في تقديم شكري وصلواتي للمسيح على جميع المنافع والنعم والرحمات التي قد فعلتموها وتفعلونها بها من خلال الجمعية .

زيادة على ذلك ، فإن الآباء الموجودين في هذه المناطق يستطيعون أن يشهدوا بالمرات العديدة عندما أزورهم وأتحدث معهم ، وكذلك الطاعة والمحبة اللتان حتى ولم لم تكونان كبيرتين بالقدر الذي يجب أن يكونا ، هما كثيرتان بقدر ما يستطيع أن يقوم أن يقوم به إنسان ، وقد كنت أحياناً غائباً عن هذه الأرض ولم أستطيع أن أكتب منذ أن أتيت من البرتغال(ب) ، وذلك يعني ، أنني ذهبت إلى هرمز بناءاً على أوامر نائب الملك "الدون يبدو ماسكرينهاس" برفقة "بالتاسار جونكلينس"(ت) .

ابن أخ لدى "جاسبار جونكلينس" ، مبعوث جلالتكم ، لكي

(أ) انظر خطاباته المرسلة من كويمبرا في يوم الرابع عشر من شهر يناير والثالث عشر من شهر فبراير إلى "بادر إجناتيس" ، الوثائق الهندية ، المجلد ٣ ، الصفحات ٦٢٢-٦٢٥ .

(ب) رجع عائداً من "البرتغال" إلى الهند في ١٥٥٤م ، (الوثائق الهندية ، مجلد ٣ ، الصفحات ١٧ ، ٢١١) .

(ت) يمكن للمرء أن يتخيل أنه بدأ الإقلاع بحراً من "غوا" إلى هرمز تقريباً في شهر مارس أو إبريل ١٥٥٥م .

أحصل على عقاقير ، وهذا هو المكان الذي عانيت فيه القسوة ، كما يعرف مولانا ، والأب "أنطونيو دي إيريدا" ، الذي كان يعيش في ذلك الوقت في هرمز ، شاهدا على ذلك ، ولكنني رحبت بها عندما كانت معدة بشكل حسن للاستخدام ، لأنها أسفرت عن الربح وخدمة الله ، وكشيء جديد ، ومن أجل هداية أهالي تلك الأرض .

بعد وصولي إلى هرمز بعدد قليل من الأيام ، جعلني الأب "أنطونيو دي إيريدا" مترجماً لبعض من الأحاديث التي قدمها لأكثر من ألفين من المغاربة ، التي أديتاها في قاعدة الأعمدة وفي سوق المدينة ، وكان من النافع جداً مرور عدد قليل من الأيام مؤخراً أن يرى الأب "أنطونيو دي إيريدا" الثمرة التي أنتجها الإله ربنا من خلال رجل فقير مثلي ، غادرت ثلاث زوجات لدى ملك هرمز بيته سراً ، جميعهم من المغاربة .

وتوجد واحدة منهن لديه منها ابنة واحدة ، وكن يتسلقن من النوافذ باستخدام الحبال لكي يصبحن مسيحيات بعد سماعهن كلمات الإله ، وأتين لكي يسمعنني في المكان الذي كنت أتحدث فيه ، إنني لن أكتب عن الحماس والبهجة التي حدثت عندما هؤلاء النسوة أصبحن مسيحيات ، لأن "بادر" سوف يتحدث عن هذا بإسهاب .

سوف يخبركم عن المشكلات التي كانت توجد لدينا مع ملك هرمز بشأن هؤلاء النسوة وكيف وصلت المسألة إلى نقطة أردن فيها أن يرجعن إلى الملك دون أن يصبحن مسيحيات ، ولكن مولانا ، باعتباره الشخص الأكثر اهتماماً لبعض الشأن .

أصر بأنه يجب أن تفعل جميع الوسائل لمجده العظيم ولتعزية كل

منا ، في كل يوم أثناء وجودي في هرمز ، الذي يجب أن يكون سبعة أو ثمانية أشهر[أ] ، ذهبت مع الأب "أنطونيو دي إيريدا" لكي أسمع الجمهور ، وأحصل على مشورته لكي أقوم بتنفيذ العمل الذي تم تكليفي به بحكمة كثيرة وذكاء ، وكذلك بالمثل شعور بالارتياح من أية أشياء مقلقة .

٢- رحَّب بي أهالي هرمز بصورة حسنة وأظهر جميعهم سرورا برؤيتي ، ولم يتوقف الناس عن الدهشة والاستغراب من رؤيتي في ملابس كهذه ، عن تلك التي قد شاهدوني فيها في الوقت السابق الذي كنت فيه هنا ، إنني أعترف لحضرتكم بأنني أشعر بالأسف والحزن في مرات عديدة من رؤية هؤلاء الناس البعيدين جداً عن الحقيقة التي توجد لدينا ، والغارقين جداً في خطاباهم وأخطائهم .

ليعطيهم ربنا كل الضوء الحقيقي والحكمة لكي يتخلصوا من جهلهم والعمى الذي يحيط بهم . آمين ، ... إلخ

حرر في مدينة "غوا" هذه اليوم العشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٨م .

ابن "جمعية يسوع المسيح" ، "بولو دي سانكتا في" .

(أ) يكتب بادرا هيريديا بإختصار أيضاً عن تحويل الأربع زوجات إلى المسيحية .

أحداث عام ١٥٥٩م

بعث الأب "ميلشيور كارنيرو" (جمعية يسوع) رسالة إلى الأب "ديوجو ليونيس" الأسقف العام "لجمعية يسوع" في "روما" ، "غوا" في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٩م ، يذكر فيها هزيمة الأتراك من قبل الأحباش : [٤٠]

نص مقتطف

فيما يخص حالة الأشياء التي تتعلق بـ"بريستر جون" التي لعلها تحرمني من بركات الأب البطريريك[أ] ، فإنني لن أمتنع عن قول ما أعلمه وما أشعر به حتى يتم إطلاعك بصورة جيدة . لنا القليل من الأمل حالياً في إمكانية الدخول إلى هناك طالما أن موانئ "هاركيكو"[ب] و"باروا"[ت] .

(أ) دوم جواو نونس باريتو الذي كان أهم عمل عنده هي إثيوبيا .

(ب) ميناء أركيكو (هاركيكو) في البحر الأحمر .

(ت) ديباروا (او باروا) مدينة على نهر دجلة .

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

ومدينة "أباسينيا" المتوسطة محتلة من قبل الأتراك الذين يودون أن يهزموا الجزء المتبقي من إثيوبيا - أراد الله أن ينهزموا بواسطة الحبشة و"البرتغاليون" الذين معه . تأمنت البلاد(أ) لكن ليس البحر لأن الأتراك الذين نجوا من الهزيمة تراجعوا إلى جزيرة في البحر الأحمر(ب) حيث هم الآن .

لهذا السبب وأيضا لأن ضابطاً تركياً(ت) قوياً كان في ميناء "موكا"(ث) التي تقع على البحر الأحمر مع ست أو سبع سفن ، ومن المستحيل بالنسبة لنا أن نبحر بسفننا هذه السنة . أيضاً من الضروري أن يُرافق الأب البطريريك أسطول حربي والذي سيكلف ستة آلاف "إسكودس"(ج) .

هذه البلاد الآن في حالة حرب مع العديد من الملوك الكفار ، أي مع "المالابار" بطول ساحل الهند(ح) ومع ملك "جزر المولوكاس" الذين تمردوا(خ) ، ومع ملك "سيلان" طالما أنه رغب في تدمير ملك تحول إلى

(أ) لكن الجنرال قلاوديوس بنفسه سقط في ٢٣ مارس ١٥٥٩م في معركة ضد محمدان نور .

(ب) جزيرة وميناء ماساوا .

(ت) موكا ، وميناء عربي ليس بعيداً عن مضيق باب المندب .

(ث) لعله سوفار (او كافار) قائد تركي شجاع جداً .

(ج) أعتقد الأسقف امبروسيوس بوتيجيج في ١٥٥٦م أن نفس الشيء يمكن القيام به في اثيوبيا دون أي تكاليف تتكبدها المملكة (قارن ويكي ، زور اورينتربس ديس بابس ١٥٥٣-٥٦-٣٧١).

(ح) عندئذ اشعل "البرتغاليون" الحرب ضد المسلمين في ميناء كانا نور (في كوتو ، توثيق (٧) .

(خ) يتحدث عن ملك جزيرة تيرنيت .

مسيحي(أ) ومع الأتراك في هرمز الذين جاءوا للاستيلاء على قلعة في تلك المملكة وهي تابعة لملك البرتغال(ب) .

بالرغم من أن رجالنا هزموهم في البحر إلا أن جنرالاً من طرفنا مع أربعمائة جندي هزموا(ت) ، لكن آخرين من ضباطنا هاجموا الأتراك واستسلموا الآن وقالوا إنهم يريدون تسليم الأسلحة والأموال مقابل أن يغادروا الجزيرة التي هم فيها حفاظاً على حياتهم(ث) .

٣٢- "إيريس برانداو" موجود الآن في هرمز ، درس الفنون ومبادئ علوم اللاهوت وله القدرة على الوعظ ، وهو قوي في العمل الديني وكان في الجمعية قرابة السبع سنوات ، له ميل في التواضع ، مطيع لكنني لا أعتقد أنه مارس الكثير من الصلوات والفضائل الدينية في الثلاثينيات من عمره .

(أ) ميادوتا ، ملك سيتافاكا (١٥٢١-٨١) حاول هزيمة ملك كوتي المسيحي ، دوم جون دارمابلا (١٥٥١-١٥٩٧م) وذلك بحصار المدينة الرئيسية كاتي (قارن اس . جي بيريرا ، تاريخ سيلان ٥٣-٥٤) .

(ب) قام الأتراك بحصار جزيرة وقلعة البحرين - للمزيد من سوء حظ جيش "البرتغاليين" طالع "كوتو" ، وثيقة (٧) الكتاب (٧) سي سي ٧-١١ "سالدانها" ١ ، ١٠٨-١٠٩ .

(ت) كان قائد "البرتغاليين" هذا هو "دوم الفارو دا سيلفيرا" ، شقيق الأب جونديسالفي دا سيلفيرا . طبقاً لكوتو فإن "البرتغاليين" فقدوا ٧٠ في المعركة وأسر ٣٠ آخرون بواسطة الأتراك (وثيقة (٧) الكتاب (٧) الفصل (٩) .

(ث) خلف "بيدرو بيكسوتو" الجنرال "سيلفيرا" بعد وفاته (كوتو١) بعدها أبرمت معاهدة سلام كما ذكرها "كارنيرو" (كوتو ، وثيقة (٧) الكتاب (٧) الفصل (١١) .

أحداث عام ١٥٦٠م

صدرت يوميات "أنطونيو تـنريرو" "Antonio Tenriero" ، فارس الجماعة المسيحيّة ، التي روى فيها كيف قدم من الهند برّاً إلـى مملكة "البرتغال" ، طبعت لأوّل مرة في "كويمبرا" بواسطة "أنطونيو دي ماريز" "Antonio de Marez" ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر فيها وصف هرمز ومدينة "لار" : (٤١)

الفصل الأول : بشأن مدينة هرمز في مملكة فارس

كان ملوك هرمز يؤدّون الجزية للشيخ إسماعيل أو (الصفوي) كما يعرف الآن ، وذلك قبل تعرّض مملكتهم (مملكة هرمز) للغزو من قِبل الملك "دوم مانويل" (رحمه الله) ؛ لكن بعد الغزو توقّفوا عن دفع تلك الجزية ، وفي إطار رغبة "دوم مانويل" في معرفة إيراد دائرة الجمارك في هرمز .

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

قام بتعيين موظّفين برتغاليّين ، وذلك في فترة حكومة "ديوغو لوبيز دي سيجويرا" "Diogo Lopes de Segueira" في الهند ، وبسبب ذلك ، ثأر ملك هرمز ضدّ البرتغاليّين ، عارضاً الجزية إلى صفوي ، تلك الجزية التي كان يأخذها في الماضي من مملكة هرمز .

ذلك مقابل مساعدته له ضدّ البرتغاليّين . سعد صفوي كثيراً بهذا العرض ، ومن ثمّ أرسل رجاله لمساعدته ؛ لكن بمجرّد وصولهم ، اكتشفوا أن ملك هرمز قد مات ، ويوجد الآن ملك آخر ، عقد اتّفاقية مع البرتغاليّين ، ولمّا تبيّن للجنود ، الذين أرسلهم صفوي عدم جدوى حضورهم لمساعدة الملك ، قاموا بشنّ هجوم على القوافل التي كانت متّجهة إلى هرمز .

لهذا السبب خسر ملك هرمز الدخل ، فاتّجه معتذراً لمقابلة الحاكم "دي دورات دي منزيز" ، الذي كان وقتها حاكماً على الهند ، متعلّلاً بأنّه ليس في مقدوره أن يدفع الجزية المقرّرة لملك البرتغال ؛ وكي يجنّب هرمز بطشه واستبداده ؛ وأيضاً كي يحرّرهم من سطوة صفوي ، أرسل الحاكم أحد المقتدرين من رجاله يسمّى "بالتسار بيسوا" سفيراً له ، ولأجل هذا غادر إلى مدينة هرمز التي سوف أتحدّث عنها الآن .

تقع مدينة هرمز في جزيرة تحمل الاسم نفسه على مدخل الخليج الفارسيّ ، وتبعد قرابة ثلاثة فراسخ من البرّ . يبلغ محيط الجزيرة حوالي الثلاثة أو الأربعة فراسخ ، وهناك سلسلة صغيرة من الجبال الممتدة كمقلع ملحي في أحد جوانب الجزيرة ، ويسمّى بالملح الهنديّ . أمّا الجانب الآخر ، فيحتوي على رسوبيات كبريتيّة ، ويبدو الملح شديد البياض من الداخل ،

بينما يسيطر اللون الأحمر على الجانب الآخر ، وعلى بعد حوالي فرسخ واحد من المدينة ، توجد ثلاثة آبار للمياه العذبة .

أمّا دون ذلك ، فليست هنالك أيّة مصادر أخرى يمكن الحصول فيها على المياه سوى بعض الصهاريج أو الأحواض التي تحتوي على مياه مالحة . طبيعة المنطقة تبدو جرداء خالية من الأشجار أو الغطاءات النباتيّة ، وذلك بسبب موقعها ، غير أنّها تمتلك أفضل أنواع الموانئ . لقد قام "البربر" (العرب/ المسلمين؟!) ببناء هذه المدينة في جزء من الجزيرة التي أطلقوا عليها اسم (هرمز) .

أمّا الموانئ ، فقد احتلت مواقعها في الخلجان ، إذ يوجد واحد منها في الشرق ، ويوجد الآخر في الغرب ، وبوسعها استيعاب سفن بحمولة أربعمائة طنّ . تبدو المدينة مسطّحة تماماً ، وليس هنالك من حصون سوى تلك الخاصّة بسكن الملك ، غير أنّها تضمّ العديد من المنازل الجميلة المبنيّة من الحجر المطلي بالجير ، من طابقين أو ثلاثة طوابق .

كما تبدو سقوفها بشرفات أيضاً ، وذلك بسبب حرارة الصيف اللاهبة ، وتمّ تزويدها بمراوح تبريد "براجيل" ، تبدو كمداخن بسيطة فوق سقوف المباني ، في وسط كلّ منزل ، بحيث تسمح بدخول الهواء في فصل الصيف ، أمّا في فصل الشتاء فتتمّ تغطيتها .

يعيش السكان في ظلّ الشريعة الإسلاميّة ، وهم من الفرس والعرب ، ويتحدّثون اللغتين العربيّة والفارسيّة . السكان العرب يتّصفون بسمرة داكنة ، بينما يتميّز الفرس بسحنة بيضاء ومظهر حسن ، وتبدو البهجة والسرور على الجميع ، وهم يستمتعون بعاداتهم الغذائية وحبّهم للثراء .

ويبدو أنّهم خيالة من الطراز الأوّل ، يمارسون ما يشبه رياضة البولو على صهوات خيولهم ، كما يبدون من طبعهم أنّهم جنس موسيقيّ في الغناء والعزف على الآلات ، وحقيقة فهم من "التروبادور" شعراء غنائيون ، مولعون بقراءة الروايات القديمة ، ويتميّزون بعادات جيّدة ، كغيرتهم الشديدة على نسائهم .

عموماً لهم كلّ الحقّ في ذلك لأنّ نساءهم يتصفن بجمالٍ أخّاذ ويتميّزن بحبّهن للانغماس في الشهوات الحسّيّة ، فهنّ نادراً ما يغادرن بيوتهن ، وعند الخروج يعملن على تغطية أجسادهنّ بملابس فضفاضة أشبه بالملاءات (الجادر) ، لها ثقوب تمكّنهنّ من الرؤية .

عموماً يلاحظ اهتمام الرجال والنساء بملابسهم ومظهرهم ، ففي فصل الشتاء تتكوّن ملابس النساء من سترات الحرير المبطن ، وتغطّى الرؤوس بواسطة قبعات حمراء مصنوعة من أقمشة حمراء ناعمة . أمّا في فصل الصيف ، فتصنع الملابس من أفضل وأجمل أنواع الكتان ، ومن المادة نفسها تصنع السراويل والبلوزات .

تصنع أيضاً أحذية النساء من الجلد أو الحرير ، وتصمم بحيث تكون لها رؤوس مستدقة (مسنّنة) ، وبالمثل يرتدي الرجال في فصل الصيف عمامات بيضاء ، توضع فوق قلنسوات حمراء ، ويكملون زينتهم بامتشاق أسلحتهم كالخناجر والأقواس والرماح التركية ، ويوصفون بأنّهم رماة محترفون .

أمّا الدروع التي يلبسونها ، فتسمّى "الكوسوس" ، وهذه تصنع من الحرير والقطن ، وهي من القوّة بمكان بحيث يصعب على السهام

اختراقها ، هذه الأسلحة تلازمهم ، وهم يحملونها بصفة مستمرّة حتى في وقت السلم . أمّا في وقت الحرب ، فإنّهم يضيفون إليها الرماح والأسلحة الدفاعية المصنوعة من الحديد والصلب .

كما ذكرت مسبقاً ، فإنّ البلاد تبدو جميلة ، وبالرغم من أنّ المنطقة تبدو مجدبة ، إلا أنّ المدينة تضمّ العديد من الرجال الأثرياء ، والتجار الذين يعملون في استبدال العملات-(الصيرفة) ، وتعدّ المدينة ملتقى للعديد من التجار الأجانب الذين يأتون من مختلف أنحاء العالم ، ولهذا السبب ، فلا عجب أن يلاحظ المرء وجود بضائع مميّزة ، وسلع تجارية فاخرة في المدينة .

أمّا الإمدادات السلع التموينيّة ، فيتمّ استيرادها من "إسبانيا" خاصّةً القمح ، الأرز ، اللحوم ، الأجبان ، وبالمثل طرائد الفواكه الطازجة والمجفّفة بجميع أنواعها ، ليس هذا فحسب بل يضاف للمواد المستوردة المياه والأخشاب أيضاً ، إذ إنّه يمكن العثور عليها متوفرة في الأسواق عند الباعة من المسلمين ، الذين يعملون أيضاً في بيع لحوم الخراف غير المسلوخة لتكون أطيب مذاق عند شوائها ، وفي المدينة يباع كلّ شيء بالوزن ، وفق لوائح وقوانين مشدّدة وضرائب تفرض على تلك المعاملات .

أمّا في حالة حدوث أيّة مخالفةٍ أو خروج عن القوانين أو تطفيف في الكيل والميزان ، فإنّ التاجر سوف يعرض نفسه لعقوبة صارمة ، فالجميع هنا حريصون وملتزمون بتنفيذ القوانين .

العملات المستخدمة هنا هي الإسلامية المصنوعة من الذهب

والفضّة الخالصة ، والعملة النحاسيّة ، فالعملات الذهبيّة يطلق عليها اسم "اكزرافم" ، وهي تعادل ثلاثمائة "ريس" . أمّا الفضيّة ، فتسمى "التانقا" وتعادل ثلاثة "فنتس" ، وجميع هذه العملات يطلق عليها المسلمون اسم "لاريس" ؛ لأنّها تضرب في مدينة "لار" .

أمّا بخصوص العملة النحاسيّة ، فإنّها تعرف باسم "فالص" ، وهي تساوي سبعة "سيتز" ، وفي المدينة توجد عدّة أماكن جاذبة ، تجتذب أحدها العديد من الرجال من ذوي الاهتمامات الخاصّة بالاطّلاع على المآثر القديمة والإنجازات ، وتحت مظلّة كبيرة يقوم أحد الرجال الكبار من "البربر" بقراءة مقتطفات من التاريخ القديم وعظمائه ، من أمثال الإسكندر وعظماء التاريخ المشهورين ، وذلك لتنوير الشباب وإطلاعهم على آداب وإنجازات أولئك العظماء .

تعدّ المدينة عاصمة تلك المملكة التي اتّخذت نفس الاسم ، ولكن هناك العديد من المدن والقرى الواقعة على الساحلين العربي والفارسي ، وغالبها مزودة بالمؤن والغذاء من خبز ولحوم وأسماك وتمور ، وهي السلع التي بموجبها يتمكّن الملك في هرمز من الدفع للشيخ إسماعيل أو (الصفوي) كما يعرف الآن .

بصفة دائمة يتواجد ملوك هرمز في المدينة ، ولكن يوجد لديهم حاكم يسمّى "قاضي" ، وهو من يقوم بإدارة المملكة ، خاصّةً أنّ الحكام لا يفهمون كثيراً في هذه الأمور ، وإنّما يكتفون فقط بحسن التصرف ؛ لكن في حالة رغبة الملوك في تولّي الحكومة أو الاستقلال ، كغيرهم من الملوك الآخرين ، فسوف يصار إلى اقتلاع عيونهم ومساعدتهم بمداخيل من المملكة .

إذا كان لدى الملك ولداً فسوف يتمّ تنصيبه ملكاً ، هو أو أيّاً من أقرباء الملك ، وسوف يلقى نفس المصير ، إذا ما أراد أن يصبح حاكماً ، (أي سوف تقتلع عيناه) ، وبخلاف ذلك يعدّ ملك هرمز السيد الأعلى ؛ إذ لديه الكثير من الممتلكات إلى جانب قصره وخلافه ، حيث ينفق بسخاء ، فهناك حرسه الخاصّ ، الذي يتكوّن من المشاة والخيالة ، ويمتلك أيضاً مجموعة من صقور الصيد ، ويعيش حياة مرفّهة ، مستمتعاً بكلّ شيء حوله ، وذلك في جزيرة تسمى "كِشن" قشن .

الفصل الثاني بشأن رحيل السفير :

غادر السفير "بالتاسار بيسوا" "Balthasar Bissao" المدينة ، رافقه أحد خدم الصفوي ، وهو خادم (مسلم) يدعى عبد الخليفة ، كما كان هناك "فيسنتي كوريا" "Vicente Correia" ، الكاتب في السفارة ، و"أنطونيو دي نورونها" "الترجمان" ، وفي هرمز أصبح هذا الرجل اليهودي مسيحيّاً بمحض اختياره ، كان نائب السفير الموفد هو "جواو دي غوفيا" "Joao de Govia" ، وكان برفقتهم خمسة عشر من الخيالة البرتغاليّين ، نذكر منهم "جاسبار ملهيرو" "Gaspar Melheiro" ، "فرانسيسكو كالداو" "Francisco Caldao" القائد ، وخدمهم .

عندما أدركت أنّ سعادة السفير قد تهيّأ للرحيل ، عقدت العزم على مرافقته ، وذلك بغية تحقيق أمنيتي في رؤية بلدان العالم . كما أحسست أيضاً أن اللحظة قد حانت للتحرّك قُدماً ، خاصّة وأنّني أخشى سطوة الرجل الذي اختلفت معه ، سيما وهو من الأثرياء ، وعليه ، فقد غادرنا هرمز في أحد أيام الأحد متّجهين نحو البرّ ، وذلك

حوالي الساعة العاشرة من اليوم الأوّل من شهر سبتمبر ، مستقلّين سفينة ملكيّة ، على أصوات الطبول .

بعدها نزلنا في مكان يسمّى "باندل" (بندر) ، أي "الميناء" بلغتنا ، ولقد لاحظنا في هذه المنطقة أنّ المنازل مشيّدة من السعف ، وجُلّ سكانها من الفقراء ، الذين يستخدمهم تجّار هرمز في عمليات حصاد التمور ، التي تنمو بوفرة هناك . أمّا السفير ، فقد ظلّ هناك لعدّة أيام ، حيث حصل على بعض الخيول لرجاله ، وبالمثل على بعض الجمال ؛ لأجل حمل المؤن التي يحتاجها في رحلته ، وعندما غادرنا ذلك المكان ، انطلقنا في السير مسافة خمسة أو ستة فراسخ على طول الساحل نحو الشمال الغربي ، مخترقين أرضاً غير مأهولة .

بعدها وصلنا إلى منطقة آبار المياه ، حيث قرّرنا أخذ قسط من الراحة خلال الليل ، لم نلحظ وجود أيّة مساكن سوى مجموعة بسيطة من المنازل المبنية من سعف النخيل ، وقد أشار "البربر" (المسلمون) الذين كانوا برفقتنا إلى أنّ المسافة التي تفصلنا عن (بادل) التي غادرناها إلى هذه المنطقة النخيليّة تقارب الخمسة "فرازانغوس" بمعنى خمسة فراسخ حسب اللغة الفارسيّة .

من منطقة بساتين النخيل تلك ، شرعنا في السفر مدّة ثلاثة أيّام في نفس الاتجاه ، إلى أن وصلنا إلى مكان يسمى "كابرستان" "Kabristan" ، وهنا لاحظنا وجود بساتين النخيل ووجود آبار مياه الشرب ، ومخزن كبير ذي أربعة أبواب ضخمة ، وإلى جانبه صهريج ضخم ، خُصّص لحفظ المياه .

يطلق على هذه المنازل باللغة الفارسيّة اسم "كارنفانكراس" ، وهي تعني أماكن الراحة ، واستراحات القوافل والأجانب .

هنا يعامل العرب المسلمون بكلّ احترام كزملاء ، كما هو الحال في مستشفياتنا ، وبالتالي يمكن للمسافرين المكوث هناك ، أسوة بالمسافرين الذين ينتقلون في القوافل ، وفي فصل الصيف ، لا توجد أبواب ، إذ إن الحرارة تكون شديدة في البلاد ، وحسبما علمت أن الكثيرين من الناس يسقطون من شدّة الإعياء والتعب بسبب حرارة الجوّ .

هذه المنطقة تمتدّ على طول الساحل في مملكة هرمز ، ومن تلك المنطقة انطلقنا شمالاً مبتعدين عن البحر والخليج الفارسي ، وبعد مسيرة يومين عبر الأراضي الصحراوية والوديان ، عثرنا على مجموعة قليلة من أشجار النخيل وآبار الشرب ، لكنّنا لم نستفد منها شيئاً ، بعد ذلك وصلنا إلى مدينة تسمى "لار" ، وهي مدينة تقع خلف مملكة هرمز في فارس .

الفصل الثالث : بشأن مدينة "لار"

توجد مدينة "لار" في مملكة فارس ، وتقع بين سلسلتين جبيليتين في جهة الغرب من هرمز ، وتحيط بالمدينة صخور كثيفة ضخمة ، وسور مبني من الطين اللزج ، وتبدو بعض أجزاء هذا السور مبنية من القرميد الرائع . أما في الداخل ، فيلاحظ وجود مساكن جميلة بنيت حيطانها من الطين على الطراز الفرنسي .

أما المدينة فلقد تفرعتها شوارع جيدة ومنظمة ، ويبلغ عدد سكان

المدينة أربعة آلاف نسمة ، جميعهم من العرب المسلمين البيض ، والسكان يطلق عليهم اسم "اللاريين" ، وهؤلاء يرتدون الملابس القطنية التي عادة ما تكون مبطّنة في فصل الشتاء ، لكن في الصيف ، فإنّ زيّهم الغالب هو الملابس القطنية العادية الخفيفة ، أمّا الأحذية فهي من النوع المستدق المعقوف للخلف .

حتى تلك الأحذية ، فإنّها تصنع من أشرطة من أقمشة القطن ، وهي أحذية قاسية جدّاً ، وفي المدينة يقومون بصنع أقواس تركية متينة ؛ ونظراً لجودة صناعتها ، فهي تستخدم في العديد من البلدان التي تحرص على الحصول عليها واقتنائها . هناك من يتحدّث عن الأقواس المصنوعة في "لار" ، كما نتحدّث نحن عن خوذات ميلان .

أما فوق رؤوسهم فهم يضعون العمائم ، لكن دون غطاء الوجه ، كما يضع البعض الآخر أغطية الرأس الحمراء تحت العمائم . التمر والشعير يمثلان الغذاء الرئيسي للسكان ، ويوجدان بكثرة ، ومنهما يصنعون أنواعاً كثيرة من الكعك .

أيضاً يوجد لديهم القمح ، ولكن ليس بكمّيّات كبيرة ، ولحوم الأغنام تمثّل جزءاً كبيراً من أطعمتهم ، وهناك أيضاً لحوم الحيوانات البرّيّة التي يصطادونها بالرماح ، وهذه فنون يبرعون فيها كثيراً . إنّهم يحملون هذه الأسلحة بشكل مستمرّ سواء في أيام الحرب أو السلم ، ويلاحظ عموماً أنه ليس لدى الملك عائلة كبيرة حوله .

توجد خارج المدينة ، وقريباً من أسوارها ، بعض المزارع والمساكن الفاخرة التي تحيط بها أشجار النخيل والفواكه ، كما هو الحال في

"إسبانيا" ، وهناك بعض اليهود الفرس يعيشون في المدينة ، هذا إلى جانب الفقراء الذين ولدوا فيها ، وهنا يقومون بضرب النقود التي يطلق عليها اسم "لاريم" ، وهي تعادل ثلاثة "فنتيز" .

توجد أيضاً أعداد كبيرة من سائقي البغال ، ولدى الكثيرين منهم سبع بغال ، أربعة عشر بغلاً أو واحد وعشرون بغلاً ، وكلّ مجموعة سبعة تسمى "كاتار" ، أي بمعنى مجموعة البغال التي بحوزته ، ويتحدّثون عمن يملك "كاتاراً" واحداً أو اثنين ، وهؤلاء ينتقلون عبر جميع مناطق فارس ؛ بحثاً عن أرزاقهم ولاكتساب النقود ؛ حيث يقومون بنقل السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى ، في مأمن تام ؛ لأنهم يتصفون بشجاعة نادرة ، بحيث لا يتجرأ اللصوص على مهاجمتهم ، وعادة ما يسافرون بكامل أسلحتهم من رماح وأقواس ودروع وسيوف معقوفة .

لقد سمعت من سكان البلاد في عدّة مناسبات أن "التامرلين" "Tamerlane" العظيم ، والذي أصبح ملكاً على فارس ، من المنتمين لهذه المدينة ، ومن الذين عملوا في الماضي في قيادة البغال ، وقد أصبح حاكماً على كل بلاد فارس ، وأسر العديد من الأتراك ، وتذكره تلك المناطق ؛ نظراً لشخصيته التي تتّسم بالكثير من القسوة .

كل فرد يؤكّد هذه الرواية ، بالرغم من أن المؤرخين الأوروبيّين الذين كتبوا عن حياته ، يقولون بأنه كان راعياً ، عموماً فأنا أؤمن على ما ذكروه هنا ؛ لأنهم قد عرفوا ذلك من سكان المناطق المجاورة ، وأيضاً بسبب أن من يسوقون هذه البغال يتحلون بشجاعة نادرة ، وهم على استعداد لفعل أي شيء مهما بلغت صعوبته .

عموماً ، فإن تحوّل المرء من سائق للبغال إلى قاطع طريق هي أسهل من تحوله من راع إلى لصّ . على كلٍّ ، مهما كانت حقيقة ما روي ، فالجميع يعرفون أنه من "لار" ، وأن شجاعته وبسالته ، ليست موضع شك ، وأن القسوة سمة ملازمة له أينما ذهب .

الكثيرون يُشبهونه بـ "هانيبال" ، وعموماً ، فالكل يعرف أن الحظ قد حالفه في كل ما قام به ؛ لكن مما يُؤسف له عدم وجود من أقدم على الكتابة عن حياته ، إذ إن كل فرد يدرك تماماً ، أنه لابد أن يكون قد واجه الكثير من الأخطار في مرحلة تحوله من سائق بغال إلى حاكم قوي ، أظهر الكثير من البراعة والدهاء والشجاعة ، لكن بالنسبة لحياته ، فإنّنا نتّفق على معرفة القليل منها مما يمكن الاعتماد عليه .

تبدو مملكة "لار" منطقة صخرية قاحلة ، بها الكثير من الجبال القاسية ؛ لكن بين تلك الجبال ، توجد مزارع النخيل وآبار المياه والأحواض المليئة بمياه الأمطار ، وهناك قطعان الماشية والخيول ، التي تعدّ عماد تجارتهم ، بحيث يأخذونها إلى هرمز ومنها "للهند" .

الطقس هنا يبدو الطقس حارّاً صيفاً ، لكنه ليس حارّاً كما هو الحال في هرمز ، فالأمطار شحيحة ، ونادراً ما تهطل ، لكن يوجد فصلان : الشتاء والصيف ، كما هو الأمر في أوروبا ، وبجوار المدينة وعلى سلسلة صغيرة من الجبال ، ترعى الدواب التي تماثل أحجامها إناث الآيل ، وهذه الدواب تحمل أحجاراً كريمة في بطونها تسمّى "بازار" ، وهم يهتمون بالحصول عليها لاستخدامها ضد السميات .

تلك الأحجار تكون في بطون الدواب بسبب أنواع الحشائش التي

تقتات عليها ، وهي حجارة ، لا يمكن أن توجد في أي مصدر أو أي مكان آخر ، ولون الحجر أخضر غامض ، وهو في طوله وسماكته بحجم الأصبع الصغير ، ولقد سبق أن شاهدت طريقة استخدامه .

تمت استضافة سعادة السفير ، ومن معه ، في إحدى ضواحي المدينة ، غير أنه لم يجد الترحيب الكافي من قِبل الملك ؛ لكن البعض من تجار "البربر" ، من الذين يتاجرون مع هرمز ، قاموا بإرسال بعض الهدايا والأطعمة من المدينة إلى السفير . لقد مكثنا هناك عدة أيام ، ولكن بسبب تغير الأحوال الجوية ، فقد تعرّضنا جميعاً للمرض والنزيف ، وبمجرد تحسن أوضاعنا الصحّيّة ، أكمل سعادة السفير استعداداته ، حيث قام بشراء بعض الخيول للمجموعة التي ترافقه ، وبعدها انطلقنا متابعين السير .

الفصل الرابع : بشأن رحيلنا من "لار" ومن "تركمان"

غادرنا مدينة "لار" صوب مناطق الشمال الغربي ، حيث بقينا نسير مدة ثلاثة أيام في منطقة تسودها رياح عاصفة ، وحقيقةً ، لم أشاهد طيلة هذه الأيام الثلاثة شيئاً جديراً بالاعتبار ، وعلى كلٍّ ، فقد اضطررنا للنزول في واد ، بجانب أحد الأنهار ، حيث قضينا الليل ، للراحة والنوم في أرض "يباب" ، غير مأهولة بالسكان ، غير أننا كنا نخشى أن نكون عرضةً لهجمات الأسود ، لذا فقد بقينا ساهرين الليل بأكمله ، وأبقينا السروج على صهوات الجياد .

بالمثل أبقينا البغال التي قمنا باستئجارها في "لار" في الوسط ، وأشعلنا النيران حول معسكرنا ، ولقد أبلغنا سائقو البغال أن المنطقة

مليئة بالأسود ، ومن الممكن أن تهاجم الدواب وتفتك بها أثناء الليل ؛ لكن لم نشاهد حيواناً متوحّشاً واحداً طيلة الليل ؛ وذلك بسبب النيران والحذر . أما النهر الذي ذكرته ، فهو يجري من الشرق للغرب ، حيث يصب في مياه بحر الخليج الفارسي .

في اليوم التالي ، تابعنا السير عبر نفس الإقليم من المملكة ، وبعد عبورنا سلسلة من الجبال ، وجدنا منطقة تضجّ بالكثير من المدن والقرى ، يسكنها الكثير من المزارعين ، وبجانبها أيضاً مجموعة من الحصون والقلاع ، التي بنيت فوق الصخور ، وأحواض مياه الأمطار ، وقد بنيت تلك القلاع والحصون لأجل حماية السكان ، الذين يلجؤون لها عادة ؛ اتقاء هجمات اللصوص وقطاع الطرق ؛ إذ إنهم لا ينزلون إلى دخول المدينة .

هؤلاء اللصوص من تركمان-مملكة الصفوي ، وهم يتجولون بصفة دائمة ، ويعيشون في مخيمات من الخيم البيضاء المصنوعة من الصوف ، ويعتمدون في معيشهم على تربية قطعان صغيرة من الماشية ، التي يقومون بتربيتها مع تربية الخيول ، وهم أناس بيض وشعرهم أحمر ، يرتدون ملابس القطن المبطنة والمزينة بأربطة تتدلّى إلى الكاحل .

أما في فصل الشتاء ، فإنهم يستخدمون ملابس مصنوعة من فراء الثعالب وجلود الأغنام . أما نساؤهم فهن جميلات ، ويعملن في صناعة السجاد الحريري ، ويعشن في المخيّمات . يوجد في كل مخيم حوالي خمسمائة أو ستمائة خيمة ، وربما يتراجع العدد في بعض المخيمات . يمتلك الرجال خيولاً ومهرات رائعات ، يقومون بتربيتها ويتسلحون بالرماح والسيوف وحيدة الحدّ .

كما يلبسون دروعاً مصنوعة من الحديد . أما الرماح ، فإنهم لا يستخدمونها إلا في حالة الحرب والصراع ، وفي فصل الصيف ، فهم دائبو التجوال في المناطق الريفية ، وعندما يتعرّض جزء من البلاد لنزول الثلج ، فإنهم يسارعون للانتقال إلى جزء آخر ، يكون الطقس فيه أكثر اعتدالاً ، ولقد رأينا الكثيرين من الناس في طول المنطقة وعرضها .

من ينتمون إلى طائفة الصفوي-أي ما تعرف بالصفوى ، وهذه الطائفة تدين بالولاء ، إلى (علي) أكثر من (محمد) (صلى الله عليه وسلم) ، وهم يضعون القبعة الحمراء "خيدار" ويتحدّثون اللغة التركية ، ويُعرفون باسم "كازلبار" ، بلغتهم أي بمعنى ذوي الرؤوس الحمراء ، وما أعرفه عن أولئك الناس أنه ليس لهم قانون ، سواء أكان قانون العرب المسلمين أو القانون الحيثي ، وفي الحقيقة ، فإنهم لا يتّبعون أي قانون .

بمجرد عبورنا الأراضي التابعة لحاكم "لار" ، اتجهنا صوب الشمال الغربي ، حيث دخلنا في بلاد شاسعة ، تقع بين سلسلتين من الجبال ، تمتدّ إحداهما على طول الجزء الجنوبي من الساحل والخليج الفارسي ، وطبيعة هذه السلسلة ليست شاهقةً أو تكسوها غابات الصنوبر .

أما الأخرى ، فهي تمتدّ شمالاً لمسافة طويلة بمحاذاة الأراضي الواقعة بين السلسلتين ، ويبلغ عرض المنطقة بين السلسلتين ثمانية "فرازانقوس" بينما يبلغ في بعض الأجزاء الأخرى ستة ، أما طولها فيقدر بمسيرة رحلة ستة أيام ، وتسمى "كوسكوجارده" ، أي الأرض الصفراء القاحلة .

بقينا عبر هذه الأرض مدة خمسة أيام ، ولقد مكثنا بالقرب من بعض

المخيمات ، حيث وجدنا فيها كل ما نحتاجه من المؤن الضرورية ، إذ إن المنطقة تزخر بأنواع الظباء والطرائد وأيضا الأسود والنمور " التي تعدّ أكثر شراسة من الأسود " ، وتوجد بها أيضاً الذئاب والدببة ، التي تحدث الكثير من الخراب للمعسكرات ، ونسبةً لهذا ، فإنهم ينتقلون قريباً من بعضهم البعض ، وعادة ما تلتصق خيامهم ببعضها البعض ، وفي وسط المعسكر يقومون بعمل حظيرة دائرية مغلقة ؛ لحفظ دوابهم أثناء الليل ، أما في الخارج ، فيضعون كلاب الحراسة ، ويعلقون الأجراس حول رقابها .

الفصل الخامس : عن نشوء مبدأ وأعراف الصفوي

الصفوي هو ابن الشيخ الذي يحظى بالكثير من الاحترام من قِبل العرب المسلمين ، ومن قِبل حاكم المدينة التي تعرف باسم "أردبيل" "Ardabil" ، وأمه هي ابنة أحد النبلاء المشهورين ، وعندما كانت حاملاً به ، كان أحد المنجّمين ، وهم كثر في المدينة ، قد تنبأ بمستقبله ، وهؤلاء المنجمين مثلهم مثل السحرة ، ومحضري الأرواح ، قد تنبأوا بأن هذا الطفل سوف تكون له مملكة عظيمة ، ولكنه سوف يصبح قاسياً ، وخشية تعرضه للقتل .

فقد أرسل ، سرّاً ، عندما أصبح في الثامنة أو العاشرة من عمره ، إلى أحد المنجّمين المرموقين ، يسمى "دورمسكاو" الذي جعله فيما بعد سيّداً عظيماً ، فأخذ هذا الطفل إلى "أرمينيا" ، التي كان يحكمها آنذاك جدّه لأمه ، الذي كان حاكماً على "تبريز" .

قام هذا المنجم بتسليمه لأحد الزعماء الدينيّين في "أرمينيا" ، وكان هذا الزعيم يقيم في إحدى الجزر في المياه المالحة ، والتي يسكنها الكثير

من الرهبان الأرمينيّين في دور العبادة ، وكانوا متديّنين لحد كبير ، بحيث يجدون التبجيل من الناس ، وقد أخبرت أنهم يقومون بالكثير من المعجزات باسم المسيح عيسى (عليه السلام) .

نشأ الطفل بين هؤلاء الرهبان ، حتى بلغ من العمر ما جعله يتعلم كل ما أرادوه له أن يتعلمه ، بعد ذلك عاد المنجم كي يأخذه من هناك ، ويعيده إلى مملكة "جويلان" إلى قصر عمه الملك ، وهناك تركه مع مجموعة من الخيالة ، حيث بدأ في غزو المدن ، والاستيلاء عليها وعلى القرى المجاورة ، وكان يقوم بتقسيم كل ما كان يحصل عليه من غنائم ، وهكذا صار العديد من الرجال التركمان يحذون حوذه .

بدأ أيضاً يعلن نفسه نبيّاً ، وأحد أقرباء عليّ ، وحظر على سكان المنطقة أن يتبعوا قوانين وتعاليم محمد (صلى الله عليه وسلم) أو عليّ (كرم الله وجهه) ، إذ إنه ابتدع قانونه الخاصّ به ، وأعلن أسماء أحد عشر شخصاً من أقربائه كأنبياء ، فأصبح عددهم اثني عشر نبيّاً ، بما فيهم هو شخصيّاً .

كان يضع على رأسه قبعة حمراء ، يتدلى منها شريط وبها ثنتا عشرة طية ، وكان جميع من انضم إليه ، يضعون مثل تلك القبعة ، ويحملون الكتاب الذي يحتوي على القوانين التي سنّها ، وعمل أيضاً على إرسال سفرائه إلى جميع الممالك في فارس ، بحيث أصبحوا تابعين له في كل المناطق التي خضعت له ، وأصبحت تلك المناطق تدفع له الجزية ، وتطبق قوانينه .

أما المناطق التي رفضت الانصياع له ، فقد هاجم ديارهم ، واستباح

أراضيها ، مشيعاً قسوته ووحشيته بين أهلها ، وقام بتدمير مساجدها ومآذنها ، محولاً مبانيها إلى ثكنات لجنوده ، وعندما رفض ملك "شيراج" "Shiraj" ، وهو سيد نبيل ، وضع تلك القبعة على رأسه قام بمهاجمته ، فقتل أعداداً هائلة من العرب المسلمين ، محدثاً الكثير من الخراب في المدينة ، وبعد هذا لم يكن أمام ملك "سيراج" أي خيار غير الاستسلام والخضوع لأوامره .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث سعادة السفير "لورنزو بيريس دي تافورا" "Lorenco Peres de Tavora" في "روما" ، رسالة إلى "دي سباستياو" ، "روما" ، في الرابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأتراك يعدّون أسطولاً ضخماً : (٤٢)

سيدي ، إن هدفي الأساسي من إرسال هذا الخطاب ، هو أنه إذا ما بلغكم قبل مغادرة السفن المهاجرة إلى الهند هذ العام أن يكون سموكم على بنية من السفن ، أو على الأقل من إرسال الخشب الخاص بـثنتي عشرة منها من القسطنطينية إلى الإسكندرية ، ومنها إلى القاهرة والسويس ؛ وذلك لأجل زيادة قطع الأسطول الذي يوجهونه إلى الهند ، ولعل آخر الأخبار التي تلقيتها من البندقية تفيد بأن عددها عشرون .

للإيضاح أكثر عن الأخبار هذه وعما يقال عن أسباب هذه الأوامر من الأتراك وفق ما فهم من التفاوض هناك ، فإنني أرسل إليك الرسائل

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

التي أرسلها إليّ "توماس دي كورنوسا" "Thomas de Cornosa" عن الموضوع ، وأعتقد أن ما روي عن رغبة رجالنا في بناء قلعة في مدخل البحر الأحمر ، هو أمر مغلوط وغير صحيح ، لكن من الجيد أن يدرك العدو حجم الضرر الذي يمكن أن تسببه لهم ؛ كي يتأكدوا من صحة فكرة إقامة القلعة وضرورتها في ذلك الموقع .

عموماً لا شك في وجود بعض المضايقات ، لكن ما يعتقدونه هو أمر مفهوم ، ولابد للمرء أن يضع في اعتباره كل ما يمكن أن يبث الخوف والرعب في نفوس الأعداء ؛ لأنهم وبالرغم من خططهم الدائمة بشأن الهند ، والوقت ، وتنامي قوات سموكم في هذه المناطق ، فإن هذا قد جعلهم في حاجة للتفكير في تلك المغامرة ، وأعتقد أنهم عندما يهاجمون ، إنما يفعلون ذلك بعزيمة أشد وشكل أقوى مما كان في الماضي .

بالتالي يجب علينا هنا ألا نهمل الأمر ونتركه للصدف المحضة ، والحاكم التركي مشغول جداً بأمر أبنائه ، وهذا ما يجعل الأمر أقل خطورة هذا العام ، لكن طالما تسببت الحرب في استدراجه إلى فارس ، فلا شك أنه سيلجأ للوسائل التي تجعله سيداً على العالم ، لذا ، فطالما ظل الوقت في صالحنا .

فلابد لسموكم من إصدار الأمر لعمل الترتيبات والاستعدادات اللازمة ، سواء كبرت الأمور أو صغرت ، وأن يكون لكل شيء قراره ، وذلك حتى يدرك العدو ، ويحسّ أنه ليس في أمن عندما يسرع في تنفيذ ذلك المشروع .

لقد عُلم من واقع ما ورد من رسائل من جانب "توماس دي

كورنوسا" ، وأيضاً من جانب عدة مصادر أخرى ، أن الأتراك يقومون بإعداد أسطول ضخم ؛ كي يرسلونه بشكل عاجل إلى تلك المناطق ، ولقد أُعتُقِد أيضاً ، أنه بسبب انشغاله بالحرب الدائرة بين أبنائه ، فإن الأسطول المزعوم لن يكون بنفس القوة التي خطط بأن يكون عليها في العام المنصرم ، عندما كان ينعم بالأمن والسلام ، وعليه ، فإنه سوف يوجهه للدفاع عن الجزائريّين الذين يخاف عليهم هذا الصيف .

ولأجل استهداف تلك السواحل وتكبيد العدو خسائر كبيرة إذا ما حدثت المواجهة والاعتراض ، ولقد أشيع عن أسطول ملك "إسبانيا" أن الأسطول قد وجه الآن إلى طرابلس (الغرب) ، غير أنه لم يصل إلى هناك حتى الآن ، ولا علم لأحد بما سيحدث ؛ لأنه لا يزال في مالطة ، حيث قيل إن تحركه مرهون بتحسن الطقس ، ولقد أشيع أيضاً أن المرض قد أصاب الكثيرين ، وأودى بحياة الآخرين .

حيث أصبح من المستحيل أن يتحرك في موسم الصيف ، ويبدو واضحاً أن عملية التفكير في شن الغزو على طرابلس في غضون الشتاء تنطوي على مخاطر كبيرة ، وتعد نوعاً من الحماقة ؛ لأنك سوف تثير الشكوك في وجود دوافع سرية أخرى ، سوف تتجلى بمرور الوقت .

وإذا ما قدم الأسطول التركي ، وهذا أمر يعتقد بأنه بات مؤكداً ، فإنه يخشى وصوله إلى "سبتة" و"طنجة" ، وربما وصل أيضاً إلى موانئ المضيق ، ولذا فمن الأفضل إصدار الأوامر للاستعداد وتجهيز كل شيء ؛ تحسباً لما يحدث وبالمثل ، خشية من المفاجأة ، إذ إن هذا من شأنه أن يقلل النفقات ،

فطالما اتخذ المرء الحيطة والحذر قبل وقوع الخطر ، سيظل الأمر أفضل بكثير ، وأقل تكلفة ، عند معالجته في لحظة الحاجة .

بعد طرح موضوع حكومة الهند ، لعله من غير المناسب أن أذكّر سموكم ، أنه بعد أن تمّ توقيع العقد الخاصّ بالتوابل ، حسبما فهمت ، فإنه يجب العمل بتوجيهات سموكم ورغبتكم لعدة سنوات ، وذلك فيما يتعلق بفتح الباب لتسويق البهار ، لجميع من يرغب في استيرادها ، فالفوائد التي ستعود على "لشبونه" في هذا الشأن تبدو ملموسة وواضحة ، ولأجل هذا .

فإنني لن أشير إليها ، وإنما النصح للتجار أنفسهم ، وهم الفئة التي لا ترغب في تنفيذ ذلك ؛ لأنه لا سبيل لإخفاء ما يترتب على ذلك من نتائج طيبة ، وليس هناك من أحد يأمل في صدور أي قرار آخر ، لكن إذا ما أخطأنا ، وكانت هناك أسباب وضروريات استدعت عدم إقدامنا على فعل ذلك ، وأن يصار إلى عمل عقد آخر ، وهذا ما لا نرجوه .

لابد لسموكم من الاستماع للأجانب ممن لهم علم ومعرفة بالموضوع ، حتى ولو كانوا من المنافسين ، وتضعون نصب أعينكم الفائدة التي تعود على جميع الأطراف ، وأن يختار سموكم من الأمور ما يصب في مصلحتك ، لأنه بالإضافة إلى أننا سوف نكون على يقين من زيادة أسعارنا وتحسين الظروف ، فسوف يتمكن سموكم من الحصول الأموال لمشاريع المملكة ، ويتوفر لسموكم المال اللازم عند الحاجة إليه ، ولن تضطر للمقايضة .

هناك الكثير والكثير مما يمكن أن يقال في هذا الأمر ، الذي كان دائماً موضع نقاش مستفيض ، لكن الرب الحكيم وحده يعلم لماذا لم

يتم إنجازه ، ويعلم تبعاته ، والآن ، لابد من الانتباه إلى هذه التجربة المؤلمة ، وأخذها في الاعتبار ؛ لكي يتم الوصول إلى قرار سليم . أسأل الرب الحكيم تعالى أن يكون لك ، ويعينك في كل الأمور ، وأن يحميك ويحمي دولتك .

"روما" في الرابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر ما حققه الأسطول البرتغالـي بالقرب من البحرين : [٤٣]

سيدي ، لقد أرسلت في يوم الثالث عشر من الشهر الجاري السيد "مانويل كوريا" ، كي يحمل رسالتي المطولة ، التي شرحت فيها نوايا الأتراك نحو السويس وتلك المناطق ، وأثرت في هذه الرسالة أيضاً موضوع "بومبيرو" "Bombeiro" وما جرى بشأن التفويض ، بعد ذلك ، تلقيت رسالة من "توماس دي كورنوسا" علمت منها بالإنجازات الطيبة التي حققها أسطول سموكم بالقرب من جزيرة البحرين ، الأمر الذي يعد مصدر السرور والفخر .

أولاً : بسبب السمعة الطيبة التي حققها أسطول سموكم ، وثانياً :

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

بسبب الأضرار التي لحقت بأعدائكم في الهند ، الذين يعتقدون أنهم سينجحون ؛ بسبب ما يبثونه من خوف ورعب في النفوس .

هذا ، وقد وجه البابا ، جميع الأساقفة بضرورة التوجه إلى مواقعهم والاستقرار فيها ، وأبلغهم بأنه يرغب في أن يعودوا ، وهم مسرورين ومقتنعين على أن يتشاوروا معه في كل أمر يرغبون فيه .

تمّ رفع قضية الرهبان ، الذين يسعون للتحرر من التزاماتهم ، إلى بعض "الكرادلة" ، الذين وافقوا ، إجماعاً ، على أنه من الآن فصاعداً يجب عدم تحريرهم من التزاماتهم ، ويتحتم على الأساقفة أن يتأكدوا من ورود الإشارة في طلباتهم للذين تم تحريرهم ، وإذا ما كان هذا قد حدث ، فإن الأمر البابوي لا شك سوف يطبق بشأنهم . أما الفئة التي يكتشف أنها لم تحرر بصفة شرعية ، فلابد من إعادتهم لجماعتهم ، وفي حالة عدم رغبة رؤسائهم في عودتهم ، فبوسعهم البقاء مع الجماعة الأكثر تساهلاً .

توفي "كاردينال باريس" ، عميد مدرسة "الكرادلة" ، وليس لدي أية أخبار أخرى . أسأل الرب الحكيم أن يحفظكم ، ويطيل في عمركم ، ويحمي بلادكم .

من "روما" ، في السابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الخامس من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر بأن الأتـراك الذين احتلوا البحرين قد تم طردهم : (٤٤)

سيدي ، في الرابع عشر من شهر فبراير كتبت رسالة مطولة ، بعثت بها إلى سموكم ، أوردت فيها كل ما حدث في موضوع "بومبيرو" وموضوع التفويض ، وبالمثل ما كنت قد علمته ، من واقع الرسائل الواردة من المشرق ، بشأن الأسطول الموجود في السويس ، وفي السابع عشر من الشهر نفسه .

أرسلت خطاباً عن طريق "دوم فرانسيسكو بيريرا" "Francisco Perriera" مع خطاب آخر ، كنت قد تلقيته من طرف "توماس دي كورنوسا" ، مبيناً أن الأتراك الذين قاموا باحتلال جزيرة البحرين في مضائق هرمز ،

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

قد تم طردهم وإجلاؤهم بواسطة أسطول سموكم ، بعد أن تكبد العدو ألف قتيل .

بعد ذلك ، تلقيت رسالة من "كورنوسا" ، أشار فيها أن الباشا في القاهرة ، قد سارع بإعداد وتجهيز خمس وعشرين سفينة شراعية في السويس ، بهدف الإغارة على هرمز .

لقد تلقيت هذه الأخبار في وقت أدركت فيه عدم إمكانية وصولها للسفن ، التي تستعد لمغادرة "البرتغال" "للهند" في هذا العام ، في الوقت المناسب ، وحتى من حملها "للهند" ، ولقد رأيت أن الطريق إلى هرمز ، عبر حلب والصرة يبدو أسرع وأفضل ، وأن "إساك بيكودو" موجود لم يغادر البندقية بعد .

ذلك بسبب رداءة الطقس ، ولقد كتبت لسموكم عن هذا اليهودي "إساك" "Ezak" ، الذي أتاني بخطاب من المحامي "سيلفا" ، حيث كنت قد أرسلته ، كي يبقى في القاهرة لإرسال الأخبار إلى الهند عن طريق حلب ، وإرسالها من البندقية إلى هنا .

لقد استصوبت أن أكتب مجدداً إلى "توماس دي كورنوسا" كي يرسل أمره لليهودي مبيناً أنه إذا ما تحقق من صحة الأخبار في حلب ، فعليه أن يسارع بالذهاب بنفسه ، أو تكليف من يثق فيه بالسفر إلى الصرة وهرمز ؛ كي يسلم هذه المعلومات إلى قائد الحصن هناك .

ولقد كتبت أيضاً إلى اليهودي نفسه بضرورة اعتبار نفسه مسؤولاً عن إنجاز هذا الموضوع ، ولقد وعدته ، بالإنابة عن سموكم ، بإمكانية حصوله على مكافأة ، وذلك حسب جودة الخدمة التي ينجزها ، خاصة ، إذا ما

أمكنه الوصول في الوقت المناسب ، على أن يثبت صحة ذلك بحصوله على دليل من جانب القائد .

أعتقد أنه إذا ما كان اليهودي مخلصاً في تعاونه معنا ، وأنا واثق تماماً أن هذا الطريق هو الأفضل والأكثر أماناً إلى هرمز ، والهند ، ولا شك قد علمت بهذه الأخبار ، وأسأل الله تعالى أن تصل هذه الأخبار في الوقت المناسب إلى أعدائنا ؛ وذلك حتى يجدوا ما يستحقونه من أذى لقاء ما يكنّونه لنا من مشاعر الحقد البغيض ، وحسبهم أن يكون ذلك بمثابة إنذار بشأن هذه الأخبار التي ربما تكون غير صحيحة تماماً كما يحدث كل يوم .

اليوم تلقيت رسالة من "ميسينا" "Messina" ، حيث يقيم ابن أخت أحد أصدقائي ، ممن يعملون معي في هذا البلاط ، وهو من المواظبين على إبلاغي بأخبار المشرق ، وقد أرسل إليّ فقرة من خطاب ، كان قد اطلع عليه ، مرفق لك نسخة منه طي هذه الرسالة ، ولقد أورد فيه نفس الأخبار التي تلقيتها من البندقية ، والآن .

بعد أن تكررت هذه الأخبار ، واتفقت مع بعضها البعض في كل تفاصيلها ، فقد تأكدت من صحتها ، ولهذا السبب فقد رأيت أنها حقيقة بأن ترسل بواسطة رسول خاص ، يكون جديراً بتوصيلها بشكل عاجل قبل رحيل السفن ، إذ إنه من الممكن أن نتفادى الكثير من النفقات إذا ما تحقق هذا الأمر ، وسوف يكون الأمر بمثابة ضربة حظ إذا ما أمكن للسفن حمل هذه الأخبار ، وبالمثل التحذير عما يمكن أن يصيبهم من أضرار من قبل هذا الأسطول .

إذا ما تقرر له أن يبقى في انتظارهم في مكان ما ، الأمر يحدث في كثير من الأحيان ؛ لأنه عند وصول تلك السفن ، سوف يتمكن نائب الملك من إجراء الترتيبات اللازمة ؛ ولأنه عندما تبلغ السفن مدينة "غوا" سوف تستغرق الأخبار بعض الوقت كي تصل إلى هرمز ، وليس من السيئ أن يحمل كل منهم رسالة إلى قائد "موزمبيق" ؛ كي يبلغه بضرورة إرسال إحدى السفن على طول الخط الساحلي حتى هرمز بهذه الأخبار .

هذا أيضاً أمر له أهمية كبرى بالنسبة لـ"موزمبيق" والتي كانت لها سلفاً مبررات خوفها ؛ لأجل مصلحة السفن ومصلحة هرمز وعموم الهند ، أن يجازف المرء بإرسال مركب شراعي ناهيك عن إبحار أو عدم إبحار السفن ، إذ يمكنه الوصول عاجلاً إلى هرمز و"موزمبيق" طالما بدا أن على السفن الذهاب إلى خارج الجزيرة "مدغشقر/ ساو لورنسو" ؛ ذلك لأجل ضمان سلامتهم من الأسطول .

على كل حال ، لابد من الأخذ بالكثير في الاعتبار ، وأنا أقترح فقط ، تحسباً لما يمكن أن يحدث في حالة الاضطراب ، أن يتم تدارس الأمر في مجلس سموكم ، وأن يتم الإعداد والترتيب للأمور الهامة .

ربما تكون هناك بعض الشكوك ، فيما يختص بتوقيت هذه الأخبار ، وأيضاً بسبب حقيقة أن الباشا في القاهرة هو حاكم جديد ، فإن عملية تجهيز وإعداد المراكب الشراعية في السويس قد حدثت بعد قدومه ، وأنه قد اتجه إلى ذلك الميناء في نوفمبر الماضي ، وأن أسطولاً غير مستعد على ذلك النحو ، لابد من أنه في حاجة للكثير من الضروريات ،

ولأجل كل هذا ، فلابد من الاعتقاد بأن الأسطول لن يمكنه الإبحار من هناك قبل حلول شهر يوليو .

وعليه أعتقد إذ ما صح اعتقادي ، أن ذلك سوف يكون في موسم هبوب رياح "المونسون" ، بوسع المختصين في مجال التخطيط ، ومن لهم معرفة في أمور البحار والإبحار في تلك الأنحاء أن يحسبوا ذلك بشكل أفضل ، وحتى ذلك الوقت .

نتمنى أن تكون الأخبار قد وصلت إلى هرمز ، سواء كان ذلك براً أو بحراً ، وذلك حتى نتفادى الدمار المرتقب ، والذي يمكن أن تحدثه هذه المراكب الحربية ، إذا ما صحت الأقوال والأخبار التي تروى عنها ؛ لأنه حتى إذا لم تتحرك هذا العام سوى للانضمام إلى تلك الموجودة في الصرة ، فسوف يكون الأمر أدهى وباعثاً على خوف وقلق مستمرين في نفوس الناس ، ومدعاة للاضطرابات التي ما يزال البعض حتى الآن يتكهن بوقوعها ، فالترتيبات والاحتياطات ، يجب أخذها .

كما يجب أن يتم تحذير تلك الحكومة ، أما من جانبي ، فسوف أكون يقظاً تماماً ، سواء بواسطة اليهودي ، كما ذكرت ، أو بواسطة بوسائل أخرى يمكن من خلالها التأكد من وصول الأخبار في الوقت المناسب ، ولا شك بأنني سوف أكتب لسموكم عن كل ما يستجد من أحداث .

لم أقدم على فعل أي شيء بشأن "بومبيرو" ، وذلك منذ آخر رسالة أرسلتها إلى سموكم ، إذ لم يحدث أي تغيير في تصرفات "بومبيرو" ، ولقد تعرض دير الرهبان في "البرتغال" للهجوم ، وهذا هو الأمر الوحيد المؤكد ،

لقد تم إخضاعه لصالحنا ، وأنهم يسعون لإيجاد أحد "البرتغاليين" ، وإبقائه هناك ، أملاً في أن يتمكنوا في الوقت المناسب من الاستيلاء على الدير وعلى مكتسباته ومقدراته ؛ لكن في ظل هذه النوايا ، يبدو أن الأمر يصب في غير مصلحة سموكم .

لقد علمت أن "بيرو دي سوسا" متورط في هذا الأمر ، وعلى الرغم من إحساسي بالأسف لذكر الأسماء ، وبصفة خاصة اسم هذا الشخص ، إلا أنني أعتبر أن هذا المرفق هو مرفق هام ، ولابد من معاقبة كل الذين تسببوا في الإضرار به .

إن فكرة إرسال سفير "بابوي" إلى "البرتغال" ، قد تم طرحها للنقاش مجدداً ، ولعل هناك بعض التباين والاختلاف في وجهات نظر أولئك السادة ، إذ إنه أثناء النقاش أبلغت سموه يوماً ما أنه يريد التحدث معي حول فكرة إرسال سفير "بابوي" ، ولقد أخبرته بعدم جدوى هذا الأمر ، وبالتالي رأيت أنه لا مبرر ، للتطرق لهذه الفكرة ما لم يتحدث معي بشأنها مرة أخرى ، وإنني أعلم أنه ، إذا ما أنهى هذا النقاش الآن بسبب خوفه مما ستكون عليه الإجابة ، فمن المحتمل أن يقرر من جانبه هذا الأمر في غيابي .

كما أنني أشك أيضاً أن هناك أحد البرتغاليين الذين يكيدون لي في هذا الموضوع ، وأنه يعمل على إقناعهم ، وأن التفويض جدير بأن يكسبهم جانب "بومبيرو" .

أتمنى أن تصلني رسائل سموكم حول جميع الأمور ، وذلك حتى أتمكن من التفاوض معهم بإلحاح . إن الرسائل ضرورية جداً ،

لأنني أدرك أيضاً أن البرتغالي نفسه يخبرهم أنني لا أملك السلطات الكافية واللازمة .

أما الكردينال "بومبيرو" فهو لا يرى أي تناقض في الأمر ، وبالمثل ، لا علم له بمغبة جهله ، لذا فمن الصعوبة بمكان التعامل مع مثل أولئك الناس المتسلقين . كان البابا قد أخبرني مؤخراً ، أنه سوف يكتب إلى سموكم بشأن رغبته في دعوة لانعقاد للمجلس العام للكنيسة ، غير أن الرسالتين اللتين سماهما "قداسة البابا" حسبما أفدت سموكم .

سوف يتم إرسالهما فوراً مع أول رسول ، هذا إذا لم يأسف مرة أخرى لتوقيعهما . إنه ما زال يحيطني بعطفه واحترامه ، وقد أرسل إلي يوم أمس ، أبناء أخته "الكرادلة" ، لتناول الطعام معي ، ومشاهدة الاحتفال الذي أقيم في الميدان .

بالأمس توفي "الكاردينال باشيكو" ، بالرغم من أنه لم يكن يعاني من أي مرض يذكر ، لكن في إطار ما سمعته من مشاعر الجمهور عند فقدان هذا الرجل ، فإن قداسته كان تضع حوله آمالاً كبيرة ، وحقيقة الآمال الكبيرة عادةً ما تكون قوية ، لكن عند تلاشيها تكون مدمرة ومميتة .

قدم سعادة سفير الإمبراطور "الكونت داركوس" ، كبير موظفي البلاط ، فروض الطاعة والولاء ، ومن ثم غادر وظل الآخر باقياً ، ومع هذا أرسل نسخة من الكلمة التي ألقاها ، ورد البابا نفسه عليه بالمثل كما جرت العادة . أما السفير البولندي فسوف يقدم أمامه طاعته هذا الأسبوع ، بالرغم من عدم ظهور أي سفير في جانب "فرنسا" أو "كتالانيا" للمثول حتى الآن ، إلا أن ذلك أمر متوقع ، ويمكن أن يتم في أي يوم .

لقد أحضرت بعض الملاحظات من طرف قساوسة "تومار" ، فيما يختص بموضوع "دير نويسترا سنهورا دا لوز" . لم أتلق رد سموكم عن الطلب الذي قدمته لسموكم بشأن التوجيهات والأوامر ، وعليه لن أتمكن من فعل أي شيء من دونها ، والأمر نفسه ينسحب على موضوع الاختلاف حول كنيسة "كارندي" بين القساوسة ، وأحد أقرباء "أندريه دي أبريو" " Andre de Abrio" .

أسأل الله تعالى أن يحفظ حياة ومقدرات سموكم .

من "روما" في الخامس من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأسطول التركي في السويس : (٤٥)

سيدي ، في السادس من هذا الشهر ، أرسلت مبعوثي إلى سموكم ، كي يبلغكم بأنني قد تلقيت أخباراً من البندقية و"ميسينا" ، تفيد أن سعادة الباشا قد غادر في سبتمبر الماضي من القاهرة متجهاً للسويس ؛ وذلك بنية تجهيز وإعداد خمسة وعشرين مركباً شراعياً ، موجودة هناك في الميناء للتوجه هذا العام إلى هرمز .

لقد كتبت لكم مطولاً في هذا الموضوع ، وقد تيقنت أن المبعوث قد وصل بسلام ، ولحق بالسفن قبل أن تبحر "للهند" ، وأعتقد أن هذا قد أصبح معلوماً كأمر هام ، ولا أرى حاجة لقول المزيد في الوقت الراهن .

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

إنني أكتب هذا الخطاب ، في ضوء الوسيلة المتاحة ، والمبعوث الذي سوف يقوم بإطلاع سموكم على ما استجد في موضوع "الرهبنة البندكتية" للأب "بومبيرو" منذ وقت رحيل المبعوث في السادس من هذا الشهر ، والذي أرسلت معه أخبار ما حدث حتى ذلك الوقت .

هذا ومن ضمن السفراء البابويين الذين يقوم البابا بإرسالهم إلى جميع الأنحاء ، تم اختيار "المطران تيراسينا" للتوجه إلى "إسبانيا" ، وحقيقة كان هذا الأمر ليس غير متوقع فقط ، وإنما كان بمثابة المفاجأة للجميع .

جرت المنافسة لهذا الانتخاب ، وكانت قد انحصرت بين اثنين من أبناء إخوة "الكرادلة" ، ومع كل منهم بعض أقربائه الذين يقفون إلى جانبه ، وهكذا أصبح هناك طرفان متنافسين : الطرف الأول يمثله شقيق الكاردينال "سان جيورجيو" "San Giorgio" الآمر في قلعة "سانت انجيلو" "Sant Angelo" ، ساعياً للحصول على هذا المنصب . ينافسه من الطرف الثاني ، "بوروميو" "Bormeo" ، وهو الطرف الأقوى الذي برز إلى جانب مطران "تيراسينا" "Teracena" .

حقيقة لم يكن سفير الملك "فيليب" على علم بهذا الموضوع ، إلا بعد أن أصبح الأمر مشاعاً بين الناس في البلاط ، ولعل قداسته قد فعل الأمر نفسه مع ملك بولندا عند اختيار السفير البابوي ، الذي أرسله إلى تلك المملكة ، ولم يكن "تراسينا" هذا بالرجل الذي يمكن أن يعول عليه ، على الرغم من أن "المطران" قد أفاد منه في قضاء بعض المهام ، وأعتقد أن قداسته يرى ، كما يقترح السفير البابوي نفسه ،

أنه لن يكلفه أكثر من الآخرين ، وبالتالي فإن جميع عوائد ومداخيل المكتب سوف تعود إلى الخزينة البابوية .

هذا "المطران" يشن حرباً عنيفة بشأن ضريبة العشر حسبما أفهم ، ويعتقد "المطران" أنه في "إسبانيا" سيكون لهم نصيب جيد من جميع مداخيلهم ، وأنه توجد هنالك العديد من المصادر في المملكة إذا استغلت فمن الممكن أن تدر عليهم أموالاً جيدة . كان ذلك هو الأمر المطالب به في الوقت الراهن ، وهم يعتقدون بصدق أنهم يحكمون "بيرو" .

تماماً مثل هذا المطلب الرئيس ، أرسل سموه سفيره البابوي الذي غادر بالفعل وبشكل عاجل ، لأنه كان يحمل إذناً وأمراً إلى "دون سيزاري" "D . Cesari" الابن الأكبر "لدون فيرناندو غونزاغا" "D . Fernando Gonsaga" ، كي يتزوج ابنة لأخ له ، هي شقيقة "بورميو" ، وهناك وعد بمنصب "الكاردينال" خصص لصالح شقيق المذكور "دون سيزاري" ، وأخذ معه أيضاً بعض المطالب للملك "فيليب" ، لها صلة بمصالح ، خاصة بأبناء أخيه ، واعتقد أنه سوف يفاجأ بفشل الكثير منها .

أما الجابي مع هذا المطران فهو "فرانسيسكو دي اراغونيا" "Francisco de Aragonia" ، الذي ما زال حتى اليوم يعمل في وظيفة سكرتير الاعترافات ، وهو المنصب الذي شغله مع البابا السابق . هذا ويعرف عنه أيضاً رغبته الشديدة في الإفادة من هذا المنصب .

لقد أثرت أمر اختيار هذا المطران إلى "إسبانيا" ، كي أفيد أن قداسته قد أرسل بواسطته تفويضاً إلى "فرانسيسكو كانوبيو" ، الذي كان يعمل

في الماضي في "البرتغال" جابياً ، أيام بعثة "الكاردينال" ، والآن هو موجود في البلاط الإسباني ، لكن لا يشغل أي منصب ، وأيضاً كان في هولندا مع "الكاردينال كارافا" "Carava" .

لقد ظل يعمل معه وكيلاً لأعماله ، وتم استدعاؤه ، عندما تمّ نفي "الكاردينال" ، حيث أنجز مهاماً مختلفة للمطران بول ، هذا التفويض المرسل للمذكور "كانوبيو" "Canopio" يخوله للذهاب لمقابلة سموكم لمناشدتكم إصدار الأمر بشأن ممتلكات أديرة الرهبان "بومبيرو" و"روفيوسيس" كي تسلم له بصفته وكيلاً "للكاردينال بومبيرو" .

لأجل هذا الطلب ، فقد حمل إشعاراً من قداسته ، كي يسلمه إلى سموكم ، يفيد بأنه قد خصص الديرين لمصلحة "بوروميو" ، وسوف يعمل على إرسال "كانوبيو" إلى هناك ؛ كي يتسلمها ، ومن ثم يقوم بجمع الدخل ، ويناشد سموكم أن تصدروا الأمر كي يتم تسليمها له ، وأرسل أيضاً إشعارين آخرين في الموضوع نفسه إلى سيدتنا الملكة ، وإلى سعادة "الكاردينال" .

سوف يقوم أيضاً "بوروميو" بالكتابة إلى سموكم بنفس الثقة ، ولقد تناهى إلى علمي أنه يرسل التوجيهات إلى "كانوبيو" عما يجب عمله . لم يخبرني المطران عن هذه الأمور ، كما أن "بوروميو" لم يذكر لي شيئاً ، رغم حديثي المطول معه عن أعمال "بومبيرو" ، وذلك في اليوم الذي أعلن فيه عن رحيل "تيراسينا" ، ولم يشأ أن يطلعني عما يحدث من أمور .

إذا ما عملوا على المراوغة معي ، فسوف تكون أسباب ذلك أنهم قد اقتنعوا أن الأمر يجب أن يتم بواسطة الشخص الذي قام بالأعمال

الأخرى ، أما بخصوص المطلب هذا ، فإنني مُصر على أن أكون مفوضاً من قِبل سموكم ، وهذا ما ذكره "بوروميو" للبعض من الناس ، وفي رأيي ، أنه ولعدة أسباب يجب ألا يبدر مني في الوقت الحاضر ما يدل على علمي بهذا الطلب ، خاصة وهو مطلب غير معقول ، ولا تعرف غايته الحقيقية ؛ لكن دعهم يتورطون في فظاظتهم .

وإذا ما أبدى جرأته في الأمر ، فسوف أبين له بوضوح كامل استحالة الأمر ، وبالتالي سوف أتجاهله ، لكن إذا ما تحدث معي سموه عن الأمر ، فإنني أدرك تماماً ما يجب عليَّ أن أقوله له ، وسوف يستمع إليّ بكل تواضع وبساطه ، ويحدثني بما فَعله .

في الوقت الذي سيبقون على جهل بما يحدث في البرتغال ، يجب أن أتلقى من طرف سموكم خطابات الرد على الامتياز الأول ، الخاص بالدير ، والرفض الذي حدث .

عندما يتم عمل الامتياز ثانية ، ومن واقع كتابات سموكم ، سوف يفهم من ذلك أنه ليس طلبي . عموماً أتمنى من سموكم ، أن تكون حازماً حتى تتحقق هذه الغاية ، ومن خلال هذا ، سوف يدركون ويفهمون موقفنا ، ويصبحون على علم بالقيمة التي يحسبون أنها تـتعاظم يوماً بعد يوم .

أضف لكل ذلك ، أنهم سوف يكونون على بينة من الأمر ، وترتاح نفوسهم عند استلامهم المعلومات التي سوف تصلهم من طرف "كانوبيو" ، التي يمكنه إرسالها إليهم إذا ما سمح له بمحاولة ذلك ،

للكشف عن استعداد أولئك المستأجرين لتسليم أرباحهم ومكاسبهم والسهولة التي يمكن لأقرباء رئيس دير الرهبان جمعها .

عموماً لدي شكوكي حول المسار الذي يسلكه هؤلاء الرجال في هذا الأمر ، إذ لابد أن يكون ذلك بإيعاز وتوصية من قِبل البرتغالي ، أو من قِبل شخص يعتقد أنه على علم بالبرتغال ، وعلى كلٍ ، فإن حقيقة محاولتهم تجنبي هي مؤشر واضح على أنه رجل برتغاليّ ، ولا يعلم الكثير ، وهم يضعون ثقتهم في المخاوف الناشئة في هذا البلد من خلال إشعارات بل شعار غير عادل وغير منطقي .

إذا كان سموكم قد اطّلعتم على ما جلبه "كانوبيو" ، فلا شك أن العجب سوف يتبادر لسموكم لأن محتوى الرسالة كان مختلفاً تماماً عما كتبته في هذا الأمر ، وإنني رويت القضية تماماً كما حدثت .

كم كانت الدهشة عندما تبين أن هذا التغيير في التخويل لم يصل إلى يديّ ، وبسبب هذا يترتب أن تأمر بأن أخاطب في الأمر ، وأنك سوف ترد على قداسته عن طريقي ، فإذا كان "كانوبيو" يرغب في الاتفاق على ذلك ، فسوف يكون حسناً قد فعل ، أما إذا كان يرغب في انتظار وصول الرسالة ، فأرجو أن تدعه يفعل ما يحلو له .

أعتقد أنه سوف ينتظر ، لأن "بوروميو" قد أفهم شقيق "كانوبيو" بذلك كمواساة له نظير تدخله في هذا الشأن الداخلي ، وبالتالي سوف يرسلونه "للبرتغال" للعمل مع الآخرين ، لقد سعوا لإقناعه أنه سوف يصبح سفيراً بابوياً ، لكن هذا لن يتم تحقيقه ، إذ يوجد هناك البعض من ذوي المراتب العليا ممن يطالبون بذلك المنصب ، وأعتقد أنه إذا

ما اتخذت قرارات جيدة بشأن ذلك الرد ، فسوف يتسع المجال أمام سموكم بحيث تأمرني بقول كل ما هناك عن هذا الموضوع الواضح ، وفي إطار هذا .

في إطار الصعوبة التي يواجهونها إزاء الامتيازات وعمليات جمع المداخيل ، إذا ما حصلوا عليها ، وفي ظل عدم محاباة سموكم لهم ، فإنهم سوف يتوصلون لاتخاذ قرار جيد عما يطالبون به أكثر مما يفعلون الآن ، عندما يكونون واثقين من حجم الدخل ، وعليه ، فإذا ما فعل سموكم ما يتناسب بشأن الوضع ، فأعتقد أن "كانوبيو" سوف ينضم إلى جانبنا ، وبموجب ذلك سوف يكون في مقدور سموكم الإفادة من حقيقة أن الأب "فيليب دي ميلو" قد تم انتخابه بواسطة أخوة "بومبيرو" على النحو الذي سوف أفسره .

وصل المذكور الأب "فيليب" إلى هذا البلاط في فترة الفراغ من هذا الشهر مع زميله الأب "جواو تريجو" ، وذلك بغرض تأكيد انتخابه ، دون أن يعلم أنه عندما غادر "البرتغال" سوف يواجه خصماً شرساً ، وعليه فإنه لا يتوقع أن تكون هنالك عدالة ، غير أنني لا أرى ما إذا كان ذلك بسبب عدم ثقته في شيء آخر أو بسبب محاسنه ، لكنه أتى لمقابلتي ، كي يحدثني بالأسباب التي دفعته للمجيء ، حيث قال إن هدفه هو خدمة سموكم ، ولذا فقد وضع نفسه تحت تصرفي ، كي أبلغه بما يجب عليه أن يفعله .

حيث تبينت أنه تحت ستار وذريعة الاسترحام ، فإن ذلك الشخص المنتخب عندما يمثل أمام سموكم ، وهو قد كسب المنصب مسبقاً ، سوف يتمكن من إقصاء طلب "كانوبيو" لسنوات عديدة ، ولذا فقد

ركبت مع الأب "فيليب" ، واتفقنا على أن يغادر فوراً مع المبعوث كي يكون حامل هذا الخطاب .

علـى أن يتحـدث مـع أمـين الـسير "بيـرو دي الكاسوفا" "Pero de Alcacova" ، للوقوف على ما يتوجب عمله ، فإذا ما وصل قبل "كانوبيو" (وأعتقد أنه سوف يفعل ذلك) فيجب عليه أن يتجه إلى دير الرهبان ، كي يتم القبول به كرئيس للدير من جانب إخوته .

بواسطة محاميه وأبيه وأقربائه يمكنه الاعتراض على عدالة قضيته أمام سموكم ، وذلك كي يتمكن "كانوبيو" من سماع تلك الاحتجاجات عند وصوله ، وبالطبع فإن سموكم لن يرفض أن يأمر بالاستماع لهذه القضية ، ومن الطبيعي ألا يأتي الحل على حساب ممتلكات "بوروميو" ، وبهذا التأخير الذي سيطول حسب رغبتهم ، فإنهم سيدركون جهلهم ، وسوف يسألوني كما قلت عما قلته لـ"بوروميو" .

لقد علمت من بعض الباحثين من ذوي الخبرة ، أنه في حالة لجوء رئيس الأساقفة لتأكيد انتخاب الأب "فيليب" بواسطة انتخاب الرهبان خلال فترة خلو العرش ، فإنه من غير شك سوف يصبح رئيساً لدير الرهبان ، وعليه فسوف يسارع بالمجيء إلى هنا للتأكيد بالرغم من قوة قضيته وحجته ، إذا ما عملوا على رفضها ، ولقد ذكر هذا الراهب أنه يجب على سموكم ، أن تستفيدوا من جميع الحقوق المخولة لكم في كل ما ترونه .

حقيقة ، فرغبته شديدة في خدمة سموكم وتنفيذ أوامركم ، إذ إنه على ثقة أكيدة في أن سموكم ، سوف يمنحه بركاتك وصلواتك

كي يعيش في أمن ، وفي الحقيقة ، فإن هذا الرجل يستحق الخدمة والعطف ، إذ إنه نموذج جيد للذين يعملون النقيض ، وإذا ما عمل سموكم على إصدار أمر ، بحيث يمنع كل أجنبي من الحصول على الإقطاعات ، والرتب الكنسية ، أو المنح الحكومية في البرتغال ، فسوف يكون ذلك عملاً جيداً ، وإجابة على المهتمين بهذه الإقطاعية وإقطاعية "رفويدس" .

لابد أن يكون هذا القرار قوياً معمّماً وواضحاً الآن وفي المستقبل ، وأرجو أن أحظى بثقة كاملة ؛ وذلك كي يفهموا أنهم لن يتمكنوا ، ولن يكون في مقدورهم التفاوض سرّاً مع وزراء سموكم ، ومن خلال هذا يتبيّن ضرورة وضوح وإبانة هذا الإثبات في هذه المناطق .

أما فيما يتعلّق بأديرة الرهبان تلك ، فبوسع سموكم مخاطبة البابا بأنه لن يكون من العدالة في شيء ، أن ينزع من أتباعكم المكاسب التي حصل عليها أسلافهم من الملحدين ؛ وذلك في سبيل خدمة الرب ، وخدمة ملوك "البرتغال" بعد أن أهدرت الكثير من الدماء التي كانت ثمناً لحياتهم ، هذه سوف تكون عقبة قانونية في قضية "رفويوس" وبالمثل "بومبيرو" ، بالاضافة إلى حقوق ومقدرات الأب "فيليب" ، الأمر الذي سيجعل سموكم أن يتخذه سبباً رئيساً أمام كل قضاء ، بحيث يتعذر إعطاؤه للآخر .

بعدها يمكن لسموكم أن تترك الأمر للرجل المنتخب ولأقربائه كي يقدموا احتجاجاتهم ، وبوسعك قانونياً منع أي استحواذ من الممتلكات ، وتأجيل ذلك لآلاف السنين ، وحينها لن يجد البابا عذراً للقول بأنهم لا

يطيعونه ، وكل فرد سوف يعتبر أن سموكم قد كان منصفاً وعادلاً في كل مكان ، وسوف تلقى مسؤولية ارتكاب الظلم على البابا .

عندما كنت أتحدث مع "الكاردينال بوروميو" ، قبل أيام مضت ، أقسم لي بأنه قد وُعد بخمسة آلاف "كروزادوس" في "روما" مقابل هذا الدير ، سواء تمكن من الحصول عليه أو فشل في ذلك ، وعندما أخبرته بأنه يجب أن يترك هذا الأمر ، وأوضحت له طبيعة العقوبة التي تطال البرتغالي ، أخبرني أنه قد وعد ، بأنه إذا ما تمكن من الوصول إلى اتفاقية ، فإن ذلك لن يكون ، ولن يتم إلا بواسطتي .

لقد أعرب عن رغبته في معرفة الدخل والحصول على الممتلكات ، وبعدها سوف يتحدث في الأمر ، بعد ذلك أخبرته أن الأمر ينطوي على خدعة فيما يتعلّق بالدخل ، الذي تكتنفه أيضاً صعوبات جمة ، تتعلق بعملية جمعه ، وبالمثل التزامه بتنفيذ وعد عمّه ، فقلت له أن عليه أن يقصيني عما قلته له عن الوفاء بكلمة ووعد عمه ، لكنه لم يلق بالاً .

لابد أنهم سيبحثون عن عوضٍ ما ، كي ينجوا بأنفسهم ، وهم في عجله لوضع أيديهم على المال ؛ للإثراء من ذلك ، وسوف يحاولون بشتّى السبل تحقيق أهدافهم بحيث يتعاملون مع الكثيرين تماماً كتعاملهم معي ، ولهذا كان الاحتجاج واضحاً من قبل الكثيرين ، حيث طلب من البعض ما يملكونه ، وتعاملوا مع البعض الآخر لأنهم رفضوا ما كانوا قد وعدوهم به .

وأعتقد أنني سوف ألقى المشاكل والصعوبات أينما وُجد الشاغر في البرتغال ، لأن كل شيء يطالب به قداسته ، سوف يحاول الحصول

عليه لأجل أبناء إخوته ، كما أنه يرغب في الحصول على مخصّصات كلّ ما اعـترف بأنّه يقـع ضمـن إطار احتجاج سموكم ، وهذا هو الأمر الذي جعله يأمر السفير البابوي كي يطالب "بالأبرشية" الشاغرة في "إسبانيا" .

لقد أبلغ البابا أحد الثقاة بأن تعييناً جيّداً سوف يتم في "بومبيرو" ، وأعتقد أن ذلك بشأن "بيرو دي سوسا" ، بموجب شفاعة وتوسّط المقربين من أصدقائه ، وأن كل المشاكل التي واجهتني في هذا الأمر تعزى لطمعه .

أما بخصوص عملية إرسال سفير بابوي لـ "البرتغال" ، فأعتقد أنهم سوف يتريّثون ؛ كي يروا ما سيحدث لـ "بومبيرو" ، لكن لابد أن من شخص سوف يتم تعيينه ، وهناك العديد ممن يطالب بالمنصب ، ولقد ذكر البابا بالأمس لأحد الأشخاص من ذوي السلطة ، أنه قد تقرّر إرسال أحد الأفراد ، وكما علم فهو من مواطني البرتغال ، وأن الأوامر التي تصدر من بابا "الأبرشية" لا تجد التنفيذ .

عموماً لا أتجرأ بالشك فيمن يكون مؤلف هذا الافتراء والخيانة ، لكنني أعتقد أن الشخص نفسه سوف ينصح بعملية أخذ الممتلكات ؛ لأنه إذا ما تحقق ذلك ، فإن نصيحته سوف تكون موضع التقدير ، وإذا ما رفضت فسوف يكون محقّاً بشأن الأوامر المرفوضة ؛ لكن بما أن الحقيقة تظل دائماً هي الحقيقة الباقية ، وأن الكذب هو الذي ينفضح ، فلابد لسموكم من التحرك ، كما قلت .

سوف نعرف هنا كيف سنوضح ونُبين الأمر ، وحقيقة ما زلت أعتقد ، من خلال بعض السوابق القانونية ، إن "كانوبيو" سوف يحمل

تفويضاً للقول بأن تمثيل البابا سوف يمنح لـ "الكاردينال" ، وذلك كي يسهل على "بومبيرو" قضية الادّعاء ، وبعد أن يتم لهم ذلك ، أعتقد أنهم سوف يعودون لما هو مقنع بالنسبة لهم .

سوف أستمر في التحقيق في هذا الأمر ، وفقاً للتوجيهات التي صدرت لي ، وعندما يكتب سموكم لـ "قداسة البابا" ، فإن ذلك سوف يعطيني دفعة قوية ؛ لأنهم قد أُبلغوا بأنني لا أملك من السلطة والتخويل ، ما يجعل مني مفاوضاً ملحاحاً .

لا أعتقد أنه من الأصوب أن يعطي "كانوبيو" من الأهمية أكثر مما ينبغي أن يعطي لوكيل لابن أخت البابا ، وفي وجود الجمهور الكبير والنوايا الحسنة ، وذلك لنستمر في الأمر ، حسبما ذكرت من قبل .

عليه فمن أجل أن يتمكن الأب "فلييب" ، ذلك المنتخب ، من السفر ، تقتضي الضرورة ترتيب وسائل على نحو سرّيّ مع "أنطونيو دا فونسيكا" ، وهو مصرفي ، وذلك كي يعطي مبلغ مائتين وستين "كروزادوس" ؛ وذلك كي يسدّد الأب ما عليه من ديون ؛ لأنه كان من الضروري والمعقول أن نوافق على منح الأب "فيليب" تلك النفقات ، بل وعلى منحه كل شيء آخر يمكن أن يكون ضرورياً ؛ كي يدفع بقضيته للأمام .

لقد التزمت من جانبي ونيابة عن سموكم ، أن أدفع المال لـ" أنطونيو دا فونسيكا" وذلك خصماً على عائد الأبريشية .

أسأل الرب الحكيم أن يحمي سموّكم ويحمي بلادكم من كل مكروه .

من "روما" ، في الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأسطول التركي في السويس : (٤٦)

سيّدي ، في اليوم الرابع عشر من الشهر الجاري ، جاء إلى منزلي المدعو "فيروجا" "Viroga" ، ألفاروجال"–هو تاجر مالطي في القاهرة ، وقد غادرها في السادس والعشرين من نوفمبر الماضي ، ولقد أتاني إلى منزلي بخطابات من طرف "أنطونيو بنتو" "Antonio Bento" من أبوبورتو ، والذي كان قد سُجن في مسقط مع "جواو دي ليسبوا" ، وأتاني أيضاً برسائل من طرف "ماثياس بكودو" "Mathias Bicodo" (بيكودو) ، الذي كان في القاهرة أيضاً .

لقد قرّرا إرسال هذا الرجل ؛ وذلك كي يكون سموكم ، على علم بأخبار الأسطول الذي تم تجهيزه في السويس ضد الهند ، وذلك قبل شروع السفن والمراكب في الإبحار ، وكان الرجل يندب حظه ويندب

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

الظروف التي جعلت وصوله يبدو متأخّراً ، وذلك بسبب الرياح المعاكسة التي ضربتهم أثناء عبورهم من الإسكندرية إلى "ميسينا ، ولقد صدقته في ذلك ؛ لأنني لمست حقيقة رغبته الجارفة في الانخراط في الخدمة .

كانت الأخبار التي أتى بها عن الأسطول مماثلة تماماً لتلك التي كنت قد أرسلتها إلى سموكم في السادس من الشهر الجاري ، وذلك عن طريق رسول خاص أُرسل لإنجاز هذه المهمة ، والمعلومات التي وردت لم تختلف عن تلك التي أُرسلت من القاهرة إلا في عدد المراكب والوقت الذي تبحر فيه من القاهرة ، ويبدو أنها لن تتمكن من الإبحار قبل حلول شهر مارس القادم .

أما بالنسبة للمعلومات الأخرى التي تلقيتها من البندقية و"ميسينا" ، فإن النوايا تتّجه للإبحار هذا العام ، وإذا لم أكن مخطئاً ، ونسيت الموسم الذي يكون فيه الإبحار متيسّراً ، فإنني أعتقد أنه بوسعهم الإبحار في يونيو أو يوليو .

وبالتالي فسوف تكون هناك مدة ستة شهور أو أكثر ، أي من ديسمبر وحتى ذلك الحين ، وهي فترة كافية لأجل تجهيز الأسطول للإبحار ، ولعل حقيقة أن القاهرة تبدو مليئة بالجنود ، كما يقول "ماثياس" ، وازدحام الطرقات بدءاً من القاهرة وحتى دمياط ورشيد بمجموعات التجار الباعة والنجّارين الذين جندوا للسويس ، لا تشير إلى إمكانية تأجيل الإبحار لعام واحد .

لقد تمّ تأكيد هذا من خلال ما كتبه "ماثياس" عن السفراء الذين

أرسلهم سعادة اللورد في "سورات" إلى هنا ، ورسالة من الخليفة في مكة الذي كان يُجِد في إرسال الأسطول ، وتبدو حاجة "سورات" مؤشّراً واضحاً لمفهوم ضرورة إرسال الأسطول هذا العام ؛ وذلك لأنهم ، إذا ما أجّلوا الإبحار للعام القادم ، فربما كان وصوله بعد فوات الأوان .

وعليه ، فمن واقع كد واجتهاد الباشا ، وحاجتهم لمنع تجارة البهار ؛ كيلا تتدهور عن طريق البحر ؛ بسبب الأحداث الجارية في البحرين ، فيبدو أنهم يبذلون كل ما في وسعهم للإبحار في الوقت الذي ذكرته .

سوف يكون من دواعي الحظ ، إذا ما وصلت المعلومات التي أرسلتها عن هذا الأسطول قبل شروع المراكب في الإبحار ؛ لأنه سوف يكون بالإمكان ترتيب معظم الأوضاع ، وأيضاً سوف يكون حسناً جداً ، إذا ما تبين تبرير شكوك أولئك الرجال حول عدم إمكانية مغادرة السفن قبل حلول شهر مارس القادم ، وفي الحالتين ، فإنه من الضروري تحذير الهند وتجهيزها - الأمر الذي يجب على سموّكم عمله في أي حال ، وذلك عن طريق إرسال بعض السفن الصغيرة ، إذا ما غادرت السفن قبل وصول مبعوثي .

مرفق لسموكم طي هذا الخطاب مجموعة الرسائل التي تلقيتها من الأشخاص الموجودين في القاهرة ؛ وذلك كي يتمكن سموكم من الاطّلاع على كل شيء ورد فيها ، وما زال "جون فيروجا" ، الذي أتى بتلك الرسائل ، موجوداً في منزلي ينتظر رد سموكم ، وذلك كي أعرف ما سوف أكتبه عن بقائه في القاهرة .

بما أنني لا أعرف عنه أكثر مما ورد في هذا الخطاب الذي جاء به ، فإنه

ليس في علمي أو في مقدوري أن أقرر ما إذا بالإمكان أن يثق المرء في أنه هو الرجل المناسب كي يبقى في القاهرة للتواصل مع "اساك بيكودو" "Ezak Bicodo" ، الذي قررت أنا أنه يجب أن يبقى في حلب ، وبما أن كل واحد منها لم يتم اختياره بواسطة الآخر ، فلن يتجرأ كل منهما على وضع ثقته في الثاني ، وإذا ما وجد "أساك" أحداً ما يرى أنه مناسب كي يرسل إليه الأخبار من القاهرة .

من يمكنه التوجه عند الحاجة إلى السويس ، فلا شك أن ذلك يعدّ شيئاً يتوافق مع أهدافنا بشكل كبير ، وإذا ما رأى سموكم ، أنه من الأصوب والأفضل أن يبقى "ماثياس" في القاهرة .

أيضاً دون أن يعلم في الوقت الحاضر ماذا يفعل "إساك" ، ولا يعرف ماذا سيفعل الزميل الآخر الذي سيتم اختياره هناك ، فيمكن أن يستخدم في إرسال المعلومات من جانبه ، وبهذه الطريقة يمكن أن تستمر التجربة لعدة أيام ؛ كي نتأكد من مدى صحة المعلومات التي يرسلها "إساك" ، وللتأكد ما إذا كان بوسعه تسريع عملية الإرسال ، وبعد إكمال هذه التجربة ، فإن الزمن كفيل بأن يرينا التدبير الأفضل .

إن الأمر الذي جعلني أعتقد أن "إساك بكودو" ليس حقيقة بالرجل الجاد في إدارة العمل ، كونه لم يرسل ذلك الرجل من "غوا" حسبما ذكر "للهند" بتلك الأخبار ، ولا عذر له في ذلك إلا إذا كان السبب هو عدم توفر المال لمقابلة النفقات ، وهذه أمور غالباً ما تحدث ، أو كان قد امتنع عن ذلك ؛ بسبب عدم وجود التفويض ، فإذا كان "ماثياس" في القاهرة لعدة أيام ، فسوف يكون من الضروري أن نخصص له مبلغاً من المال لقاء تعهده .

بما أننا لم نقم بتحديد معاش له ، فسوف يكون من الأفضل أن ندفع "جون" هذا مبلغ ثلاثين "إسكودسا" ، الذي ذكر أنه قد أقرضه له ، وهكذا سوف أتمكن من مساعدته بتقديم ذلك عند الضرورة ، وبهذه الطريقة يمكنه الصرف والإنفاق على نفسه ، وبمرور الوقت سوف يتبيّن لنا ما يجب .

لابد لسموكم من إصدار الأمر لي كي أدفع مبلغ الثلاثين "اسكودسا" بأي حال من الأحوال ، كما يجب أيضاً دفع بعض المال إلى "جون فيروجا" هذا كمكافأة له عن عمله منذ أن أُرسل من القاهرة بذلك الوعد الذي قطعه على نفسه في إطار ما ذكروه عن أعماله ، وأتوسل لسموكم أن تبقيني على علم بما تأمر به كي أعطيه له ؛ لأن للمال وقعه وتأثيره الكبير في مثل هذه الخدمات .

عموماً يجب ألا نتراخى عن دفع المال لمن يقوم بإنجاز مثل هذه الخدمات ؛ ولكي يكون الأمير ملماً بالأخبار في مثل هذه الأمور المهمة ، فلا يجب الخوف من أيّة مصروفات أو عدم دفعها ؛ لأنه بالإمكان تحقيق الكثير من المكاسب ، وتدارك الكثير من الأخطاء من خلال ما يتم إنفاقه من أموال ، وعليه ، فيجب على سموكم إصدار أوامر لأجل إرضاء العاملين في هذه المرافق في هذه المناطق ، ولعل التجربة والزمن أبلغ شاهدين على أن الإنفاق كان ضئيلاً جداً مقارنة بالأرباح ، أما بالنسبة لما يتم بواسطتي .

سوف أسعى لتأكيد إرضاء العاملين في خدمة سموكم ، ومع هذا الخطاب سوف يكون هناك خطاب آخر من طرف "توماس دي

كورنوسا" وثالث من "إساك بكودو" ، الذي غادر بالفعل متجهاً إلى البندقية ، ومن خلالهم سوف يدرك سموكم ، ما تم ترتيبه بخصوص عمل "إساك" فيما يتعلق بالأخبار من الهند .

وما يجب عليه عمله في حلب ، وترتيبه في القاهرة من الآن فصاعداً ، وإذا ما تبين لسموكم أي نقص ، فأرجو أن يتفضل سموكم بإخطاري .

السيد "توماس دي كورنوسا" هو أفضل منظم وأجدر من يعمل على ترتيب ، وتزويد سموكم بالأخبار ، ولقد برهن على ذلك بحرصه ، وتفانيه وجده في العمل ، وهو يتلقى من سموكم مبلغ ستين "كروزادوسا" في السنة ، وأعتقد أن عمّه الذي عُين كقنصل برتغالي في البندقية بواسطة الملك الراحل ، قد كان يتلقى راتباً يبلغ مائة وعشرين "كروزادوس"

لقد وافق سموكم على إعطاء مبلغ ستين إلى جانب هذا العمل بناءً على طلبي ، وذلك بنية زيادة المبلغ في المستقبل ، غير أنني أؤكد لسموكم أن هذا المبلغ والمعاش يعدّ ضئيلاً ، ولا يكاد يفي بنفقات رسوم الميناء وعملية جمع الأخبار .

لقد ناشدني متوسلاً راجياً مني أن أتوسط له لدى سموكم كي توافق على زيادة معاشه إلى المبلغ الذي كان يتقاضاه عمه .

أعتقد أن ذلك يكون مقنعاً وأن الرجل يستحق هذه المكرمة من جانب سموكم ، وأن معاشه يجب أن يرتفع كي يصل إلى مائة "كروزادوس" في السنة . لقد كان حقيقة ، كما سوف يتضح ، أنني لم أوافق بالالتزام الخاص بالزجاج الذي ورد في رسالتك .

بحيث يجب أن يرسل إلى "دونا كاتارينا" ، لكن الأصح والأفضل

أنه ينال المكرمة ، ومن الضروري أيضاً في إطار محاولته في استقصاء الأخبار من كل مكان ، وبسبب أن تلك نفقات لا يمكن تجنبها ، فإنني سوف أسعى جاهداً من أجل إرضاء أولئك الذين يخلصون في عملهم .

نظراً لأهمية موافاتي بالتوجيهات من قبل سموكم فيما يتعلق بما تعتزمه وترغب فيه بشأن "جون فيروجا" ، الذي يتواجد هنا وبشأن الموجودين في القاهرة ، فإنني أناشد سموكم مجدداً أن ترسل لي الرد مع أول مبعوث قادم .

بما أنه وفقاً لـ "إساك" فإن المحامي "سيلفا" رجل مسيحيّ ، فإنه من الأفضل أن يؤمر "إساك" لأن يتحرك ليكون هو المقيم في حلب ، وهو يستحق أن يمنح معاشاً ويفترض أن يتسلم معاشه هذا بعد التأكد من صحة المعلومات الأولى التي يرسلها ، ولا يجب أن يكون المعاش أكثر من خمسمائة ، وذلك لمقابلة نفقاته الضرورية نظير إرسال المعلومات ، وحسب ما فهمته من "جواو" فإن "ماثياس بكودو" لا علم له باللغة ، وبالتالي يبدو أننا لن نستغني عن "إساك" .

لعل الأمر البابوي الذي طلبته من سموه مؤخراً حول بعض الأوامر الثانوية التي لا تكون صالحة لمعالجة قضايا بعينها ، وحول أمر آخر بخصوص إمكانية الكهنة في القبول ببعض الوظائف والمهام من قِبل سموكم ، بحيث يشاركون في المجالس والتصويت حتى في حالة القضايا الجنائية ، قد تمت الموافقة عليها ، وسوف ترسل في أسرع وقت مع أول مبعوث . أسأل الرب الحكيم أن يحفظ سموكم ويحمي دولتكم الملكية .

من "روما" في الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن با يزيد بن السلطان التركي على حدود تركيا بجيش عظيم : [٤٧]

سيدي ، لقد كتبت في معظم رسائلي التي أرسلتها في الأيام الأخيرة ، أن البابا قد قرر الذهاب إلى "بولونيا" ، ولقد بين أنه قد أمر بترتيب كل الضروريات من أجل القيام بهذه الرحلة ، وبما أن الناس في "إيطاليا" ليس لهم سوى التخمين وإطلاق التكهنات .

فقد شرعوا في التخمين والتكهن بالأسباب التي استدعته للقيام بهذه الرحلة ، وعندما فشلت تنبؤاتهم وتكهناتهم بالأسباب ، وما استدعى سموه لرصد الأموال الضخمة من جانبه ، اتجهت أفكارهم للقول بأنه يحوز ذلك ؛ لأجل تعظيم وتبجيل عائلات أقربائه وأبناء إخوته .

(٤٧) رقم الوثيقة والهامش.

ذهب البعض الآخر في شكوكهم ؛ حيث أشاعوا في طول "روما" وعرضها ، أن سموه يتذرع بذلك السبب للقيام بزيارة "دوقي فلورنسا" : "أوربينو "Orbino" و"فيرارا" "Ferara" ، بموجب اتفاق مع سادة البندقية ، كي ينضموا إلى حلفهم ضد ملك "إسبانيا" .

هذه الإشاعات ضمن أخرى انتشرت في أواسط الكثيرين ، أبلغ بها قداسته ، وبالتالي بدا له أنه من الضرورة عدم الذهاب حتى لا يترسخ هذا المفهوم في أذهان الناس ، وهكذا أسقط فكرة الذهاب في تلك الرحلة ، وهكذا وفر عليّ تعب وخطورة الرحلة ، التي ما كنت لأمتنع عنها ، ولا الآخرين المتخلفين إذا ما شاء سموكم أن يأمر بالعكس . بدأ قداسته غاضباً بسبب تلك الكذبة ، ولقد رأيته يحكي الرواية ، وكل ما قالوه فيه من جانبهم بقلب صادق مفتوح .

في سبتمبر ، كان سموه قد صرح وبعدد أربع مرات عن عزمه في تعيين بعض "الكرادلة" ، وكان منزعجاً لحد كبير من طلبات "الكرادلة" للحد الذي جعله عاجزاً عن اتخاذ قرار صارم ، وبالتالي عمل على تأجيل التعيين حتى شهر ديسمبر ؛ ولكن اعتقد أنه ما دام يتوجب عليه إعلان اجتماع المجلس عاجلاً ، كما كتبت .

بما أن هذا أمر لابد منه كي يحافظ على وعوده ، وهو أمر مختلف عما سيتم التفاوض عنه هناك ، إذ إنه سيرغب بدايةً ، في استباق ذلك بتعيين الكرادلة أولاً ؛ لأن الهيئة في حاجة إلى الرجال البارزين لأجل حضور المجلس ، فقد دعا كبير الأساقفة "سيرباندو" ، الذي كان رئيساً لنظام الرهبنة "الأوغسطيني" ، وهو رجل متنور ومتعلم

وذو سمعة حسنة ، وذلك لتنصيبه "كاردينالاً" ، بل ويعتقد أنه سوف يصبح ممثلاً للبابا .

يُعتقد أيضاً أن الأسقف "فارمينسا" "Varmenca" ، وهو من مواطني بولندا ومن المطرانة المتعلمين الأخيار ، ويتسم بخلق وسجايا ، قلّما يجود بمثل العالم المسيحي ، سوف يعين أيضا "كاردينالاً" ، فهو سفير الإمبراطور ، وبالتالي مع هذين الشخصين سوف يتمكن من إقصاء بقية الرجال الذين كان قد قطع لهم وعوداً من قبل .

لقد روي أن بايزيد ابن الترك الذي هرب إلى الصفوي ، ما يزال حيّاً يرزق ، وهو موجود في البلاد ، بجيش جاهز للقتال عند حدود دولة أبيه ، غير أن هذه الحرب لا تعتبر ذات أهمية ؛ بحيث تمنع الترك من إرسال أسطول كبير في السنة القادمة إلى هذه الأنحاء بنية الاستيلاء على مدينة من مملكة "نابولي" أو "صقلية" ، بحيث يتم الإفادة منها في اتخاذها قاعدة للغزو واحدة من الممالك .

هذا العمل لا يبدو صعباً خاصة في الوقت الراهن في ظل قوته وإهمالنا ، إنه لم يكن قانعاً بما حصل عليه وغنمه في الصيف الماضي ، بل وإنه لن يفوت هذه الفرصة الجيدة المتاحة له الآن ، باعتبار حساب حظه العاثر ، ومشاكل النصرانية الناشئة عن الاختلافات الدينية . إن ذنوبنا قد أضعفتنا ، بحيث لم نعد نجرؤ أن نفكر ونهيئ دفاعنا ، فإذا ما استمر هذا الإهمال ، وأصبح كل منا ينتظر جاره للبروز أولاً وحمل السلاح ، فأعتقد أننا سنحترق جميعاً لا مناص .

لقد ذكّرت سموه مرات ومرات ، أن الأمر يتوقف عليه ، هو بصفته

الأب العالمي للعمل على دعوة وتوحيد الأمراء في شكل يخلق جبهة دفاع ؛ للوقوف في وجه أساطيل الأتراك ، التي تأتي كل عام ، وهي في كل مرة تأتي فيها تبدو أقوى من ذي قبل ، وإنه لكي يلين جانب الألمان فلابد له من أن يعلن عن اجتماع لأعضاء المجلس العام ؛ بحيث يمكن أن يتم التفاوض أيضاً في هذا الأمر ، وأن يشيع الأمراء ويحثهم للقيام بمهاجمة الأعداء ، أو على الأقل أن يعملوا على تكوين جبهة دفاع عن النصرانية .

لقد صرح بأنه سوف يقوم بذلك ، وأعتقد أن هذا ما تستدعيه الضرورة بسبب تلك المذكرات العديدة ، فالعالم بكامله غافل وفي نوم عميق ، يبدو أن فيه هلاكه ودماره ، ويبدو أن الخالق يريد لنا هذا ، كي يكون ثمناً باهظاً نكفر به عن خطايانا .

سمح البابا لملك "إسبانيا" ، حسبما كنت قد ذكرت ، أن يبيع دخول الكنائس ذات الصلة بالإقطاعيات حتى مبلغ خمسة وعشرين ألف "كروزادس" ووضع رأس المال ، ومن ثم بيع الفوائد إذا ما تضاعفت .

طالب الملك بخمسين ألف ، ولكن بمبلغ الخمسة والعشرين ألف يمكنه أن يستحوذ على أموال طائلة ، وأيضاً تم تخصيص مصروفات الكنائس ؛ كي تمنح له كمعونة حكومية لمدة ثلاث سنوات ، ويأتي كل ذلك على أساس الحرب مع الأتراك .

يطالب الملك الآن قداسته كي يأمر رجال الدين المسيحي بدفع مبالغ لبناء سبعين مركباً ، والتي تصبح بحساب صنع كل منها مقابل ستة آلاف "كروزادس" في حدود المبلغ أربعمائة وعشرين ألف "كروزادس" سنوياً .

جاء هذا في شكل طلب ، فالحاجة ملحة ، والطلب مبرر ، فالملوك يمكنهم الإفادة بمثل تلك السبل في أعمالهم إذا ما عملوا على إنفاق تلك الأموال للشيء الذي طلبوها لأجله ، وعندما تكون ثرواتهم عاجزة عن تغطية كل شيء ، فهم غير مخطئين في مساعدة أنفسهم بثروات الملاك الذين لا يمكنهم إجبارهم بأي حال من الأحوال ، لعمل غير ذلك .

لابد أن يكون دخل الكنائس في "إسبانيا" كبيراً ، إذا ما أريد تغطية تلك النفقات ، إذ من المتعارف منذ قديم الزمان الالتزام بدفع الثلث للملوك .

لقد دفعت للسيد "جون فيروجا" ، الذي قدم من القاهرة بتلك المعلومات من طرف "بيكودو" ، والتي أرسلتها لسموكم ، مبلغ ثلاثين "كروزادوس" ، كان مديناً بها لبعض الرجال في القاهرة ، وقد أعطيته أيضاً عشرين "كروزادوس" ، وهو المبلغ الذي أمر به سموكم لقاء ما عاناه من صعوبات ، باعتبار العمل وتكلفة حضوره إلى هنا ، التعب والصعوبة وحالة الفقر ، التي عانى منها .

فإن المبلغ يكون مقابل خدماته التي استمر في القيام بها مدة ستة شهور ، في الانتظار التي قضاها في منزلي ، بجانب تلك الكلمات وكلمات أخرى أضاف عليها الدموع التي تذيب الصخر ؛ وذلك لأن هناك أسباباً مقنعة في كل شيء قاله .

قمت بإعطائه عشرة "كروزادوس" وبعض القماش لبدلة يكلف أحد عشر "كرازدوس" ، ووعدته أنه بعد معلومات "أنطونيو بنتو" ، الذي أتوقع حضوره هنا ، سوف أمنحه وباسم سموكم مكافأة ، وعليه فهو

ملزم بالحضور إلى هنا ، وبرغم كل ذلك ، فإنه من المؤسف له أنه سقط مريضاً وكاد أن يهلك ، وقد نجا ، ومن ثمَ ذهب إلى أهله .

الآن في "ميسينا" يوجد "أنطونيو بنتو" وخادمه "باستياو" ، واللذان كانا أسيرين مع "جواو دي لسبوا" ، حسبما أبلغني بذلك أحد الأصدقاء الموقرين من تلك المدينة ، وقد تم افتداؤهما ومعهما بقية الأسرى "البرتغاليين" الذين احتجزوا في القاهرة ، وأحسب أن عددهم يبلغ الثلاثين أو أكثر ، ومجموعة أخرى من العرب المسلمين والأتراك ، تم شراؤهم تماثل هذا العدد ، قد جيء بهم إلى هذه المناطق لأنهم بحاجة إليهم ، وقد دفعوا إضافة مبلغ ستمائة "كروزادوس" بشكل فوري ، ولقد جيء بالمذكورين "أنطونيو بنتو" وخادمه "باستياو" كي يباعا ويأخذهما "البربر" .

لقد سمعت بهذا الأمر منذ أيام مضت ، لكن عجبت لعدم وصولهما إلى هنا أو الكتابة لي لإبلاغي بما ينويان عمله ، ومما أثار دهشتي أكثر أن أخبر بأنهما يقولان الآن أنهما ينتظران هناك وصول رسالة مني ، ولأنني لم أتلق منهما أي رسالة عن هذه القضية أو أي قرار بحضورهما فقد كتبت لهم بعد عدة أيام كي أسمع منهما ما يريدانه .

بما أنني كنت أتوقع قدوم "أنطونيو بنتو" و"باستياو" يوماً بعد يوم ، فإنني لم أعقد أية اتفاقية بشأن الأمر الذي يجب أن يعطي للسيد "ماثياس بيكودو" ، وفقاً لما تلقيته من سموكم ، رداً على رسالة أخرى ، كنت قد كتبتها لكم في هذا الموضوع ، وبإفادة هذين الرجلين يمكن للمرء أن يكون على بينة من الإمكانات والوسائل الخاصة "ببيكودو" ، والتي يستغلها في إيصال الأخبار ، والمصداقية التي يمكن أن تضفي عليها حول كل شيء .

لقد قررت الانتظار إلى حين قدومهما ، ومن خلال ما يمكنني معرفته منهما ، سوف أتمكن من البتِ في الأمر بشكل أفضل ، وما يمكنني أن أنصح به سموكم ، وتوافقاً مع هذا سوف آمر أيضاً (أساك) في حلب ، وأنني مندهش ، إذ إني لم أتلق رسالة منه منذ وصوله إلى هناك .

إن المكرمة التي وافق سموكم على تخصيصها "لتوماس دي كرونوسا" بواقع أربعين "كروزادوسا" إضافي لكل سنة من سنوات خدمته ، بالإضافة إلى ستين "كروزادوسا" كمعاش شهري ، هي في الواقع مرضية بالنسبة لي أكثر منه ، وهي ليست بالقيمة البسيطة بالنسبة لي شخصياً كتقدير لشخص عمل في خدمة سموكم .

وأيضاً بالنسبة لما بذله "توماس كرونوسا" في خدمتكم ، وظل مستمراً في ذلك ، فمن الأصح أن يتفضل سموكم بإجزال العطاء له ، ومن الملاحظ أن وزراء سموكم مهتمين كثيراً بالحصول على ما يرضيهم من خلال خدماتهم .

الآن فإن "توماس دي كورنوسا" ليس موجوداً في البندقية ، إذ إنه غادر إلى "فريولي" "Frioli" ، ومن المتوقع حضوره في أي يوم ، ولهذا السبب لم يتلق بعد الأخبار التي لا شك سوف يسعد بها . أما أنا فليس لدي من الأخبار ما يمكن لأي كائن من كان أن يمدني بها غيره .

إذا لم يكن الأسطول القابع في السويس قد أبحر في الصيف الماضي حسبما أُخبرنا ، فإني لا أعتقد أنه لذلك السبب سوف يفشل في الإبحار في الصيف القادم . أما إذا صحت الإشاعات المتداولة عن الترتيبات الجارية في القاهرة ، وأصبح من الضروري أن يبحر أسطول

سموكم في مارس ، بمشيئة الله ، وسوف يصبح بالإمكان نقل ما يكفي من الجنود والمواد الضرورية التي سوف تكون بمثابة مساعدة عظمى تضاف إلى ما يمكن جمعه في الهند ، فإذا لم يكن عدد المراكب الشراعية في السويس أكثر من خمسة وعشرين مركباً حسبما كتبوا عنه من القاهرة .

يبدو أن النوايا لا تتجه لشيء آخر سوى الانضمام لمجموعة المراكب التركية الموجودة في الصرة ، لإحداث أكبر قدر من الأضرار ، يمكنها أن تلحقه بالقيام بهجوم مباغة أثناء مواصلة رحلتها ، وبهذا الأسلوب فإنهم سوف يستفيدون من تلك المراكب القابعة في المرسى ، وتلك الموجودة في الصرة ، حيث ستأخذ الجنود الجُدد ، الذين تم إعدادهم لأجل هذا الهدف ، وربما أصبح لديهم فائض أيضاً .

لقد جاءت مساعدات "الفرات" في وقتها تماماً كدعم ضروري من قِبل الحاكمية التركية ، وعليه فمن خلال هذا الأسطول الموحد سوف يتمكنون من الاستمرار في الصراع وإطالة مدة الحرب ، كي يتسببوا في جر الأخطار على الهند .

لذا يترتب أن يوجه سموكم قوته إلى البحر على ألا يقتصر الأمر على أعمال الدفاع من خلال القلاع والحصون ؛ لأن من يصبح سيد البحر ، لابد أن يكون أيضاً سيد البر .

لكن ، كيف يتم إنجاز هذا؟ وكم عدد المراكب؟ وعدد المحاربين؟ كيف ومتى وأين سوف يقوم سموكم بتجهيز الأسطول؟ وكيف

ستكون فعاليته؟ فإن جميع هذه الأسئلة تزيد من تعقيد الأمور ، ولابد أن تكون هناك إجابات لها ، لدى رجل غير مشغول البال بإرسال المذكرات البابوية والأوامر القضائية .

يكفي أن نقول إن الأتراك بعد أن استقروا الآن في الصرة ، سوف تأخذ الحرب في الهند شكلاً مغايراً غير الذي اعتادت عليه ، تاركة جنباً النفقات على البر ، لأن من يملك القوة في البحر لن يخشى على شيء أو يحرسه ، وسوف تكون مفاتيح الحرب والسلام في يديه ، بحيث يمكنه إصدار القوانين وفرض الضرائب حسب هواه ، وعليه سينال الكثير من الفوائد ، وربما تجد الفئة التي كانت تعارض أفكاري الكثير من الحجج المضادة ، لكن إذا ما كان الأتراك على استعداد .

ذلك ما هو مؤكد ، لتنفيذ الالتزام بالكثير من المثابرة والتصميم ، فحينها سوف يتبين أن ما ذكرته هو تكهن صادق لهذه الأخطار ، وكلما تم تسريع العمل والتركيز على الأمور الأكثر صعوبة ، فسوف يصعب على العدو التجهيز والإيمان بتحقيقهم لأهدافهم . إن سعادة السفير في "روما" على علم تام بالجهود والانتصارات في الهند ، ولهذا السبب فربما غفر لي جرأة هذا التذكير .

أسأل الرب الحكيم أن يحمي ويحفظ حياة سموكم الكريمة ويحفظ دولتكم .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)
بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، خطاباً إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن با يزيد يرغب في التواصل مع البرتغاليين : (٤٨)

سيدي ، بعد أن ختمت الرسائل الأخرى تذكرت أنني قد نسيت أن أخبركم فيها أنني قد سمعت من سفير "دوق فلورنسا" أن مبعوثاً يتواجد هنا يزعم أنه قد جاء من طرف (بايزيد) ابن التركي الذي يوجد مع الصفوي ، وقد أعرب أنه يتجه إلى ملك "إسبانيا" بنيابة عن المذكور بايزيد .

هذا ليس بصحيح ، إذ إنه كان قد قدم منذ مضي ثلاث سنوات إلى "فلورنسا" و"مانتوا" "Mantoa" و"فيرارا" ، حيث أقنع "دوقات" المنطقة أنه مرسل بالإنابة عن "رستم باشا" للتفاوض معهم ، فيما يختص

---

(٤٨) رقم الوثيقة والهامش.

بتجارة البهار عبر الإسكندرية ، وأنه يريد أيضاً استقطاب تجار البندقية إلى هذه التجارة .

لقد أثبت فلاحه في إقناعهم بحيث إنه كان يتلقى الأموال والهدايا منهم ، ولقد قال سفير "فلورنسا" ، من واقع المعلومات التي بحوزته ، أن الدوق يعلم أن هذا الرجل هو نفس الرجل الذي خدعه ، وأنه ذاهب للملك يحمل أكاذيبه عن "بايزيد" ، أو ربما كان جاسوساً للأتراك ، لذا فقد كتب للملك كي يحذره منه .

أعتقد أنه إذا كان محتالاً ومخادعاً ، فإنه سوف يتجه أيضاً "للبرتغال" ، وعليه فقد رأيت أنه من الضروري أن أحذر سموكم من أفاعيله ، وذلك كي تبقى على علم بممارساته . ليس هناك ما أريد أن أضيفه سوى أن أسأل الرب الحكيم أن يحمي ويحفظ سموكم ويطيل عمركم وعمر دولتكم . من "روما" في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦٠م .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "د . سبستياو" ، "روما" ، في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن البهارات تأخذ طريقها إلى عدن وإلى السويس ومن البصرة إلى بغداد وحلب : [٤٩]

سيدي ، لقد تلقيت في الثلاثين من شهر أكتوبر الماضي رسالتان من طرف "ماثياس بيكودو" ، كانت الأولى في الثاني والعشرين من شهر يوليو ، والثانية في العاشر من شهر أغسطس ، من القاهرة ، ولقد أشار في الرسالة الأولى ، عدم الاكتراث بشأن الأسطول في السويس ، وبيّن في الثانية الترتيبات الجديدة ببناء المزيد من السفن ، والسعي لاختيار قائد لها ، وحتى يتمكّن سموكم من الاطلاع على جميع تفاصيل هذا الأمر .

أرسل إلى سموكم ، طي هذه الرسالة ، رسالتي "بيكودو" وأرجو من سموكم التفضل بقراءتهما ، خاصة وقد تبين أنه يكتب بشكل معقول ،

(٤٩) رقم الوثيقة والهامش.

ويستدل من خلال ذلك أن بوسعه أن يقدم خدمات وفق ما يؤمر به ، وأُرسل أيضاً إلى سموكم نسخة من رسالة الرد على خطابه .

حيث أبلغته بما يجب عليه عمله حسب الضرورة في الوقت الراهن ، والاستمرار في عمله منذ الآن فصاعداً ، إلى أن يطرأ ما هو جديد يستدعي أن يتم تغيير الأوامر ، وأرفق لسموكم نسخة من ردي ، وبما أن الخطاب يبدو مطولاً ، فيجب أن يقرأ على سموكم ، وذلك كي تتمكنوا من إصدار الأوامر وفق ما ترونه ضرورياً ، هذا مع إرسال التوجيهات التي ترون أنها ضرورية كي أرسلها له .

لقد تلقيت أخباراً مكثفة من قِبل "أنطونيو بنتو" ، الذي حضر من القاهرة ، وذلك فيما يتعلق بالحياة وبالمحادثات ، وأساليب وتصرفات "بيكودو" في تلك المدينة ، وذلك كي يعلم سموكم كل التجديدات التي تنفذ في ذلك الأسطول ، ولكي تتمكن من تقديم النصح "للهند" ولسفيركم هنا ، وبعد أن بحثت ودققت على كل تفاصيل الأمر برمته ، تبيّن لي أن المذكور "ماثياس بيكودو" يمتلك المؤهلات الضرورية ، ويدري تماماً ما يجب عليه فعله .

يمكن الإيعاز له بالأمر وتحديد الجهة التي يجب عليه ممارسة عمله فيها ، ولهذا السبب أرى أنه يجب علينا أن نوظف هذا الرجل كي يكون أساساً لسياستنا ، وعلينا أن نصدر له التوجيهات حسبما ذكرت مسبقاً في رسالتي ، بالإقامة في القاهرة كي يتمكن من التواصل وإمداد الهند بأخبار كل ما يحدث على النحو الذي شرحته له . "ميسينا" والبندقية هما أكثر المناطق التي ترتادها السفن .

لدينا في الإسكندرية "لميلينو" و"كورنوسا" اللذين يمكننا أن نحصل منهما على الأخبار ، لأن معهما أكثر التجار إلماماً ومعرفةً بالأوضاع ، وسوف يكون بوسعه الكتابة بشكل مستمر وآمن مع سفيركم في "روما" عدة مرات خلال العام الواحد .

إنه لمن المدهش حقاً ألا تتوفر لنا حلقات الوصل عندما تكون هناك حاجة ماسة للحصول على معلومات لخدمة سموكم من القاهرة ولا توجد قناة بديلة ، ولا يتوفر ذلك حتى من جانب سيلفا ؛ لأن ذلك أمر يكلف كثيراً بغض النظر عن البطء وعدم المصداقية ، لكن بوسعنا إيجاد قناة ما في القاهرة نفسها ؛ وذلك بسبب حجم المدينة والمؤسسات التجارية العاملة من مختلف الشعوب ، وبوسع الرجل المناسب الإقامة هناك دون أن يكون محطاً لإثارة الشكوك .

ومدينة القاهرة هي مصدر الأخبار الوحيدة بالنسبة "للهند" ، سواء كانت الأخبار ذات صلة بالتطورات أو مؤذية "للهند" نفسها ، هذا بينما تتضاءل حلب في الأهمية إذا ما وضعنا في الحسبان اتخاذها كمقر لجمع الأخبار .

ما يمكننا أن نعلمه عند الحاجة فقط وليس عندما يصبح الأمر هاماً بالنسبة لنا ، ومثل تلك الأخبار التي يأتي بها المسافرون هي بطيئة ولا يمكن الاعتماد عليها . أما المرشد من حلب فلا يمكن أن يفيد بالحقيقة بتاتاً في أي اتصال بـ الهند ، بل ومن الصعب جداً أن يتم توصيل ما يكتب في الوقت المناسب .

بناء عليه فإنني أرى أن نعود إلى رأيي السابق ، وأعتقد أن اهتماماتنا الضرورية والأساسية يجب أن تسند مسؤولية الإشراف عليها لشخص

يقيم في القاهرة ، وعموماً فإن ما عرفته منه أن "ماثياس بيكودو" سوف يكون الشخص المناسب لهذه الوظيفة ، وإذا ما تم تشجيعه ، خاصة في ضوء ما يتمتع به من سمعة جيدة ، فأعتقد أننا قد وصلنا إلى الرجل المطلوب ، الذي يحقق لنا هذه الغاية .

أرى أن مبلغ ألف "كروزادوس" التي كانت مخصصة إلى المحامي سيلفا كراتب ، يجب أن يوقف فوراً ، ويجب على سموه ألا يعيره أي اهتمام ، وألا يكلفه بالقيام بأية أعمال ، وألا يراسله ، وأن يتعامل معه وكأنه ميت بالفعل ، وأؤكد لك أنه ما زال حياً يرزق ، وهو ليس حبيساً في السجن ، هذا بعد أن رأيت رسالة من "إساك بكودو" مرسلة إلى "توماس دي كورنوسا" .

أرجو أن يتفضل سموكم بموافاتي بالأخبار ، والرسائل التي وصلت إلى سموكم من قِبل سعادة نائب الملك في هذا الموضوع ، والمثل عن رغبة سموكم فيما يأمرني بعمله في هذا الموضوع ، باعتبار أن هذا المكلف يسافر وينتقل عندما يكون الأمر ذا صلة باهتماماته الخاصة ، ويرسل الأخبار في غير الأوقات المناسبة ، بالرغم من أنه يتلقى راتباً كبيراً .

كقاعدة عامة ، يجب أن ينفق الكثير حينما يتعلق الأمر بالعمل الجاسوسي والإخباري الهام ، ولكن لا يستوجب أن يفعل ذلك حينما يكون التجسس غير ذي أهمية ، ويبدو لي أن "إساك بيكودو" يجب أن يبقى حيث هو في الوقت الراهن ، إلى أن نتبيّن إلى أين تتجه مسيرة الأحداث في القاهرة ، لقد كتب إلى "توماس دي كورناسو" إنه غادر إلى القاهرة للوقوف على ما يجري هناك .

سنعرف من خلال ما سيكتبه لنا عند عودته ما يجري هناك ، سنقوم بإجراء مقارنة بين تقريره وبين تقرير "ماثياس" ، وذلك لأجل قيمة ما ورد من كل منهما ، وبهذه الطريقة يمكننا أن نوضح مع من يمكننا الاتفاق من خلال كلا التقريرين ، دون أن نشير ونبلغ عما يقوم به الآخر ، وأعتقد أنه إذا ما بقي "ماثياس" ، وأثبت أنه قادر على تنفيذ الأوامر والتوجيهات التي تعطى له ، فمن الممكن اعتباره كافياً للقيام بتلك المسؤولية .

لقد أمرت بأن يعطي مبلغ ثلاثين "كروزادوس" ، وسوف يكون من الضروري أن نتأكد من أنه قد استلم من المال ما يمكنه من تذليل الصعوبات التي تواجهه ، وهذه سوف تكون مسؤولية سعادة السفير هنا ، دون أن يتم تحديد معاش إلى "بيكودو" .

لقد استنتجت أنه عندما ترتب الأمور في القاهرة ، لن يكون هناك الكثير مما يستوجب الريبة أو إمكانية الخداع ، لكن في كل مرة يعمد فيها الأتراك إلى إنفاق الأموال في تلك الاستعدادات لابد أن نشك وأن يدخل الخوف إلى نفوسنا بأنهم سوف يقومون بالتنفيذ ، إذ إن ذلك يتعلق بالشهرة التي يحققونها في كل الأمور ، وعليه ، ففي أمر له مثل تلك الأهمية .

يجب علينا ألا نهمل الاحتمالات لطرح العديد من التقارير الزائفة عن الأحداث ، لأنه ربما عادوا كي يقدموا تقريراً صحيحاً بعد ذلك ، ومن واقع عدد ما يكون من مراكب شراعية ، ورتبة القائد الذي يتولى قيادتها وإدارتها ، لا يتبادر للمرء أية شكوك في أن الأتراك يعتزمون

القيام بمحاولة هجوم على الهند ، ولن يتركوها على حالها ، ويمتلك ذلك القائد معلومات وخبرات كافية عن جل منطقة الساحل من "مالندي" وحتى "موزمبيق" ، وعن الجانب الآخر من الساحل من عدن حتى هرمز .

لا شك أنهم يرغبون في تنفيذ مختلف حيلهم ومكائدهم في واحد من هذين الساحلين والقيام بتنفيذ الخطط التي يعتزم ذلك القائد في خياله تنفيذها ، آملاً أن يحقق من خلالها الكثير من الأهداف الواعدة . لابد من تحذير نائب الملك في الهند لإصدار الأمر ؛ لأخذ الحذر فيما يتعلق بهذه المعلومة بعد التثبت من صحتها .

من خلال "أنطونيو دي بنتو" في القاهرة (خاصة وأنا على علم بما يتمتع به من حرية في المدينة ، وأعلم أيضاً أنه يمارس أعمال السمسرة والوساطة في المجالات التجارية) ، وأيضاً من خلال بعض الشخصيات الهامة من البندقية و"راقوسا" "دوبرفنك" الذين تحدثت إليهم ، علمت أن هناك أربعين ألف قنطار من البهار يتم توريدها لـ الإسكندرية كل عام وبشكل أساسي تحتوي هذه الكمية على مقادير كبيرة من الفلفل .

يشير "أنطونيو بنتو" أن كميات الفلفل هذه تأتي إلى عدن والمخا وإلى مدخل النهر الذي يكون ميناء "زبد" وإلى "كمران" وجدة ، والي "لمبا" وحتى "الطور" والسويس ، وغالباً ما تنقل على طول ساحل "الحبشة" إلى "سواكن" و"قصير" ، ومن عدن وجدة بالقوافل للقاهرة ، وأيضاً تنقل من الموانئ الأخرى بالقوافل إلى الطور ، ومن هناك بواسطة القوافل حيث يتم نقلها إلى "قصير" .

يُجلب الفلفل من "سورات" في مراكب "الخواجا صوفر" ، هذا وبواسطة مراكب التجار "البربر" يتم النقل سنوياً حيث تأتي ستة أو سبعة منها بشكل سنوي إلى مضيق "بروش" ، وتسير حتى "دامان" و"باسين" ، وتجلب بواسطة "البربر" الهنود من "ثانس" إلى "شول" ، وأيضاً من "داندا" إلى "دابهول" بواسطة "بربر" و"يساني" ، وتجلب شحنات الفلفل من "سانجمشوار" ، ومن "سفاردون" ، ومن "مازجان" ، ومن "كاراباتون" إلى "باندا" ، بواسطة "بربر بالقاتي" من "أنكولا" و"باتكال" .

هذا ولم تفشل مراكب قط في الوصول لتلك المناطق ، أيضاً تجلب كميات الفلفل إلى المضيق بواسطة المراكب القادمة من نهري "كانانور" و"باسرور" ، ومن أنهار "شاليام" .

تقوم السفن بتحميل شحنات ضخمة من الفلفل حيث تباع هذه الكميات عند وصولها إلى جدة ، وتباع بعدها هذه السفن بالمثل . بعد ذلك يعودون إدراجهم لـ الهند في المراكب الموجودة في الميناء ، وتسلك هذه طرقاً آمنة في رحلة العودة .

كميات الفلفل القادمة من "سورات" ، والتي تنقل إلى "باندا" ، تُعرف في القاهرة باسم الغوري وتزيد قيمة القنطار "كروزادوساً" واحداً عن قيمة المنتوجات القادمة من "ملبار" ؛ وذلك لأن الأرباح تبدو أكثر ، ومن الساحل نفسه تجلب كميات ضخمة من الزنجبيل ، ويباع القنطار بواقع ثلاثة أو أربعة "كروزادوس" أكثر من قيمة الزنجبيل والقرفة التي تجلب من "دابهول" "Dabhol" .

إذ إنه يبدو من النوع الناعم والسميك ، أيضاً يتم تزويد "سورات"

وبعض التجار من موانئ "كامباي" بكميات وافرة من الفلفل والقرفة ، وذلك من سيلان في سفنها بكميات ضخمة من تلك المنتوجات . السيد "أنطونيو بنتو" يعلم الكثير عن هذا ، لأنه قد ظل يعمل منذ وقت طويل كوكيل تجاري في تلك الموانئ لهذه البضائع .

يتم أيضاً توجيه كميات ضخمة من تلك التوابل للبصرة ، حيث يتم استخدامها واستهلاكها في منطقة بغداد ، ومنها أيضا يتم الشحن إلى حلب ، و"سوريا" و"تركيا" ، وبما أن تلك الكميات تقع في أيدي الأتراك في كثير من الأحيان ، فلا غرابة أن القليل منها يجد طريقه للوصول إلى "لشبونه" .

في الإسكندرية تباع كميات التوابل بأسعار يمكن لسموكم الاطلاع عليها من خلال قائمة الأسعار المرفقة مع هذا الخطاب ، وهي تكاد تكون نفس القيمة المتعارف عليها في "راقوسا" ، وميسنا والبندقية ، أي موانئ الوصول ، ومن هناك تنقل إلى جميع مناطق "إيطاليا" ، كما ينقل بعضها إلى "ألمانيا" بواقع أربعة وثلاثين "كروزادوسا" ، ويمكن جني الكثير من الأموال من خلال فرق الأسعار .

يعتقد أن هذه التجارة من الهند للموانئ المذكورة أعلاه في طريقها للنمو لا الزوال ، ولا يوجد أي احتمال لتقلصها خاصة ، إذا لم تمنع بموجب أي عمل أو أي قرار يأتي مغايراً للقرار المعمول به سابقاً . إنني على علم بأن الأثرياء وذوي المال في أوغستا قد أرسلوا في العام الماضي وسيطاً تجارياً كي يقوم بشراء كميات الفلفل في الإسكندرية ، وذلك في محاولة للحصول عليها .

بدأ هذا الوكيل في شراء كميات وافرة كلفته إنفاق عشرة آلاف "كروزادوس" ، ولقد قام بشحن سفينة كاملة من "راقوسا" ، ومنها قام بنقلها في مراكب شراعية إلى إقليم الإمبراطور (الفيوم) ، وفي سبتمبر الماضي عادت المراكب بكميات وافرة .

اكتشف أن هذا الملك يعود بفوائد مالية ضخمة ، لكن ممّا يؤسف له عدم وجود أي مشترٍ أو منافس للعقود والشراء "للبرتغال" ؛ لكن عموماً ، وفي ظل التجارة البنكية ، تم تقليص هذه التجارة وفي اعتقادي أن التجار البنادقة سوف يقومون بوضع حد لهذه التجارة خاصة ، وهي تنقل بواسطة المراكب البحرية .

كنت قد كتبت لسموكم في رسالة أخرى عن فدية الأسرى "البرتغاليين" في القاهرة ، ولقد بينت تلك الرسالة أنه سوف تكون هنالك خطورة إذا ما تأخر الرد عليها . إذ لابد لسموكم الكريم أن يتفضل بالأمر للمساعدة تقرباً إلى الرب ، والخطاب هو النسخة التي أخذها "باستياو كريادو" معه .

وهو قد غادر المنطقة هنا في السابع عشر من هذا الشهر وسوف يتجه إلى "جنوا" ، وهناك سوف يستقل المركب "القشتالي" حيث ينقله إلى ميناء "سانتا ماريا" ، وكي أساعده في رحلته هذه ، سلمته مبلغ عشرين "كروزادوس" باسم سموكم ، إذ صعب عليّ أن أغادر هذا الرجل دون أن أساعده بالرغم من حاجته الماسة للمساعدة .

لقد علمت من رسالة "أساك بيكودو" إلى "ثوماس دي كورنوسا" ، أن سموكم قد أرسل محكمة تفتيش "للهند" على أن يتولى "دوم غونزالو"

رئاسة لجنة الاستجواب . غير أنني أخشى أن يكون هذا العمل الطيب مدعاة لغضب الرب وحذر سموكم ، وإذا ما باشر "دوم غونزالو" واجباته بنفس التوهج والحماس الصادق للدين ، فإن كل ما أخشاه أن تكون النتيجة وصول العديد من الخبراء في الصرة والقاهرة قادمين من تلك المناطق ، وأن يعملوا في هذه الأخبار والتحذيرات على مساعدة أعدائه فيما يتعلق بقضايا المال والحرب ، وأعتقد أنه لن تكون هناك حاجه لأذونات مرور ، والوعود بمساعدتهم في رحلتهم .

ليست كل أنواع الأرض تعطي ثمراً ، وليست الهند بتلك الأرض التي تعطي الثمار وفقاً لما يتمنى المرء سواء دنيوياً أو عقائدياً ، فكلا المجالين الدنيوي والعقائدي في هذا الوضع إنما يعني أن سلطات التحقيق لابد أنها تطبق برفق وسماحة .

لابد أن سموكم قد محص هذا الأمر كله وشمله بعنايته ، ولا ينبغي أن ألام إذا ما قمت في أثناء خدمتي لكم بطرح رأيّ الصريح بكل النوايا الصادقة والاحترام ، حيث اعتبر ذلك واجباً على ضميري كرجل مسيحي في خدمتكم .

أسأل الله أن يحفظ حياة سموكم ويطيل في عمركم ويحفظ دولتكم .
"روما" ، في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٦٠م .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

وردت رسالة الكاهن "لويس فرويس" "Luis Freus" من جمعية "القديس باول" في "غوا" إلـى "إخوة مجتمع عيسى" في "البرتغال" ، "غوا" ، الأول من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م : (٥٠)

مقتطف الفقرات من الثالثة والثلاثين حتى السابعة والثلاثين :

الفقرة الثالثة والثلاثون : قبل حلول فصل الشتاء هذا العام ، حضر الكاهن "ايرس برانداو" قادماً من هرمز ، وذلك بعد أن قام بأعمال وخدمات جليلة في فترة إقامته هناك ، وذلك بعد أن قامت مجموعة كبيرة من سفن الأسطول البرتغالي بمهاجمة جزيرة ، تسمى البحرين ، وهي جزيرة تابعة إلى الملك في هرمز ، كان بعض الأتراك قد لجأوا إليها .

لقد سقط جميع الجنود في جيشنا ، وكذلك الأتراك مرضى ؛ وذلك لأن تلك الجزيرة ، رغم أنها تعد من أكثر المناطق اعتدالاً ،

(٥٠) رقم الوثيقة والهامش.

وأروعها مناخاً في المملكة ، إلا أنها ذات خصوصية ؛ بحيث إنها تكون منطقة طاردة خلال شهرين في السنة ، بحيث تكون أعجوبة أن ينجو منها من لم يعش هناك أصلاً إذا ذهب إليها في ذلك الوقت ، وبالفعل هذا ما حدث بالنسبة لذلك الأسطول .

في اليوم التالي من دخولهم ، لم يكن هنالك من ضمن الثمانمائة جندي سوى ثمانية جنود ممن يصلحون لحمل السلاح . حيث عاد معظم الرجال إلى هرمز كي يتلقوا العلاج ، بينما مات العديدون ، وحتى الأب الذي كان وحده يمارس رعاية المرضى ، اضطر إلى تحويل مقر إقامته إلى مستشفى ، وبات لديه ستون من الرجال في حاجة لتلقى العلاج والمراقبة ، وقد هلك بعضهم متأثراً بالجوع .

في غصون شهرين كان قد استمع إلى اعتراف خمسمائة منهم ، وعندما توفى العديد منهم بسبب الحمى ، خرج يتمشى في طرقات هرمز مرتدياً ثوبه الطويل الفضفاض ، ورداءه الكهنوتي الأبيض ، كي يقوم بمواراة أجسادهم الثري في قبرين ، وعمل بكل جهده ليلاً في الإشراف على بعض المرضى ، ومواساتهم ، أو في مساعدة الآخرين في لحظات الموت بقدر ما استطاع .

الفقرة الرابعة والثلاثون : خلال فترة عام ونصف كان قد تحول إلى المسيحية على يديه حوالي خمسين شخصاً ، ويعدّ هذا رقماً مناسباً مقارنة لمن دخلوا الدين المسيحي في الهند ؛ بسبب أنهم جميعاً من "البربر" ، وهم عنيدون في إيمانهم ، وكانت بينهم إحدى النساء من ذوات الشأن في منزل أم ملك هرمز ؛ حيث كانت تعمل خادمة وبعد

أن دخلت في الدين المسيحي سارعت بالهروب من القصر ، ومن ثم تزوجت في مدينة هرمز أحد الرجال البارزين .

قد تمكن هذا من اجتذاب أربع فتيات إغريقيات لاعتناق الدين المسيحي بعد أن أفلح في إخفائهن عن أعين "البربر" ، وفي هرمز ترك اثنتين منهن ، لأنهما قد بلغتا سن الزواج ، وأرسل الأخريين ، وهما مجرد طفلتين ، إلى هذه المدينة ، حيث تمت تربيتهن وأصبحن يجدن في أحد بيوت النبلاء العناية اللازمة والتوجيه بأمور الدين .

الفقرة الخامسة والثلاثون : للاختصار ، وكي أكون أكثر دقة ، سوف أذكر تحديداً ثلاثة من الأهداف التي أمكن تحقيقها في خدمة الرب في تلك البلاد ، ولقد نبا إلى علم الكاهن القس أن هناك فئة من الرجال البارزين اليهود يلتقون في هرمز ، بعد أن يأتوا من القسطنطينية والبندقية و"اليونان" والإسكندرية و"أرمينيا" .

حيث يقومون سراً بتأدية المناسك اليهودية في معبد اليهود هناك ، فما كان من البابا إلا أن توجه إلى المنزل الذي يحتمون فيه ، فدخل عليهم ، وهم يؤدون شعيرتهم الدينية ، وبحوزتهم خمسة كتب للنبي موسى مكتوبة على أوراق مخطوطة ، وموضوعة في صناديق مغلقة بأقمشة مطرزة ، وهناك "شمعدنات" كبيرة ذات تصميم رائع .

قام الأب القس باقتحام ذلك المبنى ، وعندما نزل إلى الغرف التحتية ، وجد حوالي أربعين نسخة من الكتاب المقدس ، مطلية بالذهب تشير إلى حرفية وبراعة صانعها ، وقد جُلبت إحداها من البندقية ليتم بيعها هنا ، وقد صادرها جميعها ، وبما أن اليهودي الذي جاء بها كان رجلاً فقيراً ،

فقد توسل حاكم هرمز للأب أن يعيدها له حباً وكرامة في الله ، شريطة أن يتعهد اليهودي بالكف عن جلب المزيد ، وأن يأخذها ويعيدها إلى البندقية أو للمكان الذي أخذها منه وبالفعل تم ذلك .

كان اليهود قد أدهشهم وأرعبهم اقتحام الأب ودخوله إلى معبدهم ، بحيث إنه لم يتجرأ أحد منهم قط ، حتى بعد أن غادر الكاهن القس "للهند" ، على المجيء للمعبد لممارسة طقوسهم الدينية بعد ذلك .

الفقرة السادسة والثلاثون : كان أحد الرجال قد تسبب في جرح شخص آخر في الهند في جريمة من الخطورة ؛ بحيث تتطلب أن يُحكم عليه بالموت على فعلته تلك ، وكان المجني عليه غير راغب في العفو عنه ، بل واشتكاه ، فحكم عليه من طرف قضاة المحكمة العليا بالشنق ، وحيثما وجد يجب أن يقرأ عليه الحكم ويتم شنقه ، وكان المجني عليه يعلم أن الجاني موجود في هرمز على بعد خمسمائة فرسخ ، وقد أتى بجميع الوثائق ، والحكم بإدانته في جيبه بنية تنفيذ الحكم بشنقه هناك .

عندما علم الرجل الثاني أن غريمه قد وصل قادماً من الهند ، وعلم بالأسباب التي دعته للحضور ، توسل للأب القس كي يتحدث معه ليعفو عنه ، وإلا فسوف يترتب عليه أن يموت أو يعيش للأبد في بلاد "البربر" كأي كائن آخر وليس كمسيحي ، وشاءت إرادة الرب أنه بعد أن تحدث الأب القس مع المجني عليه عدة مرات أن يتم إقناعه بالعفو عن غريمه ، وحقيقة لم يكتفِ المجني عليه بالعفو عن المذنب فقط ، وإنما قام بتمزيق جميع الوثائق وحرقها أمامه ، وأصبحا صديقين حميمين .

الفقرة السابعة والثلاثون : هناك جندي آخر كان قد أهان أحد

الرجال من ذوي الشأن علناً ، وهي جريمة عقابها الشنق ، هنا إذا ما كان المجني عليه من ذوي الشأن ، حيث يكون الأمر متعلقاً بالشرف والمكانة ، ومنذ مضي ثلاث سنوات ، كان المذنب قد هرب من الرجل الذي أهانه إلى أحد الحصون كي يجد الآخر هناك ، أو يلحق بالأسطول الوحيد الذي بوسعه أن يرحل معه .

عموماً تمكن من الرحيل سراً من "دامان" متجهاً إلى المضيق ، وفي الحال "إندس" الآخر في المركب كي يلحق به ، ومن هناك اتجه إلى هرمز ، بينما يسير الآخر في أثره ، كي يجد الفرصة السانحة للاقتصاص منه وقتله ، ولقد خاطبه الأب القس نيابة عن الآخر .

ذلك بعد أن حدث معه الكثيرون ، لكنه كان عنيداً بحيث فشلت كل المحاولات في إثنائه عما يعتزم القيام به ، وكلما كثر الطلب منه للتنازل ، كلما بدا أن الشيطان يحدثه ويدفعه في رغبته في الثأر ، باختصار ، جرت أحداث كثيرة سيطول الحديث عنها ، إذا ما رغبنا في سردها ، أما الأب القس فقد أخذهما للمثول أمام حاكم هرمز وبعض ذوي الشأن ممن كان حاضراً ، وهناك تمكن من التوفيق بينهما بحيث أصبحا صديقين ، ورضي كل منهما كل الرضا عن الآخر .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "د . سبستياو" ، "روما" ، السادس من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويُرغّب السفير في عقد معاهدة السلام مع تركيا : (٥١)

سيدي ، من خلال الرسالة التي أرسلها "الكاردينال مونتبلشانو" "Montebelchano" إلى سموكم ، والتي تحدث فيها عن الأوضاع في الهند ، سوف تتضح لسموكم وجهة نظره في هذه الأمور ، وحقيقة ، فهو يرغب في إطلاع سموكم على الجهود التي يبذلها في خدمتكم .

قد علم من صديق من "جنوه" هو بالاسم "جيرونيمو مارين" "Jeronimo Marin" تحديداً ، أن أحد التجار الأثرياء قد ظل مقيما في البندقية عدة سنوات ، ومن خلال الحديث الذي يدور في أوساط المقيمين في المنطقة عن تجارة الأتراك ، علم بكمية البهارات القادمة من القاهرة في كل عام عن طريق البحر الأحمر والكميات الضئيلة التي تصل "للبرتغال" في سفن سموكم .

---

(٥١) رقم الوثيقة والهامش.

لقد أخبرني بهذا مشيراً إلى ما يمكن أن يترتب عليه من آثار سيئة ، لا شك أنها تؤثر على مصالح سموكم ، وتتسبب بإلحاق الضرر لخزينة الدولة ، وبعد أن اقتنع بآمال هذا التاجر ، تبين له أن أفضل الحلول لهذه المتاعب هو الطلب من سموكم عقد اتفاقية سلام مع الأتراك .

لقد زعم أنه بوسعه وبواسطة أصدقائه في القسطنطينية إيجاد السبل الكفيلة لعقد معاهدة للسلام مع "رستم باشا" ، ولقد تناولنا الإيجابيات والسلبيات التي يمكن أن تترتب على هذا الموضوع ، وبالفعل ذهب وخاطب أصدقاءه ثانية .

بعد ذلك بدأ بالتحدث معي ، وكان أقل استعداداً للكشف بشأن الوسائل التي يمكن بموجبها التفاوض بشأن السلام ، فهو لم يتطرق لذكر وساطة "مارين" ، إنما قال إنه سوف يرسل بعض رجاله القسطنطينية .

بعد ذلك طلب مني بعض الوثائق باعتماد التفويض بشأن التفاهم والتفاوض ، وأعتقد أنه قد رغب في إعطاء الانطباع ، بأنه هو الدافع والمحرك الأساسي لهذا التعهد ، ومبدع ذلك النجاح ، كما طلب بعد ذلك أن يخول بدفع الرشاوي وتمويل مهمته ، وذكر أيضاً التعاقد الذي يمكن أن يبرم مع التجار .

بما أنه لديه الكثير من أسلوب "فلورنسا" ، فقد بدا لي أنه لا يجب أن نتقدم كثيراً في هذا الموضوع في الوقت الراهن ، وقد طلبت منه أن يكتب رسالة أخرى ، مختلفة عن تلك التي أطلعني عليها ، كي ترسل إلى سموكم .

لقد اتفقت معه بشأن عدم مواصلتنا هذا الموضوع إلى حين الاطلاع على مضمون وفحوى رد سموكم ، فهو يرغب في إبرام السلام مع الأتراك ، وهو بوسعه أي "الكاردينال" ، محاولة التفاوض بواسطة بعض أصدقائه ، الذين وصف أحدهم بأنه صديق رستم باشا ، ويتمتع بالكثير من النفاق والرياء ، وإذا ما وافق الأتراك على التفاوض ، دون الكشف في الجولة الأولى للمحادثات أن هذه مبادرة سموكم .

وليست مبادرة "الكاردينال" الذي يقترح هذه الطريقة ويتعامل معها على هذا النحو ، وعليه سيتبين أن "الكاردينال" مدفوع باحترامه للأتراك والرغبة في تحسين صورته ، وبمجرد أن تعرف رغبات سموكم ، ستكون في موقع يمكنك اعتباره الأجدر بتفعيل هذا الموضوع بواسطة وزرائك ، أو بواسطة من تعتبره الأفضل لإنجاز الاتفاقية .

بعد ذلك بدا أكثر هدوءاً واعتدالاً ، حيث قال بأنه سوف يكتب رسالة لسموكم ، مبيناً فيها كل ذلك .

هذا الأمر جدي ، وفي هذا الوقت بالذات ، طالما ظلت كميات البهار التي تجلب عن طريق البحر الأحمر للقاهرة وعن طريق بحر هرمز للبصرة تزداد وتتعاظم ، ويمكن للمرء أن يستنتج من واقع تطور الأحداث ، أن هذه التجارة ستتزايد ، ولن تتقلص أو تنقص ، وقد بدا واضحاً الازدياد في نفقات سموكم فيما يتعلق بالأوضاع في الهند ، وإذا لم يوجد حل ، فإن النفقات سوف تزداد .

لذا فإن إبرام اتفاقية السلام مع الأتراك يبدو في صالحنا ، وهذا أمر لا يمكن أن ينكره عاقل بدون مبرر ، وبالرغم من أن عملية

تحسين الأوضاع تحتاج للمزيد من النفقات من جانب سموكم ، إلا أن الكثير من الفوائد يمكن أن يتم تحقيقها في الهند إبان فترة توقيع معاهدة السلام .

وإنني على ثقة كاملة بأن كل فرد سوف يقر ويعترف بتلك الحقيقة ، ولن يتم ذلك بالتصريح ، كما فعل "الكاردينال مونتبلشانو" (في موضوع مختلف لكنت امتنعت عن الكلام) ، لكن أقول إنه إذا ما وجدت السبل والآلية التي يمكن بموجبها إبرام اتفاقية جادة مع الأتراك ونافذة ، ولا تنطوي على أية سلبيات ، فسيكون الشخص الذي سينجز هذا قد قدم خدمة جليلة لسموكم .

غير أنني ألاحظ التنامي المتزايد لقوة وسمعة الأتراك في هذه المناطق ، ولهذا السبب لا عجب أن أصبح متكبراً ومغروراً ، وأنني أشك جداً في مدى استعداده ورغبته في الاستماع لتلك المقترحات ، وعندما أتخيل أنه من الممكن أن أتحدث معه ، ينتابني إحساس صادق أنه لا شك سوف يقبل التحدث في هذا الأمر .

وفي الوقت نفسه لا أجد أي ضرر أو إحراج بشأن طرح اقتراحي الذي ذكرته أعلاه ، حيث لم أذكر اسم سموكم ، ولو كانت هناك مفاتحة أو وسيلة يمكن أن توحي إلينا بوجود أمل في التقدم وإحراز نتيجة أفضل ، فإننا سوف نواصل السعي .

أما إذا رفض الأتراك هذا الاسترحام ، وعارضوه ، فإن سموكم لن يكون قد غامر بشيء كي يخسر ، ومن ناحية أخرى ، ومما يمكن أن يربح ، فإن سموكم سوف يكون في غاية السرور في أن يصبح الملك المسيحي

الوحيد الذي يقاوم الأتراك ، ويحقق انتصارات وإنجازات رائعة ضد قواتهم ، ومن خلال هذه المبادرة .

لا شك أنك سوف تجني صيتاً ، وتكون بعدها نموذجاً يحتذى للأمراء الآخرين ، وأن أية مصاريف وأية مجهودات أو مخاطر سوف تخاض ، وبعد ذلك سوف يساعدك الرب ، وما صعب الحصول عليه وتحقيقه من مكاسب من أعدائك بالوسائل السليمة ، سوف يحققه لك الرب من خلال خوضك حرباً نزيهة وعادلة ، هذا ما نأمل أن يحققه الرب عندما يشرع سموكم في تنفيذ تلك الأعمال .

بينما "الكاردينال مونتبلشانو" يؤمن بأن الفوائد التي يمكن تحقيقها من خلال تجارة البهار القادمة عن طريق البحر الأحمر من شأنها أن تقنع الحاكم التركي على إبرام اتفاقية السلام ، فإنني أعتقد أن ذلك الطريق والطريق الآخر الذي يمر عبر الصرة ، هما الأنسب والأفضل لتحقيق مصالح وأهداف سموكم ، وبالرغم من عدم مطالبة الأتراك بذلك ، إلا أننا سوف نعرضه له .

لهذا الأمر عدة أسباب ، وإذا لم نخطئ التقدير ، فإن تلك الأسباب ستكون كافية لوقف كل شيء في اللحظة المناسبة ، وفي الوقت الحاضر لابد لنا أن نكون حذرين من أن هذا "الكاردينال" يستغله الأتراك ، ويبدو أنه مهما كان قرار سموكم في هذا الشأن ، فلابد لسموكم من إصدار أمر كي يتم إرسال خطاب إلى "مونتبلشانو" يشكر فيه على حسن نواياه .

الأخبار القادمة من الشرق ، فيما يتعلق بالأوضاع في الهند ، وعما

كتب حول الشكوك في أن الأتراك سوف يعمدون لبناء أسطول بحري هذا العام ، قد أرسلت طي هذه الرسالة ، وأرجو أن يتفضل سموكم بإصدار الأمر كي تقرأ له .

يخبرني "دوق فلورنسا" أنه من واقع الأخبار التي أرسلت إليه من القسطنطينية ، فإنه لا يشك في أن أسطول الأتراك سوف يأتي هذا الصيف ، وهو أكبر حجماً مما كان عليه في الماضي ، بل وفي وقت مبكر عما حدث في الماضي ، ويعتقد أن المشروع سوف يكون في "جالطه" ، لأن ملوك تونس والجزائر ينادون بذلك بإلحاح شديد .

سوف يتمكن الأسطول من الرؤية في كلا الاتجاهين ، بحيث يسهل ما يمكن أن ينجز في "صقلية" ، وفي مناطق "أبوليا" و"كالابريا" ، وهنا لا توجد ترتيبات خاصة بالدفاع ضد تلك الضربات والمحن ، لذا فإن التساهل والإهمال في مثل هذا الأمر ، سوف يكون بمثابة خطر جسيم .

ولا شك أن خطراً كهذا جدير بإثارة المخاوف ، خاصة في غياب الحكمة والتبصر لأجل تقديم الحلول ، فإن الرب أراد أن يعاقبنا بهذه الطريقة ، وهذه الأخبار من شأنها أن تحذر سموكم ، وتدفعه لأن يعمل المناسب ، لكن في إطار ما يخدم مصالحه ، وعموماً ليس هناك المزيد مما يمكن قوله في مثل هذا الأمر في الوقت الراهن .

أسأل الله أن يطيل عمر سموكم ويحفظ دولتكم .

"روما" في السادس في شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث الكاهن الأول "نونيس باريتو" "Nunes Barreto" رسالة إلـى الكاهن "ديوغو ليونيس" حاكم عام "مجتمع عيسى" في "روما" ، "غوا" ، في التاسع من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، بشأن ملك زيلع المعيّن من قبل المماليك : (٥٢)

مقتطف الفقرتين الثانية ، والثالثة :

الفقرة الثانية : في هذا العام قدم أحد الفرسان(أ) نفسه إلى نائب الملك كي يرسله إلى مضيق مكة ، وذلك كي يقف على حقيقة ما يحكى عن المراكب التي قام المماليك ببنائها ويقومون ببنائها ، وذلك من أجل شن الهجوم على دولة الهند .

لقد جاءوا إلى هنا ثلاث مرات ، وفي المرتين الأولى والثانية ، ولوا

(أ) ربما يكون هذا هو الفارس "فيدالقو أفونصو" الذي ذهب مؤخراً يبحث عن بعثة في "مصوع" لكنه قتل فيما بعد .

(٥٢) رقم الوثيقة والهامش.

هاربين في غير ما نظام ، أما في المرة الثالثة فقد أُلقي القبض على كثيرين منهم ، وأحرق البعض الآخر ، ولا شك أن الحاكم التركي قد ندم على ذلك ؛ وبسبب ذلك فقد أضاع الكثير من المال على تجارة التوابل ؛ وذلك لأنه لن يستطيع الوصول إلى الدول المنتجة كما تعود(أ) .

الفقرة الثالثة : أحمد الله أنني لم أطلب من نائب الملك أن يرسل تلك المراكب بسبب ما حدث . لقد اتجهت ثلاثة مراكب إلى ميناء "أركيكو" (ب) الذي يتبع "البرستز" (بالرغم من أنه محتل من قِبل المماليك) ، وقد أرسل مترجماً للشاطئ ، ليعود ويخبره أن "البرستر" قد توفى وأن أحد(ت) إخوته قد عُيّن ملكاً ، وكان أحد قادته قد حقق النصر ضد ملك زيلع(ث) (البربري) .

كما أن آخر تمكن من هزيمة أحد قباطنة الحاكم التركي الذي بعد أن فقد الكثيرين من الرجال ، تمكن من السيطرة على إحدى السلاسل الجبلية التي كانت تضج بالكثير من الناس الذين خرجوا عليه وثاروا ضده(ج) ، وعلى كل ، فإن كل هذا يدل على أن تلك المملكة مسالمة ، وكان هذا ما يرهبه ويخافه ، وكان على بعد ثلاثة أو أربعة فراسخ من الميناء .

(أ) وصف "كارنيرو" Carneiro الانتصار على الأتراك في ١٥٥٧-(في .د١-١١١- ٨٠١).

(ب) ميناء يقع إلى الجنوب من "مصوع" .

(ت) لقد قتل "كلوديوس" في معركة في ٢٣ مارس ١٥٥٩م ، وخلفه أخوه "ميناس" (آدم سقد) حتى فبراير ١٥٦٣م ، حيث عمل على تغيير الأوضاع في "الحبشة" للأفضل .

(ث) "زيلع" ، أحد الموانئ في الصومال ، ولا يبعد كثيراً عن جيبوتي .

(ج) لمزيد من المعلومات عن الحروب التي شنها "ميناس" في عام ١٥٥٩-٦٠ ضد ثوار الفلاشا .

كان يقيم هناك الرجل الذي كان الحاكم(أ) الأخير ، قد أرسله حاملاً خطابات للحاكم "برستر" برفقة المطران .(ب) هذا ، وكان يوجد في الميناء مجموعة من العبيد التابعين له وللبعض من البرتغاليين ، والذين كانت رسالة إليهم يتوجب أن تحمل من السفن التي سوف تتوقف هناك ، وأن العرب المسلمين قد أرسلوهم إلى إحدى الجزر(ت) القريبة .

الفقرة الرابعة : هذا البرتغالي كان عليه أن يأتي بخطابات من المطران والحاكم "برستر" ، والتي كان نائب الملك ينتظر وصولها ، ولقد وعد أنه في حالة استلامه رسائل من "البرستر" تفيد بأنه سوف يرحب به ويستقبله ، فلسوف يرسل في طلبي إذ إن هذه أوامر حاكم "البرتغال" القائم بتولي الأمور الآن ، أو من يحكم نيابة عنه(ث) .

(أ) فرانشيسكو باريتو .

(ب) أندرياس دي أوفيدو .

(ت) مصوع .

(ث) بعد وفاة جواو الثالث (١٥٥٧) حكمت الملكة دونا كاثرينا البلاد بصفة الوصية على العرش ، ويبدو أن هذه الرسائل قد ضاعت .

وفي العام نفسه (١٥٦٠م)

بعث الكاهن "ملشيور كارنيرو" رسالة إلى الكاهن "ديوغو ليونيس" مطران عموم جمعية عيسى في "روما" ، "غوا" ، في التاسع من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أخباراً عن الحبشة ومصوع : (٥٣)

مقتطف ، الفقرتان الثانية ، والرابعة :

الفقرة الثانية : كما سوف يتبين لكم من رسائل الأب المطران ، أنه ليست بحوزتنا أخبار أخرى عن "الحبشة" غير تلك التي كنا قد أرسلناها لكم في العام الماضي ، تلك التي أوردنا فيها أن قائداً "تركيا" توجه لغزو الأقاليم ، بيد أنه هُزم شر هزيمة ، ولكن برغم هزيمته تلك إلا أنه بقي لديه من الجنود ما يمكنه من الدفاع عن الموانئ التي يستخدمها .

(٥٣) رقم الوثيقة والهامش.

عموماً لن نتمكن من الذهاب إلى هناك مالم نزود بأسطول ضخم من هنا ، ونرجو الاهتمام بهذا الأمر نظراً للضرورة ؛ لأنه من مصلحة الدولة أن نتمكن من الاستيلاء على القلعتين اللتين بناهما الأتراك في جزيرة "مصوع" وميناء "أنكيكو" ، وبتلك الوسيلة يمكننا التوغل في البلاد . لا أعتقد أن هنالك وسيلة أخرى سوى التوجه وتسليم أنفسنا للأتراك الذين احتلوا المنطقة ويحكمون الرقابة على الموانئ .

الفقرة الرابعة : الجانب تلك الأفضال التي يشجعنا بها الرب للأعمال العظيمة ، نأمل أن يشهد هذا العام وصول أسطول ضخم إلى موانئ المضيق ، خاصة وأنه يوجد لدينا الكثير مما يجب عمله ، مثل العمل على هزيمة القرصان الشهير الذي دأب على الأبحار كل عام من "المخا" متسبباً في إلحاق الكثير من الأضرار للدولة ، وكذلك الاستيلاء أيضاً على القلعة المذكورة ، وفوق كل هذا ، يظل انتظار الأسطول التركي الذي يخشى أن يأتي هذا العام .

في العام الماضي كان قد عرف أن أربعين مركباً قد تم بناؤها في السويس ، وسوف يشهد هذا العام بناء المزيد ، ومن المؤكد أنه قد عرف أن عشرة مراكب قد اكتمل بناؤها في الصرة ، وهناك المزيد قيد البناء ، وأيضاً علمنا من خلال رسالة أحد الأخوة ممن أُرسلوا في العام الماضي للاتقاط أخبار عن الأب المطران .

والذي قبض عليه الأتراك ، أن الأتراك يقومون بتجهيز أسطول كبير لإرساله ضد مدينة "غوا" ، ويقول بعض العالمين بشؤون الحرب والقتال في هذه البلاد أن أفضل شيء يمكن أن يقوم به نائب الملك هو الخروج

للبحث عنهم . لهذا السبب نأمل في مرافقته داعين الرب أن يوفقه وينصره على الأتراك ، والذين رغم أنه يجب أن يُخشى بأسهم في البر لكوننا محاصرين "بالبربر" (المسلمين) ، فإن خوفنا لن يكون كبيراً إذا ما جاء هجومهم بحراً .

أسأل الله أن يكسر شوكتهم ، وينصر نائب الملك ليفلح في هذا الأمر .

أحداث عام ١٥٦١م

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى د . سبستياو ، "روما" ، في الثاني والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٦١م ، يذكر أن الأسطول التركي جزء منه في الإسكندرية والجزء الآخر في السويس : (٥٤)

سيدي ، لقد تلقيت بالأمس رسالتان من "ماثياس بيكودو" في القاهرة ، سوف أرفقها طي هذه الرسالة ، بحيث إنه يشير في رسالته الرئيسة إلى رسالة ثالثة ، كان قد كتبها ، لكنها لم تصل إلى يدي ، ولقد رأيت من الضروري أن أبعث لك بالرسالتين المذكورتين ، ومن خلالها سوف يدرك سموكم أن أسطول السويس لا يحتوي على ذلك العدد الكبير من المراكب

كما أعتقد في السابق ، كذلك للتوضيح بأن الحاكم التركي قد

(٥٤) رقم الوثيقة والهامش.

عمل على تقسيم قيادة الباشا في الإسكندرية إلى قسمين ، حيث قرر أن يكون هناك جزء في الإسكندرية والجزء الآخر في السويس ، ويبدو أن هدفه يتجه إلى أن يكون اختصاص الجزء الموجود في السويس شن الحرب ضد الهند ولا شيء غيره .

بما أن الباشا يمتلك خبرات واسعة في ذلك الساحل ، حسبما أشرت وذكرت ذلك في خطاب آخر ، فإنه سوف يقرر نشر حوالي خمس عشرة أو عشرين سفينة ، وإذا ما فشلت في إنزال الكثير من الخسائر ، وهو ما اعتاد عليه بسبب اجتهاده وشجاعته ، فسوف يوجه المزيد من القوات لتحقيق ذلك .

أما بخصوص موعد إبحار هذا الأسطول ، فهذا ما لم تشر إليه هذه الرسائل ، لكن يجب أن يفترض أن الأسطول سوف يشرع في الإبحار هذا العام ، وسوف يكون جاهزاً وقادراً على تنفيذ الأهداف والنوايا التي سبق أن ذكرتها لك في رسالتي الماضية ، خاصّة فيما يتعلق بتوحيد القوات القادمة من "باتيرا" ، كما يذكر "ماثياس" ذلك في رسالته . أما الرسالة الأخرى التي أشار لها ، فسوف تصل إلينا وفيها سوف نعرف المزيد من التفاصيل .

يوجد معي في منزلي "أندريه ربيرو" "Andre Rebeiro" ، وهو من "سيتوبال" ، وكان قد عمل مع "أنطونيو سلفييرا" من "ديو" ، كما كان أيضاً زميلاً لـ "جواو دي ليسبوا" في السجن ، وقد قام بالهروب بمركب صغير من الإسكندرية ، إلى طرابلس و"سوريا" ، وتمكن من الاختباء بين الأشجار في البر .

ومن هناك ، وبمساعدة بعض المسيحيين المحليين ، قدم إلى "قبرص" منها إلى البندقية ، ويؤكد هذا الرجل أن الأسطول سوف يشرع في الإبحار في غضون هذا العام أو في العام المقبل على أكثر تقدير ، وفي كل الحالات سوف يبحر من السويس وبحسب معرفته الجيدة بـ الهند ، فإنه يعتقد أن الأسطول سوف يحدث دماراً هائلاً .

سوف يعلم سموكم من خطاب "ماثياس بيكودو" كل ما يقوله عن السجناء "البرتغاليين" الذين تم افتداؤهم في القاهرة ، كما ذكرت ذلك لسموكم في الرسائل التي أرسلها لكم مع "باستياو كريادو" "Bastiao Criado" و"بيرتو فيلوسو" "Perto Filoso" ، وتأتي هذه المبادرة كعمل رأفة ، فالسجناء يعيشون أوضاعاً مزرية وبائسة ، وهم برتغاليون وجنود .

ظلوا يقدمون خدماتهم لسموكم في شتى المجالات ، ويستحقون الاحترام والتقدير ، والآن ، فإنني أ نتظر رداً يأتي لـ"أنطونيو بنتو" مرافق أولئك السجناء ، والذي هو معي الآن ، ولسوف يقوم بتحريرهم جميعاً ، بحسب ما كتبته أنا لسموكم .

من إحدى نسخ رسائل "ماثياس" ، يتبين أن قبطان "المخا" قد استولى على أحد مراكبنا التي وصلت في المضيق في العام الماضي ، وقد علم أن أحد أبناء "أنطونيو دا جاما" "Antonio da Gama" قد أخذ أسيراً فيها ، إنني أحتفظ بأصل الرسالة ، لأجل تذكير "بيكودو" ونفسي ، والآن فإنني أكتب إلى "بيكودو" ، طالباً منه المحاولة لإنقاذ ذلك الشاب إذا ما كان ممكناً ، ولأجل تحقيق هذا سوف أستخدم كل الوسائل الضرورية .

في البندقية يقيم السيد "جواو لوملينو" "Joao Lomelino" وهو

أحد الرجال الشرفاء ويوجد هنا في بلاط "روما" أحد إخوته وأقربائه ، وهو من ذوي الشأن والنفوذ ، وهم أصدقاء لي ، ومن خلال مساعيهم الحميدة تعهد بأن يوصل مراسلاتي وخطاباتي للقاهرة ، وتسليمي كل الخطابات بالسرية المطلوبة من هناك ، وذلك عن طريق مراسلين له في تلك الأنحاء .

لقد منحه نائب الملك في "صقلية" مسؤوليات القائم بأعمال القنصل البرتغالي بما فيها حماية السفن القادمة من "البرتغال" ، وحقيقة فهو يؤدي تلك المهام بكفاءة ويقظة تامة . أنه يخبرني بكل شيء ، وأؤكد لسموكم أن هذا الرجل أساسي في مثل تلك الأعمال ، ولأجل الحصول على جميع الأخبار من القاهرة والإسكندرية بواسطته ، ولأجل ممارسة السلطات والنفوذ ، فإنه يرغب في الحصول على لقب قنصل للشعب البرتغالي في طول وعرض جزيرة "صقلية" .

أتوسل لسموكم أن تتفضل بإرسال خطاب إليه في هذا الموضوع ، وأرجو أن أطمئن سموكم أن هذا الرجل سوف يصبح مسؤولاً هاماً ، وسوف يكون ذا جدوى كبيرة للغرض الذي حددته ، بل وسوف تزداد أهميته بالنسبة للسفراء المقيمين هناك ، ولهذا السبب يجب ألّا تتأخر الموافقة على طلبه . أرجو أن يحفظ الرب سموكم ، ويطيل في عمركم وعمر دولتكم .

"روما" في الثاني والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٦١م

تقتضي الضرورة أن يصار إلى تحذير السفن التي سوف تغادر بإذن الله هذا العام "للهند" ، والإيعاز إلى قادتها أن القبطان الجديد

في السويس ربما يكون في انتظارهم ، خاصة وهو ذو خبرة كبيرة ودراية بالساحل "الماليندي" ، ويقول السجناء الموجودون الآن في منزلي أنهم قد سمعوا الأتراك الموجودين في القاهرة يقولون ، من وقت لآخر ، أن في ذلك الساحل يوجد حصن لسموكم ، يمكن أن يُستغل للأغراض ذات الصلة باعتقال وحبس أسرى الأساطيل العابرة .

هذه الإخبارية سوف تسمح لسموكم بإصدار الأمر المناسب لحماية مصالحهم .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "جيل دي جويز" "Jill de Guise" رسالة إلى الملكة ، في الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٥٦١م ، ويذكر الاحتلال الذي يقوم به الأسطول البرتغالي حول البصرة : (٥٥)

سيدتي ...

بالرغم من عدم معرفة سموك لشخصي بناء على ما يبدو للمكرمات القليلة التي تلقيتها من سيدنا الملك ، لن أتوقف عن أداء عملي وحياتي تجاه هذه الخدمة ، وأحمل كل النوايا الطيبة مثل أولئك الذين كرموا ونالوا الاستحسان من سموك .

أنا ابن الطبيب "فرانسيسكو توسكانو" "Francisco Toscano" الذي بعث به الملك "دوم جواو" (نسأل الرب أن ترقد روحه في سلام) إلى هنا كمستشار له ومسؤول عن التموين .

(٥٥) رقم الوثيقة والهامش.

مضت الآن خمس عشرة سنة ، خدمت فيها بتلك الأنحاء ، وأنا في خدمة دائمة لسيدنا الملك ، وعند قدوم نائب الملك "دوم قسطنطينو" ، بدأت خدمة جديدة ، وذهبت معه في مركب إلى "داماو" ، وأرسلني من هناك إلى المضيق مع "دوم ألفارو دي سيلفيرا" ، وهي الرحلة التي رافقته فيها على أحسن وجه حتى وفاته في مضيق الصرة .

في البحرين حيث أسرت من قبل القائد المسؤول التركي الذي كان هناك ويدعى سلطان علي ، ولكونه فارسي الجنسية في الأصل جاء بي إلى هناك ، وأخبرني في أحد الأيام أنه كان يود خدمة سيدنا ملك "البرتغال" ، وأنه سيسلم القطيف التي كان قائداً لها ، وبالقليل من التأييد والمساعدة سيتمكن من الفوز على الصرة مع قوات من الفرس و"الجيزارين" ؛ حيث يُعرف هناك ، وله سمعة جيدة واسم كبير ، وسيحصل على أجره ونفقاته مما سيكسبه ، وبما أنه كرر ذلك الأمر كثيراً قام بإطلاق سراحي ، وأصبحت حراً لأذهب ، وطلب مني أن أتذكر ما حدثني به .

بعد أيام قليلة من ذلك وصل "دوم انتاو" إلى البحرين وقدمت له إفادة كاملة بما جرى ، وكان ممتناً كثيراً حتى أنه بعث بي إلى القطيف ، التي كان قد ذهب إليها في السابق على قارب صغير في إحدى الليالي ، وهناك رتبت معه تسليم القلعة كما وعدني ، واعتبرت الأمر استسلاماً ، وكان قد أقسم على المصحف .

ومنذ ذلك الوقت وهو من رعايا سيدنا الملك ، واستمسك بالقلعة تحت سيطرته ، وأنه سيسلمها متى ما أمره نائب ملك الهند ، أو قائد هرمز بذلك ، شريطة أن يقبل قائد هرمز ببنود محددة سيبعث له بها ، وفعلاً بعث بها

بعد أيام قليلة على أن يؤكدها نائب الملك ويصادق عليها حتى بعد ذلك يصادق عليها سيدنا الملك .

كان مغزى ما طلبه أنه في حالة ذهابه إلى هرمز ، فإن على ملك هرمز أو كبير الوزراء عدم التدخل معه أو في أي قضية تتعلق به ، لكن فقط القائد أو قضاة سيدنا الملك ، وإن انسحب من القطيف عندها لن يقدموا له التزاماً وتعهداً باستغلاله ، وأن يعينوا له مكاناً في جزيرة قشن حيث سيكون وسط أهله وقومه .

وإن حدث إن كانت في المضيق سفناً تابعة للأتراك ، فهم مجبرون على نجدته والتقدم نحو الصرة أو الاحتلال "لاما" (الحسا؟) ، وكل ذلك الجزء من الجزيرة العربية ، لم يطلب أي أموال أو رجال ، فقط جهد الأسطول في البحر ، وبقية النفقات ستدفع مما يكسبونه وأشياء أخرى مشابهة لا أستطيع تذكرها ، لكن كان ذلك هو البند الأساسي لما طلبه ، ثم انتشر المرض بطريقة لم يتمكن "دوم انتاو دي نورنها" فيها من التقدم لاحتلال القلعة ويكمل الترتيبات معه .

ولم يكن أيضاً هناك أي شخص يتولى هذه المسألة ، لأننا كنا جميعاً على شفا الموت ، ولم يكن هناك أحد يعلم بهذا الأمر سوى قائد هرمز وشخصي . عندما وصلت إلى "غوا" كتبت مذكرة بذلك لنائب الملك "دوم قسطنطينو" الذي سألني واستفسر مني عن كيفية تنفيذ ذلك ، فأجبته بالنسبة للوضع الحالي يجب إصدار الأمر وبشدة لقائد هرمز بأن يتعجل التحرك والوصول للترتيب معه ، السلطان علي ، ثم يقوم بترتيب ما تبقى بعد ذلك .

وبناء على ما رأيت ، وما اطلعت به فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فإنّ على سموك من هناك أن تصدر الأمر بأن يتم كل ذلك ، بقليل من الطرح وإبداء الكثير من الإحسان والتكريم لهذا الرجل كقبطان لهذا الأسطول حسبما يتطلبه الواجب .

قد تؤخذ الصرة ؛ لأنه إن لم يقدم السلطان على المساعدة فلا أدري كيف يستولي عليها ويتم تأمينها ؛ لأنه وبجانب ذلك يخشاه الفرس والأتراك ، ويُعتبر قبطاناً مميزاً ولصاً أيضا ، ولذلك يعلم تماماً من أين يهاجمها .

بناء على الأخبار التي وصلت هذه السنة من الصرة أن النهر فتح وجيء بالكثير من الأخشاب إلى هنا ، كما صنعت بعض المراكب الشراعية الضخمة والصغيرة ، وتم استدعاء الضباط للعمل فيها ، يبدو لي أن هذا الموضوع يجب توليه قبل أن تشتعل النيران أكثر ؛ لأنه مع الفائدة الضرورية التي سيقدمها الأسطول ستمكن هذا القبطان من المرور عبر رجال فارس ، ويبدو ضرورة القيام بذلك على الأقل ، فإن السلطان علي لا يرى صعوبة في الأمر ، وهو يتلقى بلا شك مشاركة ومساعدة الجزاريون .

يمكن الوثوق بذلك في هذا الشخص ؛ لأنه على خلاف مع الأتراك ، ولن يستجيب لدعوة باشا الصرة ، ولن يطلب حتى الرجال ليقاتلوا على البر ، في البحر لن تكون هناك أي خدعة أو خيانة ، لأن الأسطول الذي عليه الذهاب من هنا سيكون قوياً ، ولم لو لم تكن به العديد من السفن ، وبالرغم من وصول أي سفن من السويس فإنها لن تتسبب في أضرار له .

قد خلصت بهذه الفكرة وبينتها لنائب الملك خدمة لسيدنا الملك ، وبأن الأسطول الذي سيتقدم لحراسة مضيق الصرة هذه السنة تحت أي ظروف يجب أن يتألف من سفن ضخمة والكثير من المراكب الكبيرة من القوارب الأخرى ؛ لأنني بلا شك أتمسك أنه لو السفن الضخمة أو الأخرى التي صنعت في الصرة ستأتي إلى البحرين أو إلى القطيف في شهر يوليو والأخرى في أغسطس من السويس لمواجهة أسطولنا في الوسط .

لأنني سمعت ذلك يدور في مباحثات بينهم عندما كنت أسيراً ، لكن إن كان أسطولنا يتكون من سفن ضخمة ، ومعد جيدا وحماسة وجرأة جيدة عند "رأس روز الجيت" فلا شيء نخشاه ؛ لأنه بالرغم من وجود هذا الأسطول على نهر الصرة بعد يوم ونصف سيكون كافياً حتى يصبح في عرض البحر .

الأخطار بهذا الموضوع يمكن لسموك الحصول عليه بواسطة قائد هرمز ، وسيتوفر لك ذلك بأفضل طريقة مناسبة .

يا صاحب السمو ،

أرجو أن تعتبر جرأتي في كتابة هذه المذكرة إنما هي قناعة أكثر منها رغبة في أن أخدم سيدنا الملك ، وسموك ، بعيداً عن أي أمل في منة أو فضل يقدم لي ، لأنه لا هذا ولا عن كل الأعمال التي أديتها والتي في تقديري ليست بالقليلة أود أن يقدم لي فيها إحسانا أو مكرمة من سيدنا الملك أو منك يا صاحبة السمو حتى إن جاء ذكري في هذا الخصوص ؛ لأنني لا أرى شيئاً في هذه البلاد ذا قيمة سوى ما يتوجب عليَّ الإيفاء به قبل أن يحل الأجل .

وما ألتمسه من سموك هو أن تتحرى عني وعن أعمالي ، وبناء على ما تستحق من ثقة واعتبار أن تضعني في اعتبارك ، وإن أراد سيدنا أخذي إلى المملكة فأنني سأطالب بالعدالة وأنا على يقين بأن سموك سيحققها نيابة عني ، لأنها عندك تتساوى فيما يخص عالي المقام وأولئك الذين في المرتبة الدنيا .

نسأل الرب أن يطيل من عمر ودولة سيدنا الملك وصاحبة السمو لسنين عديدة .

من قشن في هذا اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير للعام ١٥٦١م

- "جيل دي جويز"
- أقبل يدي سموك
- "جيل دي جويز"

على العنوان : - إلى سيدتنا الملكة .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "د . سبستياو" ، "روما" ، في العاشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦١م ، ويذكر قصة هروب "أندري ربيرو" سجين مسقط : (٥٦)

سيدي ، إن حامل هذه الرسالة هو "أندريه ربيرو" ، الذي كان قد أخذ سجيناً في مسقط مع "جواو دي لسبوا" ، وقد هرب في أغسطس الماضي من أحد المراكب الصغيرة القادمة من الإسكندرية ، التي كان قد سجن فيها ، ومن ثم لجأ إلى طرابلس في "سوريا" ، ومن هناك جاء إلى "قبرص" ومنها إلى البندقية وبعدها جاء إلى هنا .

ولقد فعل هذا كي يعطيني أخباراً من القاهرة مقابل مساعدتي له في الذهاب "للبرتغال" . لقد عمل جندياً في الهند ، وأيضاً وبنفس الصفة ظل عدة سنوات في خدمة أسطول "نونو دا كونا" ، ولم يعد قط مرة أخرى "للبرتغال" .

---

(٥٦) رقم الوثيقة والهامش.

أخبرت أيضاً بأنه رجل طيب ، ولقد بدا لي أنه طالما ظل يخدم في الهند عدة سنوات ، وقضى عشر سنوات في السجن ، فيجب عليّ أن أقدم له المساعدة باسم سموكم ، وهذا ما فعلته .

لا شك أن سموكم سوف يتصرّف وفق ما يراه مناسباً ، وأشير هنا إلى أنه يرغب في الحصول على رسالة توصية ، وحقيقة أنني لا أعلم الكثير عنه ، لكن ربما يكون في "البرتغال" من يؤكدون اعتباره . لقد قام برحلة طويلة ، بطيئة ، ولن يكون هذا الجزء هو الأسوء منها .

أسأل الله أن يحفظ سموكم ويطيل في عمركم وعمر دولتكم .

"روما" ، العاشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "د . سبستياو" ، "روما" ، في التاسع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦١م ، ويذكر الأسطول التركي في السويس : [٥٧]

سيدي ، لقد علمت من رسالة سموكم أن "فرانسيسكو باريتو" قد وصل إلى "لشبونه" وجاء بأخبار عظيمة عن الهند ، أن ما كان أرسل إلى البندقية عن طريق الإسكندرية فقد تبين زيفه وبطلانه .

لا يمكنك تصور التهمة التي وجهت إلى "دوم قسطنطينو" ، وحقيقة ، فإن الشائعات الكاذبة أحدثت الكثير من الضرر لمصالح سموكم ، بحيث إن كل ما ذكره "فرانسيسكو باريتو" قد وجد على العكس القبول والاستحسان ، وأيضاً وجدت تقارير هنا الكثير من المصداقية والاعتبار بحيث كان يعتقد أنها أو الاضطراب العنيف ، هو السبب الأساسي في تتدفق تلك الكميات الضخمة من شحنات التوابل في الإسكندرية .

---

(٥٧) رقم الوثيقة والهامش.

أضف لهذا حقيقة عدم وصول السفن في العام الماضي إلى الهند ، وقد ظُن ألا شحنات من التوابل سوف تصل إلى البندقية ، وبسبب ذلك ارتفعت الأسعار على نحوٍ أكثر مما كانت عليه من قبل في تلك المدينة .

عدّ التجار في الإسكندرية أنهم في حرية من أمرهم وبحيث إنه بوسعهم تحديد السعر كما يحلو لهم ، وعليه ، وكما قلت ، فعندما حدث ذلك ، ولا يأخذن سموكم أي شك ، إن ذلك هو المبرر الذي ساقه أهل البندقية والألمان ، إذ أبلغوني بأنفسهم أن ذلك هو ما أدى لزيادة سعر التوابل والأدوية في البندقية ، وسوف يلاحظ سموكم أن هذه الأخبار

قد وردت مع تفاصيل أخرى في تقارير "توماس دي كرونوسا" التي أرسلها لي ، والتي أرفقها لك طي هذه الرسالة .

لسموكم كل الحق في عدم الرضا عن مسيرة الأوضاع ، ولابد من بذل جهدٍ كبير لرفع الأضرار ، وإذا ما افترضنا أن مصالح سموكم سوف يطالها الكثير من الضرر من جراء انسياب حركة التجارة في البحر الأحمر ، فيكف سيكون الضرر الذي يمكن أن يحدث بسبب الحروب والثورات؟

على الأقل أسأل الله أن تجلب السفن القادمة من الهند ما يكفي من السلع والبضائع حتى لا نصبح في عوز ، لأن "البربر" لديهم فائض أكثر .

لابد من أخذ الأمر بجدية تامة إذا ما كانت أعداد السفن والمراكب في الصرة والسويس تتطابق مع ما أشارت له التقارير من الهند ، وبما قيل من أنهم يعملون بجدية لبناء المزيد .

لقد اقتنعت أن هذه التقارير مغلوطة ، وأنه لا يوجد في السويس أكثر من خمس وعشرين سفينة ، وهي في حالة يرثى لها . هذا ما أخبرني به "ماثياس بوكودو" في الرابع من شهر إبريل الماضي ، كما أخبرني أيضاً أنه لا توجد سفن أخرى قيد البناء .

لا يمكنهم أيضاً أن يعرفوا ما يحدث في الهند عندما غادر "فرانسيسكو باريتو" أكثر مما ذكر عن أخبار الهروب من أسطول "كرستافاو بيريرا" ووصوله إلى مدخل المضيق ، خاصة في غياب حركة دخول وخروج سفن "البربر" الأجنبية ، فإنهم فشلوا في القبضِ على الترجمان الذي كان في السويس آنذاك ، كي يقفوا على أخبار ما يحدث هناك فعلاً .

أما رجالنا الذين يعبرون المضائق ، فليس بالإمكان أن تتوفر لديهم المعلومة الصحيحة ، ما لم يكن الأسطول القابع في السويس كبيراً وضخماً ، وما لم تكن الترتيبات متطورة بحيث يسهل نشر ونقل الأخبار بسهولة ، وحتى إذا ما كان أسطولنا قد سمع قليلاً عن الأخبار والشائعات .

لقد كان من الممكن التحقق من صورتها الحقيقية بواسطة أسر سفينة متجهة إلى جدة ، ومن خلال التحري واستجواب الأتراك الذين على متنها يمكن الحصول على حقيقة ما يحدث في السويس ، ولذاك السبب ، فإنني على قناعة من صحة ما أشار له "ماثياس بيكودو" في رسالته المذكورة والمؤرخة في الرابع من شهر إبريل ، وإنهم أبلغوا بأخبار مضللة ما يجري في الهند .

أعتقد أيضاً أنه لا هم ولا نحن على علم بما يحدث في الصرة ، ولا يمكن أن يزداد عدد السفن في تلك الجزيرة ما لم تأت من البحر الأحمر ،

وبعد سقوط واحتلال مسقط ، اتجه البعض منهم إلى هناك ، لكن لم يشر "ماثياس بيكودو" في رسالته بما يفيد عن عودتهم إلى هناك ، وليست لدي أية فكرة عن الجهة التي يمكن أن يأتي منها الآخرون ، إذ تفتقر المنطقة حتى "داماو" لوجود الخشب ، والحال نفسه بالنسبة للمنطقة الممتدة على طول نهر "الفرات" حتى ينقل منها إلى الصرة ، كما أخبرت سابقاً ، وكذا الحال نفسه بالنسبة إلى "سوريا" .

على كلٍ ، ليس في الإمكان توفير خشب بناء السفن ، مالم يؤت به بحراً من القسطنطينية إلى طرابلس ، ومن هناك بواسطة الجمال إلى حلب ، ثم لاحقاً نقله عن طريق نهر "الفرات" للبصرة ببالغ الصعوبة .

لم نتلق أيّة أخبار خلال الأيام القليلة الماضية عن عمليات نقل شحنات الخشب إلى طرابلس ، ومن ثم إلى حلب في ذلك الاتجاه ، وحقيقة ، فإن مثل تلك الأعمال لا يمكن أن تغيب عن أنظار الناس لأن المدينتين تعدان ملتقى التجار من كل حدب وصوب ، وهناك أيضا المشاريع التجارية الخاصة بالهنود ، وترتيبات الأتراك المعروفة بكثرة .

بناء عليه ، فمن المستحيل لأية سفن جديدة أن تظهر في الصرة بدون إشاعة عنها ، ومع هذا فربما تمكنت بعض سفن الأتراك من التسلل خارج "داماو" ؛ لكن سوف يكون من المدهش أيضا ألا يكون لـهرمز تقرير شهري عما يحدث في الصرة ، خاصة وأن جواسيسهم موجودون في المكان .

لقد كتبت إلى "ماثياس بيكودو" مؤخرا كي أخبره بضرورة إبلاغ نائب الملك في الهند بما لديه من أخبار في ذلك الوقت ، وفي كل حال ،

وتنفيذًا لتوجيهات سموكم ، فإنني قد أرسلت إليه للمرة الثانية نسخة عن طريق البندقية و"ميسينا" مبلغاً إياه بضرورة اتخاذ أقصى درجات الحذر للحصول على المعلومات الصحيحة عما يحدث في السويس ، وبالمثل عن الترتيبات القائمة في القاهرة بالنسبة لأعداد الأسطول ، وتوخي الحقيقة في كل شيء .

قد أخبرته أيضا بضرورة الشروع بعدئذٍ في إبلاغ نائب الملك في الهند بما أخبرته في رسائلي ، وعن الطرق العديدة للسعي لمعرفة ما يجرى في السويس بالحديث إلى الفارّين العاملين مع ذلك الأسطول أو من خلال النفر المحيطين بالقائد أو الباشا في القاهرة ، وحسب قناعتي ففي مقدوره أن يحصل على الحقيقة .

وأمرته أيضا أن يبلغ الهند بكل ما يعلمه عن نشاطات "البرتغاليين" في "الحبشة" ، وأيضا وجهته كي يهتم بعملية توزيع وإرسال أخبار الأسطول فورا إلى نائب الملك ، بحيث تتضمن الأخبار حقيقة سير الأوضاع في المنطقة ، وإنني جد واثق بأنه سوف يستفيد من المعلومات لاتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة .

بهذه الطريقة لن يكون هناك ما يمكن أن نخشاه ، وهكذا يمكنهم الاسترخاء وتجنب النفقات الباهظة للتحوط والحذر .

لقد سبق أن خاطبت سموكم بهذا الأمر في الرابع عشر من الشهر الماضي ، مبلغاً سموكم عن وصول "غونزالو دي أروجو" . لقد تعرض هذا الرجل للاعتقال عندما كان في سن الشباب ، وذلك في ساحل

(الجارف) ، وقضى مدة أربعة عشر عاماً متنقلاً في مناطق أفريقيا و"تركيا" ، حيث أجبره الأتراك على تغيير عقيدته .

عندما هرب من القسطنطينية وجاء كي يعرض خدماته على سموكم ، قررت أن أرسله للقاهرة مع "أنطونيو بنتو" ، وذلك للأسباب التي ذكرتها لسموكم في رسالتي .

السيد "أنطونيو بنتو" يتماثل الآن للشفاء ، ولكن بشكل بطيء ، وتوجد سفينة مناسبة لنقله من البندقية إلى الإسكندرية ، وعليه ، فقد قررت إرساله إلى هناك ، وآمل أن يكون قد غادر البندقية بالفعل أو سوف يقوم بذلك خلال الأيام القليلة القادمة ، أيضاً أصدرت قراراً بإعطائه ثلاثين "كروزادوسا" لنفقة رحلته ، ولقد تم تنويره بالكامل عن كل شيء يحتاجه ، وبالتالي فيمكنه دخول السويس بنفسه للاطلاع على ما يدور هناك .

لقد تم إبلاغه بالعودة بعد قضاء أربعة أو خمسة شهور ، وأن يكتب لنا تقريراً عما يحدث في المهمة التي أوكلت له ، وإذا ما سار كل شيء حسب الخطة ، فسوف يبدو الأمر مفيداً فيما يتعلق بما يحدث في القاهرة ، أما إذا فشلت الخطة ، فإننا لن نكون قد خسرنا شيئاً يستحق الندم عليه .

لم يكتمل شفاء "أنطونيو بنتو" حتى الآن ، بالرغم من التحسن الملحوظ في صحته ، وفي "ميسينا" يتم شراء الرقيق ، ولقد أخبرت أن العمل في هذا الشأن يجري بصورة جيدة .

لقد أنفقت حتى هذه اللحظة ما يقل عن مبلغ ألف "كروزادوس"

التي تم تخصيصها لإنجاز هذا العمل ، وكي أتفادى الخسائر ، سوف أضغط بما تبقى عندما يكون من الصعب تمديد الوقت للاسترداد ، ولا شك لدي ، أن الرب سوف يساعدنا ، وذلك حتى نتمكن من إنجاز الأمر على الوجه الصحيح .

صرّح البابا مؤخّراً أنه عازم على مراسلة الصفوي كي يشجعه ، ويدفعه لشن الحرب ضد ملك الأتراك ، وأن الأخير (الصفوي) كان قد عاد ، وفي عدة مناسبات ، لمناقشة هذا الأمر معي ، وبعد ذلك يمكنه أن يقترح على الصفوي ، أنه بعد وفاة ملك الأتراك ، فإن الخلاف لا شك سوف يندلع وسط أبنائه ، وسوف يقومون بتجييش الجنود والأسطول في المنطقة كي يستعيدوا الجزء الذي فقدناه .

في ظل استعداد الصفوي للحرب في الجانب الآخر من الساحل ، يمكن إلحاق خسائر كبيرة بالعثمانيين ، هذا إذا ما كان جريئاً بما يكفي لينضم إلى حلف الأمراء المسيحيّين ، ولقد طلب مني ما إذا كنت أرى من الأفضل أن أرتب بواسطة مساعي سموكم ، كي يتم التفاوض حول هذا الأمر مع الصفوي ، ولقد وافقته على اقتراحه ، واحتراماً وتوافقاً مع سلطاته لم أشأ أن أحرمه من هذا الأمل ، وذلك للأسباب التي وضحتها في رسالتي .

بعيداً عن الاعتبار لمصالح سموكم ، فلا أعتقد أنه خارج السياق أن يصار إلى تمتين روابط الصداقة ، والسعي للخوض في مفاوضات خاصةً مع ملك فارس ، والأسباب التي تستدعي ذلك واضحة ، ومن الممكن إيجاد السبل والوسائل ، ولأجل الحصول على موافقة سموه ، فينصح أن يصار إلى تقديم تقرير لسموه في هذا الأمر .

إن مجموعة ست عشرة سفينة التابعة لملك "كاستيل" ، والتي وصلت مؤخراً نابلس ، فقد ذكر جنودها أنها قد غادرت تلك المدينة في العشرين من شهر يونيو ، متجهة إلى برشلونة ومعها أربع سفن أخرى من نابلس ، وكانت سبع منها تؤول إلى "أنطونيو دي اوريا" "Antonio de Oria" ، واثنتان من ماري .

آمل أن يطلع سموكم من خلال نسخة الخطاب الوارد من "ميسينا" ، والمرفق طي هذه الرسالة ، على ما حدث للسفن السبعة التي قدمت من "صقلية" كي ترافق هذه المجموعة .

كان اسم القائد الذي يتولى قيادة السفن التسعة هو "دارجت آرياس" "Darget Arias" ، وحقيقة فإن سمعة هذه السفن في المنطقة كانت قد تلاشت تماماً ، ولأجل ذلك كانت فائدة العدو عظيمة جداً ، وبالنسبة لمديونيتها العالقة ، فقد قدرت الخسارة بأنها كانت مماثلة لخسارة "جلفيز" . كان "دوق مدينا" رجلاً شحيحاً ، ومن الواجب أن يكون الوزراء أثرياء ، لأن في ذلك أهمية كبرى للأمراء .

كانت الغنائم ضخمة بالنسبة للعدو ؛ لأنهم ، وبغض النظر عن أهمية تلك السفن لهم ، قد ذكروا أنهم قد جاءوا ببضائع وسلع بقيمة مائة وخمسين ألف "كروزادوس" .

ذكر نائب الملك في "نابولي" ، أن هناك حوالي ثلاثين سفينة ضخمة ، كانت قد ظهرت منذ أيام قليلة على ساحل "ساليرنو" ، وقد قيل إن تلك السفن هي أسطول "دارجت آرياس" ، تعزز بمجموعة من المراكب والسفن التي كان قد استولى عليها ، وبالمثل بعض سفن القراصنة التي انضمت إليه ؛ لكن الاشتباه هو أنهم يرغبون في الانضمام للبقية التي

كانت على وشك الرحيل من هذه المنطقة ، أو إلى تلك التي يفترض رجوعها مرة أخرى من برشلونة .

ربما تكون أيضا هي مقدمة الأسطول التركي ، خاصة وأنه حتى الآن لم تتوفر أية أخبار عنها منذ ظهورها في "متونا" ، وتفيد التقارير الواردة أن تلك السفن قد عادت للقسطنطينية ، غير أن تقارير أخرى تقول إنها مازالت تحوم حول "الأرخبيل" .

سوف يكون خطنا أوفر ، وبلطف الرب بهذا الأسطول ألا يبحر كما كان حاله في السنوات الماضية ؛ لكن إذا أبحر ، فإن ذلك سوف يسبب دماراً وخراباً لا يمكن للمرء تصوره ، لأنه لن يجد أية مقاومة من العالم المسيحي .

لن تقوى سبع سفن ضخمة مسيحية ، بعدتها وعتادها على طرد تسع من سفن العرب المسلمين التي لا تحمل "الإنكشارية" ، الذين ينشرون الرعب والخوف في جميع الأنحاء ، وإذا ما تمكن الترك من الاستيلاء على جميع السفن السبعة ، فإنه يزعم أن أولئك الناس لن يتجرؤوا على خوض الحرب ، كما هو مؤمل أو المحاولة لمضايقة الأتراك ، إلا أن يثبت الله قلوبهم ، وأن يكفيهم شر أولئك الناس ، وأن يقاتل لأجلهم ، وألا يسلط علينا بذنوبنا من يسعى للاقتصاص منا .

أتمنى لسموكم طول العمر ولدولتكم الرخاء والسلامة من "روما" في التاسع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٦١م .

إذا ما ثبتت صحة التقارير الأخيرة القادمة من البندقية ، عما ورد فيها عن الأسطول التركي ، فإنني لا أتصور أنه قد أصبح بالضخامة التي أشرت إليها أعلاه .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "لويس فرويس" رسالة إلى الكاهن "ماركو نونيس" "Marco Nunes" في "البرتغال" ، "غوا" ، في الثامن والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أن الأتراك سعيدون في الحبشة : (٥٨)

فيما يختص بالحبشة ، لا شك أن سماحتكم سوف تعلم بالعقبات التي تم تدبيرها بحيث لن يكون بوسعنا التوجه إلى هناك[أ] ، ولقد أرسل أحد اليهود خطاباً هذا العام من السويس أو من مكة[ب] ، حيث ضمنه أخباراً عن المطران "دوم أندريه" "الحبشة"[ت] .

(أ) كتب "البطريرك نونيس" أيضاً رسالة عن سير الأوضاع في "الحبشة" ، وبعث بها إلى رئيس الكهنة في ٢٦نوفمبر ١٥٦١م ، انظر النص الذي أورده "بيكاري" ، المجلد ١٠،١٣٧ .

(ب) كما حدثنا "البطريرك نونيس" فقد كتب من "مصوع") انظر "بيكاري" المجلد ١٠ ، ١٣٧ .

(ت) "د . أندريه دي أفيدو" .

(٥٨) رقم الوثيقة والهامش.

وأفاد بأنه قد تعرض للأسر والسجن مع رفقائه ، وذلك بأمر الملك الحاكم حالياً (r۳۸۳) الذي يُعدّ طاغية مستبداً ، وأعتقد أنه كان قد ارتد عن دينه إبان فترة حياة أخيه الذي كان ملكاً(أ) حينها ، وعندما كان الكاهن "مانويل فرنانديس" في طريقه "للهند" بهذه الرسالة ، أمر الملك باعتقاله .

وبالتالي فقد لجأ إلى دير ومسكن زملائه الرهبان ، حيث بقي هناك منعزلاً(ب) ، ولقد روي أن المماليك(ت) كانوا سعيدين بتلك البلاد ، لأنهم كانوا يستفيدون من كثرة غابات الأخشاب الموجودة هناك .

(أ) "ميناس" (ادامزسقد) شقيق "كلوديوس" ، إمبراطور "الحبشة" ، ١٥٥٩- فبراير ١٥٦٣م ، والذي قال عنه فالجناتو Valignano : هذا رجل وحشي بطبعه وعدو قاس "للبابوية" ، وهو كمنشق عن دينه ومحرض ومدفوع بنبض شيطاني وحقد أعمى ، فقد عامل المطران وبعض الكهنة الآخرين معاملة وحشية قاسية (Hist، 330) .

(ب) وفي "دباروا" (كما يقول "البطريرك نونيس" ، أنظر "بيكاري" المجلد ١٠ ، ١٣٧) .

(ت) يقصد بهذا الأتراك .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)
بعث الأب "غونزالو رودريغيز" ، رسالة إلى الأب "أنتروينو كوادروز" "Interuino Quadros" ، بتاريخ السابع من شهر إبريل عام ١٥٦١م ، ويذكر سكن الملك في هرمز ، وسكن الريس شرف : (٥٩)

٦ . عندما وصلنا للممر ، كانت هناك مجموعة كبيرة من الخيام الملكية المزخرفة قد نصبت في المدخل بجانبه تمثالان ، لأسدين يقفان رمزاً للنبالة . أما في المدخل فهناك بوابة ضخمة ، كان الملك قد أمر بتشييدها(أ) مؤخراً ، وعليها كتابة بالفارسية فيما أعتقد ، لأن هذا يعدّ أمراً عادياً في هذا البلاط وسط النبلاء(ب) ، هناك حراس في هذا

(أ) كان يتحدث عن برج شرزي أو برج الأسد ، حيث يوجد تمثالان لأسدين تم نحتهما في الحجر إلى يمين المدخل . (يوميات رئاسة بومباي الـ ٢٣ ، بجابور ، ص ٥٦٩) .

(ب) اقرأ المقدمة الخاصة لهذا الخطاب فيما يتعلق بسفراء اللورد علي المرسلين إلى أباطرة "فارس" . علاقات الود بين الأميرين كان قد تناولها بالبحث موراي ت تيتيوس في : (الاسلام في الهند ص ٨٦) .

(٥٩) رقم الوثيقة والهامش.

المدخل يقومون بالحراسة وظيفتهم التصدي لكل من يحاول الدخول ، وتوغلنا في الداخل .

وصلنا إلى ساحة محاطة بالحدائق من كلا الجانبين ، هذا بالإضافة إلى وجود بركة غاية في الجمال بنوافير مائية ، وهناك مبنى للخزانة بجانبه اثنان من المنازل الكبيرة التي بنيت على الطراز البربري ، وهذان المنزلان يضمان ممتلكات الملك وسكنه ، ولا شك أن أفضلها هي التي تؤول إلى ملك هرمز والريس شرف[أ] ، وهنا لاح لنا وجود مرجة ضخمة وساحة مروية نصبت فيها إحدى الخيام .

بعد ذلك قام "شرخان" باستقبالنا ، حيث جلسنا معه ، ومرت برهة من الصمت دون أن يتحدث أحد في شيء ذي قيمة . حتى جاءوا برسالة من الملك يطلب فيها أن نعود للمنزل ؛ لأنه لم يتمكن من مقابلتنا في ذلك اليوم ، ويعتزم ذلك في اليوم التالي .

وكانت تلك هي مناسبة الاحتفاء بعشاء يوم الخميس المقدس[ب] والوقت جدّ متأخر ، وعندما شعرنا بأنه يرغب فقط في رؤيتنا بشكل

(أ) يطلق البرتغاليون اسم ريس زارافو على الريس شرف ، وهو رجل مرموق في هرمز ، ومع ذلك فقد كان قد تعرض للحبس والاحتجاز في "البرتغال" في الفترة ما بين ١٥٢٩-١٥٤٥م انظر :
Documenta Indica Vol II 203, Documenta Indica Vol III 23-24.
"غونزالـو رودريكويـز" كان في هرمز منـذ ١٥٥١م وحتى ١٥٥٣م ، وبالتـالي أتيحت له الفرصة لمشاهدة تلك المباني الرائعة .

(ب) الثالث من إبريل ١٥٦١م ، هذا هو خميس الأسبوع المقدس ، الذي تعرض فيه تمثيلية دينية (مسرحية الأسرار) لعشاء المسيح الأخير احتفاءً بالذكرى .

عاجل ، وإننا قد اندفعنا أكثر مما يجب ، تراجعنا إلى اللامبالاة ، وتبادر إلى أذهاننا أن الملك قد غير نواياه وفضوله ، لذا فإننا لن نجني شيئاً من الذهاب إلى هناك .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "دوم سباستياو" ، في التاسع عشر من شهر يوليو عام ١٥٦١م ، ويذكر أن السفن في السويس لا تزيد عن خمس وعشرين سفينة وفي حالة سيئة : (٦٠)

سيدي ..

علمت من رسالة إلى سموك أن "فرانسيسكو باريتو" وصل إلى "لشبونه" وجاء بأخبار جيدة عن الهند ، وأن ما بعث إلى البندقية عن طريق الإسكندرية كان مزوراً وكاذباً .

لا يمكنك أن تتخيل ما اتهم به "دوم كوستانتينو" ، إشاعات كاذبة ، تسببت في كثير من الضرر لمصالح سموك ، وأن كل شيء أفاد به "فرانسيسكو باريتو" كان مناقضاً ذلك ، وقوبل برضى كبير ، وعظيم

(٦٠) رقم الوثيقة والهامش.

الثقة تلك منحت لتلك التقارير هنا بأنه كان يعتقد أو بعض التعقيدات الكبرى ، هي وحدها المسؤولة عن الكميات الهائلة من التوابل المسموح بها التي تصل إلى الإسكندرية .

بالإضافة لهذا حقيقة أن سفينة السنة الماضية لم تصل إلى الهند ، وأعتقد بأن التوابل لن تصل أبدا إلى البندقية ، عليه ارتفع السعر بقيمة أعلى كثيراً عما كان عليه في تلك المدينة .

عدّ تجار الإسكندرية أنفسهم أحراراً ليضعوا السعر الذي يرضيهم ، لذلك كما أقول عندما حدث ذلك - ولا ينتاب سموك أي شك - كان ذلك هو التبرير الذي استخدمه "الفينيقيون" و"الألمان" عندما أخبروني بأنفسهم أن ذلك كان السبب في ارتفاع أسعار الفلفل والأدوية في البندقية .

ستجد سموك هذه الأخبار وتفاصيل أخرى في تقارير "توماس كورنوسا" لشخصي ، والتي أبعث بها مع هذه الرسالة .

لسموك كل الحق في عدم الرضا بالطريقة التي تسير بها الأمور ، وهناك الكثير الذي لابد أن يتم ليعوض عن هذا الضرر . إن كان السلام وسهولة التجارة في البحر الأحمر يضران بصورة كبيرة بمصالح سموك فكم من الأذى يمكن أن تفعله الحرب والتمرد؟

لعل الرب يجعل على الأقل تلك السفن القادمة من الهند تأتي بحمولة كافية حتى لا نعاني من النقص لأن المسلمين يملكون فائضاً .

إن كانت أعداد السفن في الصرة والسويس كما أفيد بها من الهند ، وأنها تعمل بجد لإنتاج المزيد ، فيجب أن يؤخذ الأمر بجدية والقيام به في الحال .

أنا على قناعة بأن تلك التقارير خطأ ، وأن في السويس لا يوجد أكثر من خمس وعشرين سفينة في حالة سيئة حتى أن "مايتاس بيكودو" أخبرني عن الرابع من شهر إبريل الماضي وأن سفناً أخرى لم تُبن بعد .

لا يمكنهم معرفة الكثير من الهند عندما غادر "فرانسيسكو باريتو" عما قاله مركب "الفوستاس" ، الذي هرب من مفرزة "كريستوفاو بيريرا" ، ووصل إلى مدخل المضايق ؛ لعدم وجود سفن أجنبية إسلامية داخله أو مغادرة الميناء لم يتمكنوا من الحصول على أي مترجم كان في السويس في ذلك الوقت ، حتى يتعرف حقيقة عما يجري هناك .

رجالنا وهم يمرون عبر الخليج لم تكن لهم فكرة دقيقة إن كان للأسطول في السويس قوة ضخمة واستعدادات متقدمة جدا ، حيث إن الأخبار تنتقل بصورة واسعة ، حتى وإن سمع أسطولنا إشاعة ضعيفة عن ذلك كان يمكنهم الحصول على صورة حقيقية بواسطة أسر سفينة متجهة إلى جدة ، وعلى ظهرها أتراك ، لأنهم كانوا سيعرفون الحقيقة عن السويس ؛ لذلك السبب أنا مقتنع بأن ما كتبه "ماتياس بيكودو" في الرسالة المذكورة سابقاً بتاريخ الرابع من شهر إبريل كان صحيحاً ، وأنهم اطّلعوا بطريقة سيئة عن هذا الأمر في الهند .

كما أؤمن أيضا بأنهم لا هم ولا نحن نعلم بما يحدث في الصرة عدد السفن على تلك الجزيرة لا يمكن أن يزداد ما لم تأت من البحر الأحمر .

البعض ذهب إلى هناك بعد الاستيلاء على مسقط ، لكن رسالة "ماتياس بيكودو" لا تذكر أنهم رجعوا إلى هناك . لا أدري إن كان

هناك آخرون قد جاءوا من هناك ، وذلك لعدم وجود أخشاب في أي مكان في ذلك الإقليم وحتى "داماو" ، وحتى لا يوجد منه بطول نهر "الفرات" الذي يمكن نقله إلى الصرة ، بناء على ما أخبرت به ، ولا توجد كمية كافية في كل "سوريا" .

لا يمكن توفير خشب للسفن ما لم يأت عبر البحر من القسطنطينية إلى طرابلس ، ومن هناك إلى حلب ، بواسطة الجمال ، ونقل مؤخراً بصعوبة شديدة على طول نهر "الفرات" إلى الصرة .

لم تصل أي أخبار في هذه الأيام بأن أي خشب قد نقل إلى طرابلس ومن ثم إلى حلب عبر ذلك الطريق ، ومثل هذا التحرك لا يمكن عدم ملاحظته إن حدث ؛ لأن المدينتين يذهب ويجيئ منهما التجار من كل مكان ، والمشاريع الهندية والأعمال التركية معروفة على نطاق واسع .

عليه يبدو من غير الممكن أن تظهر سفن جديدة في الصرة دون أن تنطلق إشاعة عن ذلك ، بالرغم من أن الأتراك قد أحضروا بعض "الفسطاس" ، أو لعل القليل منها تسرب من "داماو" ، لكن من المستغرب ألا تكون لـهرمز تقارير شهرية عما يحدث في الصرة من الجواسيس المتواجدين في الموقع .

كتبت حديثاً "لماتياس بيكودو" ، وأخبرته أن عليه إخطار نائب ملك الهند عما عرفه في ذلك الوقت . على أية حال وتبعاً لتعليمات سموك ، فإنني أبعث له مرة أخرى بنسخة عن طريق "فينيسيا" و"ميسينا" أشير فيها بأن عليه بذل أعلى درجات الحرص والاهتمام في الحصول على

معلومات دقيقة عما يحدث ويجري في السويس ، والاستعدادات التي تجري في القاهرة بخصوص الأسطول والحقائق التي تتعلق بكل شيء .

عليه ، إذن في الحال إخطار نائب ملك الهند بما أطلعته عليه في رسائلي وبالطرق العديدة لمعرفة ما كان يجري في السويس ، وذلك بالتحدث مع المرتدين العاملين في ذلك الأسطول أو أشخاص ينتمون ، ولهم علاقة بقائده أو بباشا القاهرة .

بما أنني كنت قانعاً بأنه سيعرف الحقيقة ، قمت أيضاً بإصدار تعليمات له بإخطار الهند بأي شيء علم به عن نشاطات "البرتغاليين" في "الحبشة" .

أمرت أيضاً بأن يبعث بأخبار الأسطول في الحال لنائب الملك ، وتقديم بيان دقيق عن حالة الأوضاع . أشعر بثقة كاملة ، بأنه سيستفيد جيداً من المعلومات ، ويتخذ إجراءات دفاعية بهذه الطريقة ودون خوف من أي شيء يمكن لهم الاسترخاء ، وتجنب احتياطات مكلفة .

كتبت لسموك في الرابع عشر من الشهر الماضي أطلعتك بوصول "جونزالو دي أراجو" ، وكان قد أسر وهو شاب في ساحل "الجارفي" وقضى أربع عشرة سنة في أنحاء مختلفة من إفريقيا و"تركيا" ، حيث أجبره الأتراك على تغيير دينه . عندما هرب من القسطنطينية وعرض أن يخدم سموك قررت أن أبعث به إلى القاهرة مع "أنطونيو بنتو" للأسباب التي ذكرتها في رسالتي .

"أنطونيو بنتو" يستعيد عافيته ببطء ، وهناك سفينة مناسبة جاهزة لأخذه من البندقية إلى الإسكندرية ، لأنني قررت إرساله إلى هناك .

آمل أن يكون قد غادر البندقية أو سيقوم بذلك بعد أيام قليلة أمرت بتقديم ثلاثين "أشرفياً" له للرحلة ، وقد قُدِّم له ملخصٌ واف عن كل شيء يحتاج لمعرفته حتى يستطيع الدخول إلى السويس ويرى بنفسه ما يجري هناك .

طلب منه العودة بعد قضاء أربعة أو خمسة شهور ، وتقديم تقرير عما يحدث بالأسلوب الذي شرح أن سار كل شيء بناء على الخطة ، فسيثبت فائدته الكبرى في شؤون القاهرة ، أما إن لم يحدث كما خطط له فلن يضيع أي شيء .

لم يستعد "أنطونيو بنتو" صحته بعد لكنها تتحسن .

تم شراء العبيد في "ميسينا" وقد أخطرت بأن هذا العمل يتواصل بصورة جيدة . بما أنني أخذت أقل من ألف "أشرفيّ" من الاعتماد المقدم لي لهذا العمل ، ولتقليل الخسائر ، فإنني سآخذ الباقي عندما يصبح من غير الممكن تمديد وقت الإيفاء . أثق بأن الرب سيساعدنا حتى يستقيم كل شيء بأسلوب تام .

ألمح البابا مؤخراً أنه كان حريصاً في مراسلة الإمبراطور ليشجعه على شن الحرب ضد عظيم الترك وفيما بعد ، في مناسبات عديدة عاد للتباحث في هذا الأمر معي ، واستطاع عندها أن يقترح على الإمبراطور أنه وعند وفاة عظيم الترك ، سينشأ نزاع بالتأكيد بين أبنائه ، وسيشكلون جيشاً وأسطولا في ذلك الإقليم ؛ لاستعادة البعض مما فقد .

مع هذا الإمبراطور وهو على استعداد للتحرك في الشاطئ الآخر ،

فإن ضرراً عظيماً سيصيب العثمانيين ، إن كان جريئاً بما فيه الكفاية ، فسينضم في تحالف مع الأمراء المسيحيّين .

طلب مني إن رأيت أنه من الممكن الترتيب من خلال سموك ، لإجراء مباحثات في هذا الأمر مع الإمبراطور ، فوافقت على اقتراحاته ، ومحتفظا بحقه في السلطة . لم أحرمه من الأمل للأسباب الذي ذكرتها في رسالتي .

مع الاعتبار الكامل لمصالح سموك ، إلا أنني لا أعتقد أن هناك من ضرر في البحث عن صداقة والمزيد من الخصوصيات مع ملك فارس .

الأسباب واضحة والوسائل والسبل يمكن إيجادها ، الأمر سيخدم غرضاً ما إذا ما تفاعلنا ، واستجبنا لرغبة قداسته بأن نقدّم له تقريراً عن ذلك .

سفن ملك "كاستل" الست عشرة التي وصلت حديثاً إلى "نابولي" وعليها جنود ، غادرت هذه المدينة في العشرين من يونيو إلى برشلونة مع أربع سفن أخرى من "نابولي" ، سبع منها تعود لـ "أنطونيو دي أوريا" واثنتان من ماري .

أرجو أن تتعرف من نسخة لرسالة من "ميسينا" ملحقة بهذه على ما حدث للسبع سفن التي جاءت من "صقلية" لترافق السفن الأخرى .

قائد السفن الضخمة التسع كان يدعى "دارغوت أرياس" ، الحقيقة أن المعلومات المتعلقة بالسفن في هذه المنطقة ضاعت تماماً ، واستفاد العدو بدرجة كبيرة من هذه المسألة ، أما ما يتعلّق بالدين القائم ، فإن الخسارة قدرت بالتساوي مع تلك التي تخص "الجالفيز" ...

إن "دوق ميدينا" رجل بخيل ، والوزراء الذين يملكون الأموال مهمون جداً للأمراء .

كانت الغنيمة ضخمة جداً بالنسبة للعدو ؛ لأنّه وخلافاً لأهمية السفن فإنهم يقولون إنهم جاءوا ببضائع كانت تساوي مائة وخمسين ألف "أشرفيّ" .

يفيد نائب ملك "بابولي" أنه وقبل أيام قليلة ظهرت ثلاثون سفينة ضخمة على ساحل "ساليرنو" ، وقد اعتقد أنها أسطول "دارجوت إرياس" معززاً بسفن شراعية كان قد استولى عليها ، وأيضا بسفن مسلحة أخرى انضمت إليه .

الشك كان يدور في أنهم يريدون الانضمام للآخرين الذين على وشك المغادرة من هذا الإقليم للخارج ، أو أولئك الذين عليهم العودة مرة أخرى من برشلونة .

يمكنهم أيضا أن يكونوا الطليعة للأسطول التركي ، الذي وحتى الآن لا توجد أخبار محددة عنه ، منذ ظهوره في "ميتونا" . بعض التقارير تؤكد أنه عاد إلى القسطنطينية ، وآخرون يقولون إنه يتجول حول الأرخبيل .

يجب أن يعتبر أنه من حسن الحظ وفضل من الرب أن هذا الأسطول لم يكن أعد للإبحار قبل سنوات مضت ، إن كان ذلك قد تم لكان سبب ضرر لا يمكن تخيله ، وما كان ليجد أي مواجهة أو مقاومة من العالم المسيحي .

سبع سفن مسيحية ضخمة مجهزة جيداً لن تكون كافية لطرد سفن المسلمين التسع ، والتي لا تحمل أي انكشاريين من الذين بثوا الهلع عبر العالم . عند استيلاء الأتراك لكل السفن السبع ، أعتقد أن أولئك الناس لن يتجرؤوا على القتال ، كما كان يرجى أو محاولة استعداء الترك ، ما لم يبث الرب فيهم شجاعة جديدة ، لعل الرب يقاتل عن هؤلاء الناس ولا يديننا ويتهمنا ويعرضنا للعقاب بسبب آثامنا .

نسأل الله أن يطيل من عمر سموك ويمد في حكمك في خدمته .

من "روما" في التاسع عشر من شهر يوليو ، عام ١٥٦١م

إن كان التقرير الأخير من البندقية صحيحاً وحقيقيّاً ، فيما أشار إليه عن الأسطول التركي ، فإنه لن يكون الآن بتلك الضخامة كما ذكرت أنا بأعلى .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)
بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثاني عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أنه من الصعب نقل الخشب عبر الأراضي بين سوريا والعراق إلـى البصرة لبناء السفن : (٦١)

سيدي ، لقد سبق أن كتبت بشكل مطول إلى سموكم حول مختلف الموضوعات ، وذلك عن طريق "ديوغو بوروا" ، الذي غادر في العشرين من الشهر المنصرم ، وبالرغم من أنه كان لدي القليل حينها مما كنت أود أن أخبرك به ، إلا أنني آثرت التريث حتى لا أفقد شهيتي للمسارعة بإبلاغك بكل شيء في ساعته حينما أجد الفرصة المناسبة لذلك .

في الثلاثين من الشهر الماضي ، كان أحد اليهود واسمه "إساك" ، وهو كما يقول البعض ابن المحامي سيلفا ، قد وصل في هذا الميناء

(٦١) رقم الوثيقة والهامش.

للدعوة ، ولقد أشير إلى أنه كان قد أرسل من قِبل نائب الملك "دوم كونستانتينو" ، وفي العاشر من أكتوبر الماضي غادر مدينة "غوا" بحراً متجهاً إلى هرمز ، ومن هناك رحل إلى "دوراج" بنفس الوسيلة ، وكان تأخره قد حدث بسبب هبوب الرياح التي أجبرته على الرحيل براً عبر بابل و"كاراهامت" .

كانت رحلة هذا الرجل عبر جميع مناطق "تركيا" ، وسافر حتى وصل إلى القسطنطينية ، ومن هناك ركب سفينة "كاستلنافو" في خليج "كاتارو" ، حيث عبر إلى "أنكونا" ، ولو كان قد ترك طريق بابل وسافر على طول نهر "الفرات" حتى حلب ومنها إلى طرابلس في "سوريا" وعابراً من هناك إلى "قبرص" ، لأمكنه أن يختصر مسافة الطريق البري والبحري إلى البندقية ؛ لأن هذا أسهل .

ولوصل إلى هنا مبكراً ؛ لكنه برّر اختياره بالزعم أن الطريق يبدو أفضل ، لكن لا سبيل له لإثبات ذلك ؛ إذ من الواقع أن "سالونيكا" في الجوار ، أو على نفس الطريق من القسطنطينية إلى "كاتارو" مما يناقض ما ذكره .

في "سالونيكا" نفسها يوجد منزله ومنزل والده ، ورغم ذلك فهو يزعم أنه لم يتبع ذلك الطريق ، لكن من يصدق روايته بعد وصول الرسائل إلى سموكم ، ومن طرف نائب الملك من قِبل "دوم انتاو دي نورونها" ، وريس نور الدين ومن محامي أبيه؟

اطلعت فقط على الخطاب الأخير المذكور ؛ لأنه كان قد فض بعد وصوله ، حيث يتحدث فيه والده عن عمله ، ويتحدّث بإطناب عن الهند وعن خصائص الرجال ومميزاتهم وتواصلهم ، وباختصار وحسبما كتب سموكم ،

يتبين أن الأب وابنه قد أوردا نفس الأخبار عن الصرة ، أي تلك الأخبار التي أحضرها "فرانسيسكو باريتو" ، ويزعم هذا الرجل المحترم بشكل مقنع أن الأخشاب قد جلبت لنحو ثلاثة عشر مركباً إلى الجزيرة المذكورة ، وقد جلبت بواسطة السفن البحرية من "الأناضول" إلى طرابلس في "سوريا" ومن هناك نقلت بواسطة البغال إلى حلب ثم للبصرة على طول نهر "الفرات" .

يشير في تقريره أيضاً ، أنه قد تم فتح قناة بطول سبعة فراسخ بين نهري "دجلة" و"الفرات" ، لتسهيل عملية نقل الأخشاب للبصرة ، ويؤكد زعمه هذا مشيراً بأنه ، لا توجد غابات قط سواء على ضفاف هذين النهرين ، أو في المنطقة يمكن الحصول منها على تلك الأخشاب أو أية مواد لبناء السفن .

لم أعمل على إرسال هذا اليهودي إلى سموكم حسب طلبه ذلك ، بل لأن "فرانسيسكو باريتو" كان قد أرسل نفس الأخبار ، وقد أحضر صدفة صورة من الخطاب الذي تلقاه من نائب الملك ، وبما أنني لم أجده من اللائق في إطار حرصي على عدم التبذير في النفقات ، فإنني أرى أن يُدفع له من مرتب والده ، أو بوضع مناسب آخر لا يكلف مبلغ ثلاثمائة "كروزادوس" ، وسوف يكون هذا كافياً في الوقت الراهن .

ما يمكن أن يُفهم من خلال رواية هذا اليهودي ، ومن خطاب والده هو أن نوايا نائب الملك اتجهت لإرساله ، فإذا ما وصل في وقت وجيز حسبما كان متوقعاً عن طريق السفن المغادرة آنذاك (نهاية مارس الماضي) ، فسوف يكون بوسعه إبلاغ الهند بما يرغب فيه سموكم فيما يتعلق باجتياح الصرة .

مرة أخرى أؤكد من واقع ما لدي من مبررات وأسباب ، أن هذا اليهودي لا يدرك شيئاً عما يتحدث عنه ، وأن أهالي الهند قد خُدعوا في هذا الأمر ، بسبب افتقارهم للمعلومات الصحيحة ، وأخبار ما يحدث في الصرة ؛ لأنه من المستحيل أن يتم جلب أخشاب لثلاث عشرة سفينة من "الأناضول" أو من أي مكان آخر بحراً إلى طرابلس ، وهذا لا يحتاج لاستخدام مجموعة كبيرة من السفن .

يستحيل أيضاً أن تحمل تلك الكميات على ظهور البغال إلى حلب و"بيرا" ، حيث يتم التحميل في نهر "الفرات" دون أن يحدث ذلك الكثير من الضجة والإزعاج ، ولابد أن يكون ذلك الأمر معلوماً لدى التجار في البندقية ، ولابد لجماعتنا في القاهرة أن يعلموه من خلال العاملين في نقل التجارة بين طرابلس والإسكندرية .

هذا بالإضافة إلى أنه عندما أُعلن ذلك ، وتمت مواجهته بما قاله "أفونصو دا جاما" "Afonso da Gama" لنائب الملك من أن شحنة الأخشاب تلك قد نقلت في مارس ١٥٦٠م إلى طرابلس ؛ لأن منسوب الماء مرتفعاً جداً في "الفرات" في ذلك الوقت ، وبالتالي تمّ إنزالها في "بيرا" .

يبدو ، حسبما ورد لي من أخبار في رسالة تلقيتها من "قبرص" في سبتمبر هذا العام من أحد "البرتغاليين" باسم "جوسي" (وكان يعرف سابقاً باسم لويس في الهند) ، جاء فيها أنه كان من المفترض أن يتم بناء الأسطول في الصرة ، وأنهي القول إنه كان ينوى بناء جسر فوق نهر "الفرات" ، لكنه لم يكن يعلم ما يقوله عن وجود الأخشاب في المنطقة .

بعد وصوله إلى "قبرص" ، حيث كان بوسعه العبور إلى طرابلس

خلال يوم واحد ، وفي وجود سبل للمواصلات بين منطقة وأخرى ، كيف ينفي معرفته ولماذا لم يكتب لي كي يخبرني عن كمية الأخشاب التي نقلت إلى هناك ؟

إن الخطاب الذي كتبه لي في ذلك الوقت سوف أرفقه مع هذه الرسالة ، وذلك لتوضيح ما قلته ، ولتعضيد وجهة نظري بشأن هروبه من طرابلس ، وفي أغسطس من نفس العام ، سألت "اندريه ربيرو" ، الذي كان موجوداً في تلك المملكة عما يعرفه عن الأخشاب هناك ، أخبرني أنه قد أجرى بعض التحريات حول ما إذا كانت كميات قد مرت من ذلك الطريق ، لكنه لم يسمع بأية أخبار ، وهذا الرجل ذو خبرة ودراية .

وكان جندياً في الهند ، ولتلك الأسباب وفي إطار هذه الإفادات ، يجب أن تطرح جانباً كل الأخبار القادمة من هرمز و"غوا" فيما يتعلق بكمية الأخشاب المطلوبة ، الأشرعة ومجاديف السفن وكونها نقلت عبر طرابلس ؛ لأن عملية النقل عبر تلك الطرق الوعرة ، والصخرية وحتى "بيرا" تتطلب جهوداً جبارة ونفقات كبيرة ، إلى جانب استخدام الكثير من العمال لنقلها .

لقد كانت مهمته أن يكتشف هذا السر ، ويأتينا به هنا ، وليس أن يصدق أن الأتراك لديهم أربع وعشرون سفينة ، تم بناؤها في السويس ، ظلت هناك حتى اهترأت في الوقت الذي كان بإمكانهم الإبحار بها بسهولة للبصرة ، إذا ما كان يناسبهم أن يكون لهم أسطول في تلك المنطقة .

أما فكرة أنهم يريدون أن يدخلوا في تحمل نفقات جديدة ، وفي إطار تلك

الظروف الصعبة بما فيها من بطء وصعوبة في أعمال مثل نقل الأخشاب إلى ذلك الموقع الآخر ، في الوقت الذي فشلوا في الإفادة من السفن التي تم بناؤها في السويس ، والإيثار في قضاء المزيد من الوقت في بناء السفن في الصرة ، بينما كان بوسعهم إيجاد بحارة في السويس والمال الكافي لذلك المشروع ، فإن كل ذلك تعتبر أموراً تتجاوز حدود المعقول .

بناء عليه ، يبدو أن الأمر في غنى عن فتح قناة بطول سبعة فراسخ بين نهري "دجلة" و"الفرات" ، يقولون إنه من واقع مهارتهم وحرفيتهم ، فإن الأعداء سوف يكونون مصدراً للمصداقية لأية مزاعم أخرى ، ولكن بهذا النحو ستكون مصدراً للسخرية ، فالتقارير عن تلك الأعمال ستصبح أكذوبة تروى للأطفال .

أما بالنسبة لهذا اليهودي ، ومن واقع ما علمته من القسطنطينية وفي الطريق ومن تقرير "ماثياس بكودو" ، فإن سير العمل في هذه السفن يبدو بطيئاً في السويس ، وإن عددها ينطبق ويتوافق على ما ذكره "بكودو" في تقريره .

لهذه الأسباب يتبين من خلال الأخبار التي أوردها "ماثياس" من الهند ، ومن واقع ما هو متداول هنا ، من خلال مجموعة الخطابات الخاصة من عدة أفراد من "لشبونه" ، أنه لن تكون هنالك نفقات إضافية يمكن إرسالها "للهند" قبل حلول شهر مارس .

أما بالنسبة للبصرة ، فيبدو أنه لابد من اتخاذ وسيلة أخرى ، غير اتخاذ أية ذريعة أو حجة ، لأن تلك من شأنها أن تزيد من صعوبة التجارة فيما بعد .

إن قرار اجتياح تلك القلعة ، وطرد الأتراك وإجلائهم عنها بشكل نهائي ، وإبرام السلام معهم في حالة انعدام أية وسيلة أخرى ، تكون بمثابة وضع العوائق والصعوبات أمام الطرفين ، وعليه فلابد لسموكم أن يصدر أمره لكل فرد لدراسة الموقف وبعدها سيفعل الله ما فيه الخير .

في الرسالة رقم أربعة التي كتبتها في التاسع عشر من الشهر الماضي ، سوف يتضح لسموكم مدى حرص البابا في إرسال أحد الأفراد إلى الحبشة ، بهدف دعوته كي يرشح شخصاً لحضور المجلس ، وبما أنه ألقى مسؤولية هذا الموضوع وعهد به إلى "الكاردينال أميليو" ولشخصي ، فقد سار على نفس المنوال ، وتحدث معي ثانية في الموضوع نفسه بالكثير من الإصرار ، ولقد تبين في العديد من المناسبات ضرورة الحاجة للتفاوض مع "الكاردينال" المذكور حول الطريقة التي يجب اتخاذها لتنفيذ ذلك .

بسبب أن كل ما يترتب على عملية الاتصال من البابا إلى "برستر جون" سوف يكون جيداً لموقف سموكم في العالم ، ولم أشأ تجنب مثل هذه المهمة في حال صدور الأمر لي من قِبل وزرائكم . إن حماس قداسته ، ونفاذ صبره في هذا الأمر لم يعطياني المجال كي أنتظر وصول رسالة من طرف سموكم ، ولذا فقد أكملت استعدادي لخدمته باسم سموكم .

بعد عمل دراسة لجميع الطرق التي يمكن عبورها من هنا إلى "الحبشة" لم أجد ما هو أسهل وأقصر طريق يمكن أن يسلكه رسول متخفٍ ، غير ذلك الطريق المؤدي من القاهرة إلى "سيدا" ، وبعد ذلك يمكن للمرء أن يسلك طريق النيل ومن هناك عبر الأراضي الصحراوية حتى حدود الغابات البرية إلى "الحبشة" وبعد ذلك يسهل الوصول إلى المملكة .

عندما أخبرت قداسته بالمدة المطلوبة ، رغبت في إرسال رسالتي تلك باسم سموكم ، لأن ذلك يمكن أن يتم بشيء من النفوذ من خلال الرسالة . أبلغت قداسته أن طريق القاهرة ، هو الأنسب إذا ما وجد الشخص الذي يعرف طبيعته ومسالكه ، أو حتى من له استعداد للمحاولة ، ولقد طلب مني اتخاذ ما يلزم لأعثر على شخص بتلك المواصفات ، وأن أعمل على ترتيب أمر الرحلة مع "الكاردينال أموليو" .

لم أجد شخصاً أفضل صفات من "أنطونيو بنتو" ، الذي كان قد حضر مؤخراً من القاهرة لافتداء رفقائه "البرتغاليين" الأسرى ، ولم يكن حتى تلك اللحظة جاداً ومهتماً بالأمر ، لكنه الآن تبيّن أن العرض بشأن تلك الرحلة يبدو مقبولاً ، وقد أخبرته بأن ذلك سوف يكون بمثابة خدمة لسموكم ، ومن هذا الإطار أمرته بالتنفيذ بالنيابة عنكم .

أما من جانبه ، فهو يبدو شجاعاً ومقتنعاً ، ومن خلال عزمه وإصراره أعتقد أنه سوف ينجز الأمر على أفضل ما يكون ، وبما أنه كان عبداً للأتراك فيما مضى ، فإنه بعدما أصبح حراً ، يمكنه الإفادة من امتيازات عدة ، وسوف يطلب من الباشا أن يؤمن له إذن المرور للذهاب إلى "الحبشة" ، موضحاً أن أخاه الذي كان يأمل في أن يحصل منه على بعض الأموال من تركته قد توفى هناك .

كان يقسم بأغلظ الإيمان ، وقد صدقته في ذلك ، أن الأتراك سوف يمنحونه إذناً بالمرور دون صعوبة ، وأنه سوف يتمكن من السفر متستراً ، كي يعود ، ومعه الشخصان أو الثلاثة الذين أمر "برستر جون" بإحضارهم للانضمام للمجلس .

إذا ما تعذر الحصول على إذن المرور ، فسوف تكون هناك وسيلة ما لاستخدام الطريق المذكور ، بواسطة استخدام بعض الأثيوبيين المسيحيين والسفر على نفس الطريق الذي أمر "برستر" باتباعه في الرحلة للقدس والتستر بلباس الحجيج ؛ وذلك لأنهم لن يجدوا صعوبة بالإبحار من الإسكندرية إلى هنا .

عهد قداسته لـ "الكاردينال" ولشخصي بإنجاز بعض المهام الأخرى ، وكان علينا أن نستعد للرحلة ، وقد أصدر توجيهاته إلى سكرتيره بالتعاون معنا ، وتنفيذ الأوامر التي نصدرها له ، ولقد بدا لي أن قداسته لابد من أن يعمل على إرسال وثيقة ضافية إلى "بريستر" ، مبيناً فيها تفاصيل الأسباب التي دفعته للكتابة إليه .

والتي حدت به كي يدعوه لإرسال أحد الأشخاص لحضور المجلس ، تماماً كما يفعل جميع الأمراء المسيحيين ، حاثاً إياه على فعل ذلك من خلال عدة أسباب وسلطات ، ومعدداً الكثير من الفوائد التي يمكن أن تعود عليه إثر ذلك بقصد إقناعه .

كان الخطاب البابوي طويلاً وضافياً ، وما زال حتى ذلك الوقت قيد التدقيق وإعادة التدقيق ، وسوف ينقل للغة "الشالدية" ، كي يفهم محتواه بشكل جيد في "الحبشة" . هذا وسوف يرسل أيضاً إلى البرتغاليين الموجودين هناك كي يقفوا على ما يقال .

كانت فكرتي أيضاً أن يقوم قداسته بإرسال خطاب تعريفي آخر إلى سعادة المطران "دوم أندريه" ، الذي أُخبرت أنه مقيم في بلاط الحبشة ، الذي أُرسل له "أنطونيو بنتو" ؛ بحيث يمكن لـ "المطران" تمثيله استناداً

على ما يكتبه له ، وعن المفهوم الذي أعطى له من خلال الرسالة التعريفية "للبرستر" ، يمكن أن يتحدث معه بإسهاب عن هذا الموضوع .

لابد لـ "أنطونيو بنتو" أن يحصل على توجيهات لإقناعه بما يجب إنجازه في كل شيء يعتزم القيام به ، وبصفته السفير المقيم لسموكم ، فإنني سوف أرسل خطاب توصية "للبرستر جون" بخصوص توطيد ما يحضره "أنطونيو بنتو" ، ومعتذراً في نفس الوقت عن نسيانه إحضار رسالة من سموكم .

سوف أقوم أيضاً بكتابة تلك الرسائل التي تبدو ضرورية لتسليمها إلى المطران وإلى "جاسبار ودي سوسا" ، وإلى بعض الشخصيات البرتغالية ، وسوف أرسل نسخاً من رسائل قداسته التعريفية ، ونسخ الخطابات الأخرى إلى سموكم بعد أن نفرغ من توضيح كل الأمور .

"أنطونيو بنتو" سوف يقوم بهذه الرحلة معتمداً على النفقات التي أعطاها إياه "قداسة البابا" ، ويرغب الأخير هذا أن يعود "أنطونيو" بالأشخاص الذين كلفه بإحضارهم إلى هنا ، وقد وعد بمنحه جائزة لقاء عمله هذا .

بإذن الله سوف يرحل "أنطونيو بنتو" في غضون الستة أو السبعة أيام القادمة ، وسوف يسلك الطريق عبر "ميسينا" ، كي يقوم بتسليم العرب المسلمين الذين اشتراهم بواسطة "جواو دي لوملينو" ، وذلك من أجل افتداء المسيحيين في القاهرة ، وعندما توفر له وسيلة المواصلات الجيدة ، التي أبلغت عنها ، فسوف يمكنه التوجه إلى الإسكندرية برفقة "البربر" المذكورين .

بعد أن يتم تسليمهم إلى الباشا ، ويتم إعداد المسيحيين للحضور إلى هنا بناءً على توجيهاتي ، فبوسعه الشروع في رحلته من "الحبشة" .

أسأل الرب الحكيم أن يتم كل شيء بعونه ، وأن يمنح سموكم دائماً المناسبات السارة ، لأن تمتد وتزدهر سلطتكم وسمعتكم بالفضائل والأعمال السديدة ، وأن يطيل حياتكم ويحفظكم ويجعلكم ذخراً وعوناً لقضاء حوائج الناس ، وأسأله تعالى أن يحفظ دولتكم قوية شامخة ، مستجيباً لدعوات وزرائكم المخلصين .

بعد أن تناولت موضوع الشرق في هذا الخطاب ، تبين لي أنه من الأنسب أن أدع قضية الغرب للآخرين ، وكيلا أفسد هذا الأمر ، ذكرت في هذا الخطاب أن "قداسة البابا" كان قد ألح عليّ كي أوفر له وسيلة ما ، بواسطة سموكم ، تمكن الصفوي من أن يتواصل ويتقاسم الأخبار مع قداسته ، وذلك تحاملاً على الحاكم التركي ، الذي يبدو أن نهايته قد أصبحت وشيكة ، وأن ساعة موته قد حانت .

بما أنني قد كتبت بشكل مسهب في الخطاب رقم خمسة بتاريخ التاسع عشر من الشهر الماضي ، فقد حاولت أن أرجئ مخاطبة "قداسة البابا" ، مبيناً له أنني كتبت إلى سموكم ، لكنه يرغب في أن أكتب له مجدداً .

لابد من القول إنني لا أعتقد أن سموكم ، يمكنه تجنب الكتابة رداً على ذلك ، وخلال هذه الفترة ، وإلى أن يحين رحيل تلك السفن ، وفي هذا الوقت المتخلل يمكنكم تلبية رغبات "قداسة البابا" ، وذلك حسبما ترونه مناسبا .

من "روما" ، في الثاني عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

صدر تقرير إلـى ملك عن البصرة ، "سيرا دي سنترا" ، في الثامن والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م ، ويشرح وصف المنطقة من البصرة إلـى هرمز : [٦٢]

سيدي ،

تستدعي الضرورة ، لمن أراد أن يدلي برأيه في هذا الأمر الهام ، أن يكون على علم بتفاصيل الأمر ، وأنه قد حصل على تلك التفاصيل من أشخاص لهم أهميتهم ومصداقيتهم ، وعليه فإنني سوف أتحدث بناءً على المعلومات التي تلقيتها في الهند .

تقع مدينة الصرة في شبه الجزيرة العربية على خط عرض واحد وثلاثين شمالاً ، وعلى بعد ربع فرسخ فقط من ضفة نهر "الفرات" ، ويمكن الوصول إليها من خلال مدخل بحري ، يقال إنه مدخل صناعي ، كان قد تم حفره في العصور القديمة .

---

(٦٢) رقم الوثيقة والهامش.

أما هرمز فهي تبعد حوالي مائتي فرسخ من الصرة وأربعين فرسخاً من بابل ، التي تعرف الآن باسم بغداد ، وأيضاً من مدينة كبرى تعرف في الجزيرة باسم "مشهد علي" "كازاكيال" ، و"كوريا" ، "خرمشهر" ، وبعض المدن تحت الأتراك في المنطقة المجاورة ، وتقدر المسافة ما بين الصرة إلى مدخل نهر "الفرات" ، الذي يصب في الخليج الفارسي بحوالي خمسة وعشرين فرسخاً .

أمّا في مدخل النهر ، فتوجد جزيرة تعرف باسم {"مرجس"؟ = موسى} ويبلغ طولها حوالي اثني عشر فرسخاً ، لذا فهي تمتلك مدخلين ، وكلاهما يصلحان للإبحار ، غير أن المدخل الذي يوجد على جانب الخليج الفارسي ، هو الأسهل والأفضل ، ويتراوح عمق المياه في هذا النهر منذ بداية المدخل وحتى الصرة من أربع إلى خمس قامات ، ويبدو أن حركة جريان المياه قوية جداً بحيث من الممكن للمرء أن يبحر عكس الرياح إذا ما كانت خفيفة نوعاً ما .

تتم الرحلة من هرمز للبصرة على طول ساحل فارس ، وذلك نظراً لسهولة الممر ، وبسبب وجود الكثير من الموانئ ومناطق التزود بالمياه ، بخلاف ما يوجد في الجانب العربي ، من الممكن أن تستمر عملية الإبحار من هرمز للبصرة في أي فصل من فصول السنة ، لكن هناك بعض الخطورة إذا ما كان الإبحار في شهري ديسمبر ويناير ، ويبدو أن موسم هبوب رياح "المونسون" (الموسمية) يكون في شهور مايو ، يونيو ويوليو وأغسطس .

أما أكثر الشهور التي تشهد عمليات الإبحار من الصرة إلى هرمز ،

فهي سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر ، وهي فترة الخيول والمؤن الغذائية ، وتستغرق الرحلة مدة تتراوح ما بين ثلاثين إلى خمسة وثلاثين يوماً من هرمز للبصرة ؛ لأن الرياح تهب عكسياً . أما من الصرة إلى هرمز فهي تتراوح ما بين عشرة إلى اثني عشر يوماً ، ويعزى ذلك للرياح التي تهب على الصرة من جهة نهر "الفرات" . أما في أعلى المنطقة ، فتوجد بعض الجزر التي تعرف باسم الجزائر ويعرف سكانها بذات الاسم .

يعني لفظ (جزير) في اللغة الفارسية (الجزيرة) ، ويقال إن هناك حوالي ثلاثمائة جزيرة ، ويروى أنها تضم حوالي خمسمائة "مسكيتي" (أي الجندي المسلح "بمسكيت") ومائة ألف من حاملي السهام والرماح ، وفي هذه الجزر تزرع كميات وافرة من الأرز والقمح ، ويجد السكان إمداداً جيداً من اللحوم والتمور ، وهنا يعرف الملك باسم سعيد بن "علياو" ، ويتبع السكان التقاليد والأعراف الفارسية .

إن كل ما أعرفه عن الأخشاب التي تجلب للبصرة فهو كما يلي :

تقع مدينة "بيرا" في بلاد ما بين النهرين على نهر "الفرات" ، وهناك مسافة تقدر بحوالي مائة وأربعين فرسخاً تفصل بين هذه المدينة وبين الصرة . غير أن البعض يقول إن المسافة تقدر بحوالي أربعمائة فرسخ ؛ لكن يتفق الكثيرون على مسافة مائة وأربعين فرسخاً .

وما بين هذا الجانب من "بيرا" وبين حلب توجد غابات كثيرة ، يمكن الحصول منها على أخشاب الصنوبر وبقية أنواع الأخشاب الأخرى ، التي تؤخذ إلى الحلة ، وهي مدينة في الجزيرة ، تقع على نهر "الفرات" ، ومنها للبصرة على بعد تسعين فرسخاً ، وفي تاريخهم عن الإسكندر ،

يروي الفرس أن الإسكندر قد بنى أسطولاً في الحلة على أمل الإبحار به "للهند" .

أيضاً هناك مدينة سامراء التي تقع على نهر "دجلة" في فارس ، وقيل عن وجود غابات الخشب بالقرب منها ، لكنها ليست بمستوى جودة غابات بيرا ، وذلك نظراً لقصرها والتوائها .

أما المسافة التي تفصل ما بين الصرة وسامرا ، فتبلغ حوالي مائتي فرسخ ، أما فيما يتعلق بالطريقة التي استولى بها الأتراك على الصرة ، فهي كما يلي :

كان هناك حوالي أربعين ألف من الجنود مستعدين في بغداد ، لكن ما ذهب منهم لا يتجاوز سبعة عشر ألف ، أي أحد عشر ألف من حملة البنادق ، بالإضافة إلى ستة آلاف من الخيالة ، وكان قائدهم يُدعى "أجاكس باشا" وهو حاكم بغداد ، ولقد وصل الجيش براً من جانب الجزيرة العربية .

ووصلت البقية بحراً في سفن بحرية ضخمة يطلق عليها اسم "دانيكاس" ، وهي مصممة لحمل أعداد كبيرة من الجنود والعتاد ، تمكن "كزلباشى" من مواجهة الرجال الذين قدموا بحراً في البعض من سفن "الدانيكاس" والسبعة مراكب من الصرة .

تمت هزيمة الأتراك في ممر ضيق ، يُعرف باسم "كورلا" ، وقتل بعض الرجال ، وأمكن الاستيلاء على بعض سفن "الدانيكاس" إلى جانب خمسة مدافع ثقيلة ؛ لكن يبدو أن الجنود الذين كانوا في المراكب قد

تعبوا ، لذا فقد سمحوا للأتراك بالمرور والوصول للبصرة التي استولوا عليها ، ولم يجدوا سوى مقاومة ضئيلة .

على الرغم من أن الملك في الصرة كان حوله ستين ألف من المقاتلين العرب إلى جانب العديد من الخيالة ، والكثير من الجمال التي ربطت ببعضها البعض وفق التقاليد المتبعة ، والسبعة مراكب الموجودة في أكثر مناطق النهر ضيقاً ؛ لكن تمكن المهاجمون القادمون بحراً إلى جانب المهاجمين براً من هزيمة الملك ، وتركوه جريحاً مع فئة قليلة من رجاله الذين أخرجوه من الصرة ، وهكذا تم الاستيلاء على الصرة .

بعد أن استولى الأتراك على الصرة ، قاموا بتحويلها إلى مقاطعة ، ومن ثم عاصمة للبلاد ، وتنصيب الباشا حاكماً عليها إلى جانب أربعة أو خمسة آلاف من الجنود الأتراك وقائد لسلاح البحرية ، ومسؤول الخزينة وقائد لسلاح الخيالة ، وعملوا على تحصين المدينة خاصة في الجزء الذي يؤدي إلى مصب النهر ، حيث وجدوا مسجداً في المنطقة حولوه إلى قلعة ، تم تحصينها بالعديد من المدافع .

من واقع الجزئيات والتفاصيل الواردة أعلاه ، يمكن للمرء أن يستنتج ويتبين كيف أمكنت السيطرة على الصرة ، بعد أن كانت قوية ومساعداتها تحت أيديها ، ونحن كمسيحيين نعرف مدى قوة الأتراك ، وليس في وسع الأمراء المسيحيين أن يحصلوا على بوصة واحدة من الأرض منهم ، وما حصل عليه الأتراك يصعب انتزاعه منهم كما يحدث معنا ، وفي إطار ضعفنا .

بالتالي ، فمن المستحيل شن هجوم على الصرة ، وليس في مقدورنا أن نحتل ولو جزءاً بسيطاً منها ، حتى ولو عولنا على مساعدة ملك

فارس ، لا أعتقد أنه سيقدم لنا المساعدة ، فـالصرة تقع في الجزيرة العربية ، حيث لا توجد لديه أملاك أو تجارة ، أما الأتراك فهم قد احتلوا يوماً مدنه في هذا الاتجاه ، بينما العرب و"الجزلباشي" لن يمدوا له يد المساعدة ، وهناك جنوده الذين يفتقرون لروح البذل .

أما الخصومة التي أصبحوا يحسون بها تجاه الفرس ، فهي بسبب احتلال الصرة ولا شك سيفعلون المثل معنا ، إذا ما أقدمنا على محاولة احتلالها .

إذا ما احتللنا الصرة ماذا سنفعل؟ إذ ليس من السهل المحافظة عليها ، وإذا ما قمنا بتسليمها للعرب ، فلا شك أنها سوف تضيع حالاً ، وإذا ما قمنا بتدميرها ، فسوف يتم إعادة بنائها عاجلاً ، وإذا ما نجحنا في الاستيلاء على الصرة ، فهل ستكون في مأمن من الأتراك؟ لا ، لأن الخوف الذي كان سوف يظل باقياً ، وإذا كان الاستيلاء على الصرة لن يتبعه أي خوف من الأتراك ، فيمكن القيام بهذا العمل بالرغم من أنه سوف يكون عملاً طائشاً حتى ولو تبين ألا شيء يستدعى الخوف مستقبلاً .

إذا ما افترضنا أننا قد استولينا على الصرة ، وأننا قد تمكنا من المحافظة عليها ، فهل سيترك الأتراك المئات من المناطق المؤسسة بين الصرة وبابل ، والتي يحصلون منها على الأخشاب لبناء أسطولهم؟ لأنه ليس بالإمكان منعهم من ذلك .

ولهذا السبب لابد من إيجاد أسطول يكون ذا حضور ووجود دائم ، وهذا ما لا يمكن المحافظة عليه ، وإذا ما حاولنا ذلك فلا شك أن الأتراك

سيعلنون الحرب علينا من مضيق هرمز ، ويعملون على بناء أسطولهم في نهر "الفرات" ، ولن يوقفهم ويردعهم عن ذلك سوى الرب وحده .

أما بالنسبة لما يراه البعض بأنه يجب علينا بناء قلعة في جزيرة "مرجي" فهنا أتساءل كيف يتسنى لنا المحافظة على تلك القلعة ، وهي محاطة بجموعه قوية من الأعداء المجاورين ، ولابد من الأخذ بالاعتبار كذلك الخطر الذي سوف نكون قد وصفنا أنفسنا فيه كحالتنا عندما تتم محاصرة قلعة في الهند .

وما كان بوسعنا أن ندافع ونزود عنها لولا لطف الله بنا ، أضف لهذا إذا ما تمكنا من حمايتها والحفاظ عليها ، فإن بوسع أي شخص له خبرة ومعرفة بوسائل الحرب أن يستهجن هذه الفكرة ؛ أن الأتراك قد يخافون من العبور بأساطيلهم على طول هذه القلعة مواجهين مدافعها .

باختصار ، يجب على سموكم عدم إصدار أوامره بشأن الاستيلاء على الصرة ، لأنه حسب وجهة نظري لا يمكننا الاستيلاء عليها ، ولا يمكننا المحافظة عليها ، وإذا كانت هذه الأشياء ممكنة ، فهل يمكن وقف الأتراك ومنعهم من بناء الأسطول ، إذا ما حصلوا على ما يلزم من الأخشاب؟ إنني مندهش إذا ما فكر أي فرد له معرفة وخبرة بأساليب الحروب في نقيض ما أقوله ، ولكن كما يقول الإيطاليون (الاختلاف هو ما يجعل الطبيعة جميلة) .

يجب على سموكم إصدار الأمر بجعل هرمز أكثر قوة وتحصيناً ، ويجب أن يوجد أسطول في المضيق ، للاستجابة لكل متطلباتها ، ويجب أن يصار إلى وضع قائد في هرمز ليكون نداً "للشاه طهماسب"

و"الكزلباشي" ، ويتطلب الأمر حصولك على معلومات موثوقة عن أحوال الصرة ، تحصيناتها وأوضاع الأتراك وجيرانهم ، وكذلك بمعلومات دقيقة عن الأخشاب التي بحوزتهم .

ومن جانبي ، فإنني أعتقد أنه ليست لديهم الكمية الوافرة والنوعية الجيدة من الأخشاب حسبما يرويه البعض ، بل إنهم لا يسعون للإفادة من هذه المواد ولا يصبحون أثرياء ، وإذا ما اختلفت هذه المعلومات ، فلا شك أن وجهة نظري سوف تختلف أيضاً ، وعموماً أرى أن الأمر سيبدو عبثياً إذا ما سعينا للتجارة في الصرة دون أن نعلم عنها شيئاً ، فما نعرفه عنها قليل ، وهذا القليل الذي نعرفه لا يمكن التعويل عليه .

حسب تقرير ، فان الهند تعاني نقصاً في الرجال ، ويجب ألا يكون الأمر كذلك ، فهي الآن محاطة بالكثير من الاحتياجات وسموكم عليه تلبية ذلك ، ويجب أن يكون لديها المزيد من الرجال لا الموظفين المعينين . هناك في الهند رجال على قدرة من ذوي الخبرة والتجربة جاء توظيفهم متأخراً ، وكانوا فقدوا هذه الصفات ، والآن يبدو لي أن العمل لمدة ثلاث سنوات سيكون كافياً بحيث يكافأ صاحبه عليه .

أما بالنسبة للفلفل ، أتمنى أن يهتم سموكم فيسأل عن الكيفية التي يمكن من خلالها توفير أكبر كمية منه ، لأنه بدونه لن يتمكن سموكم من السيطرة على الهند أو الاحتفاظ بالبرتغال ، ويمكنني أن أخبرك ، وكأنني أتحدث عن سارق البيت ، أن الحاكم إذا ما اجتهد في إرساله كاجتهاده في عمل بعض الأشياء الأخرى التي يحب كعادته أن ينجزها ، فلا شك أنه سوف يصبح مفتقراً للمباني التي تستوعب عملية تخزينه .

وأقول لسموكم بأنني لن تكون هناك أية فائدة للعقود أو الطلبيات المستمرة ، لأن الحاكم لا يفعل ما يقتضيه الحال وما هو مطلوب ، بوسعي أن أقدم الكثير من البراهين والأدلة من واقع الوظيفتين اللتين كان يشغلهما أبي ، وذلك حينما أرسل ستين ألف قنطار من الفلفل ، وكميات كبيرة من جميع أنواع العقاقير ، وكان ذلك دون أي رأسمال ، وإنما بواسطة (.....) عوائد من الهند كي يدفع لجميع الجنود مستحقاتهم ، وإذا ما رغب سموكم ، فإنني مستعد لإطلاعكم على كل ذلك تفصيليّاً .

كذلك أعتقد أن يتفضل سموكم بإرسال بعض الرجال إلى مناجم "سوفالا" ، إذ من المؤكد العثور على الذهب هناك ، أما حق امتلاكه فهذا ما هو غير مؤكد ، ولكن الأهم هو ما يمكن أن يعود على الهند و"البرتغال" من فوائد وخيرات ، وهو السبب الذي يجعل كل شيء ممكناً في هذا الخصوص .

أعتقد أيضاً أن الضرورة تستدعي تعيين حاكم في "موزمبيق" ، وبعدها يترتب على أن تعطى وتمنح أكثر للرجال الذين لن يحصلوا على القبطانية ، وإنما يرضون بالحاكمية ، وبواسطة ذلك المنصب والسلطة سوف يخدم سموكم بشكل أفضل ؛ لأن كل المساعي سوف تبذل لمساعدة حاكم الهند .

أسأل الله أن يطيل عمر سموكم ويحفظ دولتكم .

كتب في "سيرا سنترا" "Serra Sentra" بتاريخ الثامن والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أن علي بن عليان شيخ الجزائر قد جيء به إلـى القسطنطينية وهو في الأغلال : [٦٣]

سيدي ، قد كتبت لسموكم في الثاني عشر من الشهر الماضي ، وأبلغتكم أن "قداسة البابا" يعمل على استكمال برنامجه مع "بريستر جون" ، وذلك بالترتيب لإرسال أحد رجاله كي يعمل سفيراً للمجلس ، ولقد وقع اختياري على "أنطونيو بنتو" للقيام بأعباء ذلك المنصب ، وقد أرسلته ومعه الرسائل البابوية حسبما وضحت بشكل مطول في ذلك الخطاب .

غادر المدعو أعلاه "أنطونيو بنتو" في الثالث والعشرين من الشهر الماضي بنية تسليم الرقيق "البربر" والأتراك إلى "ميسينا" ، والذين تم شراؤهم بناءً على تعليماتي عن طريق وكالة "جواو دي لوميلينو" ،

(٦٣) رقم الوثيقة والهامش.

واصطحابهم حتى القاهرة ، ويجب عليه أن يسلمهم هناك للباشا ، ويقوم بالمثل يعمل لترتيب أمر عودة الأسرى "البرتغاليين" ، استناداً للتعليمات التي أعطيتها له في ذلك الموضوع .

بإذن الله سوف يعود هؤلاء إلى البندقية ، وسوف أترك هناك تعليمات بين يدي "توماس دي كرونوسا" ، بما يجب أن يفعل ، وبعد الفراغ من موضوع الأسرى ، سوف يغادر "أنطونيو" مدينة القاهرة متخذاً الطريق الذي سبق أن ذكرته لسموكم .

أسأل الله أن يوفقه في مهمته كي يتمكن من تحقيق رغبات البابا ، سوف أرفق نسخة من رسالة التعريف التي كتبها قداسته لتسليمها إلى "برستر جون" مع هذه الرسالة ، وبالمثل رسالة المطران "دوم أندريه" .

كما أرسل أيضاً نسخ الرسائل التي كتبتها للمذكور "برستر جون" والمطران ، وكذلك التعليمات التي أعطيتها للرسول عن كل ما يمكنه فعله أو قوله ، وعلى سموكم أن يصدر أمراً كي يصار إلى قراءة جميع هذه الأوراق والرسائل ؛ كي تنضح الفكرة تماماً عن نوايا وأهداف "قداسة البابا" والكيفية التي اتخذت لمعالجة الأمر .

في رسالتي خاطبت "برستر جون" بصفة العاهل ، كيلا أعطيه الإحساس بأنني أخاطبه وأضعه في منزلةٍ أدنى كما فعل البابا ، وقد أعطيته أيضاً بياناً ضافياً عن كل شيء ، وذلك كي يفهم بشكل أفضل أسلوب الرسول والسفارة ، أيضاً كتبت رسالة إلى "جاسبار دي سوسا" وأخرى إلى "فرانسيسكو جاكومي" اللذين أخبراني بأنه يجد كل الاحترام والتقدير عنده .

إن "قداسة البابا" يرغب بشدة في الحصول على أخبار الصفوي ، ومن طرف سموكم ، وكما ذكرت سابقاً ، فإنه في حالة نشوب حرب جديدة في الصيف القادم بين الصفوي والأتراك ، فإنه يأمل أن يكون ذلك سبباً في قبوله تجربة توقع مساعدة من القوى النصرانية ، ويمكن أن يكون ذلك سبباً في أحداث ضرر جسيم للأتراك .

لقد اتفقت مع "قداسة البابا" في طرح هذا الاقتراح على سموكم ، كي تعطيه رداً فيما يتعلق بالكيفية التي يمكن أن يتم بها الاتصال ، فعندما يتعلق الأمر بالأمل ، على المرء أن يواجه الوقت وفي التأني السلامة .

أرسل لك اليهودي ابن سيلفا الذي أخبرت سموكم عن وصوله من الهند برسالة مع هذا البريد ، ومن خلال ملاحظاته وأقوال بعض الناس ، علمت أنه لا توجد أخشاب على ضفاف نهر "دجلة" أو "الفرات" يمكن أن تكون ذات فائدة للسفن والمراكب ، ويمكن التحقق من هذا الأمر من الكتب "الكوزموغرافية" ليتبين لكم كم هي بعيدة جبال "أرمينيا" من حلب ، والتي منها حسب ما ورد في التقارير الواردة من الهند يتم الحصول على كميات الأخشاب للبصرة .

تبعاً ما ورد في نسخ التقارير في تلك المناطق ، والتي أمر سموكم بتسليمها إلى شخصي ، يتبين لي أنني بِتُ أكثر اقتناعاً بأخطاء صريحة ، لأنه ما من أحد غيري أرسل تلك الأخبار من القسطنطينية في اثني عشر من مارس الماضي ، وسوف يلاحظ سموكم من الأخبار المصاحبة لهذا الخطاب ، الشكوك التي تدور حول الأتراك .

الأسطول التابع لملك "قشتالة" وأساطيل حلفائه ، تبلغ حوالي ثلاث

وخمسين من السفن ، ولا شك أن ذلك العدد سوف يتزايد عند وصول المزيد من المراكب القادمة من "مالطة" للانضمام له في "صقلية" . فـي الثالث من هذا الشهـر غـادر الملك "نابولـي" ، يرافقه قائده الجديد لهـذا العـام وهـو "ماركو أنطونيـو دي كـاريتـو" "Marco Antonio de Caretto" ، ابن زوجة "اندريه دوريا" "Andre doria" .

تفيد التقارير أنه في طريقه إلى "مالطة" ، وسوف يصحب معه إلى هناك ثلاثة آلاف من الجنود الإسبان من الذين أرسلوا إلى هناك هذا الصيف ، وسوف يقوم بواسطة هؤلاء إلى جانب بعض الجنود الآخرين بمحاولة شن هجوم على ساحل المغرب ، غير أنني أعتقد أنه سوف يصار إلى منعهم من إنجاز ذلك بعد أن يدركوا أن أسطول الأتراك قد شوهد في "زانكنثوس" ، في الوقت الذي يعتقد أنه ما زال موجوداً في القسطنطينية .

لم يعد لدي ما أكتبه أكثر من هذا عن المجلس باستثناء أن "قداسة البابا" يبذل قصارى جهده وبكل السرعة كي يتمكن أحبار الكنيسة من حضور المجلس .

في هذا الوقت كتب الملك "القشتالي" إلى وزرائه في مملكة نابلس و"صقلية" وميلان ، وجميع تلك الممالك قد تم استدعاؤها للحضور . من المؤمل أن يعمل "القشتاليون" على حضور المجلس ، غير أن الفرنسيين لا يرغبون في الحضور معهم ، وإذا ما قام الإمبراطور بافتتاح المجلس ، فمن المتوقع أنه سوف يقوم بإرسال السفراء والأحبار بالأسلوب الذي سبق أن بنيته .

في فرنسا يوجد لديهم مجلسهم القومي ، لكن في كل يوم ترد تقارير سيئة عن ديانتهم وممارساتهم .

مرفق طي هذه الرسالة نسخة من الخطاب الذي خطه الملك إلى سفيره هنا ، وكان هذا الخطاب بمثابة اعتذار عن ذلك الجمع المحتشد ، فالسلطة الصغيرة التي بموجبها يمكنه من الحد من تلك الشرور والإشارات الواضحة التي يمكنه استخدامها لوقفها هي تماماً . قام السفير المذكور بإطلاع البابا على هذا الخطاب ، وبالمثل فعل مع بقية "الكرادلة" والسفراء ، معتقداً أنه بذلك قد أثبت قضية سيده .

أرسل لكم أيضاً الكلمة التي ألقاها سعادة كبير القضاة في فرنسا في اليوم الأول للاجتماع ، ومن خلالها يمكن للمرء أن يلحظ عدداً من الشكوك ، ولقد تم نشرها من الفرنسية "للقشتالية" ؛ تجنباً لأعمال النسخ هناك .

لقد أرسلت مؤخراً نسخة من الخطاب الذي كتبه الإمبراطور إلى ملكة فرنسا ، مرفقاً معه ردها ، ولقد أعقب هذا التوكيد الذي أقره الملك بالسماح للملحدين المواطنين بحضور الاجتماع ، وبأعداد غفيرة جاء جمع كبير من "جنوه" والمناطق الأخرى ، والكثيرون من ذوي العلم والمعرفة بحيث كان الخصام والتنافر هو النتيجة .

كان الراهب" ليوس دي سوتو مايور" ، شقيق "أنطونيو دي سوتو مايور" ، قد درس في لوفيين عدة سنوات ، وقد وصل إلى هنا لمقابلة الأب "بدور دي سوتو" كاهن اعتراف الإمبراطور الراحل ، وهو عالم وقور ، يجيد التحدث بعدة لغات ، وكان قد زار "إنجلترا" ، وتفيد

التقارير بأنه يعيـش حياة مثالية ، وحسب اعتقادي فإنه شخص مؤهل وذو كفاءة ، بحيث يمكنه أن يرأس وفد العلماء الذين يرغب سموكم في إرسالهم للاجتماع ، ولقد أقنعته بضرورة حضور الاجتماع وأنزلته مع "دوم جورج دي أتياد" ، وقد وافق على ذلك بكل سرور .

يبدو أنه من الأصح أن يظهر له نفس التقرير كما حدث مع الكاهن "جواو بنهيرو" خاصة بالنظر إلى معرفته بالموضوعات التي سوف يتم تداولها في المجلس ، وسوف يكون البابا سعيداً جداً عندما يعلم أن سفير سموكم و"المطارنة" قد غادروا بالفعل لحضور الاجتماع ، أما السفير الذي رغب "دوق فندوم" "Vendom" في إرساله إلى هنا ، فقد تأخر وبقي في فرنسا ينتظر حصيلة اجتماعهم .

غادر "دوم جواو دي أتياد" ، متجهاً إلى "قشتالة" ، غير أن الأمر الذي حضر للمشاركة فيه قد أخفق ، وقد أرسل ابن المحامي واحداً من أقربائه اليهود إلى الهند ومعه رسالة إلى أبيه ، وقد غادر البندقية قبل يومين أو ثلاثة ، ومعه رسالتي الإخبارية التي ضمنتها أخبار الأسطول في السويس .

وأخبار الصرة كي يسلمها "للكونت في ردندو" ، ولقد وعد رسول "دوم جواو" ، أنه سوف يصل إلى "غوا" قبل حلول شهر مارس ، وهو يرغب في أن يحمل أخباراً سارة إلى أبيه ، ويأمل أن يحصل على الإعفاء .

لم يتبق معي شيء يمكنني قوله في الوقت الحاضر بخصوص هذه الأمور .

أسأل الله أن يمد في عمر سموكم ، ويحفظ دولتكم ومقدراتكم وأن تدوم في خدمته .

من "روما" في ٢٦-١٥٦١م .

لم أشر في خطابي الآخر أن ملك الجزائر قد جيء به لـ" القسطنطينية" ، وهو في الأغلال ، ولقد تم تنصيب شخص ما من بعده .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)
بعث الأب "أنطونيو دي هيريديا" رسالة إلى أحد الكهنة "اليسوعيين" المميزين ، "لشبونه" ، خريف عام ١٥٦١م ، وذكر أنه أخطأ عندما اعتقد أن أخت ملك هرمز ترغب الدخول في المسيحية : (٦٤)

البند الثالث عشر- أما فيما يتعلق بنشر الدعوة في هرمز ، فعندما كانت الجمعية هناك مدة ست سنوات ، حيث كان كبير الكهنة "كاسبار"(أ) ، والكاهن "غونزالو رودريغيز"(ب) والمعلم "جاسبار" قد قاموا ببناء دير (صومعة) خارج المدينة في تلك الجزيرة في موقع أحد المساجد الصغيرة أو المدفن في تله بالقرب من جبل للملح والكبريت ، حيث كان قد نصّر أحد "اليوغانيين"(ت) .

(أ) عاش "بارزيو" في هرمز في الفترة من يونيو ١٥٤٩م وحتى خريف عام ١٥٥١م .

(ب) رودريغيز أقام من خريف عام ١٥٥١م وحتى عام ١٥٥٣م .

(ت) الهرمزي بول من المذهب المقدس كان هذا من "اليوغانيين" .

(٦٤) رقم الوثيقة والهامش.

فقد تبين أن الكهنة لا يمكنهم الاستقرار والعيش هناك ، فقد كان الدير خارج المدينة ، وبالتالي لم يكن ذلك بالأمر المناسب كي يؤدي العمل التبشيري بالصورة المطلوبة ، وفوق ذلك فقد واجهوا الكثير من المشاكل والصعوبات .

تعلمنا أيضاً من تلك التجربة أن الكهنة قد تعرضوا للكثير من الأمراض في ذلك المكان ، وذلك لأن الهواء الملوث المخترق كثيراً ما يتسرب ما بين الجبل وبين التلة ، وكانت النتيجة إصابة الكثيرين من الكهنة بأمراض فتاكة أودت بحياتهم(أ) ، وقد توفي أحدهم في المستشفى . توفى بعده الكاهن الكبير "جاسبار" نفسه(ب) ، وبعدهم الكاهن "غونزالو رودريغيز"(ت) ، كما أصاب المرض أيضا بعض الكهنة الآخرين .

بعد أن تم إرسالهم إلى هرمز ، وبعد أن اتجهوا للإقامة في الدير ، كنت شخصياً قد عانيت من إصابة معدية ، ومرض التهاب توفي بسببه اثنان من إخوتي(ث) ، ولذا قررت الرحيل للمدينة(ج) ، ولقد فعلت ذلك ليس

(أ) ينطبق هذا تمام الانطباق مع الواقع ، حيث توفي بالفعل خمسة من الكهنة (انظر : "فروبس" ، ١ ديسمبر ١٥٥٢).

(ب) بخصوص المرض العضال الذي أصاب "بارزيو" في هرمز ، انظر أيضاً خطاب ١٦ ديسمبر ١٥٥١م ، الذي كتب بواسطة "اقناتيوس".

Documenta Indica Vol II, 258-9 : cf Documenta Indica Vol III,102).

(ت) بسبب هذا المرض كان قد اضطر لمغادرة هرمز.

(cf Documenta Indica, Vol III,100-102 Polanco, Chron III 480).

(ث) لم تعرف أسماؤهم – انظر : Documenta Indica Vol 11-102-03.

(ج) cf Documenta Indica Vol 11,103.

فقط لذلك السبب ، وإنما أيضاً التزاماً بشروط اتفاقي مع المواطنين الذين توسلوا لي كي أُنفذ ذلك ، وأيضاً لأن الكابتن "دوم أنطونيو دي نورونها" الذي أصبح قائداً في هرمز قد قرر ذلك .

البند الرابع عشر : تلقى الكابتن "دوم أنطونيو" تعليمات من سموه كي يقوم بعمل ساحة مفتوحة وميدان أمام القلعة ، والاستيلاء على جميع المساكن القريبة منها ، ومن ثم يقوم بتدميرها جميعاً بأمر سموه ، بعد دراسة جميع أوضاع تلك المنازل التي يمكن أن يفاد منها في هذا الغرض ، والقيام أيضاً بمصادرة أية منازل أخرى لصالح ضباط الملك والموظفين الآخرين ، ولقد أمر أيضاً وباسم الملك أن تسلم بعض المنازل الجميلة إلى الكهنة وذوي الشأن من الناس ولي شخصياً (٣٥٠v) .

البند الخامس عشر : تؤول ملكية تلك المنازل لرجل يدعى "فرانسيسكو رودريغيز" ، الذي كان قد غادر المنطقة إلى البرتغال ، وقد ترك وراءه مجموعة كبيرة من الأوصياء والوكلاء للتصرف فيها بما يرونه مناسباً سواءً ببيعها أو تأجيرها ، غير أن "دوم أنطونيو" استولى على تلك المساكن وصادرها باسم الملك من أولئك الأوصياء ، كما استولى أيضاً على العديد من المساكن الفاخرة كتلك المنازل التي تؤول لملك وملكة هرمز ، ومساكن أخرى تؤول للبرتغاليين و"البربر" .

البند السادس عشر : كانت تلك المساكن قد قيمت بواقع ستمائة "كروزادوس" يستوجب دفعها من قِبل الملك ، لكن كانت هناك المصادرة والاستيلاء على المساكن الأخرى من أجل إيجاد تلك الفسحة بصك الملكية والشرط ، وبعد ذلك أعيد تقييمها بواقع ثمانمائة "كروزادوس" ؛

لأن وكلاء "فرانسيسكو رودريغيز" القائمين على ممتلكاته رفعوا احتجاجاً بأن تلك المساكن لم يتم تقييمها على الوجه الصحيح .

البند السابع عشر : بعد أن اكتملت عملية مصادرة تلك المساكن ، وحددت قيميتها ، تم تسليمها إلى الرابطة باسم سموه ، كي تقوم بدفع قيمتها . بقيت شخصياً في تلك المنازل لمدة عام كامل .

البند الثامن عشر : بعد أن قضيت سنة هناك ، وتم استدعائي للمثول في "غوا"(أ) ، طلبت من ملك هرمز بعض الأكواخ المجاورة ، حيث كانت تحتوي على بعض البراميل والجرار المليئة بخمور التمر ، وكان هذا يسبب لنا مشاكل مع أعضائنا في الرابطة ، وبالفعل سُلمت لي بعد أن تحملت قيمتها بدفع "باراتا"(ب) ، وكانت تلك الأكواخ قد قيمت بمبلغ أربعمائة أو خمسمائة "بارادوس" ، وقد أرسلت تلك الفاتورة إلى الكاهن "دوم غونزالو"(ت) ، لكنه لم يعرها أدنى اهتمام ؛ لأنه عند حضوري عائداً من "غوا" لم يدرك ما فعل بشأنها .

البند التاسع عشر : وعندما عدت إلى "غوا" ، تبين لي أن عامل الملك ما يزال مقيماً (r٣٥١) في تلك المساكن ؛ وذلك لأن الكاهن "غونزالو" لم يرسل أي شخص كي يقيم ويسكن فيها ، أو أي كاهن

(أ) في نهاية عام ١٥٥٥م كان قد عاد "للهند".

Cf : Documenta Indica Vol III,404 Polanco chron VoL v , 669.

(ب) باراتا ، وهو لفظ مستخدم في الشرق بمعنى فاتورة مالية أو إيصال مالي يدفع من الخزينة . من الفاتورة ، من التركية الفارسية بارات (دالقادو المجلد ١،٩٨).

(ت) د . غونزالو دا سلفييرا – (Provincial 1556-59).

من الرابطة كي يقيم في مكاني ، بل العكس تماماً ، حيث وجهني كي آتي بجميع من معي وجميع الملابس الممكن الإتيان بها ، ولقد أحدث هذا احتجاجاً عنيفاً ، بعد أن رأى الناس ألا أحد من الرابطة قد أرسل كي يقيم هناك ، أيضاً كان هناك سخط واحتجاج الكابتن(أ) ، وكان الناس ساخطين ، ومستائين عندما طلب من "جاسبار" الحضور إلى "غوا"(ب) ؛ لأنهم لم يدركوا ما يعنيه هذا الأمر .

البند العشرون : بعد وصولي إلى "غوا" ، قضيت فيها مدة عام أو أكثر(ت) ، وبعدها أبلغني "الأب فرانسيسكو" بالعودة إلى هرمز ، وبما أنني كنت على علم أن الملك لم يدفع قيمة تلك المنازل للوكلاء ، وأنهم ما زالوا على احتجاجهم (بالرغم من أنهم لن يستفيدوا من هذا الاحتجاج ، مالم يتفقوا مع الملك) ، فقد كانت لدي أوامر ، ومخولاً من قِبل الحاكم "فرانسيسكو باريتو" للإيعاز للمشرف على الخزينة كي يدفع لهم مبلغ ثمانمائة "كروزادوس" على الفور .

البند الواحد والعشرون : عندما وصلت إلى هرمز ، قام عامل الملك فوراً بإخلاء المنازل لي ، وتركها تحت سيطرتي ، وعليه فقد دعوت الوكلاء للاجتماع ، وأبلغتهم بأنه سوف يصار إلى دفع المبلغ وتسليمه لهم ؛ لأنه بالرغم من أنني غير مكلف بفعل هذا لمساعدتهم ، إلا أنني قد جئت

(أ) من الممكن أن يكون "د . أنطونيو دي نورونها" ، حيث أصبح حاكماً على هرمز للمرة الثانية في مايو ١٥٥٧م .

(ب) في الحقيقة كان قد فعل ذلك .

(ت) وهكذا ، ومنذ أواخر عام ١٥٥٥م وحتى أواخر عام ١٥٥٦م ، أو حتى بداية عام ١٥٥٧م.

بتخويل إلى سيادة الحاكم ، وبإمكانهم أن يأخذوه إذا ما رغبوا في ذلك ، وإذا لم يفعلوا ، فسوف أقوم بالمزيد حيث سأتولى جمعه وتسليمه لهم ، لا أدري لماذا لم يرغبوا في التحدث بعد ذلك عن هذا الأمر .

البند الثاني والعشرون : في هذه المناسبة ، مكثت مدة عام كامل في تلك الأكواخ ، وتمت إزالة شجرة البلح منها وبقيت مساكن الملك (٣٥١V) معنا ، وقد حافظنا عليها ، حيث قمت بإجراء إصلاحات فيها وبناء كنيسة صغيرة أيضاً .

بعد ذلك أمرت بالعودة ، وقد فعلت ذلك امتثالاً[أ] للأمر ، وعمل الأب "اليكسوس دياس" "Alexo Dias" على الإقامة فيها ، وبعد وفاته[ب] جاء الكاهن "ايريس برانداو" للإقامة هناك ، وكان بحوزته أمر من أسقف "الأبرشية" "أنطونيو دي كوادروس" بأنه يجب عليه العودة إلى "غوا" ، إذا ما اكتشف أن أهالي تلك المنطقة لم يستقبلوه بما يليق .

عندما علم الأهالي والكابتن بهذا الأمر والتخويل ، قالوا إنه سوف يكون من العار أن تظل تلك البلاد منبوذة من قِبل الكهنة في تلك الجهة ، وبسبب ذلك قاموا باحتجازه ، ومن ثمّ كتبوا إلى "غوا" عن هذا الشأن .

لقد حدث أن الكاهن "برانداو" قد أعتقد أن أخت ملك هرمز ترغب في دخول الدين المسيحي ، ولقد قصد البابا دخول منزل أم الملك بتخويل وأمر رسمي من القائد وأخذها بعيداً ؛ لكن عملت

(أ) كان قد غادر في عام ١٥٥٧م .

(ب) كان في هرمز منذ عام ١٥٥٨م ، وقد توفي في عام ١٥٥٩م.

الفتاة الشابة على تغيير رأيها عندما كانت في منزل أحد "البرتغاليين" ، الذي اتخذ كمأوى لها لحمايتها ، وبسبب اعتقاده أن هذه الفتاة قد فسدت وأصبحت منحرفة بسبب غلطة من البرتغالي ، فلقد استاء الكاهن كثيراً للحد الذي جعله يسارع بالإبحار عائداً إلى "غوا"(أ) ، أما الفتاة فقد عادت إلى أخيها ملك هرمز .

كان الكهنة "الدومينكانيون" قد ذهبوا إلى هرمز عندما غادر الكاهن "برانداو" إلى "غوا"(ب) ، وعندما وصل الرهبان للمكان ، وجدوا الأكواخ خالية ، وعليه سكنوا فيها ، ويستخدمونها الآن كدير . أحضر الأب "برانداو" مبلغ ألف "كروزادوس" حيث قدمها للمجمع(ت) ، وهذا كل ما أعرفه .

الآن فلندع سماحتكم كي ترى من الملام في الأمر ، وكيف يقيم أولئك الرهبان في تلك المنازل ، وما إذا كان بوسعهم الحصول عليها ، ولمن ينسب خطأ وجودهم هناك .(٣٥٢r) ، ودعه كي يتبيّن السبب في رحيله من هرمز والسماح لـ "الدومينيكانيين" بالإقامة ، بل وباحتلال المساكن التي استولى عليها الملك كي يقدمها إلى المجمع ، وبعد أن تم له ذلك ، أصبحت مملوكة لدى ذلك المجمع لأكثر من ثلاث سنوات .

(أ) ربما حدث ذلك في عام ١٥٥٩م.

(ب) عاد قبل مايو ١٥٦٠م ، وحقيقة فقد كتب "فروبس" في الأول من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م : (في هذا العام قدم الكاهن "ايرس برانداو" من هرمز حيث وصل هنا قبل حلول فصل الشتاء .

(ت) كان ذلك المجمع في "غوا" .

وفي العام نفسه (١٥٦١م)
بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلـى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر فدية أسرى مسقط : (٦٥)

سيدي- في رسالة السابع من هذا الشهر من طرف "ميسينا" ، علمت بشأن شراء ثلاثين رجلاً وامرأتين من الرقيق ، حيث تقتضي الضرورة لدفع دية الذين خطفوا في مسقط مع الكابتن "جواو دي ليسبوا" ، وأخذوا أسرى للقاهرة ، وكذلك للمرأة البرتغالية حماة (صهرة) الكابتن المذكور ، وقد علمت أيضاً أنه قد تم إعداد سفينة لنقلهم ، حيث تم تسليمهم لـ "أنطونيو بنتو" ، وهم على وشك الرحيل في غضون الأيام القليلة القادمة .

حقيقة لم يتم حتى الآن ترتيب كامل مبلغ النفقات ، لكني فهمت أن كل شيء قد تم بشكل جيد ، فيما يتعلق بموضع التحرير الذي

(٦٥) رقم الوثيقة والهامش.

نفاوض حوله ، وأنني ملتزم تجاه "جواو دي لوملينو" ، وهو شخص جدير بالاحترام والتقدير ، وبواسطة وكالته سوف يتم تنفيذ تلك الصفقة ، ولقد أرسلت خطاباً منذ عدة أيام مطالباً برسالة له من قنصل الشعب البرتغالي في مملكة "صقلية" ، لكن الرسالة لم تصل .

الآن ، أعتقد أن هذا السيد رجل له أهميته البالغة في خدمة سموكم فيما يتعلق بالشؤون في القاهرة ، وذلك بسبب المعلومات التي بحوزته ، فيما يتعلق بكامل الشرق ، وبسبب أنه رجل نبيل وثري في نفس الوقت ، وسوف يكون له الشرف أن يستفاد منه في العمل لصالح الأخوية المسيحية ، وفي هذا الاتجاه سوف يصبح تابعاً لسموكم وتحت رعايتكم ، كي تعمل على حمايته من كل ما يمكن أن يواجهه من البلايا والآفات التي سبق أن ذكرتها . إنني أثير هذا الموضوع كعادتي في كل أمر أرغب في تحقيقه لمصلحة سموكم .

من واقع ما أراه من أهمية ، يبدو أنه بعد تسوية وترتيب كل التكلفة ، وليس بإمكاني ملاحظة ذلك إلا بعد مغادرة الرقيق ، سوف يتبقى مبلغ خمسمائة "دوكات" وذلك من مبلغ ألفي "دوكات" التي استلمتها كرصيد من "لوكاس جيرالدس" بموجب طلب من "غوميز كاريرو" ، أمين الخزانة وذلك لقاء تحرير الأسرى .

في أحد البنوك تم إيداع خمسمائة "دوكات" لشخصي ، وذلك كي أتصرف فيها حسب التوجيهات التي صدرت إليّ ، أو أن أسلمها بفوائد للمدعو "غوميز كاريرو" ، أو استخدامها في المحاولة لتحرير بعض الفقراء المعدمين والمعوزين "البرتغاليين" الذي وصلوا مؤخراً في القاهرة

كسجناء ، في مركب "كريستوفاو بيريرا" ، وسوف أتمكن من إيجاد الوسيلة للقيام بذلك بشكل جيد .

أتمنى أن يبادر سموكم بإخباري في أول بريد ، وسوف أقوم بتنفيذ ما تأمرون به ، وفي هذا الصدد سوف أرسل المبلغ الذي يغطي تكلفة العرب المسلمين وجميع النفقات الأخرى . هذا ولم يعد هناك شيء يمكنني أن أضمنه هذا الخطاب ، فأسأل الله أن يحمي سموكم ويحفظ دولتكم ، ويمد في عمر سموكم .

من "روما" ، في السابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦١م

"لورنزو بيريس دي تافورا"

على الغلاف : إلى مولانا الملك .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

بعث "دوم أفونسو دي نورونها" "D . Afonso de Noronha" رسالة إلى الملك ، "كوتشين" "Cochin" ، في السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، يخبره فيها عن الأوضاع في المنطقة .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

جاء خطاب مرسل من "دي أفونسو" إلى الملك ، في السابع والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر معركة القطيف والأتراك في شط العرب .

(صفحة رقم ١١)

الوثيقة رقم : ٣

جاءت أحداث الأسطول صاحب الخمس وعشرين سفينة ، بتاريخ

عام ١٥٥٢م ، حيث تحقق للأتراك السيطرة على العراق واحتلال القطيف والبحرين . **(صفحة رقم ٢٩)**

الوثيقة رقم : ٤

بعث "سيماو بوتلهو" "Simao Boutelho" مشرف خزانة الهند رسالة إلى الملك ، "كوتشين" ، في الثلاثين من شهر يناير ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر فيها الخدمة المقدمة في البصرة . **(صفحة رقم ٥٥)**

الوثيقة رقم : ٥

صدر أمر سعادة نائب الملك "د .أفونسو دي نورونها" ، الذي أقره ووافق عليه جلالة الملك "د .سيباستياو" "Sebastiao" ، "غوا" ، في التاسع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٥٢م ، فيما يتعلق بدفعه معاش الريس نور الدين قاضي هرمز . **(صفحة رقم ٦٤)**

الوثيقة رقم : ٦

بعث الأب "غونسالو رودريغيز" "Goncalo Roderigues"رسالة إلى "الجمعية اليسوعية" في "كويمبرا" ، هرمز ، في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر الفقراء في "ميناو" . **(صفحة رقم ٦٧)**

الوثيقة رقم : ٧

بعث الأب "غاسبر بارزيو" "Gaspar Barzio" رسالة إلى "الجمعية

اليسوعية" في "كويمبرا" ، "موغستان" ، بتاريخ شهر أكتوبر عام ١٥٥٢م ، ويذكر أن المسيحيين يذهبون إلى "ميناو" وقت الحرب في هرمز .

(صفحة رقم ٧١)

الوثيقة رقم : ٨

بعث الريس نور الدين للملك ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٢م ، رسالة فيها أخبار عن الأسطول التركي في السويس واحتلال عدن ، وكذلك عن احتلال الجزائر .

(صفحة رقم ٧٦)

الوثيقة رقم : ٩

وردت رسائل من "دوم ألفارو دي نورونها" ، "ريس نور الدين" و"سبستياو لوبيز" "Sebastiao Lopez" إلى نائب ملك الهند ، في الثلاثين أو الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر عام ١٥٥٢م ، وجميعها تذكر أن الأسطول التركي احتل مسقط ، وتتضمن أخباراً عن التواجد التركي في المنطقة .

(صفحة رقم ٨٩)

الوثيقة رقم : ١٠

بعث رئيس المهنيين في "غوا" (سلاح الهندسة) رسالة إلى الملك ، "كوتشين" ، في الخامس والعشرين (أو الثامن والعشرين) من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها أخباراً عن وصول الأتراك .

(صفحة رقم ١٠٦)

الوثيقة رقم : ١١

وردت رسالة من القاضي وكبار رجال "غوا" إلى الملك ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٢م ، يذكرون فيها استيلاء الأتراك على مسقط .

(صفحة رقم ١١٢)

الوثيقة رقم : ١٢

بعث الأب "لودوفيك فرويس" "lodewijk Freus" رسالة إلى الآباء والإخوة في "الجمعية اليسوعية" في البرتغال ، بتاريخ الأول من شهر ديسمبر عام ١٥٥٢م ، يتحدث فيها عن التنصير في هرمز والأوضاع في مسقط بعد احتلالها .

(صفحة رقم ١١٨)

الوثيقة رقم : ١٣

بعث "ألفارو ميننديز" رسالة إلى "الإخوة اليسوعيين" ، "موغستان" ، عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها أن الأتراك في خورفكان ، وتتضمن أخباراً عن احتلال هرمز .

(صفحة رقم ١٣٧)

الوثيقة رقم : ١٤

بعث الأب الكاهن "غاسبار بارزيو . إس .جي ." "Gaspar Barzio" رسالة إلى مجمع الإخوانية في "كويمبرا" ، "غوا" ، في العشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٢م ، ويذكر أنه هرب من هرمز ، وأن الأوضاع هناك صعبة .

(صفحة رقم ١٤٠)

الوثيقة رقم : ١٥

وردت رسالة من "ألفارو ميندیز" (جمعية يسوع) من "موغستان" ، بتاريخ عام ١٥٥٢م ، يذكر فيها حصار الأتراك لهرمز .

(صفحة رقم ١٤٥)

الوثيقة رقم : ١٦

غادر الأسطول البرتغالي المملكة بقيادة القبطان "فيرناو سواريس دي ألبيرغاريا" "Fernao Soares de Albergaria" ، وتوجه إلى البصرة .

(صفحة رقم ١٤٨)

الوثيقة رقم : ١٧

صدرت تعليمات كتابية من "دوم جواو الثالث" إلى مبعوث مسافر عن طريق البر إلى الهند ، بتاريخ عام ١٥٥٣م ، وكذلك وردت معلومات عن تحطم الأسطول التركي على يد البرتغاليين جنوب رأس الحد .

(صفحة رقم ١٥١)

الوثيقة رقم : ١٨

بعث "غاسبار بارزيو ، إس .جي" ، نائب أسقف أبرشية الهند رسالة إلى الكاهن الأب "أقناتيوس لويولا" ، مدير عام "جمعية اليسوع" في "روما" ، "غوا" ، في الثاني عشر من شهر يناير عام ١٥٥٣م ، يذكر فيها وضع سوقطرة .

(صفحة رقم ١٥٥)

الوثيقة رقم : ١٩

بعث "د .جواو الثالث" رسالة إلى "الكومندادور مور" "د . أفونسو دي لانكاستر" "D . Afonso de Lancaster" السفير في "روما" ، "لشبونه" ، بتاريخ شهر سبتمبر عام ١٥٥٣م ، يستفسر عن نتائج الهزيمة .

(صفحة رقم ١٦٤)

الوثيقة رقم : ٢٠

بعث الملك "د . جواو الثالث" رسالة إلى "كومندادور مور" ، "د . أفونسو دي لانكاستر" السفير في "روما" ، "لشبونه" ، بتاريخ سبتمبر عام ١٥٥٣م ، يخبره أن بعد احتلال البصرة والخليج فإن الدعم من قبله (الملك) سيكون بعيد المنال ، ويتطلب مدة عام حتى يصل إلى الخليج ، ويذكر سبباً آخر هو ضعف الإمكانات .

(صفحة رقم ١٧٠)

الوثيقة رقم : ٢١

بعث الأب "اليكسو دياز" "Alexo Dias" رسالة إلى الأب "لويز غونسالفيس دا كامارا" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٥٣م ، يذكر ما حدث بعد المعركة بين الأتراك والبرتغاليين جنوب رأس الحد .

(صفحة رقم ١٧٣)

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث "فرانسيسكو بالها" "Francisco Palha" رسالة إلى "د .جواو

الثالث" ، "غوا" ، في السادس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٥٣م ، يذكر فيها بأنه سيوفر جميع الطلبات للأسطول البرتغالي في الهند ، ما عدا المدفعية الحكومية فيجب أن ترسل من البرتغال .

(صفحة رقم ١٨٠)

الوثيقة رقم : ٢٣

وردت رحلة "دوم أنتاو دي نورونها" إلى هرمز ، حيث اتجه إلى البصرة حاملاً ثروة كبيرة من الذهب مخالفاً التعليمات ، وما جرى فيها من أحداث ، كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" .

(صفحة رقم ٢٠٣)

الوثيقة رقم : ٢٤

ورد ذكر الرسالة التي تلقاها الأتراك من باشا البصرة ، فيما يختصّ بتصرفات "بيري ريس" في مسقط وهرمز .

(صفحة رقم ٢٠٨)

الوثيقة رقم : ٢٥

وقعت أحداث عندما ظهر "بيري بيك" أمام الأتراك في القسطنطينية ، نورد تلك الأحداث من كتاب : "Lendas da India" ، لمؤلفه "غاسبار كوريا" "Gaspar Correia" .

(صفحة رقم ٢١٧)

الوثيقة رقم : ٢٦

جاء وصف دقيق عن الموازين والقياسات والعملات ، قام بإعداده "أنطونيو نونس" ، بتاريخ عام ١٥٥٤م .

(صفحة رقم ٢٢٥)

الوثيقة رقم : ٢٧

صدرت صكوك العقد الذي أبرمه الحاكم مع ملك هرمز ووزيره ، بتاريخ عام ١٥٥٤م ، وقد صدرت الإضافات على مدى السنوات السابقة منذ إبرام الاتفاقية مع "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" .

(صفحة رقم ٢٥٤)

الوثيقة رقم : ٢٨

بعث "دي جواو الثالث" رسالة إلى "كومندادور مور" ، "دي أفونسو دي لانكاستر" ، السفير في "روما" ، بتاريخ عام ١٥٥٤م ، يذكر فيها الفدية التي دفعت عن الأسرى البرتغاليين .

(صفحة رقم ٢٧٨)

الوثيقة رقم : ٢٩

بعث "كومندادور" "د . أفونسو دي لانكاستر" في "روما" رسالة إلى "دوم جواو الثالث" ، روما في يوم العشرين من شهر مارس ، عام ١٥٥٤م ، يخبر فيها أن "شاه طهماسب" يشن الحرب على تركيا .

(صفحة رقم ٢٨٠)

الوثيقة رقم : ٣٠

بعث الأب "أنطونيو دي هيرديا" ، رسالة إلى الأب "إغناسيو دي لويولا" "Ignacio de Loyola" ، الرئيس العام "للجمعية المسيحية" في "روما" ، هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٤م ، يصف فيها مملكة هرمز . **(صفحة رقم ٢٨٢)**

الوثيقة رقم : ٣١

بعث الأب "أيريس برانداو سي جي" "Aires Brandao" رسالة إلى الجمعية في "كويمبرا" ، "غوا" في يوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، من عام ١٥٥٤م ، يصف فيها رعايا ملك هرمز . **(صفحة رقم ٢٩١)**

الوثيقة رقم : ٣٢

وصول نائب الملك "دوم أفونسو دي نورونها" إلى "غوا" ، وماذا فعل ، كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto " ، ويذكر ما حدث عندما وصلوا إلى قلعة ظفار . **(صفحة رقم ٢٩٤)**

الوثيقة رقم : ٣٣

تمّ إرسال ملك الأتراك للقبطان علي شلبي بالسفن الشراعية من البصرة إلى السويس ، حيث غادر البصرة ومن ثم اصطدم بأسطول

"دوم فيرناندو دي منسيس" ، الذي استولى على ست من سفنه . كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" .

(صفحة رقم ٣٠٠)

الوثيقة رقم : ٣٤

بعث "دوم لويس" ابن الملك رسالة إلى نائب ملك الهند "دوم بيدرو دي ماسكارينهاس" ، "لشبونه" ، في الثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٥٥م ، يذكر فيها أن السلام يعم البصرة ، ولا وجود لأساطيل تركية لتهاجم الهند .

(صفحة رقم ٣١٣)

الوثيقة رقم : ٣٥

بعث الأب "ملشيور كارنيرو" "Melchior Carneiro" في "جمعية اليسوع" رسالة إلى الأب "ديوغو ميرون" "أسقف الأبرشية "في "البرتغال" ، "موزمبيق" ، الثامن من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٥م ، يذكر فيها أن للأتراك أسطولاً قوياً يرابط عند باب المندب .

(صفحة رقم ٣١٥)

الوثيقة رقم : ٣٦

بعث الأب الكاهن "أنطونيو دي هيريديا" في جمعية اليسوع رسالة إلى الكاهن "اغناسيو دي لويولا" ، الرئيس العام لجمعية اليسوع في

"روما" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٥٥م ، يذكر أن ملك هرمز على وشك التنصر ، وأن زوجاته أصبحن مسيحيات .

(صفحة رقم ٣١٨)

الوثيقة رقم : ٣٧

العاصفة التي وقعت لـ"دون ألفارو دي سلفيرا" في رحلته ، في شط العرب ، والخلافات التي برزت بينه وبين "بيرنالديم دي سوزا" قائد قلعة هرمز ، جاء ذلك في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" . **(صفحة رقم ٣٢١)**

الوثيقة رقم : ٣٨

بعث سكان "ديو" رسالة إلى الأب "جونسالو دا سيلفيرا" "Goncalo da Silviera" في العام ١٥٥٧م ، "ديو" ، في يوم العشرين – الحادي والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٥٧م ، ويذكرون أن هناك صراعاً بين الأتراك والحبشة عند باب المندب . **(صفحة رقم ٣٢٥)**

الوثيقة رقم : ٣٩

وردت نسخة من رسالة من الأب "باولو دي سانتا في" "Paolo de Santa Fe" ، إلى رئيس أساقفة جمعية "يسوع المسيح" في "البرتغال" ، "غوا" ، في يوم العشرين من شهر

ديســـمبر ، عام ١٥٥٨م ، وفيها أن زوجات ملك هرمز رفضن أن يصبحن مسيحيات .

(صفحة رقم ٣٢٧)

الوثيقة رقم : ٤٠

بعث الأب "ميلشيور كارنيرو" (جمعية يسوع) رسالة إلى الأب "ديوجو ليونيس" الأسقف العام "لجمعية يسوع" في "روما" ، "غوا" في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٥٩م ، يذكر فيها هزيمة الأتراك من قبل الأحباش .

(صفحة رقم ٣٣١)

الوثيقة رقم : ٤١

صدرت يوميات "أنطونيو تـنريرو" "Antonio Tenriero" ، فارس الجماعة المسيحيّة ، التي روى فيها كيف قدم من الهند برّاً إلى مملكة "البرتغـال" ، طبـعت لأوّل مرة في "كويمبرا" بواسطة "أنطونيو دي ماريز" "Antonio de Marez" ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر فيها وصف هرمز ومدينة "لار" .

(صفحة رقم ٣٣٥)

الوثيقة رقم : ٤٢

بعث سعادة السفير "لورنزو بيريس دي تافورا" "Lorenco Peres de Tavora" في "روما" ، رسالة إلى "دي سباستياو" ، "روما" ، في الرابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأتراك يعدّون أسطولاً ضخماً .

(صفحة رقم ٣٥٣)

الوثيقة رقم : ٤٣

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السابع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر ما حققه الأسطول البرتغالي بالقرب من البحرين . **(صفحة رقم ٣٥٨)**

الوثيقة رقم : ٤٤

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الخامس من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر بأن الأتراك الذين احتلوا البحرين قد تم طردهم . **(صفحة رقم ٣٦٠)**

الوثيقة رقم : ٤٥

بعث سعادة السفير في "روما" "لورنزو بيريس دي تافورا" رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأسطول التركي في السويس . **(صفحة رقم ٣٦٨)**

الوثيقة رقم : ٤٦

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، الخامس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن الأسطول التركي في السويس . **(صفحة رقم ٣٨٠)**

الوثيقة رقم : ٤٧

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن با يزيد بن السلطان التركي على حدود تركيا بجيش عظيم .

(صفحة رقم ٣٨٧)

الوثيقة رقم : ٤٨

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، خطاباً إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثالث عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن با يزيد يرغب في التواصل مع البرتغاليين . **(صفحة رقم ٣٩٦)**

الوثيقة رقم : ٤٩

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "د . سبستياو" ، "روما" ، في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أن البهارات تأخذ طريقها إلى عدن وإلى السويس ومن البصرة إلى بغداد وحلب .

(صفحة رقم ٣٩٨)

الوثيقة رقم : ٥٠

وردت رسالة الكاهن "لويس فرويس" "Luis Freus" من جمعية "القديس باول" في "غوا" إلى "إخوة مجتمع عيسى" في "البرتغال" ، "غوا" ، الأول من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م . **(صفحة رقم ٤٠٨)**

الوثيقة رقم : ٥١

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "د . سبستياو" ، "روما" ، السادس من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويُرغّب السفير في عقد معاهدة السلام مع تركيا .

(صفحة رقم ٤١٣)

الوثيقة رقم : ٥٢

بعث الكاهن الأول "نونيس باريتو" "Nunes Barreto" رسالة إلى الكاهن "ديوغو ليونيس" حاكم عام "مجتمع عيسى" في "روما" ، "غوا" ، في التاسع من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، بشأن ملك زيلع المعيّن من قبل المماليك .

(صفحة رقم ٤١٩)

الوثيقة رقم : ٥٣

بعث الكاهن "ملشيور كارنيرو" رسالة إلى الكاهن "ديوغو ليونيس" مطران عموم جمعية عيسى في "روما" ، "غوا" ، في التاسع من شهر ديسمبر ، عام ١٥٦٠م ، ويذكر أخباراً عن الحبشة ومصوع .

(صفحة رقم ٤٢٢)

الوثيقة رقم : ٥٤

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى د . سبستياو ، "روما" ، في الثاني والعشرين من شهر يناير ، عام

١٥٦١م ، يذكر أن الأسطول التركي جزء منه في الإسكندرية والجزء الآخر في السويس . **(صفحة رقم ٤٢٥)**

الوثيقة رقم : ٥٥

بعث "جيل دي جويز" "Jill de Guise" رسالة إلى الملكة ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١٥٦١م ، ويذكر الاحتلال الذي يقوم به الأسطول البرتغالي حول البصرة . **(صفحة رقم ٤٣٠)**

الوثيقة رقم : ٥٦

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "د . سبستياو" ، "روما" ، في العاشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦١م ، ويذكر قصة هروب "أندري ربيرو" سجين مسقط . **(صفحة رقم ٤٣٦)**

الوثيقة رقم : ٥٧

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "د . سبستياو" ، "روما" ، في التاسع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٦١م ، ويذكر الأسطول التركي في السويس . **(صفحة رقم ٤٣٨)**

الوثيقة رقم : ٥٨

بعث "لويس فرويس" رسالة إلى الكاهن "ماركو نونيس" "Marco Nunes"

في "البرتغال" ، "غوا" ، في الثامن والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أن الأتراك سعيدون في الحبشة .

(صفحة رقم ٤٤٧)

الوثيقة رقم : ٥٩

بعث الأب "غـــونزالو رودريغيز" ، رسالة إلى الأب "أنتروينو كوادروز" "Interuino Quadros" ، بتاريخ السابع من شهر إبريل عام ١٥٦١م ، ويذكر سكن الملك في هرمز ، وسكن الريس شرف .

(صفحة رقم ٤٤٩)

الوثيقة رقم : ٦٠

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دوم سباستياو" ، بتاريخ التاسع عشر من شهر يوليو عام ١٥٦١م ، ويذكر أن السفن في السويس لا تزيد عن خمس وعشرين سفينة وفي حالة سيئة .

(صفحة رقم ٤٥٢)

الوثيقة رقم : ٦١

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في الثاني عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أنه من الصعب نقل الخشب عبر الأراضي بين سوريا والعراق إلى البصرة لبناء السفن .

(صفحة رقم ٤٦١)

الوثيقة رقم : ٦٢

صدر تقرير إلى ملك عن البصرة ، "سيرا دي سنترا" ، في الثامن والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٦١م ، ويشرح وصف المنطقة من البصرة إلى هرمز .

(صفحة رقم ٤٧٢)

الوثيقة رقم : ٦٣

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السادس والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر أن علي بن عليان شيخ الجزائر قد جيء به إلى القسطنطينية وهو في الأغلال .

(صفحة رقم ٤٨١)

الوثيقة رقم : ٦٤

بعث الأب "أنطونيو دي هيريديا" رسالة إلى أحد الكهنة "اليسوعيين" المميزين ، "لشبونه" ، خريف عام ١٥٦١م ، وذكر أنه أخطأ عندما اعتقد أن أخت ملك هرمز ترغب الدخول في المسيحية .

(صفحة رقم ٤٨٨)

الوثيقة رقم : ٦٥

بعث "لورنزو بيريس دي تافورا" ، السفير في "روما" ، رسالة إلى "دي سبستياو" ، "روما" ، في السابع والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٦١م ، ويذكر فدية أسرى مسقط .

(صفحة رقم ٤٩٥)

هوامش المجلد العاشر

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, *Documentacao*: Documentacao para a História das Missoes do Padroado Português do Oriente. Coligida e anotada por António da Silva Rego, Lisboa, Agência-Geral das Colónias. volumes: I (1499-1522), 1947; II (1523-1543), 1949; III (1543-1547), 1950; IV (1548-1550), 1950; VI (1555-1558), 1951; VII (1559), 1952, vol. V, pp. 96-98,

- TT, Corpo Chronologico (CC), Parte I, Maco 87, Document No. 71.

2- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 87 Document No. 71.

3- A Empresa Portuguesa do oriente, Eduardo do Couto Lupi, Lisboa, 1943, pp. 358-372.

4- TT, *Gavetas*: As Gavetas da Torre do Tombo. 9 volumes. Lisboa, Centro de Estudos Históricos Ultramarinos. I (Gav. I-II), 1960; II (Gav. III-XII), 1962; III (Gav. XIII-XIV), 1963; IV (Gav. XV, macos 1-15), 1964; V (Gav. XV, macos 16-24), 1965; VI (Gav. XVI-XVII, macos 1-3), 1967; VII

(Gav. XVII, macos 3-9), 1968; VIII (Gav. XVIII, macos 1-6), 1970; IX (Gav. XVIII, maços 7-13), 1971, Gavetas XV, pp. 19-37.

5- TT, Arquivo 1: Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. °, p. II); 1865 (fasc, 5.° p. I); 1876 (fasc, 6. °, suplementos), Fasc. 5, p. I, d. 128,

- Arquivo de Goa (AG), Livro 3 de registos antigos, f 288v.

6- TT, *Documenta*: Documenta Indica. Edidit Iosephus Wicki S. I. Romae. Apud «Monumenta Historica Soc. Iesu». volumes: I (1540-1549), 1948; II (1550- 1553), 1950, vol. II, doc. 84.

7- TT, Documenta, vol. II, doc. 87.

8- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 89 Document No. 7.

9- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 89 Document No. 9.

10- TT, *Documentacao*, vol. V, pp. 218-222,

- TT, CC, Parte I, Maco 89, Document No. 21.

11- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 89 Document No. 21.

12- TT, Documenta, vol. II, doc. 104.

13- TT, Documentacao, vol. V, pp. 309-310,

- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 49-IV-49 f 167r.

14- TT, Documenta, vol. II, doc. 57,

- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 49-IV-49 ff 145v-146v.

15- TT, Documentacao, vol. V, pp. 309-310,

- TT, BA, 49-IV-49 f 167r.

16- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, (Lisboa, Na Regia Officina Typografica, 1777-1788, Deacade VI, Book 10, chapter 6, pp. 434-441.

17- TT, Colleccao de Sao Vicente (SV), vol. VI, ff 241r-243r.

18- TT, Documenta, vol. II, doc. 118.

19- TT, *Corpo*: Corpo Diplomático Português contendo os actos e relações políticas e diplomaticas de Portugal com as diversas potencias do mundo desde o século XVI até os nossos dias. Publicado de ordem da Academia Real das Ciências de Lisboa por Luís Augusto Rebello da Silva, José da Silva Mendes Leal, Jaime Constantino de Freitas Moniz, António Ferrao e P. M. Laranjo Coelho. Lisboa, Tipografia da Academia Real das Ciências. Tomos: I (1862); III (1868); IV (1870); VII e VIII (1884); IX (1886); X (1891), VII, pp. 258-260,

- TT, Colleccao de Sao Vicente (SV), Liv 6, fol 184.

20- TT, Colleccao de Sao Vicente (SV), Liv f 190r.

21- TT, Documenta, vol. III, pp. 18-26.

22- TT, Gavetas VIII, pp. 181-196,

- TT, Gavetas XVIII, Maco 2, Document No. 22.

23- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, Deacade VI, Book X, chapter 10, pp. 465-471.

24- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, Deacade VI, Book X, chapter 13, pp. 485-494.

25- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome, Francisco de Andrade, 1540-1614, Part IV, Chapter 102, pp. 421-426.

26- Weight, Measures and Coins, Antonio Nunes, 1551, pp. 5-26.

27- Weight, Measures and Coins, Antonio Nunes, 1551, pp. 78-104.

28- TT, Corpo, VII, pp. 313-314.

29- TT, Gavetas IV, p. 494.

30- TT, Documenta, vol. III, doc. 26.

31- TT, Documenta, vol. III, doc. 35.

32- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, Deacade VI, Book X, chapter 18, pp. 520-528.

33- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, Deacade VI, Book X, chapter 20, pp. 537-548.

34- TT, Documentacao, vol. VI, pp. 20-23.

35- TT, Documenta, vol. III, doc. 54.

36- TT, Documenta, vol. III, doc. 57.

37- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, Deacade VII, Book III, chapter 4.

38- TT, Documenta, vol. III, doc. 104.

39- TT, Documenta, vol. IV, doc. 24.

40- TT, Documenta, vol. IV, doc. 53.

41- Itinerary of Antonio Tenreiro, Antonio Tenreiro, First published in Coimbra by Antonio de Maris, 1560, Chapter 1, pp. 1-12.

42- TT, *Corpo* VIII, pp. 355-356,

- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 64.

43- TT, Corpo VIII, p. 371,

- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 65.

44- TT, Corpo VIII, pp. 381-385,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 65v.

45- TT, Corpo VIII, pp. 389-395,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 68.

46- TT, Corpo VIII, pp. 395-398,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 72.

47- TT, Corpo IX, pp. 69-73,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 125v.

48- TT, Corpo IX, p. 80,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 134.

49- TT, Corpo IX, pp. 108-112,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 145v.

50- TT, *Documenta*, vol. II, doc. 94,

- TT, BA, Ulyssip 2 ff 205r-213r.

51- TT, Corpo IX, pp. 134-137,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 148v.

52- TT, Documenta, vol. IV, doc. 107,

- TT, Arquivo Romano S. I., Rome (AR), Goa 10 II ff 573r-574v,

- TT, AR, Goa 10 II ff 575r-576v.

53- TT, Documenta, vol. IV, doc. 108,

- TT, AR, Goa 10 II ff 581r-582v,

- TT, AR, Goa 10 II ff 578r-578v,

- TT, AR, Goa 10 II ff 577r-v, 580r-v.

54- TT, CC IX, pp. 156-157,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, f 205.

55- Portuguese In India, Corpo Chronologico 1500-1630. I/3/144, 1548-1630, Part 1st Maco 104 Document No. 62.

56- TT, Corpo IX, p. 175,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, f 209v.

57- TT, Corpo IX, pp. 303-308,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, f 262.

58- TT, Documenta, vol. V, doc. 39.

59- TT, Documenta, vol. V, doc. 24,

- TT, AR, Goa 47 ff 13r-16v,

- TT, BA, Ulyssip 2 ff 362r-363r.

60- TT, Corpo IX, pp. 303-308,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, fol 262.

61- TT, Corpo IX, pp. 313-318.

62- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 121-122v, 446-447v.

63- TT, Corpo IX, pp. 356-359,

- TT, BA, Cartas de Lourenco Pires de Tavora, f 279v.

64- TT, Documenta, vol. V, doc. 31,

- TT, AR, Goa 8 II ff 348r-353v.

65- TT, Corpo IX, pp. 382-383,

- TT, Corpo Chronologico (CC), Parte I, Maco 105, Document No. 47.

ISBN 978-9948-721-98-7
www.alqasimipublications.com